



الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تاريخ الشرق القديم

الرَّهْبَنَةُ وَالْدِّيَرِيَّةُ فِي سُورِيَّةٍ مِنْ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ حَتَّى الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم

إعداد الطالب

رمزي النعمات

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد الزين

أستاذ التاريخ الروماني في جامعة دمشق

العام الدراسي ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

إِهْدَاء

إِلَى أَسَاتِدَتِي الَّذِينَ وَضَعُوا أَقْدَامِي عَلَى أَوَّلِ الدَّرَبِ
لأهلي وأسرتي الذين تحملوا عبء الدراسة فجزاهم الله خير الثوب.

"أهدي هذه الدراسة"

(بسيول دموعكم أخصب الفقر العقيم، وبزفرائكم العميقة أثمرت اتعابكم مئة ضعف. فصرتم
للمسكونة كواكب متألئة بالعجائب. يا آباءنا الأبرار أصفياء الله، فاشفعوا إلى الله في
خلاص نفوسنا). ثيودوريتوس (١٩٨٧)، تاريخ أصفياء الله

(الراهب هو الجندي الذي يغتصب الملكوت، بالصوم والصلاة يحارب الشياطين، مثله مثل
الجندي الأرضي يهمل الأمور الأرضية وعليه أن يفكر في البركات السماوية).
باسيليوس، القوانين المطولة ٣٦٣:١٨

لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِيخِ كُلِّمَا جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ

القحطاني. (١٩٩٥)، النونية: ١٨١/١

(إن من يزيف التاريخ كمن يزيف العملات المعدنية بتغيير قيمتها ويجب على المؤرخ ألا
ينحاز إلى الأحداث بالمدح أو الذم وألا يخرج كراهيته أو يبدي حسن نواياه)

George, Akropolites.(2007),The History, p: 105

الصفحة	الفهرس
15	الرهبة والديرية في سورية من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس الميلادي
1	أولاً - الإطار المنهجي:
2	1- المقدمة
4	2- إشكالية البحث
4	3- تساؤلات البحث
4	4- مسلمات البحث
4	5- أهداف البحث
5	6- أهمية البحث ومبرراته
5	7 - مسوغات البحث
6	8- مصطلحات البحث
7	9- محدوديات البحث
8	10- منهج البحث وأدواته
8	11- أدوات البحث
10	12- صعوبات البحث
10	13- الدراسات السابقة
11	14- أقسام الرسالة "الفصول
13	الفصل التمهيدي
14	أولاً- الإطار المكاني:
16	ثانياً- سورية في العصر الروماني
18	ثالثاً- الديانة المسيحية:
19	1- البيئة الاجتماعية والدينية التي نشأ فيها السيد المسيح
24	2- الفئات الدينية والاجتماعية وموقفها من تعاليم المسيح
24	أ- فئة الفريسيين
25	ب- الكتبة
26	ج- الصدوقيون
26	د- الأغنياء والعامة:
27	هـ- المحاكمة

28	3- مراكز المسيحية في سورية
30	رابعاً- الإمبراطورية الرومانية والمسيحية
31	1- الامبراطورية الرومانية والديانة المسيحية واضطهادها:
37	2- الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية في الإمبراطورية الرومانية
42	خامساً- ماهية الرّهبة:
46	الفصل الأول : الرّهبة المسيحية التطور الأخير للزهد في الديانة المسيحية
47	- تمهيد:
48	أولاً- دراسة ظاهرة الزهد والتّنسك قبل ظهور الديانة المسيحية
48	1- التّنسك لدى المصريين القدماء
50	2- الزهد في العالم اليوناني والروماني:
50	أ- التعفّف الطقوسي في الديانة الإغريقية والرومانية :
53	ب- الزهد في الحركات والفلسفات الإغريقية والرومانية:
53	- الزهد في المذهب الفيثاغوروسي
55	- الزهد الكلبي
57	- الزهد في الفلسفة الرواقية:
58	- الزهد في المدرسة الافلاطونية المحدثة:
61	3- التّنسك في العهد القديم
63	أ- طائفة الثرابيوتة (شافوا المرض) Therapeutoi
65	ب- الطائفة الثانية الأسينيين (المتواضعين)
69	ثانياً- الزهد لدى المسيحيين:
69	1- بدايات الزهد لدى المسيحيين
72	2- الزهد لدى الحركات والجماعات المسيحية في القرن الثاني والثالث الميلاديين
72	أ- الماركيونية:
74	ب- المونتانية :
75	ج- الاتكراتية:
77	د- الرّهد في الديانة المانوية:
78	هـ- الحركة الأوريجانية
83	ثالثاً- الرّهبة المسيحية التطور الأخير لحياة الرّهد :
86	1- ظهور الرّهبة ومقدماتها:
87	2- أنظمة الرّهبة وتطورها

87	أ- نظام العزلة الفردية
89	ب- الرهبنة الجماعية
90	ج- الرهبنة الديرية حياة الشركة (cenobitism)
91	رابعاً- نتائج الفصل .
92	الفصل الثاني : الرهبنة في سورية نشأتها وتطورها وانتشارها
93	- تمهيد
95	أولاً: قواعد الرهبنة السورية:
95	1-البتولية
96	2-الفقر الاختياري
97	3-الطاعة
99	4-الصلاة
100	5-العمل
101	6-التجرد والإماتة
102	ثانياً: العوامل المساعدة على نشأة الرهبنة المسيحية
102	1-الاضطهاد السياسي
104	2- دوافع اقتصادية
105	3-عدم الرضى عن الكنيسة
107	ثالثاً: الرهبنة وانتشارها في سورية
108	1- القديس هيلاريون رائد الحركة الرهبانية في سورية
112	2- الرهبنة وآبائها العظام في مناطق مختلفة من سورية
113	أ- يعقوب النصيبيني
115	ب- يوليانوس الرهاوي
117	ج- أفرام السرياني
120	هـ- ثيودوريتوس
123	3- الجماعات الرهبانية (الرهبنة الاجتماعية):
126	4- أشهر تيارات الرهبنة السورية
126	أ- الرهبنة المارونية السريانية
129	ب- الرهبنة العمودية إبداع وتجدد

135	5- الرهبنة النسائية
136	أ- مرحلة التأسيس
137	ب- مرحلة التطور والانتشار
139	ج- مرحلة الاندماج والاكتمال
141	رابعاً-الخاتمة
142	الفصل الثالث : أثر الرهبان في الديانة المسيحية والسلطة البيزنطية
143	أولاً- دور الرهبان في نشر المسيحية
147	ثانياً- الرهبان والوثنيون
151	ثالثاً- العقائد المسيحية والمجامع المسكونية وموقف الرهبان منها
151	1-العقائد المسيحية:
151	أ- العقيدة الآريوسية
157	ب- العقيدة النيقوية (الأرثوذكسية)
161	ج- العقيدة النسطورية
164	د- العقيدة المونوفيزيتية (monophysitism)
167	هـ - العقيدة الملكانية (الخلقيدونية)
171	و- العقيدة اليعقوبية
174	2- المجامع المسكونية وموقف الرهبان منها
178	رابعاً- الدولة والرهبان
177	1-الامتيازات
180	2- الرهبان والصراعات السياسية الدينية
181	أ- الردة الوثنية
183	ب- انتصار المسيحية والمذهب الأورثوذكسي النيقوي
186	ج- الاخلاص العقائدي الديني
188	خامساً- الرهبان والمناصب الكنسية:
189	1-القديس إبيفانيوس Epiphanius
191	2- يوحنا فم الذهب Johannes Chrysostomos
191	أ- مرحلة الدراسة والإعداد
192	ب-المرحلة الثانية: التنسك والتعبد والرهبنة

194	ج- المرحلة الثالثة: يوحنا فم الذهب أسقفاً على القسطنطينية
198	3- نسطوريوس Nestorios:
200	سادساً-الخاتمة:
201	الفصل الرابع: نشوء الأديرة وتطورها وأنظمتها ومظاهرها الحضارية في سورية
203	أولاً-لمحة موجزة عن نشوء الأديرة
206	ثانياً: نشوء الأديرة وانتشارها في سورية وتطورها:
207	1-بداياتها
208	أ- الأماكن المتعلقة بإعدام الشهداء
209	ب-أماكن الرهبان والنسك المشهورين
210	ج- الجبال
211	2 - انتشارها:
212	أ- الأديرة في الشمال السوري
213	ب-الأديرة في المنطقة الوسطى
215	ج- الأديرة في الجنوب السوري
219	3- تطورها:
219	أ- أقسام الدير
222	ب-الأنظمة والقوانين في الأديرة السورية.
223	ت-قوانين مار رابولا أسقف الرها (412 - 435م) .
224	ث- قوانين دير مار متى
225	ج- قوانين المجامع المسكونية
226	خامساً: المظاهر الحضارية للرهبة الديرية السورية
226	1-المظهر الاجتماعي
226	أ- الحياة اليومية ضمن الدير
229	ب- أعمال اجتماعية متنوعة
233	ج- حماية المدن
235	د- دفن الموتى
236	هـ - الأسكيم الرهباني الديرية
237	2-المظهر الثقافي والعلمي

237	أ- التعليم والمدارس الديرية
240	ب-الأديرة مراكز ثقافية وعملية
244	ج- المكتبات وحفظ التراث
244	ح- الكتب الدينية
244	خ- الكتب الدنيوية
244	د- مصادر الكتب
246	3-المظهر الاقتصادي
246	أ- العمل الزراعي
250	ب- تربية الحيوانات والصيد
252	ج- الصناعة
251	ذ- صناعة الخبز والغلال
252	ر- صناعة الزيت
253	ز- صناعة النبيذ
254	س- صناعة العقاقير والعطور
254	ش- صناعات متنوعة
255	د- التجارة.
257	ثانياً- الخاتمة
258	1- النتائج
261	2-التوصيات
263	ثالثاً- المصادر والمراجع
276	رابعاً- الملاحق

الاختصارات المستخدمة في مصادر و مراجع البحث

.A.N.F. = Ante- Nicene Fathers, ed. Al. Roberts (Buffal; 1885 ff)

F.T.Ch. = The Fathers of The Church, ed. R. Deferrari

.(Washington: 1947 ff)

.P.G. = Patrologia Graeca, ed. J.P. Migne (Paris: 1857 – 1967)

.P.L. = Patrologia Latina, ed. J.P. Migne (Paris: 1844 –1855)

P.N.F. = Nicene and Past- Nicene Fathers, ed. Schaff (N.York:
.1894ff)

.P.OR. = Patrologia Orientalis, ed. F. Graffin (Paris: 1903 ff)

H.P.= Vivliotheke Hellenon Pateron, ed. Apostolike Diakonia tes

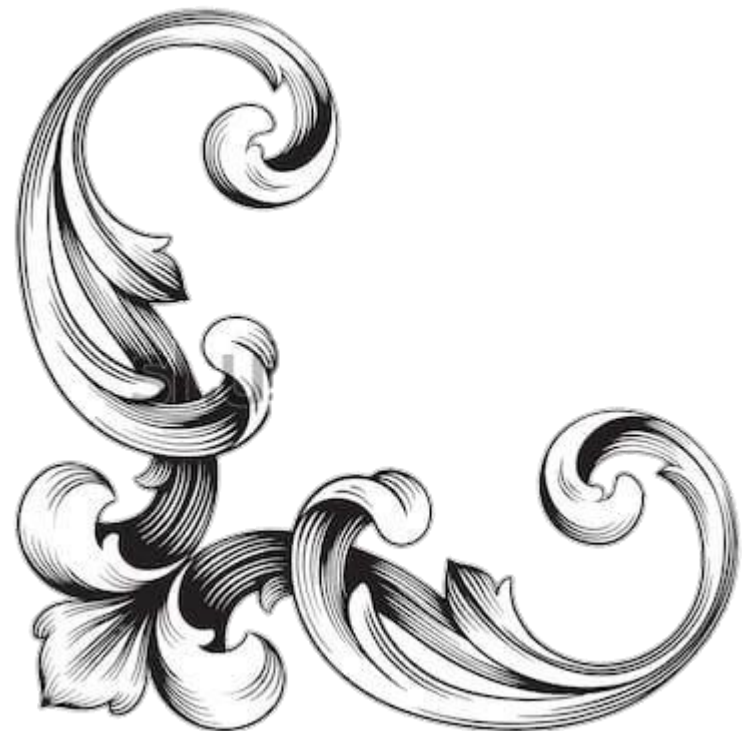
Ekklesias tes Hellados (Athens- Greece: 1955 ff)

المستخلص

يسعى البحث إلى تقديم صورة مفصلة عن الرهبة في سورية، التي انتشرت بشكل ملحوظ في القرنين الرابع والخامس الميلاديين في كافة مناطق سورية حيث يعدُّ القديس هيلاريون (293-371م) رائداً لحياة الرهبة في سورية، إذ لم تعرف سورية راهباً قبله كما يقول القديس جيروم. وكان له الدور الحاسم في نشر النظام الرهباني في سورية. الذي انتشر بادئ أمره كحركة نسكية لا علاقة لها بالمؤسسة الكهنوتية التي اقتصرت على الكنيسة. وبرزت فيها تيارات رهبانية مهمة وهي الرهبة المارونية السريانية، والرهبة العمودية التي كانت تشكل نمطاً متجدداً وأبداعاً مميزاً للرهبنة المسيحية، ودورها الحاسم في التصدي للوثنية وأفكارها وعقائدها. وبذلك يكون الرهبان السوريون أدو دوراً مهماً في الدفاع عن إيمان الكنيسة الجامعة الذين اشتهروا بالفضيلة والقداسة والسيرة الطيبة، وكان من نتيجة ذلك أن وصل الرهبان السوريون إلى المراتب الكنسية العليا متروبوليت (رئيس أساقفة). وقد تأثرت الرهبة الديرية في سورية بالمؤثرات المصرية والباسيلية الكبادوكية التي أدت بدورها إلى تغيرات حيوية في الرهبة السورية وتجديدها وتطورها، إذ ساهمت هذه الرهبة مساهمة كبيرة في خدمة الكنيسة والمجتمع، وإبراز دورها الحضاري الذي تجسد في الديرية كمرحلة أخيرة في تطور الرهبة المسيحية. لأجل ذلك رغبت بالبحث في الرهبة والديرية في سورية ومعرفة المكانة التي تميزت بها الرهبة الديرية السورية، وإبراز دورها الحضاري.

الكلمات المفتاحية : الرهبة - الديرية - الرهبان - الكنيسة - متروبوليت - المظهر - سورية

الإطار المنهجي



المقدمة (Introduction):

الرهبنة هي نمط حياة ديني متواضع يتميز بالانفصال عن العالم والتفاني في الصلاة والتأمل والعمل الروحي. يسعى الرهبان إلى القداسة الشخصية والاتحاد مع الله بشكل أكبر، ويستخدمون الصلاة والتأمل والعمل الروحي كوسائل لتحقيق ذلك. تعتبر المسيحية الرهبنة والديرية جزءاً من الحركة الأساسية للحياة الدينية في المسيحية. فالرهبان يعتبرون مثلاً حياً للحياة التفانية والتأملية والتضحية بالذات. يرتدون ثياباً خاصة تشير إلى التخصص الديني واعتنائهم بخدمة الله. يتم تكريس حياتهم للتأمل والصلاة والعبادة والخدمة الدينية والعمل الاجتماعي والخيري. ويوجد في الرهبنة المسيحية طريقة للالتفاف على العالم الصاخب والخطر الذي يمكن أن يؤدي إلى الإيذاء الروحي. وعززت المسيحية هذا الأسلوب من الحياة باعتباره مساراً إلى الشغف والإلهام والهدوء الداخلي والتخفيف من أحزان العالم. النظام الرهباني في الديانة المسيحية هو نظام حياة مترتبة يتبعه الرهبان والراهبات المسيحيون. يتميز هذا النظام بالعزلة والانفصال عن العالم الخارجي، حيث يعيش الرهبان في أديرة أو أديرة صحراوية بعيدة عن المدن والقرى. يتبع الرهبان قواعد صارمة ويكرسون حياتهم للصلاة والخدمة الروحية والعبادة.

يتبع الرهبان نمط حياة بسيط ومتواضع، حيث يعيشون من العمل اليدوي والزراعة والتبرعات التي يتلقونها. كما يلتزمون بالصمت والصوم والصلاة المستمرة، ويقومون بممارسة التأمل والقراءة الروحية ودراسة الكتاب المقدس.

بدأت الرهبنة في الشرق في القرن الثالث الميلادي، وبلغت أوج نموها في القرن الرابع الميلادي، وكانت بدايات ظهورها في مصر، وانتقلت إلى سورية فشهدت فيها تطوراً مهماً من العزلة الفردية إلى الجماعات الرهبانية المترابطة وكان التطور النهائي لها هي الديرية. إذ عرف العالم المسيحي ثلاث مدارس للرهبنة : المدرسة المصرية والمدرسة السورية والمدرسة الباسيلية التي نشأت في كبادوكيا، وتعد المدرسة المصرية هي الأقدم والمدرسة السورية هي الأكثر شهرة بينما المدرسة الباسيلية التي أسسها باسيليوس الكبير (330-379م) هي الأكثر تنظيماً وشمولاً واصبحت النمط السائد في الشرق.

ظاهرة الرهبنة لم تعرفها الكنيسة قبل القرن الرابع الميلادي. وعلى الرغم من ذلك أسهمت الرهبنة مساهمة فعالة في نشر الديانة المسيحية في سورية، ومن خلال ذلك توطدت العلاقة بين الرهبان والكنيسة بصورة قوية بين القرنين الرابع والسادس الميلاديين. ووضع أساقفة الكنيسة في أنطاكية أنفسهم على رأس هذه الحركة الرهبانية. وأضحى الرهبان يشكلون قوة كبيرة أو جيشاً استخدمه الأساقفة السوريون في مناوأة سلطان الأباطرة الرومان، والتصدي لقراراتهم التعسفية ضد الكنيسة خاصة والسوريين عامة. تاريخياً كان للرهبنة المسيحية السورية أهمية كبيرة في الحفاظ على الإرث الديني والثقافي الخاص بالمسيحية. فهي ساعدت في نشر الفكر الديني والتعاليم والآداب الدينية في جميع أنحاء العالم إلى جانب الحفاظ على المخطوطات والكتب والنصوص الدينية القديمة، والعمل على تطويرها وتخصيصها للاستخدام العام. وقد تأثرت الرهبنة السورية بالمؤثرات المصرية والباسيلية كبادوكية الأمر الذي ساهم في تطور الرهبنة الديرية السورية.

ولكن السؤال المطروح كيف أوصلت الرهبنة السورية بعض الرهبان لدرجة القداسة؟ ربما يقودنا ذلك إلى التفكير في الرهبنة السورية بوصفه في المقام الأول إعلاء للفرد فوق الآخرين بصورة مغايرة لهم، مثلما هي أداة في بناء القداسة الشخصية. ولقد قدمت سورية نمطاً جديداً للرهبنة المسيحية هي الرهبنة العمودية، وهنا يطرح سؤال حول تجربة الرهبنة العمودية ولا سيما القديس سمعان العمودي، هل كان من الضروري أن يعيش الإنسان على عمود سنوات طويلة على مرأى من جميع الناس، لا شيء إلا ليكون تلميذاً حقيقياً للسيد المسيح ورسولاً له؟ لم يكن هذا نمطاً حياتياً يحمل لوناً من ألوان الاستغراب، وبناءً على ذلك تطرقت للرهبنة العمودية السورية التي كانت مسيرة تجديد وإبداع حكراً على سورية.

- إشكالية البحث (Research problem):

يتناول هذا البحث موضوع الرَّهْبَنَةِ وَالْدَّيْرَةِ فِي سُورِيَةِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ حَتَّى الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ، وَقَدْ أَثَرَتْ دَرَاةُ الرَّهْبَنَةِ السُّورِيَةِ وَتَوْضِيحُ مَاهِيَةِ هَذِهِ الرَّهْبَنَةِ وَطَبِيعَتِهَا، وَذَلِكَ لِأَهْمِيَّتِهَا فِي مَسَارِ الْمَسِيحِيَّةِ السُّورِيَةِ، وَنَظَرًا لِإِهْمَالِ الْبَاحِثِينَ دَرَاةَ الرَّهْبَنَةِ السُّورِيَةِ وَالتَّرْكِيزَ عَلَى دَرَاةِ الرَّهْبَنَةِ الْمَصْرِيَّةِ عَلَى اعْتِبَارِ أَنَّ الرَّهْبَنَةَ الْمَسِيحِيَّةَ مُرْتَبِطَةٌ بِمِصْرَ. وَجَاءَ هَذَا الْبَحْثُ: لِإِبْرَازِ تَارِيخِ الرَّهْبَنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ السُّورِيَةِ وَفَضْلِهَا عَلَى الْكَنِيسَةِ وَالْمَجْتَمَعِ، وَدَوْرَهَا الْحَضَارِيِّ الَّتِي تَتَجَسَّمُ فِي حَيَاةِ الْأَدِيرَةِ .

-تساؤلات البحث (Research questions): يثير البحث عدداً من التساؤلات هي:

- 1-كيف انتقلت الرَّهْبَنَةُ مِنْ مِصْرَ إِلَى سُورِيَةِ، وَمَا هِيَ الْآلِيَةُ الَّتِي اتَّبَعَتْ؟
- 2-ما هي الأسس التي قامت عليها الرَّهْبَنَةُ الْمَسِيحِيَّةُ؟ ما هي عوامل ازدهار الرَّهْبَنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَانْتِشَارِهَا فِي سُورِيَةِ؟
- 3-هل للموقع الجغرافي دورٌ في اختلاف أنماط الرَّهْبَنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ السُّورِيَةِ ؟
- 4-ما الأثر الذي تركه الرُّهْبَانُ فِي الْمَجْتَمَعِ وَالْكَنِيسَةِ فِي سُورِيَةِ؟
- 5-هل كان للأديرة المسيحية في سورية أثر في الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية من خلال أعمال الرُّهْبَانِ وَمُمَارَسَاتِهِمْ؟
- 6-بماذا تميزت الرَّهْبَنَةُ وَالْدَّيْرَةُ فِي سُورِيَةِ مِنْ غَيْرِهَا مِنْ الْحَرَكَاتِ الرَّهْبَانِيَّةِ وَالْدَّيْرِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ؟

- مسلمات البحث (search axioms):

- انتشار الرَّهْبَنَةِ فِي سُورِيَةِ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ وَعَرَفَ هَذَا الْعَصْرَ بَعَصْرُ الرُّهْبَانِ وَالرَّهْبَنَةِ
- كثرة الأديرة المسيحية في كافة مناطق سورية خلال الحكم الروماني لسورية.

- أهداف البحث (research aims):

- 1-يهدف البحث إلى دراسة الرَّهْبَنَةِ وَطَرُقَ انْتِقَالِهَا مِنْ مِصْرَ إِلَى سُورِيَةِ، وَدَرَاةَ الْأَسْسِ وَالذَّوْفَعِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا الرَّهْبَنَةُ الْمَسِيحِيَّةُ.

2- إلقاء الضوء على جانب مهم من حياة الرُّهبان وتعاليمهم وأفكارهم في سورية خلال الحكم الروماني، ورصد دورهم في الكنسية والمجتمع السوري.

3- يسعى البحث للكشف عما إذا كان هناك تشابه في الطقوس والممارسات والشعائر التي كان يمارسها الرُّهبان في المناطق المختلفة من سورية.

4- بيان تجليات المكانة الاجتماعية والدينية والثقافية للأديرة السورية ودورها الحضاري في الحضارة الإنسانية.

5- توضيح أهمية الموقع والبيئة الاجتماعية ودورها في انتشار الأديرة الرَّهْبَانِيَّةِ .

-أهمية البحث ومبرراته(research importance):

تكمن أهمية البحث في تقديم صورة مفصلة عن الرَّهْبَنَةِ في سورية ومعرفة قنوات الاتصال بين الكنيسة المسيحية والمراكز الرَّهْبَانِيَّةِ المبكرة في سورية، وعلماً بأنَّ الرَّهْبَنَةَ قد بدأت في الأساس كحركات نسكية لا علاقة لها بالمؤسسة الكهنوتية التي اقتصرَت على الكنيسة، ولم يحمل مشاهير الرُّهبان الأوائل أي درجات كهنوتية .

تبرز الأهمية في دراسة الجوانب الحضارية للرَّهْبَنَةِ الدَّيرِيَّةِ في سورية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتأتي أهمية البحث من الواقع العملي الذي يضعنا أمام الكثير من الأديرة المسيحية ذات الصلة بطقوس وأعمال الرُّهبان آنذاك، وضرورة تفسيرها بما ينسجم مع الواقع المكاني والتاريخي حيث تعدُّ هذه الأديرة مصدراً مهماً لاستنباط المعلومات التي تخص موضوع الرَّهْبَنَةِ والدَّيرِيَّةِ.

-مسوغات البحث(Research rationale):

تتمثل مسوغات البحث في افتقار مكتبتنا العربية لأبحاث تلقي الضوء على الرَّهْبَنَةِ والدَّيرِيَّةِ في سورية، التي أهملت من دون قصد من قبل الباحثين الذين اهتموا بدراسة الرَّهْبَنَةِ المصرية، لذلك وجبَ البحث في الرَّهْبَنَةِ الدَّيرِيَّةِ في سورية وبيان أهميتها ومكانتها بين الرَّهْبَانِيَّاتِ الأخرى.

- مصطلحات البحث (Research Terms):**الرَّهْبَنَةُ (Monasticism):**

كلمة تقابل الكلمة اليونانية الأصل Monasticism التي تعني المؤسسة التي تقيم وتنظم الظروف النّسكية والاجتماعية للحياة المشتركة أو لحياة الوحدة التأمّلية، وهي نظام ديني المقصود به الابتعاد عن ملذات الحياة الدنيوية، واعتزال الناس، والتقيد بنذور معينة، والتفرد بالأديرة من أجل العبادة والتقرب إلى الله.

الدَّيْرِيَّة (Monastery):

نسبة إلى الدّير وهي اجتماع جماعات من الرّهبان في مكان بعيد عن العمران، والانقطاع فيه للعبادة مع تنظيم شؤونهم من حيث العبادة، وتحقيق مطالبهم الضرورية.

الرّهب (asceticism):

المعنى الفصفاض للرّهب هو الامتناع الطوعي لأسباب دينية عن الطعام والشراب والنوم والثروة والنشاط الجنسي، مثل هذا الامتناع قد يكون دورياً أو دائماً، فالرّهب المسيحي وهو التخلي عن الدنيا، وعدم الرغبة في شيء والإعراض عنه، والانصراف للعبادة والتقشف.

أرشمندريت (Archimandrite):

وهي كلمة يونانية تعني مدبر رعية، وقد استخدم هذا الاصطلاح في الكنائس الشرقية منذ القرن الرابع الميلادي في معنيين؛ المعنى الأول: راهب في درجة متقدمة، وهو يقابل رتبة هيغومانوس Hegumenos القمص أي المدبر أو رتبة أب الرّهبنة، والمعنى الثاني: رئيس مجموعة أديرة، وقد وجد في سورية في القرن السادس اثنان من الأرشمندريت، أحدهما مدبر لجماعة رهبانية تعيش حياة الشركة، والآخر مدبر لجماعة المتوحدين.

الأرثوذكسية (Orthodox):

كلمة يونانية مكونة من مقطعين المقطع الأول: (أرثو) بمعنى استقامة أو مستقيم، والمقطع الثاني: (ذوكسا) بمعنى رأي أو فكر، فيكون المعنى الكلي استقامة الرأي أو استقامة الفكر أي استقامة الإيمان.

المينوفيزيتية (Monophysitism):

وهي العقيدة التي تنادي بوجود طبيعة واحدة فقط وهي الطبيعة اللاهوتية في شخص السيد المسيح، وذلك عكس التعليم الأرثوذكسي الذي يقول بطبيعة مزدوجة (ثنائية) لاهوتية وإنسانية بعد التجسد، وهذا يعني وجود كل من الطبيعتين في اتحاد بغير اختلاط.

- محدوديات البحث (Research Limitations):

أ- حدود موضوعية :

يركز هذا البحث على دراسة نشأة الرّهْبنة وتطورها وانتشارها في سورية والمكانة الحضارية للرّهْبنة الدّيرية في سورية

ب- حدود زمنية :

يشكل بحث الرّهْبنة والدّيرية في سورية دراسة تاريخية من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس الميلادي، وذلك نظراً لانتشار الرّهْبنة في سورية خلال هذه الفترة، ووجود عدد كبير من الأديرة التي ظهرت بعد انتشار الرّهْبنة وتطورها إلى الدّيرية.

ج- حدود جغرافية :

يركز هذا البحث على سورية الطبيعية (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) لا سورية الحالية بحدودها السياسية، لكنّ هذا لم يمنع من التطرق أحياناً إلى بعض المدن، والمناطق خارج حدود سورية، وذلك بسبب الترابط بين هذه المناطق التي لا يمكن تجاهلها أبداً، لأنّها كانت تشكل جزءاً من سورية في العصور القديمة.

- منهج البحث وأدواته (Research methodology and tools):

إن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التاريخي الذي يتمثل في الاطلاع على مختلف مصادر الدراسة ومراجعتها، وجمع المعلومات التي تتعلق بالرَّهْبَنَةُ والأدْبَارُ في سُوْرِيَّةٍ وتحليلها ونقدها، ومن ثم اتباع المنهج المقارن بين المعلومات المستقاة من المصادر والمراجع وعرضها وفق تنسيق منهجي أكاديمي.

بالإضافة الى اتباع المنهج الوصفي من خلال وصف ما تم اختياره من نماذج للأدْبَارُ الرَّهْبَانِيَّة ذات الصلة بالموضوع.

- أدوات البحث (search tools) :

فتمثل في مجموعة المصادر والمراجع العربية والأجنبية باللغتين؛ الإنكليزية والفرنسية، فمنها ماله صلة مباشرة بموضوع الدراسة، ومنها ما أغنى البحث بتفاصيل عن مراحل، وعن أحداث تاريخية ذات علاقة غير مباشرة بالبحث. وقد تنوعت المصادر بين الكتب والمقالات والأطروحات الجامعية، وتم الحصول عليها من مصادر متنوعة كالمكتبات ولا سيما مكتبة الأسد الوطنية في دمشق، ومن الشبكة العنكبوتية، حيث تم الاعتماد عليها في الحصول على المصادر والمراجع ذات الصلة بالبحث من أهمها:

- تاريخ الكنيسة للمؤرخ يوسابيوس القيصري Eusebius (265-339م) يتكون تاريخه من عشرة كتب تقدم معلومات تاريخية مهمة عن تاريخ الكنيسة الأولى، لم يهدف يوسابيوس إلى تقديم تاريخ لنمو الكنيسة وإنما كان يهدف إلى إبراز الفكر المسيحي، وتحدي المؤمنين للآلَم والموت وانتصار الحق على الباطل.
- التاريخ الكنسي لسوزومين Sozomenus (380-450م) ولهذا التاريخ أهمية خاصة، إذ يذكر العديد من التفاصيل الخاصة بأحداث الزمن الذي أرخ له وشخصياته، وبالتحديد مجمع نيقية واضطهاد المسيحيين وانتشار الديانة المسيحية، وتحول قسطنطين إلى الديانة المسيحية، وتاريخ يوليانيوس المرتد، وشخصية أنثاسيوس الرسولي، إذ يقدم معلومات تاريخية مهمة، ويكشف سوزومين ضمن التاريخ الكنسي عن محبته

للحياة الرَّهْبَانِيَّة بِكُونِهَا الْفَلْسَفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ دَلِيلٍ أَنَّهُ كَانَ رَاهِباً، كَتَبَ هَذَا التَّارِيخُ بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَيَشْتَمِلُ عَلَى تِسْعَةِ كُتُبٍ مِنْ عَهْدِ قُسْطَنْطِينِ حَتَّى وَفَاةِ سُوزُومِينِ.

■ التَّارِيخُ الْكَنِسِي لِسُقْرَاتِيْسِ Socrates (379-450م) يَذْكُرُ سُقْرَاتِيْسَ أَنَّ دَوَافِعَهُ فِي كِتَابَتِهِ لِلتَّارِيخِ الْكَنِسِي مُحِبَّتُهُ لِلتَّارِيخِ، وَتَقْدِيرُهُ لِيُوسَابِيُوسِ الْقَيْصَرِي، وَيُضْمِ عَمَلَهُ سَبْعَةَ كُتُبٍ تُؤَرِّخُ لِفَتْرَةِ (140) عَاماً، تَبْدَأُ مِنْ سَنَةِ (306-439)، وَيَنْتَهِي عَمَلُهُ بِجُلُوسِ الْإِمْبَرَاطُورِ ثِيُودُوسِيُوسِ الثَّانِي عَلَى الْعَرْشِ الْإِمْبَرَاطُورِي، وَتَطْرُقُ الْمُؤَرِّخُ سُقْرَاتِيْسَ فِي تَارِيخِهِ عَنِ الرَّهْبَنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي مِصْرَ وَسُورِيَّةِ، وَيَقْدِمُ مَعْلُومَاتٍ تَارِيخِيَّةً مُهِمَّةً حَوْلَ الرَّهْبَنَةِ وَالرُّهْبَانِ.

■ تَارِيخُ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ أَوْ التَّارِيخُ الرَّهْبَانِي لِثِيُودُورِيْتُوسِ Theodoretus (393-457م) وَيَذْكُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ سِيرَ نَسَاكِ الْبَطْرِيَرِكِيَّةِ الْأَنْطَاكِيَّةِ مِنْ مَطْلَعِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيْلَادِي إِلَى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيْلَادِي، وَهُوَ يَقْدِمُ مَعْلُومَاتٍ مُهِمَّةً عَنِ النَّسَاكِ وَالرُّهْبَانِ فِي مَنطَقَةِ قُورْشَ، إِذْ يَعِدُ الْمَصْدَرُ الْأَسَاسِي فِي الْحَدِيثِ عَنْ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانِ، وَلَا سِيَمَا الْقَدِّيسِ سَمْعَانَ الْعُمُودِي، وَالْقَدِّيسَ مَارَ مَارُونِ، وَيُولِيَانُوسَ سَابَا وَغَيْرِهِمْ.

■ التَّارِيخُ الْكَنِسِي لِأَيْفَاغْرِيُوسِ Evagrius (535-594م): وَيَتَضَمَّنُ هَذَا التَّارِيخُ سِتَّةَ كُتُبٍ، وَيَعِدُ تَارِيخَ أَيْفَاغْرِيُوسِ الْمَصْدَرِ الرَّئِيسِي لِمَجْمَعِ خَلْقِيْدُونِيَّةِ (الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِي الرَّابِعِ)، وَيَقْدِمُ مَعْلُومَاتٍ تَارِيخِيَّةً مُهِمَّةً عَنِ الْقَدِّيسِ سَمْعَانَ الْعُمُودِي، وَاخْتِيَارِهِ الْإِقَامَةَ عَلَى عُمُودٍ، وَرِسَالَةَ آبَاءِ الصَّحْرَاءِ لَهُ مِنْ أَجْلِ الْعُودَةِ إِلَى طَرِيقَةِ الْآبَاءِ الْأَوَائِلِ، وَيَتَضَمَّنُ رِسَالَةً مِنْ سَكَانِ أَنْطَاكِيَّةِ مِنْ أَجْلِ الْحَصُولِ عَلَى جَنَّمَانِ سَمْعَانَ الْعُمُودِي.

■ إِيْنِيَّاسُ، بِيْنِيَّا. (2002)، الرُّهْبَانُ الْعُمُودِيُونُ السُّورِيُونُ، تَر مَنذَرُ الْحَايِكِ، دِمَشْقُ: دَارُ طَلَّاسِ، عَدَدُ الصَّفَحَاتِ (324)، تَنَاقَلَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ الرُّهْبَانِ الْعُمُودِيُونِ إِذْ عَالَجَتْ حَيَاتَهُمْ فِي جَانِبِهَا الْمَادِي وَالرُّوْحِي وَمِنْ أَهَمِّ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا الْكِتَابُ: الرُّهْبَانُ الْعُمُودِيُونُ شُهَدَاءُ زَمَنِ السَّلَامِ، الرُّهْبَانُ الْعُمُودِيُونُ حَوْلَ قَلْعَةِ سَمْعَانَ وَتَكْرِيمِ الْعُمُودِيِينِ.

يمكن القول: إنّ هذه الدراسة هي موسوعة مصغرة عن الرُّهبان العموديين وهي من الدراسات المهمة حول الرّهْبنة العمودية.

■ الأب شفيق أبو زيد .(د-ت). **الحركة النسكية في المشرق نشأتها وتطورها وانتشارها - الحياة الرهبانية في سورية والعراق وفلسطين**، هذه دراسة عبارة عن بحث ضمن (كتاب المسيحية عبر تاريخها)، بيروت، مجلس كنائس الشرق الاوسط، وتطرق هذه الدراسة إلى بعض النّسك الأوائل، وتطرق إلى المدرسة العمودية والنّسك في العراق؛ مار مارون، هذا البحث من ٢١ صفحة، وهي دراسة موجزة ومختصرة ولكن تقدم لنا الخطوط العامة حول النّسك الأوائل في سورية.

- **صعوبات البحث (Research difficulties):**

كان من أهم صعوبات البحث على الإطلاق ندرة المصادر التاريخية التي تحتوي على معلومات عن الرّهْبنة السورية في تلك الفترة، وكان لا بدّ من الاعتماد على المصادر الكنسية، وأخذ المعلومات التي تلزمت في البحث ووضعها في إطارها التاريخي، ومن الصعوبات أيضاً عدم القدرة على الحصول على مصادر مترجمة إلى العربية وإن تم الحصول عليها فيكون بالبحث الحثيث ضمن المواقع المتعددة على الشبكة، فقد كانت تحتاج إلى جهد مضاعف لترجمتها والاستفادة منها.

- **الدراسات السابقة (Previous studies):**

بعد البحث والتقصي لم يتم التمكن من العثور في المكتبات الوطنية، ولا في فهارس المكتبات الأخرى المتاحة على الخط المباشر (On Line) على دراسات أكاديمية محلية أو عربية حول موضوع الرّهْبنة والذَّيْرِيَّة في سورية من القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس الميلادي. ولكن وجدت دراسة لا تناول البحث بشكل عام وهي كالتالي:

-Nina Heiska.(2003), The Economy and Livelihoods of the Iarly Christian Monasteries, university of Helsinki Institue for cultural studies Archaeology.

وهي دراسة تاريخية أثرية عن الأديرة في فلسطين وتحتوي معلومات مهمة عن الحياة الاقتصادية وسبل العيش، ويتطرق لبعض قواعد الرهبانية في هذه الأديرة، ولكن لا يتحدث بشكل مفصل عن هذه الأديرة من الناحية التاريخية وكيفية نشوء هذه الأديرة وتطورها، ومدى تأثير الحياة الرهبانية بالتقليد الباخومي المصري، من خلال هذه الدراسة يمكن تكوين صورة عن الحياة الاقتصادية في هذه الأديرة.

- أقسام الرسالة "الفصول" (Thesis Parts "Chapters"):

يتألف البحث من مقدمة وخمسة فصول رئيسية وخاتمة وملاحق وقوائم بالمصادر والمراجع، فيما يلي عرض للفصول الرئيسية في البحث:

الفصل التمهيدي :

يتناول هذا الفصل لمحة جغرافية وتاريخية عن سورية خلال الحكم الروماني، وثم يسلط الضوء على الديانة المسيحية التي ظهرت فيها الرهبنة، كيف نجحت الديانة المسيحية في أن تكون الديانة الرسمية في الدولة الرومانية بعد الاضطهادات التي تعرضت لها المسيحية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ويشرح العلاقة بين الديانة المسيحية والإمبراطورية الرومانية، ويحدد المراكز المسيحية الأولى في سورية. ودراسة ماهية الرهبنة المسيحية التي أصبحت من ضمن (فلسفة الديانة المسيحية).

الفصل الأول :

وكان لابد من التطرق إلى دراسة ظاهرة الزهد والتسك ما قبل ظهور الديانة المسيحية، وفي العهدين القديم والجديد ومعرفة مدى تأثير هذه الظاهرة في الرهبنة المسيحية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي، إذ تعد الرهبنة التطور الأخير لحياة الزهد في الديانة المسيحية. توضيح البدايات الأولى للرهبنة المسيحية ومقدماتها، ويبين أهم أنماط الرهبنة المسيحية (الرهبنة الانعزالية، الرهبنة الجماعية، الرهبنة الديرية حياة الشركة) وتطورها.

الفصل الثاني : ويعنى هذا الفصل بدراسة الرهبنة في سورية التي انتقلت إليها من مصر بواسطة القديس هيلاريون

(أب الرهبان السوريين)، يوضح كيفية الانتشار، وبروز عدد من الرهبان الذين اشتهروا بالفلسفة والفضيلة، ويبين أهم

تيارات الرَّهْبَنَةِ وأشهرها (الرَّهْبَانِيَّةُ السُّرْيَانِيَّةُ المَارُونِيَّةُ والرَّهْبَنَةُ العُمُودِيَّةُ)، علاوة على ذلك تطرقت للرَّهْبَنَةُ النِّسَائِيَّةُ فِي سُورِيَةِ.

الفصل الثالث : اشتمل على دراسة أثر الرُّهْبَانِ فِي الدِّينَانِ الْمَسِيحِيَّةِ وَالدُّولَةِ، وَدَوْرَهُمْ فِي نَشْرِ الدِّينَانِ الْمَسِيحِيَّةِ وَمَوْقِفَهُم الْقَوِي مِنَ الْوُثْنِيَّةِ، وَيُوضِحُ الْإِمْتِيَازَاتِ الَّتِي حَصَلَ عَلَيْهَا الرُّهْبَانُ مِنْ قَبْلِ الدُّولَةِ الرُّومَانِيَّةِ، وَيَبَيِّنُ تَدَخُّلَهُمْ فِي الصَّرَاعَاتِ الْكَنِسِيَّةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمِيلَادِيَّيْنِ، وَتَمَسُّكُهُمْ بِالْإِيمَانِ الْقَوِيمِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَخَتَمَ هَذَا الْفَصْلَ بِدِرَاسَةِ الْمَنَاصِبِ الْكَنِسِيَّةِ الْعُلْيَا (الْبَطْرِيَرِكُ) الَّتِي تَسَلَّمَهَا الرُّهْبَانُ.

الفصل الرابع : اشتمل على دراسة نشوء الذَّيْرَةِ فِي سُورِيَةِ وَانْتِشَارَهَا، وَالتَّطَرُّقَ إِلَى دِرَاسَةِ الْقَوَانِينِ وَالتَّنْظِيمَاتِ الذَّيْرِيَّةِ السُّورِيَّةِ، وَانْتِشَارِ الْأَدِيرَةِ وَأَنْوَاعِهَا، وَالحديث عن معالم الحياة اليوميَّةِ فِي هَذِهِ الْأَدِيرَةِ، وَتَوْضِيحِ الدُّورِ وَالْمَكَانَةِ الْحَضَارِيَّةِ لِلْأَدِيرَةِ فِي سُورِيَةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ.

هَذَا وَأَنَا أَضَعُ اللَّمَسَاتِ الْأَخِيرَةَ مِنَ الدِّرَاسَةِ أَقُولُ: إِنَّ الْفَضْلَ فِي إِعْدَادِهَا يَعُودُ أَوَّلًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَعَانَنِي وَيَسِّرَ لِي أَمْرَ إِنْجَازِهَا، ثُمَّ إِلَى ذَوِي الْعِلْمِ الَّذِينَ لَمْ يَدْخُرُوا جَهْدًا، وَلَمْ يَبْخُلُوا عَلَيَّ بِأَيَّةِ إِشَارَةٍ أَوْ مَلَاخِظَةٍ وَأَخْصَ بِالذِّكْرِ أَسَاتِذِي الْمَشْرِفِ الدُّكْتُورَ مُحَمَّدَ الزَّيْنِ أَوَّلًا لِقَبُولِهِ الْإِشْرَافَ عَلَيَّ وَثَانِيًا لِمَا بَذَلَهُ مِنْ جَهْدٍ فِي مُتَابَعَتِي وَإِرْشَادِي وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ تَوْجِيهَاتٍ، وَآرَاءٍ قِيَمَةٍ انَّارَتْ لِي طَرِيقَ الْبَحْثِ، وَتَرَكَتْ بِصِمَاتٍ وَاضِحَةً عَلَى صَفْحَاتِ الرِّسَالَةِ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . كَمَا أَنَّ الْأَمَانَةَ الْعِلْمِيَّةَ وَوَاجِبَ الْوَفَاءِ يَدْعُونِي إِلَى أَنْ أَتَقَدَّمَ بِخَالصِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ لِدُّكْتُورِ خَلِيلِ سَارَةِ وَالدُّكْتُورِ جِهَادِ عُبُودَ لِمَسَانَدَتِهِمَا لِي بِمُلَاحَظَتِهِمَا الْعِلْمِيَّةَ الدَّقِيقَةَ. كَمَا أَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ لِجَمِيعِ اسَاتِنَتِي فِي قِسْمِ التَّارِيخِ، وَإِلَى كُلِّ مَنْ أَعَانَنِي بِنُصْحٍ وَإِرْشَادٍ. وَأَتَقَدَّمُ بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ لِمَوْظِفِي مَكْتَبَةِ الْأَسَدِ الْوُطْنِيَّةِ، وَمَكْتَبَةِ الْمُتَحَفِ الْوُطْنِيِّ بِدِمَشْقٍ. وَقَبْلَ الْخَتَامِ أَتَقَدَّمُ بِشُكْرِي وَامْتِنَانِي لِأَهْلِي وَأَسْرَتِي الَّذِينَ تَحْمَلُوا عِبَاءَ الدِّرَاسَةِ فَجَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرَ الثَّوْبِ.

أَرْجُو أَنْ أَكُونَ قَدْ وَفَّقْتَ فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِالشُّكْلِ الْعِلْمِيِّ الْمَطْلُوبِ الَّذِي يُلْبِي حَاجَةَ الدَّارِسِينَ إِلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ الدِّرَاسَاتِ، وَاللَّهُ وَلِي التَّوْفِيقِ.

الفصل التمهيدي:

أولاً- الإطار المكاني:

ثانياً- سورية في العصر الروماني:

ثالثاً- الديانة المسيحية:

1- البيئة الاجتماعية والدينية التي نشأ فيها السيد المسيح

2- الفئات الدينية والاجتماعية وموقفها من تعاليم المسيح:

أ- فئة الفريسيين:

ب- الكتبة

ج- الصدوقيون

د- الأغنياء والعامّة:

هـ- المحاكمة

3 - مراكز المسيحية في سورية

رابعاً- الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

1- الامبراطورية الرومانية والديانة المسيحية واضطهادها:

2- الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية في الإمبراطورية الرومانية

خامساً- ماهية الرّهْبَنَةِ:

أولاً- الإطار المكاني:

يركز هذا البحث على سورية الطبيعية "الكبرى" لا سورية الحالية بحدودها السياسية، لكنّ هذا لم يمنع من التطرق أحياناً إلى بعض المدن والمناطق خارج حدود سورية، وذلك بسبب الترابط بين هذه المناطق التي لا يمكن تجاهلها أبداً لأنّها كانت تشكل جزءاً من سورية في العصور القديمة.

يقدم سترابون (Strabon) (64ق.م-19م)¹ في كتابه "الجغرافية" وصفاً لسورية حيث تحدث عن أقسامها وسكانها والنشاطات الاقتصادية التي يمارسونها، وقد وردت بعض الأخطاء في وصفه، كان من بينها أنّه جعل بلاد العرب السعيدة (اليمن) حداً جنوبياً لسورية، كما أنّ وصفه عن السكان وعن نشاطهم الاقتصادي لم يكن وصفاً دقيقاً وواضحاً. يحد سورية من الشمال كيليكيا وجبال الأمانوس، وتمتد أراضيها من البحر في الغرب وحتى نهر الفرات من جهة الشرق، كما يحدها من الجنوب بلاد العرب السعيدة، وأقسامها بالترتيب هي من كيليكيا وجبال أمانوس كوماجينة² (Commagene)، والأرض المسماة سلوقية السورية ثم حوض سورية، وأخيراً تكون فينيقيا على الشاطئ ويهودا في الأراضي الداخلية³.

هذا التقسيم لسورية يقترب إلى حدٍ كبيرٍ من الوصف الذي أورده المؤرخ أميانوس مرسلينوس (Ammianus Marcellinus) (330-401م)⁴ لولاية سورية الرومانية في القرن الرابع الميلادي إلا أنّ أميانوس لم يتحدث عن السكان، كما أنّ وصفه أقرب للدقة فلم يجعل من بلاد العرب السعيدة (اليمن) الحد الجنوبي لسورية بل جعله الولاية

¹ سترابون (Strabon): جغرافي ومؤرخ يوناني من آسيا الصغرى، عاش في الفترة الممتدة بين عامي (64ق.م-19م)، و أكثر ما اشتهر به سترابون هو مؤلفه الجغرافية، وصلنا كاملاً في (17) كتاباً. انظر: العبادي، مصطفى. (د.ت). الامبراطورية الرومانية، بيروت: دار النهضة، ص 10.

² منطقة قديمة في شمال سورية، كانت مملكة مستقلة في القرن الثاني ق. م، وعاصمتها ساموساطا- وتمتد كوماجينة ما بين كيليكيا والفرات وتمكنت روما من إخضاعها عام (64 ق.م). انظر: عبودي، هنري. (1991)، معجم الحضارات السامية، طرابلس، ص 728.

³ سترابون. (2006)، الجغرافية، تر محمد المبروك الدويب، ج16، بنگازي: منشورات جامعة قاريونس، الكتاب السادس عشر، الفصل الثاني: 1-46.

⁴ أميانوس مرسلينوس (330-401م)، قائد عسكري وسياسي ومؤرخ بارز، ولد في مدينة انطاكية، يعد من المؤرخين العظماء في العصر الروماني. من أهم أعماله التاريخية كتاب تاريخ الأحداث (Rerum Gestarum Libri) بالرغم من أنه لم يعثر على الأجزاء الثلاثة عشر الأولى من هذا المؤلف التاريخي، فإن الأجزاء التي عثر عليها من الرابع عشر إلى الواحد والثلاثين والتي تغطي الفترة من (353-378م) تكاد تكون الوحيدة عن الأحداث السياسية والعسكرية لهذه المرحلة من تاريخ المنطقة. انظر: الميداني محمد (2015)، الحياة الاقتصادية في سورية في العصر الروماني، أطروحة دكتوراة غير منشورة جامعة دمشق. ص 8.

العربية. تمتد أراضي ولاية سورية على أرضٍ سهليّةٍ تتمتع بوجود مدن مثل مدينة أنطاكية المعروفة في العالم كلّ، والتي اشتهرت بجمال طبيعتها وغناها وأهميتها، وكذلك بوجود مدينة لاوديكية وأقامية وأيضاً مدينة سلوقية، تلي هذه المدن فينيقيا الواقعة عند سفح جبل لبنان المعروفة بالجمال والسحر، والتي توجد فيها مدن كبيرة كمدينة صور **Tyr** التي تفوق البقية بجمال موقعها وشهرتها، ثم تليها صيدا **Sidon** وبيروت **Berytus**، وفي الداخل مدينة حمص إيميسا **Emissa** ودمشق **Damas**، كلّها مدنٌ تأسست منذ العصور القديمة، ويجري في سهول سورية نهر العاصي الذي يمر بالقرب من جبل كاسيوس الشامخ، والذي يصب بالقرب من خليج ايسوس (**Issus**)، وآخر قسم من ولاية سورية هي أراضي فلسطين الجميلة التي تضم عدة مدن قديمة رائعة، (كقيصرية **Caesarea** ونابلس **Neapolis** وعسقلان **Ascalon** وغزة **Gaza**) لا يوجد أي نهر في هذه المدن، ولكن بالمقابل فإنّ مياهها حارةٌ تتدفق من الأرض، ويتم استعمالها للشفاء من عدة أمراض، ويجوار فلسطين المنطقة العربية المليئة بالبضائع المتنوعة، والتي تستمد قوتها من حصونها وقلاعها ومن مدنها (بصرى **Bostra** وجرش **Gerasa** وفيلادلفيا - عمان **Philadelpha**) وجميعها محصنةٌ بأسوارٍ قوية¹.

¹ Ammianus Marcellinus: the Roman history- (book XIV- ch XIII: 8-13).

ثانياً - سُورِيَةُ فِي الْعَصْرِ الرُّومَانِيِّ:

دخلت القوات الرومانية في بقياده بومبيوس (Pompeius) أنطاكية عاصمة الدولة السلوقية في عام (64 ق.م) معلنة بذلك بداية عصر جديد في تاريخ الشرق الأدنى، هو عصر السيطرة الرومانية، لقد أخضع الرومان المدن الرئيسية (كأنطاكية و سلوقية واللاذقية وأفامية) لحكمهم المباشر أما الممالك الصغيرة المستقلة ذاتياً كمملكة كوماجينة Commagene في الشمال (ما بين نهر الفرات وجبال طوروس)، وحمص في الوسط والمملكة المكابية في فلسطين، واتحاد المدن العشر الإغريقية Decapolis¹ فقد قدمت فروض الطاعة للقائد الروماني مقابل احتفاظها باستقلالها الداخلي².

نظراً للأهمية الكبيرة التي تمتعت بها سورية وُضِعَتْ تحت إشراف الإمبراطور الروماني مباشرة وتولى إدارتها بعد قيام النظام الإمبراطوري في عام (27 ق.م) حاكم يحمل لقب مندوب أوغسطس Legatus Augusti، وضعت تحت امرته ثلاث أو أربع فرق عسكرية، وكانت المهمة الأساسية لهذه الفرق حماية سورية من خطر الفريثيين³، ومراقبة الممالك المستقلة ذاتياً، فربطت الفرقة الأولى بالقرب من كوماجينة والثانية بالقرب من اللاذقية والثالثة في وادي العاصي بالقرب من أنطاكية، كما تمّ وضع كتائب في المناطق المهمة جداً كدورا أوروبوس Dura-Europos

¹ مدن الديكابوليس: تعني كلمة ديكابوليس اليونانية مجموعة المدن العشر هي مجموعة من المدن الهلنستية التي تقع جنوب سورية، وهي ديون Dium، أم قيس (جدارة Gadara) نيساسكيتوبوليس (بيسان)، أم فحل Pilla (بيلا)، أبيلا Abilla، كاناثا (قنوات) Canatha، جيراسا جرش Gerasa، فيلادلفيا Philadelphia المعروفة باسم ربات موبا (عمان)، هيبوس أو أنطاكية هيبوم (Antiochea Ad Hippum) خربة سوسية، كابيتولياس Capitolas ببيتراس. وأضيف للحلف فيما بعد ثماني مدن جديدة من بينها: بصرى Bostra ودمشق، ودرعا Adraa ليصبح عددها ثماني عشر مدينة وذلك زمن تأسيس الولاية العربية سنة (106م)، ويقع القسم الأعظم منها اليوم بالقطر الأردني، وتتوزع بين بحيرة طبرية وعلى امتداد نهر اليرموك من الجهة الشرقية. وقد شكلت هذه المدن فيما بينها اتحاداً وتألف في القرن الأول قبل الميلاد وذلك للوقوف في وجه المد الإيتوري الذي انتشر من لبنان الشرقي Antiliban ليشمل فيما بعد منطقة الحرمون واللجاة والجولان. انظر: ساره، خليل. (2008)، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق، ص 170.

² رستوفتزنق، ميخائيل. (1957)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادي، تر زكي علي ومحمد سليم، ج 1، القاهرة، ص 346-347.

³ الإمبراطورية البارثية Parthian Empire (247 ق.م - 224م)، وهي من أكثر إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم ثباتاً واستمرارية، وقد استمر حكمها قرابة 500 عام، وكانت نهاية هذه الإمبراطورية على يد الساسانيين في أوائل القرن الثالث الميلادي. انظر: أبو خليل، شوقي. (2002)، الحضارة العربية الإسلامية، دمشق: دار الفكر، ص 67.

وتدمر Palmyra. كما عمل أوغسطس على الاعتراف بسلطه الأسر المحلية في سورية كما كان الوضع سائداً في العصر الجمهوري¹ حيث لم يطرأ أي تغيير أو تبدل على الإدارة الرومانية في سورية².

يقدر عدد سكان سورية خلال السيطرة الرومانية نحو سبعة ملايين نسمة، وكان عدد سكان العاصمة أنطاكية نحو (800) ألف نسمة، ولكن هذا الرقم لا يكون ثابتاً، وإنما يتغير بتغير الظروف زيادة أو نقصاناً³. كان معظم سكان سورية يتكلمون اللغة الآرامية التي كانت سائدة لدى طبقات الشعب الواسعة في المدن الأصلية والريف، وكانت اللغة العربية غالبية في البوادي.

وأما اللغة الإغريقية التي بقيت طوال العهدين السلوقي والروماني فقد انحصرت استعمالها في المدن السلوقية التي سكنتها غالبية يونانية⁴، لم تغير السلطات الرومانية من الوضع اللغوي للمجتمع السوري، أصبحت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية للإدارة والحكم والجيش⁵، واقتصرت استعمالها على طبقة الأثرياء والتجار، وجعل الرومان اللغة الإغريقية لغة ثانية للإمبراطورية، لأنها كانت لغة الثقافة والأدب والفن، وقد انتشرت بشكل كبير في سورية، وذلك بسبب اهتمام الطبقات العليا بها، لتعليم أبنائهم الفلسفة والآداب والخطابة⁶.

¹ الجمهورية الرومانية (باللاتينية: Res publica Romana) هي حقبة من تاريخ روما القديمة، بدأت منذ انهيار المملكة الرومانية الذي يعتقد أنه وقع في عام (509 ق م) واستمرت حتى قيام الإمبراطورية الرومانية في عام (27 ق م). من أبرز التغيرات التي شهدتها عهد الجمهورية هو توسع سلطة الدولة الرومانية من مدينة روما إلى قوة كبرى حكمت كافة حوض البحر الأبيض المتوسط. للمزيد انظر: حاطوم، نور الدين، وآخرون. (1965)، موجز تاريخ الحضارة، دمشق: مطبعة الكمال، ص 523

² Millar, F. (1994). The Roman near east. 31 B. C 337 ad 2d Ed Harvard. P.33-34.

³ اثناسيو، ميري هاجي. (1997)، موسوعة بطريركية أنطاكية، سورية الشمالية، مج 1، ص 33.

⁴ مرعي، عيد. (2006)، موجز تاريخ الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، بيشة: مكتبة الخبتي الثقافية، ص 241.

⁵ جونز. (1987)، مدن بلاد الشام حيث كانت ولاية رومانية، تر احسان عباس، عمان، ص 123 .

⁶ ساره. (2008)، ص 407.

أولاً-الديانة المسيحية :

خرجت من سورية خلال العهد الروماني ديانة جديدة هي الديانة المسيحية التي لم تكن معروفة من قبل، فالمسيحية ولدت ضمن ثلاثة عوالم؛ العالم اليهودية والعالم اليوناني والعالم الروماني . التي بدأت بالانتشار في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية منذ القرن الأول الميلادي على الرغم من مقاومة الرومان لها وملاحقة أتباعها في الإمبراطورية. قال بولس الرسول¹: (وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ² مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ)³، وهنا من الضروري أن نتقصص المكان الذي خلقت فيه المسيحية.

¹ وَلَدَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي الْيَهُودِيَّةِ فِي مَنطَقَةٍ تَدْعَى جِيْسْكَالَ Giscala لكنه هجرها مع عائلته إلى طرسوس في كلبيكا التي أصبحت جزءاً من مقاطعة سورية الرومانية، التاريخ الدقيق لميلاده غير معروف، إلا أنه نشط في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الأول الميلادي من هذا يمكن الاستدلال على أنه ولد في الوقت تقريباً مع يسوع أو بعد ذلك بقليل.

أرسله والداه إلى أورشليم للتعلم في دارسة الشريعة اليهودية على يد جملثيل العالم الذائع الصيت في تلك الفترة، وكان بولس عضو في الفريسيين وهو حزب ديني ظهر في فترة الهيكل الثاني اللاحقة، قضى بولس معظم النصف الأول من حياته في اضطهاد المسيحية الناشئة، دافع بولس غير معروفة لكن يبدو أنها مرتبطة بفريسيّة، حمل بولس من رئيس الكهنة في أورشليم رسائل بُغِيَةِ اضطهاد الذين يؤمنون بالمسيح، بينما في الطريق إلى دمشق نزل عليه الوحي ودفعه إلى اعتناق المسيحية، ونجد وصف ذلك في أعمال الرسل (9: 1-31)، وكان هذا التحول سنة (33م) ثم ذهب إلى القدس لتعرف على كبار الرسل هناك، وبعد الاجتماع بهم عُيِّنَ بُولُسُ رَسُولاً لِلأُمَمِ، حيث بشر بالمسيحية أولاً في موطنه سورية وكلبيكية وأسس عدة كنائس ثم بدأ بعثاته المشهورة إلى الغرب. يعدُّ القديس بولس الرسول أهم شخصية بعد المسيح في تاريخ المسيحية، لقد ترك تأثيراً هائلاً على العقيدة المسيحية وتعاليمها، وله دور كبير في نشر المسيحية في العالم الروماني. كانت لرسائله الباقية تأثير هائل على المسيحية اللاحقة، وأمن مكانه كواحد من أعظم القادة الدينيين في المسيحية، نصف العهد الجديد ينبع من بولس الرسول والأشخاص الذين تأثر بهم، يمكن قبول سبعة رسائل فقط على أنَّها أصلية تماماً أملاها بولس نفسه، فالرسائل السبعة غير مشكوك فيها أفضل مصدر للمعلومات عن حياة بولس وخاصة فكره، بالترتيب الذي تظهر به في العهد الجديد (رومانيون، كورنثوس الأولى والثانية، غلاطية، فيلبي، وتسالونيكي، وفليمون)، بينما الرسائل الباقية المنسوبة إليه ربما كتبها أتباع بولس بعد وفاته وهي رسائل (أفسس وكولوسي وأهل تسالونيكي الثانية وثيموثاوس الأول والثاني وتيتوس). كتب بولس الرسول هذه الرسائل باللغة اليونانية الشائعة وليس باللغة اليونانية الأدبية، وهذا يدل على أن بولس الرسول ليس أرسقراطياً.

عانى بولس الرسول الكثير من الاضطهاد والمشاكل في رحلته التبشيرية للرسولية. تعرض للاعتقال والتعذيب والجلد، ولكنه استمر في الدعوة إلى الإيمان المسيحي ونشر كلمة الحق. توفي بولس في العام (63م) عندما تم اعدامه في روما بأمر من الإمبراطور نيرون. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 28-30

² من المحتمل أنَّ يسوع قد تصور نفسه عبد الله، وتقدم للناس بهذه الصيغة. والكلمة العبرية عبد كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة ابن ليس بالأمر العسير، ولكن مفهوم ابن الله نبع من العالم الفكري اليوناني. إذ أن يسوع لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش. كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل باطلاق تعبير ابن الله على يسوع، تلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، أنَّها اللغة التي استخدمها القديس بولس الرسول كما استخدمها مؤلف الإنجيل الرابع يوحنا؛ وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كان من الواضح بالنسبة إليهما. ولو أراد يسوع أن يتخذ لقباً لاتخذ لقب ابن داوود المعروف بين بني اسرائيل، والذي كانوا يعتبرونه المنقذ المنتظر، ولكنه لم يفعل بل كان يفضل لقب ابن الإنسان. انظر: جنينر، شارل. (دست)، المسيحية نشأتها وتطورها، ثر عبد الحليم محمود، بيروت: المكتبة العصرية، ص 11

³ العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، 4:4

1- البئية الاجتماعية والدينية التي نشأ فيها السيد المسيح :

ولد السيد المسيح Ἰησοῦς^1 في فلسطين في عهد الإمبراطور أوغسطس **Augustus** (27 ق.م-14م) في منطقة الجليل، وهذه الدائرة الإدارية الحقت بالمدن الاثني عشر (ديكابوليس). كما هو معلوم أنَّ جغرافية فلسطين كانت مقسمة إلى أربعة أقسام المنطقة الساحلية والمنطقة الجبلية ووادي الأردن وسلسلة جبال شرق الأردن، وتنقسم المنطقة الجبلية إلى قسمين أقليم اليهودية وشكلت المجموعة الشمالية منها أقليم الجليل². تميزت الجليل من مناطق اليهودية الأخرى بجغرافيتها، وموقعها على الطرق التجارية، ومن سمات المجتمع في الجليل أنَّه مجتمع متنوع اللغات والثقافات من الفينيقيين والعرب واليهود وغيرهم من الأقوام الأخرى، ودعي الجليل بالجليل الوثني نظراً لانتشار الديانة الوثنية في هذه المنطقة. كانت اللغة الآرامية هي لغة التفاهم والتخاطب بين سكان الجليل، أما اللغة العبرية فلم يكن لها حضور في هذه المنطقة، حيث كانت محصورة في مراكز التعليم اليهودية، أدت الخلفية الثقافية اليونانية واليهودية الموجودة ضمن هذه المنطقة دوراً مهماً في تكون رؤى السيد المسيح، الذي كان يتكلم اللغة الآرامية واليهودية، وبالتأكيد عرف اللغة الإغريقية، ولكن لا نعرف إذا كان يعرف اللغة اللاتينية حتى الآن. عاش السيد المسيح في بلدة الناصرة³ الواقعة في جبال الجليل. والسؤال المطروح كيف جاء يسوع إلى الناصرة إذ من المعروف أنَّه ولد في بيت لحم⁴؟ والسبب في هذا القدوم يعود إلى الإحصاء الروماني لسورية في عهد الإمبراطور أوغسطس، وكانت اليهودية جزءاً من سورية، ولكن عملية الإحصاء في هذه المنطقة جرت بطريقة غريبة. أن يعود المرء إلى المكان الذي تنتمي إليه عائلته، وهذا الإجراء تم من قبل اليهود أنفسهم، وليس بأمر من الإمبراطور، سعيّاً منهم لأحياء ذكرى قبائلهم التي كانت قد اندثرت منذ عهود، لذلك سافر يوسف النجار وزوجته مريم إلى بيت لحم موطن سلالة النبي داود التي كانا

¹ أيسوس: كلمة يونانية تقابل الكلمة العربية للاسم اليهودي يشوع، ومعناها خلاصه هو يهوه، والصيغة مؤخودة من كلمة أوشيا أو أوسيا ومعناها الخلاص. للمزيد انظر: ميغوليفسكي. أ. س. (2009)، أسرار الآلهة والديانات، تر حسان ميخائيل اسحاق، دمشق: منشورات علاء الدين، ص 378.

² ميغوليفسكي. (2009)، ص 438، 429.

³ الناصرة مدينة فلسطينية تاريخية تقع في منطقة الجليل، وتبعد عن القدس مسافة (123 كم) للشمال، تبلغ مساحتها 14 كم². انظر: الكتري، بحري. (2014)، جغرافية فلسطين دراسة طبيعية، جيومورفولوجية، بشرية، اقتصادية، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ص 260.

⁴ بيت لحم مدينة فلسطينية تاريخية تقع بالضفة الغربية على بعد (10 كم) إلى الجنوب من مدينة القدس. انظر: الكتري. (2014). ص 258.

ينتميان إليها¹. نشأ المسيح وتعلم في الناصرة مثل أي طفل من أطفال الناصرة الآخرين، لم يقدم نفسه متميزاً من الآخرين ولم يميزه الآخرون في شيء، فقد أظهر يسوع معرفة فائقة بالشريعة اليهودية في حديثه مع الكهنة عندما زار معبد أورشليم كما ورد في الإنجيل المقدس: أن يسوع وقف في المعبد بكل خضوع واحترام أمام الشيوخ الكبار مثله مثل كل محب للمعرفة، وكل تلميذ نجيب موهوب، وقد أثار اجتياحه دهشة المعلمين، واستحق سلوكه احترامهم ومحبتهم²، وفي موضع آخر يصف يوحنا³ في إنجيله السيد المسيح: (وديع ومسالم وطيب القلب)⁴. تلقى يسوع المعمودية على يد يوحنا المعمدان بنهر الأردن، ومضى إلى البرية واعتزل لمدة أربعين يوماً؛ وهي عادة من يكرسون أنفسهم للخدمة الإلهية، قضى تلك الأيام بالصلاة والصوم والتأمل منعزلاً عن الناس عزلة تامة⁵.

ولا بدّ من الإشارة في هذا الموضع أنّ العزلة كانت من ندور الرهبنة المسيحية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي، يمكن القول: إنّها مستوحاة من انعزال السيد المسيح لمدة أربعين يوماً، وعندما ظهر يسوع مرة ثانية عند نهر الأردن قال يوحنا المعمدان قولته المشهورة على مسمع الشعب: (هُؤَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!)⁶، وأثّه بالآلامه على الصليب سينقذ الجنس البشري من عبء الخطيئة الأصلية ومن الأثام التي غاص فيها العالم. كانت الناصرة البلدة الصغيرة في الجليل مكاناً ملائماً للتأملات اليومية، والعزلة عن الناس، والتواصل مع الإله، ولكن

¹ اليسوعي، سامي حلاق. (1998)، مجتمع يسوع تقاليد وعاداته، بيروت، دار الشرق، ص 47.

² ميغوليفسكي. (2009)، ص 382-383.

³ كان يوحنا الرسول تلميذ يسوع المحبوب ابناً لزبدي وشقيقاً ليعقوب الرسول، هو آخر من كتب إنجيلاً على طلب أساقفة آسيا الصغرى لمقارعة الهرطقة ولا سيما التعليم الجديد الذي نادت به البدعة الأبيونية حين أنكرت وجود المسيح قبل ولادته من مريم، ممّا دفعه إلى الكشف عن ولادته الإلهية (إنجيل يوحنا، 1: 18-1)، ثمة سبب آخر لكتابة هذا الإنجيل بعد قراءة يوحنا أنجيل متى ومرقس ولوقا استحسن رواياتهم التاريخية، مؤكداً أنهم لم يجانبوا الحقيقة، ولكن أناجيلهم اكتفت بسرد تاريخ سنة واحدة من حياة المسيح أي تلك التي تألم فيها، لذلك ترك هذه الأحداث التي رواها أسلافه الثلاثة، وروى تلك التي سبقت هذا التوقيت، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال قراءة الأنجيل الأربعة بتمعن.

نُفي يوحنا في عهد الإمبراطور دومينيان (81-96م) إلى جزيرة بطمس وهناك وضع سفر الرؤيا، وبعد وفاة الإمبراطور دومينيان عاد يوحنا إلى أفسس في عهد الإمبراطور نيرفا (96-98م) وظل هناك حتى عهد الإمبراطور تريانوس (98-117م)، وقد عمل على تأسيس كنائس في آسيا وتدبير شؤونها إلى أن تتيح بسلام دفن في أفسس. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 34-36

⁴ إنجيل متى، 12: 19-20

⁵ ميغوليفسكي. (2009)، ص 387.

⁶ إنجيل يوحنا، 1: 29.

لإيصال تعاليم المسيح الموحدة إليه من الله كان يحتاج إلى مكان جغرافي مميز، هذا المكان كان مدينة كفرناحوم¹، وجاء في إنجيل متى²: (أَنَّ كَفَرْنَاحُومَ كَانَتْ مَدِينَتَهُ أَمَّا الْبَحِيرَةُ فَقَدْ كَانَتْ قَلْبَ الْمَدِينَةِ)³.

يمكن القول: إِنَّ مَدِينَةَ كَفَرْنَاحُومَ اخْتِيَارَ مَنَاسِبٍ، لِأَنَّهَا عَقْدَةُ مَوَاصِلَاتٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا أَقْوَامٌ مُخْتَلِفَةُ اللُّغَاتِ وَالدِّيَانَاتِ، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَكَانٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا لِلتَّبَشِيرِ بِالْأَفْكَارِ الْجَدِيدَةِ، وَنَشْرُهَا بِأَسْرَعِ وَقْتٍ وَاخْتِبَارِهَا عَلَى نَاسٍ يَنْتَمُونَ إِلَى شَتَى الشُّعُوبِ وَالثَّقَافَاتِ وَالدِّيَانَاتِ، وَلَقَدْ اجْتَمَعَ فِي كَفَرْنَاحُومَ الْفِينِيقِيُّونَ وَالسُّورِيُّونَ وَالرُّومَانُ، وَعَاشَ فِيهَا الْيَهُودُ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ كَانَتْ تَتَأَلَّفُ الْحَشُودُ الَّتِي تَسْمَعُ مَوَاعِظَ يَسُوعَ⁴. وَبَدَأَ يَنْشُرُ تَعَالِيمَهُ فِي فِتْرَةِ حُكْمِ الْإِمْبَرَاطُورِ تَيْبَرِيُوسِ **Tiberius** (14-37م)، أَيِ فِي الْفِتْرَةِ الَّتِي زَادَ فِيهَا انْتِشَارُ الْمَعْتَقَدَاتِ الْيَهُودِيَّةِ فِي رُومَا، وَكَانَ يَدْعُو قَوْمَهُ بِاللُّغَةِ الْآرَامِيَّةِ، وَقَدْ ظَنَنْتَهُ السُّلْطَاتُ الرُّومَانِيَّةُ بِادِّئِ الْأَمْرِ أَحَدَ أَوْلَئِكَ الْأَنْبِيَاءِ الْيَهُودِ الْكَثِيرِينَ الَّذِينَ زَخَرَ بِهِمْ تَارِيخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَيَقِينَا أَنَّ تَعَالِيمَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ تَمَدَّ جُذُورُهَا فِي تَرْتِيبَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ (شَرِيعَةِ الْيَهُودِ)، وَلَكِنْ الْاِخْتِلَافُ بَيْنَ تَعَالِيمِ الْعَهْدَيْنِ كَبِيرٌ جَدًّا، فَالْإِلَهُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ جَبَّارٌ غَضُوبٌ يَجِبُ أَنْ تَقْدَمَ لَهُ الْقَرَابِينُ إِذَا حَاجَ الْأَمْرَ يَجِبُ أَنْ تَقْدَمَ لَهُ الْإِبْنُ الْوَحِيدُ، بَيْنَمَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ الْإِلَهُ أَبٌ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، أَبٌ مُحِبٌّ وَمُتَفَهِّمٌ لَا يَحْتَاجُ قَرَابِينَ أَوْ شُعَائِرَ شَكْلِيَّةً، حَسَبَ تَعَالِيمِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنَّ الْإِلَهَ أَبٌ يَعِيشُ كُلَّ مَتَا فِيهِ، أَبٌ يَرَى الْأَحْسَانَ وَالصَّدَقَ وَالطَّاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ أَسَاسَ الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَالْمَسِيحُ أَتَى إِلَى هَذَا الْعَالَمِ لِنَشْرِ الْمَحَبَّةِ⁵.

¹ هي مدينة كنعانية، معنى كلمة كفر ناحوم باللغة العبرية التعزية، وهذه القرية تقع على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر الجليل في أرض زبولون ونفثالي كما ذكر في الكتاب المقدس في إنجيل متى الإصحاح الرابع وإنجيل لوقا الإصحاح الرابع أيضاً، كانت هذه المدينة مركزاً للجباية كما يقول مرقس وكذلك مركز عسكري روماني كما ذكر في إنجيل متى الإصحاح الثامن، انتقل المسيح إليها قادماً من الناصرة في وقت مبكر من خدمته وجعل هذه المدينة مركزاً له كما أنها دُعيت مدينته كما ذكر في إنجيل متى الإصحاح التاسع والعدد الأول.

² متى: معنى اسمه باللغة العبرية عطية الله، ويُعرّف أيضاً باسم لاوي العشار، وهو من الجليل وكان عشاراً والعشارون جباة رسميين يعملون لحساب الرومان، يعدُّ متى العشار واحداً من تلاميذ السيد المسيح الإثني عشر، وهو أول من كتب إنجيلاً باللغة العبرية لأهل الختان الذين اعتنقوا المسيحية غير أننا نجهل تماماً مَنْ الذي نقله إلى اللغة اليونانية، ويلاحظ في إنجيله أنه يستشهد في كل مرة بالعهد القديم باسمه أو باسم المخلص، أنه يلجأ إلى النص العبري لا إلى السبعيني. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 27.

³ إنجيل متى، 9: 1.

⁴ ميغوليفسكي. (2009)، ص 392.

⁵ ميغوليفسكي. (2009)، ص 391-393.

لم يكتفِ المسيح بالتعليم والوعظ، بل تصرف بحزم تجاه الباعة والتجار والصيارفة في معبد أُورشليم، ولما رأى ما يحدث بالمعبد سخط سخطاً شديداً وقال: **(اَزْعُمُوا هَذِهِ مِنْ هَهُنَا! لَا تَجْعَلُوا بَيْتَ أَبِي بَيْتَ تِجَارَةٍ!)**¹ لم يستطع أحدٌ أن يؤذيه، لأنَّ يسوع كان على حق، وهم مخطئون بل أثمون، وهذا الأثم نقطة ضعفهم. أما الكهنة والفريسيون والكتبة واللاويون الذين أذهلهم ما رأوا وما سمعوا لم يدينوا يسوع مباشرة، على الرغم من أنَّهم ملتزمين التزاماً صارماً بضبط التصرفات ضمن المعبد، ولكن أكثر ما أزعجهم هو السؤال التالي بأي حق يفعل هذا الرجل هذا كله؟ ومن هو هذا الذي يرتدي زياً جليلياً ويدعو الإله أباه؟ لذلك طلبوا منه أن يثبت صلاحياته التي يدعيها وطلبوا منه معجزة، فأجابهم يسوع قائلاً: اهدموا هذا الهيكل وأنا سوف أرفعه في ثلاثة أيام². ومن المفترض أنَّ يسوع قصد من هذا الكلام إعادة بناء الهيكل الإلهي الذي يجب أن يكون في كل منّا، ولم يقصد إعادة بناء الهيكل مادياً، وأصبح مفهوم المعبد بعد ظهور تعاليم المسيح هو معبد الروح المعبد الإلهي الذي يعلو كل المعابد المادية، ومن أجل هذا يجب أن تكون قلوبنا طاهرة ونقية³. علاوة على ذلك لم يكن هناك اختلاف وفروق بين اليهود والسامريين⁴ أو ممثلي أي شعب لدى المسيح، ويقول متى في إنجيله: **(وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ)**⁵، وكانت هذه الوصية الأهم في تعاليم المسيح، لم يكن اهتمام المسيح ببناء المعابد الجديدة أو ترميم القديمة، وجمع التبرعات لهذا الغرض من الشعب، إنَّما اهتم بالمعابد التي في الروح في روح كل إنسان، وبذل كل جهد ممكن لأقامة معابد الروح هذه. تظهر تعاليم المسيح بوضوح في موعظة الجبل عند بحيرة كفرناحوم، فموعظة الجبل هي خلاصة تعاليم المسيحية، ويلاحظ في هذه العظة المحافظة على الشريعة الموسوية، ولا سيما الوصايا العشر التي هي لب الشريعة الموسوية، ولكن المسيح ذهب أبعد من ذلك في تعاليمه

¹ إنجيل يوحنا، 2: 16

² ميغوليفسكي. (2009)، ص 394.

³ ميغوليفسكي. (2009)، ص 397.

⁴ السامريون: هم قوم ينتمون لمدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها، قد قامت على أنقاضها مدينة نابلس، وكانت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل، وتُعرف هذه الطائفة باسم بنو إسرائيل وكذلك بنو يوسف، السامريون ينتمون إلى هارون أخي موسى، وينتخبون كاهناً أعظم يسمى الكاهن اللاوي أي المنحدر من سبط لاوي، ويُلقب بالحبر الكبير، أصل هؤلاء ممن بقي من اليهود الضعفاء في فلسطين بعد السبي البابلي، كانت هذه الفرقة تعيش بعزلة وكانت قليلة العدد؛ وانتشر فيهم الجهل فقد قل عدد من يعرف الكتابة والقراءة بينهم.

للمزيد انظر: ظاظا، حسين. (1971)، **الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه**، الإسكندرية: قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ص 247-252.

⁵ إنجيل متى، 4: 23.

وفرائضه الأخلاقية، بالنسبة إليه لم تكن الجريمة (لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ)¹ وحدها المهمة، إنما التفكير فيها، والنوايا الشريرة التي تقود إلى البلبلة، والأذية وسوى ذلك من الشرور، لذلك طلب المسيح من الإنسان حتى في أفكاره أو نواياه عدم التفكير بها، لم يكن عبثاً قوله: (وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ)².

هذا كان مقياس كل شيء ليس المهم ما يفعله المرء فحسب، إنما ما يكون هو نفسه، من الضروري أولاً وقبل كل شيء أن يطهر الإنسان روحه من كل شر، وليس هذا ممكناً إلا بفعل الخير، لا يمكن هزيمة الشر بالشر، إنما بالخير، لذا قال السيد المسيح: (وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ)³، فتعاليم المسيح الجديدة تقضي إلى تحقيق الكمال الذاتي، وتنقية الروح من الأفكار الرديئة، وبناء معبد الإله داخل روح الإنسان.

¹ إنجيل متى، 18:19.

² إنجيل متى، 5: 28.

³ إنجيل متى، 5: 44.

2-الفئات الدينية والاجتماعية وموقفها من تعاليم المسيح:

ناصبت فئات المجتمع اليهودي وفرقة (الفريسيون والكتبة والصدوقيون) العداء للسيد المسيح ودعوته.

أ- فئة الفريسيين:

هم حراس الشريعة اليهودية وتمسكوا بالتقليد، وقفوا في وجه الحضارة الإغريقية، وقد تميزوا بالتدين وسعوا إلى أن تدير الشريعة جميع نشاطات حياتهم اليومية، وقبلوا تعاليم الكتبة وكل تحديث يجرونه؛ كالإيمان بقيامة الأموات والدينونة والملائكة والشياطين وتدخل الله في حياة الإنسان¹.

كان الفريسيون هم أول من حرف تعاليم موسى والتلمود وأدخلوا عليها محرمات لا تدخل عقل إنسان سليم، فلذلك كانوا من أشد أعداء المسيح ويلحقونه في كل مكان لكي يكشفوا تناقض تعاليمه مع شريعة موسى والتلمود. وهو ما كان يعطيهم الحجة الضرورية لتقديمه للمحاكمة، خاصة أنهم كانوا قد قروا التخلص منه بأي طريقة كانت، ولم يكفوا عن نصب المكائد للإيقاع به. وزادت حدة المواجهة بين الطرفين وبلغت ذروتها بعد أن أشفى السيد المسيح يوم السبت مريضاً أقعده الشلل في إحدى ضواحي أورشليم. وكان المسيح قد قال أثناء ذلك للمريض الذي أبراه: **قم واحمل فراشك وامش**، فواقعت التهمة على المسيح نفسه، لأنه هو الذي كان السبب في أن يحمل المعافى فراشه ويمضي إلى منزله في يوم السبت، وقد نظر الفريسيون إلى ذلك الأمر باعتباره جريمة نكراء ارتكبتها المسيح لقيامه بهذا العمل وانتهاكه لحرمة يوم السبت. ولم ينظروا أو يفكروا في تلك المعجزة الإلهية الإنسانية في شفاء المشلول. لقد فكروا في محرماتهم الزائفة وشريعتهم دون أن يفكروا في الإنسان وروحه².

يحتل الفريسيون مكاناً كبيراً في الإنجيل، فقد كان المسيح على اتصال دائم معهم ما أكثر ما انتقدهم بلهجة قاسية (لَكِنْ وَئِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لَأَنْكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ

¹ اليسوعي. (1998)، ص 72.

² سارة. (2009)، ص 404.

النَّاسِ، فَلَا تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلَا تَدْعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ¹، وهؤلاء كان موقفهم شديد العداء من تعاليم السيد المسيح، فالمسيح دافع عن روح الشريعة الموسوية عن روح القانون الإلهي ومغزاه، حاول أن يجعل هذا المغزى أكثر روحاً وتجديداً²، فالمسيح جاء يصحح لهم العقائد والتعاليم التي حرفوها في ديانة موسى عليه السلام، قد حرفوا التوراة حرفوا بعض عقائدها، بالأخص عقيدتهم في الإله، صوروه في صور مجسمة، وصفوه بكثير من صفات النقيض؛ الضعف الكذب والغفلة والجهل، وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بالذات الإلهية³.

ب- الكتبة:

كانت لهذه الفئة علاقة بالفريسيين، لأنَّهم كتبة الشريعة كتبة الناموس، هذه الفئة لا تنتمي إلى أي طبقة من يقومون بالطقوس الدينية، ولا تتميز من سائر الشعب في لبسها، ولا يحق لها أكل لحم الذبائح أو خبز التقدمة، ولا تدعي الانتماء إلى سبط معين، وتقسم إلى قسمين؛ المستشارون القانونيون أي معلمو الشريعة، والنساخ أي الكتبة، يمكن للشخص أن يقوم بكلتا المهمتين، كثيراً ما اقترن اسم الكتبة باسم معلمي الشريعة، وألف الكتبة ومعلمو الشريعة فيما بينهم طبقة مستقلة ينتمي أعضاؤها إلى جميع شرائح المجتمع من صناع وزراع وأصحاب المهن. ولكن ما الذي عابه يسوع عليهم أولاً: الرياء أنَّهم كالقبور المكساة يحملون الناس أحمالاً ثقيلة، ولا يحملونها، وإهمالهم ما هو جوهرى، أي محبة الله والقريب، وأخيراً: التشبث بالحرف، وإهمال الروح⁴.

¹ إنجيل متى، 23: 13

² اليسوعي. (1998)، ص 72.

³ شلبي، أحمد. (1987)، اليهودية، القاهرة: مكتبة دار النهضة المصرية، ص 77.

⁴ اليسوعي. (1998)، ص 68-69.

ج- الصدوقيّون:

وهم فئة الصّفوة هم المثقّفون، ينتمون في غالبيتهم إلى الطبقات الغنيّة، أي كبار الموظفين والتجار وملاك الأراضي والكهنة، أنّهم يديرون شؤون العبادة والاقتصاد، ومنهم من تسلم وظائف سياسية ودبلوماسية هامة وتعاملوا مع الرومان، ليس لهم تأثير مهم في العامة، ويمثلون جزءاً مهماً من السنهريين اليهودي (synedrion)¹، فالصدوقيّون آثروا سلامة المجتمع على أي تطورات سياسية، كما يقول رئيس الكهنة: (وَلَا تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَّنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا!)². يسوع كان مصدر قلق لأنّه يعمل حراك في المجتمع قد يفهمه الرومان بشكل خاطئ يؤدي ذلك إلى ثورة في المجتمع، بالتالي يحدث اصطدام مع الرومان هذا الصدام يفقدهم سلامة المجتمع، لذلك كانوا مؤيدين لصلب المسيح³.

د- الأغنياء والعامة:

علاوة على ذلك تعرض يسوع لمعارضة من قبل الأغنياء لأسباب مختلفة عن هذه، فلم يهتمهم أمر السبت، ولم يريدوا حرباً ضد الرومان، ولكنهم غضبوا منه لأجل ما عمله في الهيكل عندما طرد باعة الحمام، وقلب موائد الصيارفة، وطرد الأبقار والأغنام التي أحضرها الكهنة والأغنياء للتجارة بها، إذ كانوا يبيعون الذبائح للقادمين من بلاد بعيدة بأسعار خيالية، وقد غضب الأغنياء حين حرّمهم من المكاسب الكثيرة التي كانوا يحصلون عليها مستغلين الشعب الذي جاء للعبادة.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لما العامة تركوه؟ والإجابة على هذا السؤال يتعلق بأنّ المسيح لم يستخدم قوته المعجزة ليطرد الرومان الذين استعمروا فلسطين سيما أنّ اليهود يؤمنون أنّ الله سيرسل لهم المسيا

¹ السنهريين كلمة عبرية منقولة عن (سنديون) باليونانية synedrion ومعناها الجالسون معاً، وقد تعني مجلس مشيخة. السنهريين هو مجلس اليهود الكبير الذي كان يمثل الشعب اليهودي أيام الحكم الروماني، ويتكون من واحد وسبعين عضواً، يتولى السلطة القضائية العليا، مجلس السنهريين هو الذي أصدر الحكم بالإعدام على المسيح. انظر: (مرقس، 14: 43، متى 26: 59)

² إنجيل يوحنا، 11: 50

³ ظاظا، حسين. (1971)، ص 297-299.

ليخلصهم - المَسِيحُ يعني المخلص والخلص في نظر اليهود - ويعيد مجد القدس ويحكم العالم من فوق العرش القديم للسلطة اليهودية¹. المسيح مرتبط برغبتهم في السيطرة على العالم، ويعتقدون أنَّ المسيح الذي سيظهر من جديد هو سليل داود، وسيكون منارة العالم، وسيأتيه العالم ينشد الرشد والاحتكام إليه، وسيسيطر المسيح على كل الأمم، وسوف يرسى دعائم العدل في العالم، وستكون عاصمته القدس².

هـ - المحاكمة:

هذه الفئات مجتمعة تأمرت عليه وبيتت الغدر له، وأخذت تحرض رعايا الناس والسلطات الرومانية وعلى رأسهم حاكم بيت المقدس الروماني بيلاطس بونتئوس **Pontius Pilatus** (26-36م)، لا بل إنها رشّت يهوذا ابن سمعان الإسخريوطي أحد تلاميذ المسيح الأثني عشر³ ليخونه، ويدل عليه رجال الأمن الروماني الذين أرسلوا للقبض عليه.

اقتيد يسوع إلى رئيس الكهنة الذي عقد مجمعاً من الكتبة والشيخوخ لمحاكمته، وقد عقدوا العزم على هلاكه، وبعد محاكمة صورية أصدروا الحكم بالموت عليه⁴، ودفعوه به إلى الوالي الروماني (بيلاطس بونتئوس)، وقد حض الكهنة رعايا الشعب على أن يطلبوا من الوالي تنفيذ حكم الإعدام الصادر بحق المسيح، والسبب في ذلك لأنَّ المسيح كان يهاجم بصورة سافرة الكهنة الفريسيين، ذاكراً أنَّ الإنسان لا يحصل على السلام بنتيجة التطبيق الحرفي لأحكام القانون، ولكن بصفاء نفسه، والتفاني في حب الآخرين، ونكران الذات، وحب الخالق والناس، ومن شأن هذه التعاليم قلب القيم الخلقية، وإلغاء التقاليد الموروثة. إنَّ الدعوة

¹ بينتون، رولاند. (1998)، مواقف من تاريخ الكنيسة، تر عبدالنور ميخائيل، ط 2، بيروت: دار الثقافة المسيحية، ص 7.

² الطويل، يوسف العاص. (2017)، الأصولية المسيحية والصحة الإسلامية، بيروت: مكتبة حسن العصرية، ص 55.

³ جاء في الإنجيل أنَّ يسوع اختار أثني عشر رجلاً دعاهم رسلاً وهذه أسماءهم: سمعان المدعو بطرس واندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدي ويوحنا أخوه، وفيلبس وبرثلماوس وتوما ومتى العشائر ويعقوب بن حلفي وتداوس وسمعان القانوني ويهوذا الإسخريوطي الذي خان السيد المسيح وبعد خيانة يهوذا الإسخريوطي حل متياس الرسول مكانه. انظر: (إنجيل متى، 1: 4-1) و (العهد الجديد، أعمال الرسل، 1: 26)

⁴ هنا خضع السيد المسيح لرئيس الكهنة قيافا الذي حكم عليه بالموت، إذ كان احترام الكهنوت وصية إلهية، يجب احترامهم والخضوع لهم في الرب ولا يصح اهانتهم ابداً. (أما قيافا فقد اضطهد هو نفسه الرب وحكم عليه ولكن الرب رغم هذا إكراماً للكهنوت تركه يَكهن).

انظر: مكاريوس، عظة 23:26

إلى المحبة والإخاء بين البشر كافة التي هي جوهر تعاليم يسوع لم تكن تأخذ بعين الاعتبار وجود طبقات اجتماعية، لأنَّ دعوة المسيح قائمة على أساس أنَّ الناس سواسية متساوون، وكان من شأن تعاليم المسيح أنْ تودي بنفوذ المحكمة الدينية العليا المؤلفة من كبار الأحرار عند اليهود، فتضافرت جهود أعضاء هذه المحكمة والكهنة والفريسيين والصدوقيين، ونجحت مؤامرتهم ضد رسول السلام والمحبة سنة (29) أو (30م) وكان عمره في الثالثة والثلاثين¹.

3 - مراكز المسيحية في سورية:

كانت مدينة أنطاكية الواقعة على شاطئ نهر الأورانتس **Orontes** من أهم المراكز المسيحية في سورية، ففيها عرفت المسيحية لأول مرة باسمها الحقيقي، وأطلق هذا الاسم أولاً على أتباع السيد المسيح من غير اليهود ثم أطلق على كل من قبله مخلصاً. هنا يجدر التوقف قليلاً عند أول حدث تاريخي هام في الديانة المسيحية حدث في أنطاكية؛ هو إنشاء أول كنيسة مسيحية في العالم الروماني². من خلال دراسة سفر أعمال الرسل يمكن الجزم أنَّ هذه الكنيسة أسست بمبادرة من القديس بولس الرسول (10 - 67م)، وهناك نشأت أول طائفة مسيحية متعددة الأعراق؛ جاؤوا من قورنية وقبرص، (ولكن كان منهم قوم، وهم رجال قبرسيون وقيرانيون، الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم، فأمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب)³ وكانت تلك الطائفة أول طائفة مسيحية في أنطاكية، وكانت تختلف عن طائفة أورشليم المسيحية بأنَّها شديدة الحيوية ومتجددة ودائمة التطور، وعلى الرغم من هذا فإنَّ المؤرخين الكنسيين يصرون على أنَّ الرسول بطرس هو الذي أسس كنيسة أنطاكية، فالقديس هيرونيمس في تعليقه على سفر أعمال الرسل، يأخذ على القديس

¹ حول اتهام السيد المسيح وتفاصيل محاكمته وإجراءات صلبه بالتفصيل انظر: ميغوليفسكي (2009)، ص 439-450.

² - حتى، فيليب (1982)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين. تر جورج حداد وعبد الكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، ص 370.

³ - العهد الجديد، أعمال الرسل، 11: 20-21.

لوقا الإنجيلي¹ أهـماله لبطرس ودوره التأسيسي في أنطاكية²، وينهج المؤرخ الكنسي يوسابيوس النـهج نفسه، ويؤكد أنَّ الفضل في تأسيس كنيسة أنطاكية يعود للرسول بطرس³. حول ذلك يقول مؤرخ كنيسة أنطاكية أسد رستم: *إنَّ تاريخ تأسيس كنيسة أنطاكية يعود لعام (34م) وأنَّ الرسول بطرس ترأس الاجتماعات فيها لمدة سبع سنوات أي لعام (41م)*⁴.

أما من الناحية الأثرية فأقدم كنيسة مكتشفة في سورية هي كنيسة (دورا أوروبوس) قرب مدينة دير الزور. وكانت عبارة عن بيت يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح. وعلى جدران البيت اكتشفت أقدم الرسومات والأعاجيب التي قام بها السيد المسيح؛ ومنها أعجوبة شفاء المقعد الذي قال له المسيح قم أحمل سريرك وأمشي⁵. أصبحت أنطاكية بعد أن دمر الرومان منافستها أورشليم سنة (70م) العاصمة الوحيدة للعالم المسيحي، وتمتعت لبعض الوقت بمقدار معين من السلطة على الأبرشيات⁶ المجاورة على الأقل، ودعي أسقفها⁷ في القرن الرابع الميلادي رئيس أساقفة (متروبوليت (Metropolit).

¹ يعرف أيضاً لوقا الطبيب، يبدو أنَّ المؤرخ الكنسي يوسابيوس أول من أشار أنَّ لوقا من أصل أنطاكي، كان لوقا متضلعاً باللغة اليونانية كما تشهد على ذلك مؤلفاته، بعد أن تتلمذ على يد بولس الرسول ورافقه في أسفاره الرسولية كلها، كتب الإنجيل الذي يقول فيه بولس: (وبعثنا مع طيطس الأخ الذي تُثني عليه الكنائس كلها فيما يعود إلى البشارة). يظهر لوقا في إنجيله المسيح الإنسان في ملء بشريته، وأنه مثلاً في كل شيء ما خلا الخطية، ويصوره في كل البشارة على أنه صديق الخطاة الرحيم، وشافي المرضى، ومُعزّي منكسري القلوب وراعي الخروف، إما عمل لوقا الثاني هو سفر أعمال الرسل: يسجل فيه عمل الروح القدس، وهذا العمل مملوء من العزة الرسولية والرجاء، ويسجل التوفيق والنجاح وحتى الاضطهاد والاستشهاد يحولهما إلى مناسبة للشكر والفرح، يمكن القول عن هذا السفر إنه أول تاريخ للكنيسة الأولى. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 31-33.

² هيرونيمس. (2010)، ص 22.

³ يوسابيوس. (1979)، 2: 14.

⁴ رستم. (1988)، ص 19.

⁵ Peppard, Michael. (2016), *The world's oldest church : Bible, art, and ritual at Dura-Europos*, Syria. New Haven. ISBN 978-0-300-21399-7.

⁶ مفرداً أبرشية وهي كلمة يونانية *Parish* وتقابلها باللغة اللاتينية *Episcopatus* معناها المقاطعة أو المديرية، وتعدّ الأبرشية أصغر وحدة في النظام الكنسي وهي جزء من أجزاء المركز خاضعة لسلطة أسقف أو رئيس أساقفة. للمزيد انظر:

Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, 1989 .

⁷ الأسقف *Episkopos* لفظ يوناني مركب معناه الرقيب أو الناظر. هذا اللفظ قديم يرد في أشعار هوميروس أن الآلهة أساقفة على القيام بالعهد المقطوعة. أيضاً ورد هذا اللفظ في الترجمة السبعينية بمعنى المراقب والحاكم ورئيس الكهنة. فالأسقف وهو رئيس الكهنة الذي يتولى تدبير الأبرشية مراقباً من رعيته أمور دينها.

انظر: المقاري، أنثاسيوس. (2001)، *معجم المصطلحات الكنسية*، سلسلة مقدمات في طقوس الكنيسة، القاهرة: منشورات الكنيسة القبطية، ص 90.

ففي هذه المدينة عقد أكثر من ثلاثين مجمعاً للأساقفة (سينودس)، حيث كان المجمع المحلي الأول عام (265م)¹. وأطلق اسم أنطاكية على إحدى مدارس اللاهوت، وأشهر أفرادها يوحنا فم الذهب² **Johannes Chrysostomos** (347-407م)، هذه المدرسة أكدت على العنصر الإنساني، وركزت الاهتمام على المسيح التاريخي، ولغة هذه المدرسة هي اللغة اليونانية، حيث كانت اليونانية والآرامية تستعملان في العبادة منذ عهد الرسل، وبعد أن ارتقت أنطاكية إلى مكانة الزعامة في الجزء الذي يتكلم اليونانية في سورية، بدأت أديسا (الرها) بالارتقاء إلى مكانة مشابهة في البلاد التي تتكلم الآرامية (السريانية)، وكانت أديسا من أقدم مراكز المسيحية في سورية، وتعدُّ مهد الأدب السرياني، ويرجح أنَّ الترجمات الرئيسية للتوراة السريانية قد وضعت هناك في أواخر القرن الثاني الميلادي³.

ثانياً- الامبراطورية الرومانية والديانة المسيحية:

كانت الديانة المسيحية ديانة شرقية جديدة تمثلت عقيدتها في إله مخلص سار في طريق الآلام والتعذيب ليكفر عن خطايا البشر. مات ثم قام من بين الأموات. وكان لهذه العقيدة أسرارها الخفية وغموضها التي تشترك به مع العبادات الشرقية كلها آنذاك. فاقت المسيحية سائر الديانات الشرقية القديمة لأن يسوع المسيح كان له جاذبية أحدثت في النفوس راحة، فهو قد نال الموت من أجل خلاص الناس أجمعين⁴. لكن الديانة المسيحية لم تلق من الرواج بادئ الأمر ما لقيته الديانات الأخرى على الرغم من القوة الروحية التي تؤكد مستقبل الإيمان المسيحي. والسبب في ذلك العداء لهذه الديانة من اليهود الوثنيين والسلطات الحاكمة الرومانية. إلا أن انتصار المسيحية⁵ جاء

¹ - رستم. (1988)، ص 22.

² - يوحنا فم الذهب: من آباء الكنيسة الشرقية ولد في أنطاكية عام (347م) وتوفي عام (407م)، اختاره الإمبراطور أركاديوس رئيساً لأساقفة القسطنطينية عام (397م)، السبب في تلقيه بغم الذهب يرجع لفصاحته وبلاغته، أهم مؤلفاته رسالة في الكهنوت، وله (تصانيف ومواعظ وتفسير).

انظر : هيرونيمس. (2010)، ص 103.

³ حتى. (1982)، ص 371.

⁴ - عبد الحميد، رأفت. (2001). الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج 3، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص 23- 24 .

⁵ - الحقيقة الثابتة التي لا جدال فيها هي أنَّ الكنيسة لم تتمكن من الانتصار خلال القرن الرابع الميلادي إلا بفضل انهزام الإيمان الأول الذي يمكن أن نسميه بإيمان الاثنا عشر. ومن خلال تأسيس الكنيسة ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الأولى، هذه الديانة نبعت قبل كل شيء من الرصيد الفكري والروحي عند بولس الرسول، وآباء مجمع نيقية. وحظيت هذه الديانة بدعم الإمبراطور قسطنطين. حيث أقرت هذه الديانة بألوهية السيد المسيح ، ثم ألوهية روح القدس في مجمع القسطنطينية، والاعتراف بالقديسة مريم بوالدة الإله في مجمع أفسس. هذه الديانة تبتعد كل الابتعاد عن الديانة التي دعا إليها السيد المسيح.

متأخراً جداً وكان على المسيحية أن تقضي طيلة ثلاثة قرون كاملة تتظلى بنيران عداوات الديانات الأخرى وسياط الاضطهاد حتى تتخطى العقبات التي صادفتها على طريق طويل بلغ مداه ثلاثمائة عام سار السيد المسيح وحواريوه واتباعه رحلة طويلة مليئة بالآلام حتى استطاعت المسيحية أن تحقق نصراً جزيئاً في مطلع القرن الرابع الميلادي¹.

1 - العلاقة بين الإمبراطورية الرومانية والمسيحية واضطهادها:

هناك في العهد الجديد نصان شهيران ومكملان لبعضهما بعض، ويشيران لأهمية القضايا المستجدة التي سيطرحها نمو هذا الدين الجديد، المتحدر من اليهودية على الإمبراطورية الرومانية، النص الأول لا يجهله أحد ويوجد في الإنجيل، والنص الثاني للقديس (بولس الرسول) في رسالته إلى الرومانيين، ففي الإنجيل نقرأ كيف أنَّ الفريسيين الراغبين بنصب فخ ليسوع بغية إخراجهم أمام السلطة الرومانية، أوفدوا إليه تلاميذهم ليسالوه إذا كان جائزاً دفع الجزية، (فَعَلِمَ يَسُوعُ حُبَّتْهُمْ وَقَالَ: «لِمَاذَا تُجَبِّئُونِي يَا مُرَأُؤُونَ؟ أَزُونِي مُعَامَلَةَ الْجَزِيَّةِ». فَقَدَّمُوا لَهُ دِينَارًا. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكَتَابَةُ؟» قَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرٍ». فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ» فَلَمَّا سَمِعُوا تَعَجَّبُوا وَتَرَكُوهُ وَمَضُوا)². إذاً لن يكون كلُّ شيءٍ لقيصر، فليس لقيصر أن يطلب كلَّ شيءٍ من الإنسان، بصفته الوريث للمدينة القديمة التي كانت دولة وكنيسة في آن واحد، إنَّ قيصر ليس الوحيد الذي له سلطة على الإنسان. لقد حلت (الثنائية)، المسيحية التي يكرسها تأسيس كنيسة المسيح محل الأحادية الوثنية، وقد صاح ترتليان³ (Tertullianus) قائلاً: (وماذا سيكون لله، إذا كان كلُّ شيءٍ لقيصر؟ فلنرد لهذا قطعة النقد المنقوشة عليها صورته، أما الله فيجب أن تُرد صورة الله الموجودة في الإنسان)، وهكذا كان على

¹-Cary. M. (1954), History of Rome Down to Reign Of Constantine, London. P. 589.

²- إنجيل متى، 22: 22-25.

³- ترتليانوس ولد حوالي سنة (155م) في قرطاجة التي استعمرها الرومان وأصبحت ولاية رومانية، كان والده قائد منة، درس ترتليانوس الحقوق في روما وعمل محامياً، اهتمت إلى الديانة المسيحية سنة (193م) واستقر في قرطاجة ولكنه سرعان ما تحول إلى بدعة المونتانية (207م) فوضع كل مواهبه العلمية واللاهوتية للتأليف وكتب الكثير من المصنفات التي ذكر هيرونيمس بعضها، توفي ترتليانوس سنة (220م).

انظر: هيرونيمس. (2010) ص 73.

المسيحي القيام بسلسلتين من الواجبات تطالب بهما مؤسستان مستقلتان، وتقابلان ثنائية الكائن الإنساني المقسم بين طبيعته المادية وطبيعته الروحية¹. وفي حال قيام نزاع بين الواجبات من المناسب -كما يبدو- الإجابة كما أجاب القديس بطرس² رئيس الكهنة: إنّ الله أحق من الناس بالطاعة³، ولكنّ القديس بولس له رأي آخر يؤكد في رسالته إلى الرومانيين على موضوع الطاعة (لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِّلسَّلَاطِينَ الْفَائِقَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنْ اللَّهِ، وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ، وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ دَيْنُونَةً. فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشَّرِّيرَةِ. أَفَتُرِيدُ أَنْ لَا تَخَافَ السُّلْطَانَ؟ أَفَعَلِ الصَّالِحَ فَيَكُونَ لَكَ مَدْحٌ مِنْهُ، لِأَنَّهُ خَادِمُ اللَّهِ لِلصَّالِحِ! وَلَكِنْ إِنْ فَعَلْتَ الشَّرَّ فَخَفْ، لِأَنَّهُ لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا، إِنْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ. لِذَلِكَ يُلْزَمُ أَنْ يُخْضَعَ لَهُ، لَيْسَ بِسَبَبِ الْغَضَبِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ الضَّمِيرِ. فَإِنَّكُمْ لِأَجْلِ هَذَا تُؤْفُونَ الْجَزِيَّةَ أَيْضًا، إِذْ هُمْ خُدَّامُ اللَّهِ مُوَظَّيُونَ عَلَى ذَلِكَ بِعَيْنِهِ. فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حَقُوقَهُمْ: الْجَزِيَّةَ لِمَنْ لَهُ الْجَزِيَّةُ. الْجَبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالْإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ)⁴.

إنّ ما يسترعي الانتباه في موعظة القديس بولس هو التأكيد على واجب الطاعة، وعدم مقاومة السلطة المنحدرة من الله والتي أَرادها الله، ذلك أنّ دافع الضمير قد أضيف صراحة للخوف من الغضب، ومن هنا ينشأ التزام ضميري، التزام ديني بالطاعة، وذلك لأنّ القديس بولس جعل السلطة أداة الله من أجل تحقيق العدالة والخير، ولهذا يمكن الاستنتاج بأنّ كلّ سلطة لا تمارس في سبيل العدالة والخير تفقد كلّ أساسٍ بالتالي كلّ حقٍ بالطاعة. كتب

¹ -شوفالبي، جان جاك. (2006). تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصيلا، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص 144.

² - هو سمعان بن بطرس بن يونا، وُلِدَ بالجليل في محلة بيت صيدا، كان له شقيق يدعى أندراوس الرسول، بعد أن صار زعيم الرّسل، نقل كرسي الأسقفى إلى أنطاكية، ثم تركها وأخذ يركز بالإنجيل في بنطس وغلطية وكبادوكيا وآسيا الصغرى، ثم جاء إلى روما وثبت في تدبير الكرسي الأسقفى مدة (25) سنة أي حتّى السنة الأخيرة من حكم الإمبراطور نيرون (64-68م)، قد كتب رسالتين من بين الرسائل الجامعة، غير أنّ صحة نسبة الثانية إليه مشكوك فيها، لأنّ أسلوبها مختلف عن الأولى، كما يُنسب إليه الإنجيل بحسب مرقس الذي كان تلميذه وترجمانه، حكم عليه بالأعدام من قبل الإمبراطور نيرون سنة (68م)، ودُفِنَ في روما في محلة الفاتيكان وهو محط إكرام العالم كله. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 22-24.

³ - العهد الجديد، أعمال الرسل، 5: 29.

⁴ - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، 13: 1-7.

القديس بولس في رسالته إلى الغلاطيين: (لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لَأَنْكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ)¹، وفي رسالته الأولى إلى الكورنثيين: (لَأَنَّا جَمِيعًا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضًا اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ، يَهُودًا كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ، عِبِيدًا أَمْ أَحْرَارًا، وَجَمِيعًا سُقِينَا رُوحًا وَاحِدًا)²، وهنا يعبر القديس بولس أنَّ العلاقة المشتركة مع الله الناشئة عن العمادة³ تتعالى على كلِّ حدودٍ زمنيةٍ عرقيةٍ أو قوميةٍ أو اجتماعيةٍ. يؤكد القديس بولس الرسول على المساواة في الطبيعة البشرية لدى الجميع أحراراً أم لا، ولكن هل سيدعو هذا الاعتقاد أنَّ القديس بولس اعتزم تسويغ عدم خضوع العبيد لأسيادهم؟ أبداً بل العكس فهو يركز في رسالته إلى الرومانيين من أجل الخضوع السياسي، وعلى واجب الطاعة، وكذلك في رسائله للكورنثيين والأفسسيين أو الكولسيين (دُعِيتَ وَأَنْتَ عَبْدٌ فَلَا يَهْمُكَ. أَيُّهَا الْعَبْدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةٍ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ. أَيُّهَا السَّادَةُ، قَدِّمُوا لِلْعَبِيدِ الْعَدْلَ وَالْمَسَاوَاةَ، عَالِمِينَ أَنَّ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَيِّدًا فِي السَّمَاوَاتِ).

يمكن القول : إنَّ الطاعة كانت من أهم نذور الرهبنة التي ظهرت في المسيحية في القرن الرابع الميلادي مستوحاة من تأكيد القديس بولس الرسول في رسائله على موضوع الطاعة. ومن الملاحظ أنَّ الديانة المسيحية تدعو في نفس الوقت للخضوع للسلطات في هذا العالم، وللرفض العنيد للعبادة الإمبراطورية على أنَّها مظهر لعبادة الأوثان، وتتصف بالوحدانية المتشددة والارتباط المطلق بمملكةٍ واحدةٍ هي مملكة السماء، ولا مبالاته النسبية بكلِّ الممالك الأخرى. إنَّ من السهل إدراك لماذا عدّه قيصر ديناً

¹ - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، 3: 28-29.

² - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، 12: 13.

³ - المعمودية هي أولى الأسرار السبعة أو هي المدخل إلى الأسرار السبعة بدونها لا يتم أي سر، ولعلها من أجل هذا أخذت أسم المعمودية، لأنَّها عماد الأسرار. للمزيد انظر: أنطونيوس، فكري. (2018)، الأسرار الكنيسة السبعة، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية .

غامضاً ومحيراً وخطيراً؟ لأنَّه يرى في المسيحي الممثل والجندي لسلطة مجهولة، وليس لها موطن ومثيرة للقلق؛ ولهذا تعرض هذا الدين للاضطهاد¹ والاحتقار، وبعد ثلاثة قرون يعترف به.

كانت المسيحية قد انتشرت في ولايات الإمبراطورية الرومانية انتشاراً واسعاً خلال القرون الميلادية الثلاثة الأولى. وقد وجدت الطبقات الفقيرة الكادحة في التعاليم المسيحية تعزية لها في الحياة الدنيا وأملًا بالسعادة في الحياة الآخرة، فكان الفقراء والعبيد والأرقاء أول المؤمنين بتلك التعاليم. أما الطبقات الغنية والسلطات الرومانية المسيطرة فقد رأت في تعاليم المسيحية خطراً على مصالحها، كما خشيت أن تنبثق عنها حركة ثورية تطيح بالأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة، لذا أمرت بملاحقة المسيحيين واضطهادهم فتعرض المسيحيون للتكيد والتعذيب والقتل طوال القرون الميلادية الثلاثة الأولى².

أهم الأسباب التي دفعت السلطات الرومانية لاضطهاد المسيحيين هي التالي:

- رَفَضَ المسيحيون عبادة الإمبراطور والآلهة الوثنية، هذا الرفض يدل على عدم الولاء للدولة الرومانية وإمبراطورها، وبعد من العوامل المفككة لوحدة الإمبراطورية³.
- بدت التعاليم المسيحية تهدد كيان الإمبراطورية الرومانية بما تحمله من تعاليم تدعو إلى المساواة وعدم الاستغلال والأخذ بيد الفقراء والتصدق بالأموال وعدم اكتنازها واحتقار الحياة الدنيا وملذاتها ومحاربة التفاوت الطبقي السائد في الإمبراطورية الرومانية وهي مظاهر لما يألفها الرومان في تلك الفترة آنذاك. إذ قال السيد المسيح: (مَا أَغْسَرَ دُخُولَ دُويِ الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ! لَأَنَّ

¹ - الاضطهاد Persecution وهو في اللغة القهر، وعند المسيحيين عبارة عن إيقاع عذاب أو عقاب أو موت ظلماً، وعلى الخصوص لأجل التمسك بمذهب ديني مخصوص أو طريقة مخصوصة من العبادة، وذلك إما قصاصاً أو لأجل الحمل على رفض ذلك المذهب أو تلك العبادة، ويراد به على الأكثر ما أوقعه الإباطرة والحكام الوثنيون على المسيحيين الأوائل من العذابات، والموت لأصرارهم على التمسك بديانتهم، ورفضهم عبادة الأوثان انظر: البستاني، بطرس. (1878)، كتاب دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، 3، بيروت: الناشر دائرة المعارف، ص 750.

² - فرح، نعيم. (2009)، الحضارة البيزنطية، منشورات جامعة دمشق، ص 6-7

³ - schaff. A. (1956). History of the Christian, II. Oxford- clarendon press. P. 43.

دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبٍ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!¹، لذلك تخوف الأغنياء من تلك التعاليم، لأنها تشكل خطراً على مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

- تخوف السلطات الرومانية من اجتماعات المسيحيين السرية لممارسة عبادتهم، وخشية أن تتحول حركتهم الدينية إلى حركة ثورية تقوض النظام القائم في الإمبراطورية.
- اتخذ اليهود موقفاً عدائياً من المسيحيين ولفقوا التُّهم والاقتراءات ضدهم، كما حرضوا السلطات الرومانية على اضطهادهم، لأنَّ التعاليم المسيحية تتناقض في كثير من الأمور مع التعاليم اليهودية².

- رَفَضَ المسيحيون تأدية الخدمة العسكرية، وهذا الرفض يشكل خطراً على تنظيم الجيش وولائه للإمبراطورية³.

- وتخوف السلطات الرومانية من انتشار المسيحية في الأراضي الخاضعة للدولة البارثية العدوة التقليدية للرومان، وخشية أن يقف هؤلاء المسيحيون إلى جانب البارثيين في حروبهم مع الرومان⁴.

كان الإمبراطور نيرون (54-68م) أول الأباطرة المضطهدين لمعتنقي الديانة المسيحية وهو أول إمبراطور أعلن العداء للديانة المسيحية. يبدو هذا الاضطهاد كان راجعاً إلى ما كانت تطلب به الجماهير الغاضبة من تقديم كبش فداء للحريق الهائل الذي شب في روما عام (64م) وأشارت أصابع الاتهام على المسيحيين تلك الطائفة المنعزلة عن المجتمع. من ذلك الزمن أصبحت الحكومة الرومانية تنظر إلى المسيحيين باعتبارهم أشخاصاً ذوي نيات عدائية للدولة والمجتمع. ومع ذلك لم تكن هناك قوانين أو مراسيم إمبراطورية سارية المفعول ضد المسيحيين تحرم عليهم ممارسة الطقوس الدينية⁵. أول مرسوم إمبراطوري اضطهد المسيحيين بموجبه في القرن الثالث الميلادي، هو الذي

¹ - إنجيل لوقا، 18: 24-25.

² - الزبيدي، مفيد. (2010). موسوعة تاريخ أوروبا، ج3، عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 31-32.

³ - schaff. A. (1956), P. 43.

⁴ - الزبيدي. (2010)، ص 32.

⁵ - عبد الحميد، رأفت. (2001). الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج 3، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص 35-36 .

صدر في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس **Septimius Severus** (194-211 م). أما فيما يتعلق بالإمبراطور الذي نظم الاضطهاد واشتط فيه وأمعن، هو الإمبراطور ديكوس **Decius** (249-251) وقد أجمع المؤرخون على أنَّ الظلم الذي عاناه المسيحيون في عهد هذا الإمبراطور هو أشد وأقسى مما تعرضوا له من أباطرة الرومان السابقين، لدرجة ذكروا أنَّ ضحاياه من المسيحيين بلغ مئة وأربعين ألف إلى ثلاثمئة ألف¹، ومع التسليم بأنَّ هذا الرقم مبالغ فيه جداً، فإنَّه من المؤكد أنَّ ضحايا ديكوس بين المسيحيين كانوا وفيري العدد.

وفي عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس **Diocletianus** (284-305م) الذي اتبع في البداية سياسة التسامح، وظهر تعاطفاً كبيراً مع المسيحيين، ثم تحولت سياسته ضد المسيحيين، فأصدر ديوكليتيانوس أربعة مراسيم تحت على اضطهاد المسيحيين تضمنت: سجنهم وتدمير كنائسهم واعتقال مسؤولي الكنائس، وحرق جميع كتبهم المقدسة، وعاقب المسيحيين بنزع ممتلكاتهم ونفيهم أو إعدامهم؛ قتل بالسيف أو بإلقائهم إلى الوحوش المفترسة، كما كان يرسل فريقاً منهم إلى المعسكرات الرومانية ليعملوا في المناجم حتى الموت². يعلل المؤرخ بوركهارت هذا التغير في سياسة ديوكليتيانوس لاكتشاف مؤامرة بين المسيحيين ترمي إلى قلب نظام الحكم والاستيلاء على السلطة، ولكن بوركهارت لا يعطي في نفس الوقت تبريراً معقولاً قاد المسيحيين إلى الثورة أو الأقدام على الخيانة للإمبراطور الذي أبدى لهم من التسامح الكثير خلال فترة طويلة من عهده³. والملاحظ على بوركهارت أنَّه يعطي سبباً سياسياً لهذا للاضطهاد، وليس سبباً دينياً، وحول ذلك يمكن القول: إنَّه ابتعد عن الحقيقة.

يفصّل المؤرخ يوسابيوس⁴ **Eusebius** (265-339م) مسألة الاضطهاد تفصيلاً دقيقاً، ويذكر بإسهاب طويل صور التعذيب ووسائله، وأولئك الذين نالوا الشهادة من أجل الرب أو نالتهم يد العذاب، وكيفي القول في هذا

¹ - عبد الحميد، (2001)، ص 45-46.

² - كنز، أرييل، (1954)، المسيحية عبر العصور، تر عاطف برنابا، بيروت، ص 106-107.

³ - Burckhardt. A. (1956), The age of Constantine The Great, P.251.

⁴ - المؤرخ يوسابيوس القيصري **Eusebius** (265-339م) يتكون تاريخه من عشرة كتب تقدم معلومات تاريخية مهمة عن تاريخ الكنيسة الأولى، لم يهدف يوسابيوس إلى تقديم تاريخ لنمو الكنيسة وإنما كان يهدف إلى إبراز الفكر المسيحي وتحدي المؤمنين للآل والموت وانتصار الحق على الباطل. انظر: هيرونيمس، (2010)، ص 98.

الموضع: إِنَّ يوسابيوس أفرد لعصر ديوكليتيانوس وحده الكتاب الثامن من تاريخه الكنسي. ويقول المؤرخ الكنسي يوسابيوس الذي رأى كثيراً من هذه الاضطهادات: أَنَّ الاضطهاد وصل إلى ذروته فكان المسيحيون يعدمون بالجملة؛ ففي ولاية فريجية¹ أحاط الأعداء بالكنيسة وأغلقوا بابها وأحرقوها بمن فيها؛ وفي ولاية نيقوميديا² كان الناس يؤخذون بالجملة، ويقيدون ويلقون من المراكب إلى البحر؛ وفي ولاية مصر تعب الجلادون من قطع رؤوس المسيحيين، وأحياناً يستبدل بعقوبة القتل بتر أعضاء الجسم، وقلع العيون أو حرق عضلات أحد الساقين، فلا يستطيع الشخص أن يهرب، وكان هذا العقاب ينزل بقيادة الكنيسة فقط، ولكن في عام (304م) صدر مرسوم يطلب من عامة الشعب أن يقدموا الذبائح للإمبراطور، وحينئذ نزل الاضطهاد بكل قوته على الجميع، ولم يستثن أحد من الرجال والشيخوخ أو النساء³، وكان غاية الأباطرة من هذه الاضطهادات إيقاف انتشار المسيحية المهددة لكيان الامبراطورية بزعمهم، مما لا شك فيه أَنَّ هذه الوسائل غير الإنسانية لم تجد الأباطرة فتيةً.

2 - الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية في الإمبراطورية:

في مطلع القرن الرابع الميلادي لمست السلطات الرومانية النتائج السلبية لسياسة اضطهاد المسيحيين فبدلت سياستها واعترفت بشرعية وجود الديانة المسيحية، لتكسب ولاء المسيحيين ولتستخدمهم في نشر ديانتهم بين البرابرة، بغية كسر حدة طباعهم ودفع أخطارهم بمؤاخاتهم دينياً. ورأت السلطات الرومانية أيضاً أن من الممكن اتخاذ العقيدة المسيحية ديانة موحدة لجميع شعوب الإمبراطورية، كما يمكن استخدام الكنيسة المسيحية كهيئة تدعم السلطة الإمبراطورية دعماً معنوياً. وعلى هذا أصدر الإمبراطور غاليريوس في سنة (311م) بالإتفاق مع القياصرة الثلاثة قسطنطين وليكينيوس ومكسيمينوس براءة من مدينة سارديكة تنص على السماح للمسيحيين بممارسة شعائهم الدينية شرط ألا يخلوا بالنظام.

¹ أقليم في الشمال الغربي من الأناضول كانت مقاطعة رومانية. ويرد ذكرها في أعمال الرسل 6:16 (وَبَعْدَ مَا اجْتَارُوا فِي فَرِجِيَّةٍ وَكُورَةِ غَلَاطِيَّةٍ، مَنَعَهُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا بِالْكَلِمَةِ فِي أَسِيَّا.)، للمزيد حول ولاية فريجية انظر: سترابون. (2017)، الكتاب الثاني عشر، الفصل الثامن، 12-15

² مدينة قديمة في الأناضول (تركيا الحالية)، وتسمى مدينة أزميد

³ -يوسابيوس. (1979). تاريخ الكنيسة، تر عن الأصل اليوناني: القمص مرقص داود، ط2، القاهرة، 8: 1-19.

في عام (313م) اجتمع قسطنطين مع ليكيانيوس في مدينة ميلانو واتفقا على تنفيذ براءة سارديكة. فيما بعد صدرت براءة ميلانو التي نصت على إقرار حرية المعتقد للمسيحيين والوثنيين. وبهذا القرار الجديد انتهى عصر الاضطهاد، إذ اعترفت الدولة بشرعية وجود الديانة المسيحية¹.

إنَّ حركة روح الإمبراطور قسطنطين **Constantius** (306-337م) المتفقة مع حركة الأحداث قادته في النهاية للاعتراف بالديانة المسيحية، وهذا ما أدى بحق لدعم القول: بأنَّ التغيير الذي بدأ في عام (313م) يفسر بمنطق الإمبراطورية نفسه أكثر مما يفسر بالمعتقدات الشخصية لأي فرد أو رجل دولة مهما كان². لقد وصف الاعتناق الذي يعود لعام (310م) بالاعتناق الأول، وذلك بانتظار الثاني الذي حدث في عام (313م) وحفظه التاريخ، وما زال المؤرخون يناقشون حول أصوله وكيفية حصوله، وحيث تعدُّ الوثيقة المسماة بمرسوم ميلانو معادلة لثورة داخل الإمبراطورية الرومانية، لقد أصبح الدين المسيحي بموجب وثيقة عام (313م) شرعياً ومباحاً، وفاز أخيراً بحق الوجود بعد معركة قاسية وطويلة، إذ أصبحت ممارسة الشعائر المسيحية حرة كما هو الحال بالنسبة للديانات الأخرى، وأعيدت الكنائس أماكن العبادة المصادرة أو المتنازل عنها للمسيحيين، كما أعيدت لهم الأموال المنهوبة الأخرى، ووضع المسيحيون والوثنيون على قدم المساواة، ولقد ارتكزت تسوية عام (313م) لأنَّ الأمر كان يتعلق بالفعل بتسوية على أساس مزدوج يقوم على حرية الضمير، وعلى الحياد الديني للسلطة الرومانية³.

لقد كان من الطبيعي منذ عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير (306-337 م) المعتقد للديانة المسيحية أن تغدق المحابة على الدين المسيحي على الصعيدين المادي والروحي، وأن يتجه الميزان للرجحان أكثر فأكثر إلى هذا الجانب، ومع ذلك فإنَّه يجب الانتظار لعام (392م) لكي يعلن القانون الذي أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس الأول **Theodose** (379-395م) المنع الأوسع للعبادة الوثنية، وطبق هذا القانون في الغرب كما في الشرق

¹ - فرح. (2009)، ص 6-7

² - Parker. A. (1956). P: 359.

³ - يوسابيوس. (1979)، 10: 2-6

عام(394م)¹. ولا شك أن القانون الذي أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس الأول له مكانة مهمة تعادل مكانة مرسوم ميلان. إذ كان مرسوم ميلان بداية الاعتراف بالديانة المسيحية ضمن أراضي الإمبراطورية الرومانية، فإن مرسوم عام (392م) هو المرسوم الذي جعل الديانة المسيحية هي الديانة الرسمية في كامل أراضي الإمبراطورية الرومانية، ونهاية الوثنية في العالم الروماني التي ظلت مستمرة، ولكن على نطاق ضيق وبشكل سري.

لقد كان المؤرخ يوسابيوس القيصري (265-338م) أسقف قيصرية الناطق بهذه الفرحة بتلك اللحظة؛ أي الانتصار الجزئي الذي يعود تاريخه إلى عام(313م) لمضطهدي الأمس، فقد أشاد بلغة فلسفية ودينية بقسطنطين نائب الله، والمعبر عن الكلمة الإلهية الذي تلقى في نفسه دفقات النعمة الإلهية، وأصبح يشارك من الآن في المملكة السماوية، لقد أعجب يوسابيوس بالعناية الإلهية، لأنها أرادت أن يظهر سيدنا ومخلصنا للبشر في الوقت الذي بلغت فيه روما أوج المجد مع أوغسطس الإمبراطور الأول الذي أصبح سيد أغلبية أمم العالم². واستمر انتشار المسيحية، وأخذ عدد معتقيها يزداد يوماً بعد يوم. حيث كان هناك عوامل ساعدت على انتشار المسيحية وانتصارها نذكر أهمها :

- قوة إيمان المسيحيين الأوائل، وجهودهم الفائقة في نشر المسيحية بما في ذلك استشهادهم برحابة صدر في سبيل انتصار عقيدتهم.
- كانت المسيحية ديناً سماوياً عاماً لجميع البشر، ولجميع الطبقات الاجتماعية دون تمييز، في حين كانت اليهودية ديناً خاصاً للشعب اليهودي.
- سمو المفاهيم الأخلاقية والروحية في الديانة المسيحية³.
- قصة حياة السيد المسيح، وتضحيتة بنفسه في سبيل إنقاذ البشرية، كانت لها جاذبية مميزة، وتأثير فعال في نفوس مختلف الشعوب.

¹ -Parker. A. (1956), P:356-370.

² -يوسابيوس.(1979)، 10: 9.

³ -عبد الحميد.(1974)، ص 24: 28.

- الفراغ الروحي الذي تعانيه مجتمعات الإمبراطورية الرومانية على الرغم من انتشار عقائد دينية متنوعة أهمها: عبادة الإمبراطور الروماني، عبادة مترا إله النور الفارسي الأصل، عبادة أيزيس وأوزوريس المصرية¹، عبادة يهوه اليهودية العنصرية المغلقة والمخصصة للشعب اليهودي، يضاف إلى ذلك بعض العقائد الفلسفية مثل: الرواقية²، والأبيقورية والأفلاطونية المحدث³ التي انتشرت في الأوساط الثقافية.
- كان الخوف من الموت يمتلك البشر، لكن دعوة المسيح التي بشرت ببعث الجسد حياً مرة أخرى، ودعت إلى الإيمان بعودته يوم القيامة، كل هذا بعث في نفوس المؤمنين أملاً بالعودة إلى الحياة ثانية، مما حبّب إليهم الموت، وجعله أمراً مألوفاً لديهم⁴.
- ساعد اتساع الإمبراطورية الرومانية، وخضوعها لسلطة مركزية في روما، على انتقال المبشرين بأمان بين المدن والولايات الرومانية، أيضاً ساعدت وحدة اللغة في الإمبراطورية الرومانية؛ اللغة اليونانية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية، واللغة اللاتينية في القسم الغربي، على انتقال التعاليم المسيحية بسهولة إلى مختلف أرجاء الإمبراطورية؛ حيث وجد مبشرون يتقنون هذه اللغات أو بعضها⁵.

¹ - أوزوريس هو إله الموتى عند المصريين القدماء، تعدّ مدينة أبيدوس أهم مركز لعبادته، وكانت مدينة "يوزيريس" في الجنوب الغربي من مدينة "سمتو" في الدلتا أولى المناطق عبادته. بينما أيزيس هي أخت وزوجة الإله أوزوريس وأم الإله حورس التي حمته من أخطار كثيرة، وتعدّ الإلهة أيزيس إلهة السحر والموت، انتشرت عبادتها في أوروبا منذ العصرين اليوناني والروماني.

انظر: لوركر، مانفرد. (2000)، **معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة**، تر صلاح الدين رمضان، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص 63-64.

² - يعدّ زينون الكتيومي Zeno of Citium مؤسس المذهب الرواقي، وهو فيلسوف يوناني من أصل فينيقي، ويسمى أيضاً زينون الرواقي، وُلِدَ بمدينة أكتيوم في قبرص، تمكن من إنشاء مدرسة في رواق كان فيما سلف محل اجتماع الشعراء فدّعي وأصحابه بالرواقيين. عاصر زينون أبيقور مؤسس الفلسفة الأبيقورية، وعارض فلسفته عن اللذة التي دعا إليها، ونادى بالفضيلة بوصفها الخير الأوجَد، وقانون الطبيعة أو اللوغوس بوصفه القوة الفعالة في الكون. تقول الرواقية: إنّ الله خلق كل شيء وهو منبثق في هذا الكون، وهذه الفلسفة اتسمت بحب الجدال. انظر: إميل، برهيه. (1982). **الفلسفة الهلنستية**، تر جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة، ص 122.

³ - أمونيوس ساكاس هو مؤسس المذهب الأفلاطوني المحدث في الإسكندرية في القرن الثالث الميلادي، ولقب بساكاس أي الحمال؛ لأنه عمل حملاً ثم علم نفسه بنفسه، وكان أبواه مسيحيين لكنّه تحول إلى الوثنية الإغريقية القديمة، كان أمونيوس أستاذاً للحياة الروحية وعلم فن تطهير النفس وطريقة الاتحاد باللاهوتية. انظر: ديورانت، ول. (1973)، م 3، ص 300.

⁴ - جنيبير. (د-ت)، ص 113، 128.

⁵ - ميغوليفسكي. (2009)، ص 463.

بعد الاعتراف بالديانة المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية، كان على الكنيسة أن تطرح بإلحاح السؤال المتعلق بمعرفة ما كان بالضبط لقيصر وما كان بالضبط لله؟ إنَّ التحديد الدقيق للدائرتين المتتاليتين: دائرة المجتمع السياسي (الإمبراطورية الرومانية) وريثة الملكيات الهلنستية والمدنية القديمة، ودائرة المجتمع الديني ذي النزعة الكلية باليونانية **Catholicos** المزود بتقاليده، وقوانينه الخاصة، وتنظيمه الداخلي الخاص، سيكون أمراً صعباً وحتمياً¹.

والواقع فإنَّ الكنيسة بالرغم من عرفانها بالجميل لأول إمبراطور انحاز إليها، كان عليها أن تأخذ حذرهما من أنَّه لن يرغب بشكل خفي بالتعدي على الميدان الكنسي لقد كان هذا بالنسبة لها الهم الأول، أمَّا فيما يتعلق بالهم الثاني للكنيسة، فيتجلى في رغبتها بالثبوت من أنَّ الإمبراطور باعتباره مسيحياً وابناً خاضعاً للكنيسة سيخضع بالضبط مثل آخر رعاياها للقضاء الكنسي في المواد الاخلاقية والروحية، أمَّا فيما يخص همها الثالث في وجه نمو الهرطقة فسيكون واجب الإمبراطور في الحفاظ ضمن أقاليمه بطريقة أو بآخرى على نقاء مذهب السيد المسيح، وأخيراً فإن الاهتمام الأخير يكمن في أنَّ الكنيسة عليها أن تتخذ موقفاً من مسألة معرفة أي سلطة من بين السلطتين الروحية أو الزمنية هي من حيث الماهية أعلى من الأخرى². يمكن أن يستخلص احتمالاً كلَّ النتائج من ذلك كم من نقطة خلاف ممكنة؟ كم من مناسبات أو حجج للتطرف أو لعدم التسامح في سلوك هذه السلطة أو تلك؟ بحثاً عن توازن هش ومهدد دائماً لكنَّه حيوي لخير السكان في الإمبراطورية.

¹ - شوفالييه. (2006). ص 148.

² Parker. A. (1956), p. 472.

ثالثاً- ماهية الرهبنة :

حين اعتلى قسطنطين الكبير (306-337 م) عرش الإمبراطورية الرومانية أظهر تعاطفاً شديداً تجاه المسيحيين وغير موقف السلطة الرومانية تجاه هؤلاء، فبعد أن كانت تنظر إليهم على أنهم مارقون، وتتفر منهم وتقاومهم أينما وجدوا وتألّب الشعب الروماني عليهم أينما تقفوا. أصبحت تبدي لهم عطفاً، وتصدر قرارات التسامح الديني وتحرص على ولائهم والتقرب إليهم. اعترف قسطنطين لأول مرة بالديانة المسيحية في ميلانو عام (313م) لذلك بدأ نفوذ هذه الديانة يزداد تدريجياً¹. وفي وسط هذه الظروف نشأت حركة دينية كانت أول أمرها مستقلة عن الكنيسة، ولكنها ما لبثت أن أصبحت جزءاً أساسياً من النظام الكنسي المسيحي، وهي حركة الرهبنة والديرية. فالرهبنة أسلوب من الأساليب التي استخدمها بعض المسيحيين في التعبير عن إيمانهم بالمسيحية.

الرهبنة كلمة تقابل الكلمة اليونانية الأصل (Monasticism) التي تعني المؤسسة التي تقيم وتنظم الظروف النسيكية والاجتماعية للحياة المشتركة أو الحياة الوحدة التأملية، وأخذت منها كلمة Monastery الدير بمعنى محل التوحد، وفي القرن الرابع الميلادي صارت تعني الإنسان الذي يحيا حياة رهبانية حتى لو كان يحيا مع آخرين، وذلك لأنّ الرّاهب يتوحد وينقطع للعبادة². أما كلمة راهب فتقابلها كلمة Monachos والتي تعني وحيداً أو متوحد، منها انتقلت إلى اللغة اللاتينية Monachus، والكلمة الإنكليزية Monk³ والفرنسية Molne. أما في اللغة العربية فالرهبنة أصلها من الرّهبة أي الخوف، ويقال: رهب، يرهّب، رهبة أي خاف، والرهبانية منسوبة إلى الرهبنة بزيادة الألف، وحول هذه الكلمة يورد المؤرخ ابن الأثير: هي من رهبنة النصارى، وقال: أصلها الرهبنة أي الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي عن أشغال الدنيا، وترك ملاذها والرّهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعتمد مشاقها، حتى منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلاسل في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب، فمدلول الكلمة يعني الخوف والرّهبة،

¹ -يوسابيوس.(1979)، 10: 2-6

² - جورج، اثناسيوس فهمي.(2015)، التربية عند آباء البرية، آباء الكنيسة كمربين، ط 2، دار إكنوس، ص 19.

³ - Cambridge Dictionary English,p.211.

وهي أطلقت على الرَّهْبَنَةِ المسيحية، ويقصد بها عيشة انعزالية في خلوة تامة تاركاً أشغال الدنيا وزاهد فيها¹، فالرَّهْبَنَةُ عند المسيحيين لا تخرج عن المعاني السابقة غير أنهم أضافوا أنَّ المقصود من التعذيب الذي يقوم به الرَّاهِبُ العبادة والطاعة. أول استخدام لكلمة موناخوس بمعنى راهب كان في حياة القديس أنطونيوس بقلم أثناسيوس الرسولي² Athanasius (298-373م) رئيس أساقفة الإسكندرية، الذي يستخدم كلمة دير Monastery، رغم أنَّه في سيرة القديس أنطونيوس Anthony يجب أن تفهم بالمعنى اللغوي الضيق أي قلاية المتوحد، وليس مسكن لجماعة من الرُّهبان كما صارت فيما بعد³، وأيضاً كلمة راهب ودير تقرأ في كتاب الأقوال Apophthegmata وفي كتابات بالاديوس Palladius⁴، والقديس باسيليوس الكبير⁵ St. Basileus (330-379م)، وتسمى حياة الراهب أو الراهبة باسم الحياة الرهبانية⁶ ففي اللغة السريانية (في سورية) تسمى الرَّهْبَنَةُ ديرويو وتسمى الراهب ديرويو نسبة إلى الدير⁷.

1 - ابن منظور. (د-ت)، لسان العرب، مج 5، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ط ٤، مادة (رهب).

2- أثناسيوس الرسولي (328-373م) وُلِدَ في الإسكندرية حوالي سنة (298م) وقد صار رئيساً لأساقفة الإسكندرية في عام (328م)، لكنه نفي خمس مرات عن إرثيته، لأجل تمسكه بإيمان مجمع نيقية عام (325م) وقد ترك عدة مؤلفات ذكرها المؤرخ هيرونيمس منها: ضد الوثنيين، وآخر ضد فالنس، ثالث في البتولية، ومجموعة كتابات في اضطهادات الأريوسيين، وكتاب بعنوان المزامير، وسيرة حياة القديس أنطونيوس، ورسائل في غاية الروعة. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 103-104.

3 - أثناسيوس. (2012)، ص 115.

4 - وُلِدَ بلاديوس في غلاطية سنة (363م) وتلقى تعليماً عالياً، انجذب بلاديوس إلى حياة الرَّهْبَنَةِ ودخل إلى الحياة الدَّيْرَةِ في جبل الزيتون بأورشليم ليتلمذ على يد إينوسنت، فيما بعد توجه إلى مصر وزار منطقة نتريا والقلاي بوادي النطرون، وعاش كصديق للقديس مكاريوس الإسكندري، ولكنه بفكره كان أقرب للقديس أوغريس البنطي، وكان تلميذاً له تجمعهما محبة فكر أوريجانوس الإسكندري من جهة الاتجاه العقلي التأملي عوض عن الحياة الرهبانية البسيطة، أقاما أشبه بمدرسة رهبانية داخل الحياة الرهبانية المصرية ضمت أنصار الفكر الأوريجاني الأمر الذي سبب شراً وانقساماً في رهبنة نتريا على وجه الخصوص. يعدُّ القديس بلاديوس من أهم مؤرخي الرَّهْبَنَةِ المسيحية له كتاب التاريخ اللوزياكي Lausiaca History يصف فيه الحياة الرهبانية في مصر وسورية وآسيا الصغرى، ويعدُّ من أهم مصادر تاريخ الرَّهْبَنَةِ الأولى. انظر:

Quasten, Johannes (1986), *Partrology*, Vol 3, pp. 176-179

5- ولد القديس باسيليوس الكبير في قيصرية كبادوكيا عام (329م)، درس علم البيان والفلسفة في القسطنطينية على يد ليبيانيوس الشهير، أصبح أسقفاً على قيصرية (370-379م) ويعدُّ باسيليوس من أكثر آباء الكنيسة أثراً وإن لم يكن أكثرهم كتابة، ومنها عظات تفسيرية ورسائل وقوانين للحياة الرهبانية والنسكية، وبحثان لاهوتيان في الروح القدس، كان باسيليوس معتدل الجسم واهي الصحة، توفي ولما يبلغ الخمسين من العمر.

انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 120.

6- Palladius, *Historia Lausiaca*, P.G. 34, 1020

7 - صليبا، ثافييلوس جورج. (2013)، *الرَّهْبَنَةُ السريانية*، بيروت، ص 17.

إنَّ مفهوم الرَّهْبَنَةِ عند المؤرخ الكنسي سوزومينوس **Sozomenus** (380-450م) هي فلسفة الديانة المسيحية، ولما كانت الفلسفة تعني محبة الحكمة أي محبة المعرفة الجيدة، فمن هنا استخدمها سوزومينوس اصطلاحاً للرهبنة باعتبارها في نظره هي طريق المعرفة الحقيقية لله¹. ويرتبط بالرَّهْبَنَةُ ما يسمى بالأدْبَرِيَّة، والأدْبَرِيَّة نسبة إلى الدَّير **Monastery** ومعناها اللغوي هو مسكن الرَّاهِب أو الناسك، ومعناها الاصطلاحية هو الدَّير المسوَّر بشكله الحالي، والأدْبَرِيَّة هي اجتماع جماعات من الرُّهبان في مكان بعيد عن العمران، والانقطاع فيه للعبادة، مع تنظيم شؤونهم من حيث العبادة، وتحقيق مطالبهم الضرورية².

قال أحد الآباء في تمجيد الرهبنة: (عدم وجود الرهبنة نقص في الكنيسة لأنه لا يمكن أن نتصور عظمة المسيحية بدون وجود الراهب فيها). الرَّهْبَنَةُ بصورتها الأولى عمل من مبتكرات مصر المسيحية، ونظام مصري أصيل لم يتأثر بالحركات النسكية السابقة، فنشأت الرَّهْبَنَةُ نشأة ذاتية حيث عاش الرُّهبان منفردين في مغارات محفورة في الجبال. ويعدُّ القديس أنطونيوس هو مؤسس (النظام الرهباني) في العالم المسيحي. وعن مصر أخذت سورية الرهبنة بواسطة القديس هيلاريون أول راهب في سورية كما يقول القديس جيروم (**Hironimus** 337-420م)³.

¹ - سوزومين (1890). التاريخ الكنسي، تر عن الأصل اليوناني إلى اللغة الأنكليزية: شيبستير هارترانفت، نقلاً: NPNF, II, 1890 A D، تعريب، بولا ساويرس، القاهرة: مشروع كنوز القبطية، 1: 12

² - حبيب، رعوف. (1987)، الرهبنة والأدْبَرِيَّة في مصر، القاهرة: مكتبة المحبة، ص 22.

³ - يعتقد أنه ولد في ستريدون الواقعة اليوم على الحدود ما بين المجر وبلغارية حوالي سنة (347م)، ثم انتقل إلى روما عام (360م) لدراسة النحو والخطابة، وفي روما ما لبث أن تقبل سر المعمودية المقدسة، وبعدها انتقل للعمل موظفاً في البلاط الإمبراطوري سنة (367م). قد جذبه الحياة الرَّهْبَنَةُ التي نشرها القديس أنطاسيوس في روما، فالتحق هو وصديقه القديم روفينوس بالجماعة الأدْبَرِيَّة التي أسسها أسقف أكيليا عام (370م). ما لبث أن غادر جيروم بلاده إلى القسطنطينية حوالي عام (380-381م)، فمكث فيها ثلاثة أعوام استطاع أثناءها التعرف إلى كبار لاهوتي القرن الرابع الميلادي كغريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيصي وأخذ من معينهم الفكري. عاد جيروم إلى روما حيث عمل كاتم أسرار البابا داماسس (366-384م)، الذي أوعز إليه في تنقيح الترجمة اللاتينية الخاصة بالإنجيل، والمزامير المستخدمة في الكنيسة الغربية. غير أن وفاة البابا داماسس اضطرتته أن يعود إلى الشرق برفقة شقيقته وجماعة من النساء الأرستقراطيات؛ (بولا وبناتها بلانزلا وأوستوكيوم وباولينا وغيرهن) فتوقف في أنطاكية، ثم ذهب إلى الأراضي المقدسة، ومنها انتقل إلى الإسكندرية حيث تعرف إلى ديديموس الضرير أشهر معلميه، وبعدها رجع إلى بيت لحم حيث أمضى السنوات الباقية من عمره فيها، وهناك انصرف جيروم إلى ممارسة الحياة الوجدانية حيث أسس جيروم ديراً للرجال وأسست بولا ديراً للنساء من مالها الخاص. يشتهر جيروم بنقل قوانين ونظم حياة الشركة الباخومية المصرية إلى اللغة اللاتينية حوالي سنة (404م)، فاعتبر أنه همزة الوصل بين رهبنة الشرق ورهبنة الغرب، وقد تأثر القديس بنديكتوس بهذه القوانين والحياة الرَّهْبَنِيَّة المصرية واستفاد منها في سن قوانينه الأدْبَرِيَّة.

انظر: النعمات، رمزي. (2023)، التأثير المشرقي على الرهبنة في الغرب، مجلة دراسات تاريخية جامعة دمشق، بحث قيد النشر.

فالقديس هيلاريون أسسها في سورية حتى امتدت إلى بلاد ما بين النهرين، وعمت فيما بعد سائر الولايات الرومانية¹. وقد ترتب على انتشار الرّهْبنة في سورية بروز زعماء لهذه الحركة أمثال: القديس هزيكاس وأبيفانيوس والقديس يعقوب ويوليانس سابا وغيرهم، هؤلاء الرّهبان فاقوا رهبان مصر من حيث القداسة والشهرة والسمعة الطيبة²، وقد برزت في سورية تيارات رهبانية مهمة كالرّهْبنة المارونية السريانية والرّهْبنة العمودية³. كان لهذه الرهبنة الدور الحاسم بالتصدي لأفكار الوثنية ومعتقداتها، ونشر المسيحية والدفاع عن الإيمان القويم ومساندة الكنيسة ضد الهرطقات التي تعرضت لها خلال القرنين الرابع والسادس الميلاديين. نتيجة لذلك وصل بعض الرهبان إلى المراتب الكنسية العليا متروبوليت⁴. من ناحية أخرى ترتب على انتشار الرّهْبنة في سورية أن امتلات كافة مناطق سورية من شمالها إلى جنوبها بمئات الأديرة المتنوعة التي أضحت مراكز للفضيلة والقداسة والتعليم أسدت خدمات ومعونات للفقراء والغرباء والمحتاجين، وكانت ملاذاً لكل مخالف للسلطة الرومانية. ولا يمكننا انكار الدور العظيم الذي أدته تلك الأديرة في خدمة المجتمع السوري والكنيسة وخدمة الإنسانية من خلال حفظ تراثها الفكري والعلمي والديني . لذا أردنا أن نعرض نشأة هذه الحركة وتطورها ومبادئها وأصلها.

¹ - انظر: النص الأصلي باللغة اللاتينية في:

Jerome, **Vita Hilarionis**, P.L, 23: 29-54 P.2-3

² - سوزومين. (1890)، 1: 12

³ - أبو زيد، شفيق. (د-ت)، الحركة النسكية في المشرق نشأتها وتطورها وانتشارها، في المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ط2، (ص ص 387

- 413)، بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط، ص 385.

⁴ - متروبوليت ويعني مطران (رئيس أساقفة) في مجمع نيقية المسكوني عام (325م) سمي أصحاب الكراسي الرسولية متروبوليت، بينما لقب بطريرك ظهر هذا اللقب في مجمع خلقيدونية أول من تسمى به أسقف أنطاكية ثم انتشر لبقية أصحاب الكراسي الرسولية وسموا بطاركة، ولقب بابا ظهر في الكنيسة المصرية عام (230م) أول من تلقب بلقب بابا هو الأسقف ياروكلاس أسقف الإسكندرية الثالث عشر. وبعد قرن من الزمن تلقب به أسقف روما ولكن بابا الإسكندرية أسبق من الناحية التاريخية. للمزيد انظر: تادرس، يعقوب الحومي. (د-ت)، الفرق بين كلمة بابا وكلمة بطريرك، القاهرة.

الفصل الأول : الرّهبنة المسيحية التطور الأخير لحياة الزهد في الديانة المسيحية :

أولاً- دراسة ظاهرة الزهد والتنسك قبل ظهور الديانة المسيحية:

1- التنسك عند المصريين القدماء:

2- الزهد في بلاد الإغريق والرومان

أ- التعفّف الطقوسي في الديانة الإغريقية والرومانية :

ب- الزهد في الحركات والفلسفات الإغريقية والرومانية:

أ- الزهد في المذهب الفيثاغوروسي:

ب- الزهد الكلبي :

ج- الزهد في الفلسفة الرواقية:

د- الزهد في المدرسة الأفلاطونية المحدثة:

3- التنسك في العهد القديم

أ- طائفة الثرابيوتة (شافوا المرض) Therapeutoi

ب- الطائفة الثانية الأسينيين (المتواضعين):

ثانياً- الزهد لدى المسيحيين :

1- دابات الزهد المسيحي:

2- الزهد لدى الحركات والجماعات المسيحية في القرن الثاني والثالث الميلاديين:

أ- الماريونية:

ب- المونتانية :

ج- الانكراتية:

د- الزهد في الديانة المانوية:

هـ- الأوريجانية

ثالثاً- الرّهبنة المسيحية التطور الأخير لحياة الرّهد :

1- ظهور الرّهبنة ونشأتها

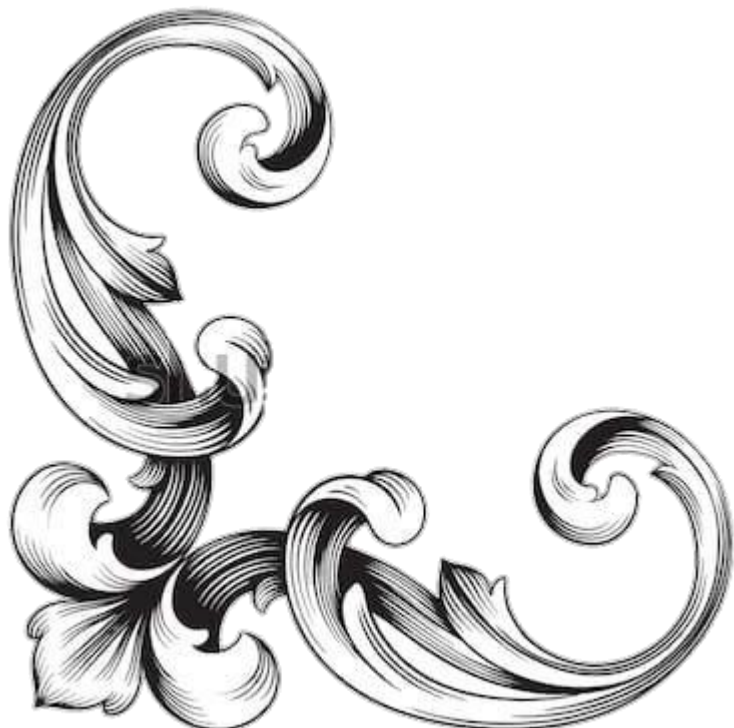
2 - أنظمة الرّهبنة وتطورها

أ- نظام العزلة الفردية

ب- الرّهبنة الجماعية

ت- الرّهبنة الديرية حياة الشركة (cenobitism)

خامساً- نتائج الفصل .



الفصل الأول : الرهبنة المسيحية التطور الأخير لحياة الزهد والتنسك

تمهيد :

لابد من التمييز في هذا الموضوع قبل كل شيء بين ثلاثة تعابير مهمة وهي الزهد **Asceticism** والتنسك

Eremitismm والرهبانية **Monasticism** .

تبنى الباحث "تيريز اش" تعريفاً واسعاً للزهد من دون الإشارة إلى التراث الفلسفي، وفقاً لهذا التعريف فإن: الزهد طريقة في الحياة تتطلب انضباطاً وقصدية في سلوكيات الجسد¹، فالزهد هو الامتناع الطوعي لأسباب دينية عن الطعام والشراب والنوم والثروة والنشاط الجنسي مثل هذا الامتناع قد يكون دورياً أو دائماً². أما النسك فهو تطور مميز في حياة الزهد إذ يكرس الناسك حياته بأكملها لله ضمن حياة البتولية ليعيش وحده مع الخالق في البرية بالصلاة والتأمل الدائمين، والحياة الرهبانية هي التطور الأخير لحياة الزهد وتعني مجموعة من الزهاد البتوليين الذين يمارسون حياة الزهد ضمن حياة جماعية مشتركة ومنظمة وهي لا تهتم فقط بالصلاة والتأمل بل تقوم أيضاً ببعض الأعمال اليومية لتأمين بعض حاجاتها المادية³. فالزهد هو جوهر الحياة الروحية لكل المجتمعات الشرقية مسيحية وغير مسيحية وهو نزعة فلسفية قامت بين عدة طوائف وجماعات مختلفة بين شعوب الشرق وممالكه منذ قرون قبل ظهور المسيحية ومنها ما ظل قائماً حتى القرون الأولى المسيحية⁴.

للزهد درجات ثلاثة: سفلى، ووسطى، وعليا، فالسفلى هي درجة الذين يزهدون عن اللذة خوفاً من العذاب العتيد، إما الوسطى فهي درجة الذين يرفضون اللذة الزمنية طمعاً في نعيم الفردوس، إما العليا فهي درجة الذين مطلبهم هو الرب الصالح وحده، لذلك يسبحون بوجوههم عما ساء، ويكون الزهد في المال والقوت والكسوة والمسكن والأثاث⁵.

¹-Shaw.T,(1998),**The Burden of The Flesh: Fasting and Sexuality in Early Christianity**, Minneapolis Fortress press, p.6

² -خين، ريتشارد.(2009)، **الزهد في العالم الإغريقي والروماني**، تر علي للو، أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ص 163-164.

³ - أبو زيد.(د-ت)، ص 385.

⁴ -البستاني، بطرس.(1876)، **دائرة معارف البستاني**، بيروت : دار المعرفة، ص 688.

⁵ -ابن العبري.(د-ت)، **الحمامة**، تر: أغناطيوس زكا الأول عيواص، طرابلس: منشورات الجامعية، ص 92-93.

أولاً-دراسة ظاهرة الزهد والتنسك قبل ظهور الديانة المسيحية :

1- التنسك عند المصريين القدماء:

تقول المؤلفة المسيحية (باتشر): من المسائل المقررة في الازدهان أنّ مبدأ الرّهنة كان موجود في مصر منذ قديم الزمان¹. ويؤكد ذلك أيضاً المؤرخ (هارولد بل): ربما كان في طباع المصريين نزوع دائماً إلى الزّهد والتّقشف مما جعلهم يميلون إلى التنسك والانصراف عن الحياة الدنيا². وفي تاريخ الديانة المصرية القديمة ما يؤكد آراء باتشر وهارولد بل، من وجود تلك المبادئ النسكية. مثال ذلك ما يفتتح به الفصل الرابع والسّتين من كتاب الموتى ما نصه: هذا الفصل سيقراه رجل نظيف طاهر، لم يأكل لحم الحيوان أو السمك، لم يخالط النساء. وفي الفصل السابع والثلاثين بعد المئة ما يشبه هذا النص³.

ونجد في طقوس الاله أوزوريس **Usiris** جرت العادة أنّ يخصص الكهنة لهذا الإله فترات مختلفة للصوم والعبادة مع الامتناع عن أكل اللحوم والسمك وشرب الخمر، وكلّ من أراد أن يردد صيغة سحرية أن يغتسل أولاً يلمس امرأة ولا يأكل الماشية أو السمك⁴. وهذه الميول النسكية تظهر بوضوح في الشروط التي وضعوها لمن يدخل المعبد، فقد كان واجباً على كلّ من يدخل المعبد أن يتطهر ويمتنع عن الاتصال بالنساء وأكل بعض الأطعمة⁵. ويورد المؤرخ (ولز) عن وجود هذه الميول لدى جماعات كانت تتعبد بالزّهد والعزلة حيث يقول: في مصر على وجه الخصوص خرجت حشود كبيرة من الرجال والنساء إلى الصحراء، وهناك عاشوا

¹ باتشر، أ. ل. (1900)، تاريخ الأمة القبطية، تر القمص مرقس داود، ط2، القاهرة، ص 274.

² هارولد، بل. (1959)، الهلينية في مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، تر زكي علي، القاهرة : دار المعارف المصرية. ص 333

³ للمزيد انظر: بدج، والس. (1988)، كتاب الموتى الفرعوني، تر فيليب عطية، القاهرة: مكتبة مدبولي. ص 30-31

⁴ إرمان، أدولف. (د.ت)، ديانة مصر القديمة، تر عبد المنعم أبو بكر، القاهرة: مكتبة الحلبي، ص 214.

⁵ سرج، سرينيون. (1995)، كهان مصر القديمة، تر زينب الكردي، القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ص 38-40.

حياء منعزلة تماماً قوامها الصلوات والتأملات، وظلوا يعيشون في فقر مدقع في الكهوف أو المغاور على الصدقات التي تأتي بالصدفة من أولئك الذين يتأثرون بقداستهم¹.

وكشفت مجموعة من أوراق البردي ترجع إلى العصر البطلمي عن وجود جماعات نسكية حول معبد السرابيوم Serapeiom في ممفيس (Memphis)². ومن خلال دراسة هذه الوثائق تبين أنَّ أفراد من العامة بناءً على انفعال ديني ينذرون للإله نسكاً وعبادة، متوحدين بداخل معبد السرابيوم منقطعين عن حياة المجتمع في شتى مظاهره، من أجل خدمة الإله سرابيس Serapeis³؛ وهذا الانقطاع عن حياة المجتمع ذا صبغة دينية؛ إذ تصور أولئك الأفراد أنَّ الإله ناداهم لتأدية فروض عبادته وخدمته، وربما ذهبوا من تلقاء أنفسهم تكفيراً عن خطاياهم، فمنهم من بقي طوال حياته متنسكاً، ومنهم من كان تتسكه لفترة معينة يعود بعدها إلى حياته العادية⁴.

وأيضاً ظهرت حركة نسكية أخرى بين طبقة الكهنة في مدينة هيلوبوليس Heliopolis في القرن الأول قبل الميلاد حيث أنَّ الكهنة كانوا ينقطعون عن جميع أعمال المعبد المختلفة، من أجل التعبد والتأمل والمبالغة في العبادة والصلاة وممارسة الزهد والتقشف⁵. ويتحتم على التَّسَاك المصريين القدماء أن يغسلوا أجسادهم ثلاث مرات يومياً في الصباح والظهر والمساء، ولا يأكلون اللحم مطلقاً، وينكبون على الصلاة والعبادة والتأمل ودراسة العلوم والمعارف⁶.

¹ ولز، أ. (1972)، معالم تاريخ الإنسانية، تر عبد العزيز جاويد، ط3، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر. ص731.

² -هي مدينة منف (ممفيس تسمية ترجع للإغريق) من أقدم عواصم الدنيا، أسسها الملك مينا واتخذها عاصمة للدولة المصرية القديمة، تقع في محافظة الجيزة في مصر وسميت بالعديد من الأسماء منها نوت أي (المدينة) و نوت نح أي (المدينة الأبدية) عنخ توي أي (حياة الأرضين) و مخاة نوي أي (ميزان الأرض) انظر أديب ، سمير . موسوعة الحضارة المصرية ، القاهرة : العربي، ص 776 .

³ -سرابيس هو الإله الرئيسي في مملكة البطالمة، وهي التسمية التي أطلقها الإغريق على الإله المصري أوزيريس.

⁴ العبادي.(1985)، مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ص 233.

⁵ العبادي.(1985)، ص 234.

⁶ باتشر.(1900)، ص 274 -275.

والملاحظ أنّ حركة التّنسك في هيلوبوليس تختلف عن نسّاك سربيس في مدينة منف وذلك أنّها كانت بين الكهنة فقط، أما نسّاك سربيس كانوا من عامة الناس. وهكذا يتبين أن الميول النسكية كانت موجودة لدى بعض الجماعات في مصر، وهذه الميول واضحة المعالم من خلال المبادئ المصرية المشتملة على بعض الآداب والفضائل والحكم العديدة والتّكشف في الحياة والزّهد فيها، وهذا يؤكّد أن التّنسك والرّهبة الدينية كانت منتشرة في مصر قبل ظهور المسيحية وأنّ لها أصولاً في البيئة المصرية قبل المسيحية. ويمكن التّخمين أنّ الحياة النّسكية في الديانة المصرية القديمة أثّرت في الرّهبة المسيحية من غير أنّ تكون أصلاً من أصولها، لأنّ النّسّاك الأقدمين لم يفضلوا البتولية، كما أنّ الحماس الديني لم يتوفر لديهم بالقدر الذي توفر للرّهبان المسيحيين الأوائل.

2- الزّهد في بلاد الاغريق والرومان

أ - التّعفّف الطقوسي في الديانة الإغريقية والرومانية :

إنّ الميول تجاه التّنسك والزّهد كانت واضحة المعالم في الديانة اليونانية والرومانية حيث تتميز الكثير من الأضرحة أو الأماكن المقدسة في بلاد اليونان وروما باحتوائها على أحواض تطهيرية عند مدخلها، مما يسمح للداخل إليها بالاغتسال وبالتالي ضمان الطهارة الطقوسية وقد يتطلب التطهير الطقوسي القيام ببعض الممارسات النّسكية كالامتناع عن الجنس فترة معينة قبل دخول الأضرحة والمزارات، الجماع الجنسي مثله مثل الموت والولادة يجعل الشخص غير طاهر كان لا بدّ من هذا التطهير الطقوسي الذي يتطلب فترات من الصوم والامتناع عن الجنس قبل دخول المزارات والأضرحة¹. هناك نقش وضع في معبد الآلهة أثينا² في

¹ - Burkett. W. (1985), **Greek Religion**, Archaic and classical, Oxford: Blackwell. p. 77.

² - أثينا Athena ربة الحكمة والمعرفة وتعتبر أثينا الوحيدة بين الأولمبيين التي لا والدة لها، حيث انبثقت من رأس زيوس وكانت تدعى Parthenos أي العذراء وهي معلمة الحرف النسوية كالغزل والنسيج. انظر: الياذ، مرسيا. (1986)، **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، تر عبد الهادي عباس، دمشق، ص 345.

مدينة برجاموم Pergamum¹ بعد سنه (133 ق.م) (يجب على جميع المواطنين والأشخاص الآخرين الذين يدخلون معبد الآلهة أن يكونوا طاهرين بالاغتسال بعد معاشره أزواجهم قبل يوم واحد على الأقل وقبل يومين على الأقل بعد معاشره غير أزواجهم، وفي حالة ملامسة جثة ما أو امرأة بحالة المحاض يجب الاغتسال والتطهر قبل يومين على الأقل)².

ويلاحظ أنَّ الصوم ليس له أي دور في عملية تحضير الكهنة لأداء القرابين أو غيرها من الممارسات الشعائرية في عبادات المدينة اللاتينية والإغريقية. ويجب على الكهنة والكاهنات الذين يتهيؤون لأداء القرابين أو غيرها من الطقوس الامتناع المؤقت عن تناول بعض الأطعمة وكذلك الامتناع عن الجنس. لم تأكل كاهنات الإلهة ديمتر Demeter³ لحم الحيوانات التي تذبح بطريقة غير معروفة، وكذلك امتنع الكهنة والكاهنات عن الأكل من القرابين التي تقدم في طقوس عبادة إلهة العالم السفلي.

إما عبادات الشرق من قبيل عبادة سبيلي Cybele فقد كان التطهير الطقوسي يتطلب الامتناع عن أكل لحم الخنزير. ولا يلاحظ التخلي المطلق والدائم عن العلاقات الجنسية من قبل الكهنة أو الكاهنات في طقوس العبادة الإغريقية، ففي مدينة هيليوبوليس Heliopolis (بعلبك) كان على الرجال الذين يحملون نصب الإله جوبيتير أن يحلقوا رؤوسهم قبل ذلك ويمتنعوا عن الجنس لفترة غير معلومة. كان الامتناع المؤقت بمثابة تقرب إلى الإله ليس من قبل الكهنة فحسب ولكن أيضاً من قبل الحجاج. الذي يلتمس الشفاء في أحد معابد

¹ - هي مدينة قديمة تقع بالقرب من ازمير في تركيا، تبعد 26 كم عن بحر إيجه وتقع على جرف بحري يقع في الجزء الشمالي من نهر كايكوس، وقد أصبحت عاصمة مملكة بيرغامون خلال الفترة الهلنستية تحت حكم الأسرة الأتالية ما بين عامي (281 - 133 ق.م).

للمزيد انظر: سترابون. الجغرافية، الكتاب الثالث عشر، الفصل الرابع.

² - Price. (1999), **Religion of The Ancient Greeks**, Cambridge university Press. p. 176.

³ - ديمتر هي إلهة الحصاد والنبات والفلاحة عند الإغريق ونظيرتها الرومانية هي سيرس Ceres، وتعد من الآلهة الكبار لأنها أخت زيوس وتأتي في المرتبة الرابعة بين الآلهة عند الإغريق. انظر: هلال، هيثم. (2004)، **أساطير العالم**، بيروت: دار المعرفة، ص 117.

الإله أسكليبيوس¹ Asklepios إله الطب عند الاغريق، كان عليه الامتناع لمدة أيام عن الجنس وعن تناول أصناف معينة من الطعام. ففي مدينة برجاموم Pergamum على سبيل المثال كان على المريض الذي يظل وقتاً وهو نائم في المعبد آملاً بأن يرى رؤية شفاء من الإله أن يتقيد بقواعد معينة من التطهر بالامتناع عن الجنس وأكل لحم الماعز والجبن، وكذلك تظهر هذه الممارسات النَّسكية عند الشخص الذي كان يسعى للحصول على نبوءة ما، من خلال الصوم عن جميع أصناف الطعام ليوم واحد، وعن شرب الخمر لثلاثة أيام². يمتنع اتباع الإلهة أتارجاتيس Atargatis وفي مدينة ديلوس Delos عن تناول السمك عدة أيام قبل المشاركة في الولائم المقدسة. واشتملت الاحتفالات التي تقام على شرف الأم العظمى سيبيلي على فترة صوم لتسعة أيام عن الخبز ومنتجات الحبوب الأخرى والرمان والسفرجل ولحم الخنزير والاسماك والنبذ . ويورد المؤرخ الروماني ليفيوس Livius (59 ق.م-17م) في تاريخه عن طقوس الباخوسية السرية في مدينة روما، أنَّ الانضمام إلى هذه العبادات يتطلب القيام ببعض الممارسات الرَّهْدية، كالامتناع المؤقت عن ممارسة الجنس لمدة عشرة أيام وممارسة نوع من الصوم ينتهي في الظاهر بتناول وجبة في اليوم العاشر .

ومن ممارسات الطقوس التعفّفية (الامتناع الكلي عن الجنس) الذي قامت به عذارى الإلهة فيستا³ Vestal Virgins في روما، حيث كان البند الأساسي لحياتهن ينص بوضوح على وجوب حفظ طبيعتهن البتولية مدى الحياة! وقد عاشت عذارى فستا حياة جماعية في بناء مقفل خاص بهن بجانب معبد الإلهة فستا في روما⁴. وهنَّ عبارة عن ستة من النسوة يتم اختيارهن من طبقة نبلاء روما في طفولتهن، وإنَّهن كن الكاهنات

¹ - هو إله الطب، هو ابن الإله أبولو، لم يكن أسكليبيوس يقوم فقط بشفاء الأمراض بل يحيي الموتى أيضاً، بهذا أغضب هاديس حاكم عالم الأموات وأيضاً زيوس؛ لأنه أخل بالتوازن والقانون الذي سنه على الأرض، فقتله زيوس بصاعقة، ولكن ظل الناس يتعبدون لابن أبولو باعتباره الإله الشافي ومن أهم رموزه الأفعى المرافقة له. انظر: إمام، عبد الفتاح إمام، (1995)، معجم الأساطير، القاهرة: مكتبة مدبولي، ص 125.

² - رينشارد. (2012)، ص 30-33 .

³ - إلهة رومانية هي إلهة الموقد والبيت والعائلة. انظر: ميغوليفسكي. (2009)، ص 56.

⁴ - Livy: Histories xxxix: R. Turcan, the gods of ancient roma, religion in everyday life from archaic to imperial times. tr. a. nevill (Edinburgh university press). pp.9-10.

الوحيديّات في طقوس العبادة الرومانيّة القديمة، ومهمتهن رعاية الشعلة في موقدها المقدس، وحرسن قضيباً يرمز لخصوبة الأمة وقد قَمَنَ بمهام قربانية في طقوس العبادات الرسميّة. وعلى الرغم من عزوبتهن فإنّهن ارتدين ملابس ملائمة لربات البيوت الرومانيّات وفي حال فقدان العذريّة كانت العقوبة تتطوي على دفنهن أحياء، والسبب في ذلك للحفاظ على نقائهن الطقوسي بمثابة ضمان لبقاء المدينة تحت حماية الإله¹. إن التعف والتطهير الطقوسي الذي مورس في الديانة اليونانيّة والرومانيّة القديمة، تطور ليصبح ممارسات زهديّة في الحركات والمدارس الفلسفيّة الإغريقيّة والرومانيّة.

ب-الزهد في الحركات والفلسفات الإغريقيّة والرومانيّة:

❖ الزهد في المذهب الفيثاغوروسي:

فيثاغوروس **Phthagoras** فيلسوف يوناني ولد في ساموس حوالي عام (580 ق.م)، زار مصر ودرس مع الكهنة وتعلم الكثير من علم الفلك والهندسة النظريّة، كان لعلاقة فيثاغوروس بالطائفة الكهنوتيّة المصريّة عليه أعظم تأثير، لا بالحكمة النظريّة التي جناها هناك بل بالفكرة التي كونها لنفسه هناك عن تطبيق الضمير وعن التحقق الفعلي للوجود الأخلاقي للإنسان. لقد أسس فيثاغوروس مدرسة الفلسفة التي تعرف بالمدرسة الإيطاليّة القديمة التي مارست تأثيراً مرموقاً على المدارس الفلسفيّة اللاحقة، وبخاصة المدرسة الأفلاطونيّة القديمة والمحدثّة². تمكن فيثاغوروس من تأسيس مدرسة وبلغ عدد طلابه من الرجال والنساء مئتين في زمن قصير، وقال بمبدأ تكافؤ الفرص للذكور والإناث على السواء قبل أن ينادي بذلك أفلاطون بمائتي عام، ولم يناد به فحسب بل نفذه عملياً³.

وقد وضع فيثاغوروس لطلابه قواعد عامّة تكاد تحول مدرسته إلى دير للرهبان والرّاهبات، ومن هذه القواعد :

¹ -Turcan. R. (1996), **The Cults Of The Roman Empire**, (Tr. A. Nevill), Oxford: Black Well, P.56.

² - محمود، زكي نجيب، أمين، أحمد. (2017)، **قصة الفلسفة اليونانيّة**، أبوظبي: مؤسسة هنداوي للنشر والترجمة والتوزيع، ص 28.

³ -غالب، مصطفى. (1981)، **فيثاغورس**، بيروت: مكتبة دار الهلال، ص 18

- يقسمون يمين الولاء للأستاذ ولبعضهم بعضاً عند الانضمام لهذه الجماعة، والاشتراك على قدم المساواة في جميع مطالب الحياة ما داموا يعيشون في هذه الجماعة الفيثاغورية .
 - كان اللحم والسمك والبقول محرمة عليهم أما الخمر فلم تكن محرمة ولكن كان يوصيهم بشرب الماء ربما كان تحريم اللحم يعود لسبب ديني ذي صلة بعقيدة تقمص الأرواح.
 - يحرم على أفراد هذه الجماعة أن يقتلوا أي حيوان ولا يؤذى أي إنسان أو يتلفوا شجرة مزروعة.
 - كان يطلب منهم أن يلبسوا الثياب البسيطة وأن يطرحوا الكبرياء ولم يكن يباح لهم أن يقسموا بالآلهة لأنَّ من الواجب على كل إنسان أن يعيش عيشة تجعله خليفاً بأن يصدق الناس دون أن يلجأ إلى القسم .
 - كان محرماً عليهم أن يقدموا الضحايا قرباناً، وكان في وسعهم أن يتعبدوا أمام المذابح التي لم تلوثها الدماء. وكان عليهم أن يسألوا أنفسهم في آخر كل يوم عما ارتكبه من الذنوب وعما أهملوه من الواجبات وعما فعلوه من الخير. والراجح أنَّه كان يباح للطلاب أن يخرجوا عن حرفية هذه القواعد من حين إلى حين¹ .
- يتطلب الانضمام إلى المجتمع الفيثاغوري فضلاً عن تطهير الجسم بالعفة وكبح الشهوات تطهير العقل بدراسة العلم والالتزام بالصمت الفيثاغوري لمدة خمس سنوات؛ ولعل المقصود بالصمت هو الطاعة أي أن يتقبل الأوامر من غير سؤال أو مناقشة قبل أن يعترف به عضواً كاملاً في الجماعة؛ وقبل أن يسمح له بأن يرى فيثاغورس أي أن يدرس عليه. وتنفيذاً لهذا النظام ينقسم الطلاب إلى قسمين طلاب خارجيين و طلاب

¹ - ديورانت، ول. (1978)، قصة الحضارة، مجلد 3، تر محمد بدران، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج3، ص 296.

داخليين، وكان الداخليون هم الذين يحق لهم أن يعرفوا الحكمة السرية للمعلم نفسه، وكان منهج الدراسة يتألف من أربعة موضوعات : الهندسة النظرية، الحساب، الفلك، الموسيقى¹.

بعد انهيار الفيثاغوروسية بوصفها حركة سياسية في المدن اليونانية وفي جنوب إيطاليا، هذا التطور الذي سمح للفيثاغوروسيين الناجين أن يؤسسوا عوضاً عن ذلك ثقافة زهدية النزعة . الأشعار الذهبية وهي نص تعليمي ينسب إلى الحركة الفيثاغوروسية ما بين (350 - 300 ق.م)، يظهر فيه تشديد على الممارسات الزَّهْدِيَّة منها: أنَّ يضبط المرء غضبه وشهيته للطعام والنوم والجنس، وتغض القراء علاوة على ذلك ألا ينامو قبل أن يتفحصوا بعناية سلوكهم خلال النهار².

ويمكن أنَّ نخمن وجود تقليد زهدي فيثاغوري مميز استمر ممارسته على امتداد الحقبة الهلينية.

❖ الزهد الكليبي :

يعتبر أنيستين **Antisthenes Of Athens** (424 - 365 ق.م) تلميذ سقراط، وهو من تراقيا ويقيم في أثينا مؤسس هذه المدرسة الكليبية التي ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد. يرى أنيستين أنَّ الشخص الحكيم هو الذي ينظر باحتقار لكلِّ الرغبات المألوفة في الحياة غير عابئ بالثروة والجاه. يؤكد أنَّ السعادة الدائمة أمر غير ممكن مادام للشخص حاجات ورغبات لا يستطيع إشباعها؛ وهو أيضاً مقيد بالتزامات نحو المجتمع أو الدولة أو الأسرة؛ لأنَّ هذه الأشياء تولد رغبات لا يمكن إشباعها³.

ويعتبر ديوجينوس السينوبي **Diogenes** (400-323 ق.م) الذي ولد في سينوب **Sinope** بأسيا الصغرى الواقعة على سواحل البحر الأسود، من أهم أقطاب المدرسة الكليبية، مع ديوجين ظهر تعبير كليبي (**Cynique**) أي ذلك الذي يعيش مثل الكلب. وكان الكلب شعار الجماعة التي أسسها ديوجين كان من أهم

¹ - ديورانت، (1978)، ج 3، ص 297.

² - Turcan. (1996), p.56.

³ - علي، حمادة أحمد، (2012)، الفكر الهلنستي مذاهب وشخصيات، القاهرة: دار المعرفة، ص 32-33.

صفاته مستقل الرأي لاذع الحكم مزدياً الثروة، والمراتب الاجتماعية طالباً لحياة طبيعية متقشفة حافي القدمين لا يضع عليه سوى معطف، وقد اختار مقاماً له في برميل، رأى يوماً طفلاً يشرب من راحة يده فكسر قصعته وقال: (هذا الولد يعلمني بأنّي ما زلت احتفظ بما يفيض عن حاجتي).

ويظهر الزّهد والتّمسك بأسلوب حياة ديوجينوس ومن المعروف أنّه عاش في حوض استحمام في اثينا وسكن أروقة المعابد وكان ينام في أماكن غير مريحة ويعيش على خبز الشعير والخضراوات¹.

ويشجب ديوجينوس الزواج بأنّه مؤسسة غير طبيعية ولكن من دون أن يدرج الامتناع عن الجنس كعنصر أساسي في أسلوب حياتهم الزّهدية يقول: (إنّ الشخص غير الحساس للعاطفة الذي يعد ممتلكاته الخاصة كافية لتحمل بصبر يرفض أن يتزوج وينجب الأطفال). وفي مقابلة بين ديوجينوس وسيروموس الفائز في الألعاب الأولمبية يحض فيها الملاك إلى الزّهد الكلي والسعي وراء ما هو شريف حقاً. (أن يصمد أمام الضربات، لا ضربات الرجال التافهة، بل ضربات الروح، وليس من خلال جلد السياط أو اللكمات، لكن من خلال الفقر والسمعة السيئة والأصل الوضع والمنفى، عندما تتمكن من احتقار هذه الأشياء تعيش سعيداً وتموت بطريقة محتملة)². وهناك رسالة من كراتس تلميذ ديوجينوس نصح فيها الأغنياء بالسعي وراء السلام التام الذي كان يتمتع به الكليون (حيث حررنا ديوجينوس من كلّ الشرور، وعلى الرغم من أنّنا لا نملك أي شيء، فنحن نملك كلّ شيء، ولكن بالرغم من أنّ لدينا كلّ شيء فإنّكم لا تملكون في الواقع شيئاً، بسبب التنافس بينكم والغيرة والخوف)³.

مما تقدم يمكن أن نجل أهم المبادئ النّسكية في الفلسفة الكلبية بما يلي:

■ الدعوة إلى الفقر.

¹ - زكي، محمود نجيب، أمين، أحمد. (2017)، ص 132.

² - ريتشارد. (2012)، ص 43.

³ - ريتشارد. (2012)، ص 37-38.

- الاعتدال فيما يتعلق بالمتعة الجسدية وغيرها.
- العزلة.

❖ الزهد في الفلسفة الرواقية:

زينون الكتيومي **Zeno Of Citium** (336-264 ق.م) فيلسوف يوناني من أصل فينيقي، ويسمى أيضاً زينون الرواقي لأنه مؤسس الرواقية، ولد بمدينة أكتيوم في قبرص وكان أبوه تاجراً يؤم أثينا ويشترى الكتب الفيلسوف سقراط ليقرأها أبنه. قدم زينون إلى أثينا سنة (312 ق.م) ودرس فيها على يد ثيوفراستوس **Theophrastus** وكرتيس **Crates** تلميذا ديوجينوس الكلبي واستيلبون الميغاري **Stilpon** وخلفاء افلاطون في رئاسة الأكاديمية، ثم أنشأ زينون مدرسة في رواق كان فيما سلف محل اجتماع الشعراء فدعي وأصحابه بالرواقيين. عاصر زينون أبيقور وعارض فلسفته عن اللذة التي دعا إليها، ونادى بالفضيلة بوصفها الخير الأوحد، وقانون الطبيعة أو اللوغوس بوصفه القوة الفعالة في الكون، وأخذ عن الميغاريين حب الجدل الذي اتسمت فيه الرواقية¹.

تظهر الممارسات الزهدية بشكل واضح باعتمادهم على الطعام النقي لا المطبوخ وابتاعهم نظاماً غذائياً يتكون من الخبز والماء، والدعوة إلى تحمل البرد والحر والعطش والجوع والحصى القليلة من الطعام والأسرة الصلبة وتجنب الملذات. هذه الممارسات عند الرواقيين لا تقوي الجسد فقط ولكنها تقوي الروح أيضاً، والسبب في ذلك لأنها تدرب على الشجاعة والصبر على الشدائد وعلى ضبط النفس بالامتناع عن الملذات، وشكل ممارسة هذا النوع من الزهد جزءاً من تعليم الفضيلة عند الرواقيين².

¹ - إميل ، برهيه. (1982) ، الفلسفة الهلنستية، تر جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة، ص 122.

² - ريتشارد. (2012)، ص 48، 51.

نهل الرواقيون من النماذج الكلبية وأعادوا رسمها في تحديد مُثُل زهدهم المعتدل الذي لم يرتكز على وضع حال المتسول الذي جلب فقره المذمة، ومنحه وضعية الغريب على البيت والمدينة اليونانيين، لكنّه كان في ذلك شخصية عامة في إطار المدينة، ولم يكن هذا النوع من الزهد مرتبطاً بأيّ تعفف طقوسي أو طهارة أو دين فهو لا يتطلب الامتناع عن الجنس، ولا يشدد على أهمية الانضباط الجنسي، ولكنّه قلل من قيمة الزواج. ولكنّ الزّهد والتّنسك عند الرواقي يعتمد على ضبط الشهوة في إطار الحدود الاصطلاحية، أفاد ذلك في تدريب الفرد على الانفصال عن أي شيءٍ غير صالح بشكل واضح، لذا حظي الانضباط الجنسي بالتقدير في إطار الزواج والانجاب¹.

وهكذا نجد أنّ الزهد الرواقي يعتمد على التقشف ولا سيما في مضمار الأكل والشرب حيث يفضلون الأكل غير المكلف، وعلى الاعتدال وضبط النفس بالامتناع عن الملذات وحصر الزواج بالإنجاب فقط.

❖ الزهد في المدرسة الأفلاطونية المحدثّة:

أسس هذا المذهب أحد معلمي الفلسفة في الاسكندرية في القرن الثالث الميلادي وهو أمونيوس ساكاس **Ammonius Saccas** (175 - 250 م)، لقب بساكاس أي الحمال لأنّه عمل حملاً ثم علم نفسه بنفسه وكان أبواه مسيحيين لكنّه تحول إلى الوثنية الإغريقية القديمة. وكان من تلامذته أفلوطين ولونجينوس، يعد أمونيوس أستاذاً للحياة الروحية وعلم فن تطهير النفس وطريقة الاتحاد بالألوهية². وقد حمل هذا المذهب اسم تلميذ أمونيوس وهو أفلوطين **Plotinus** المولود في مدينة أسيوط (204 - 270 م)، الذي درس الفلسفة في الاسكندرية ولم يلبث أفلوطين أنّ غادر الإسكندرية إلى بلاد فارس ثم سافر إلى روما التي أسس فيها مدرسة فلسفية، يقول المؤرخ ول ديورانت عن أفلوطين: **(كان يعيش حياة القديسين وسط ترف روما ووزائلها، فلم**

¹ -ريتشارد.(2012)، ص 59 .

² -جوسابيوس.(1979)، 6: 19 .

يَكُنْ يَعْنِي بِجَسْمِهِ بَلْ كَانَ يَسْتَحْيِ أَنْ لِرُوحِهِ جَسَدٌ، وَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ اللَّحْمَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْخَبْزِ إِلَّا قَلِيلًا، وَكَانَ بَسِيطًا فِي حَيَاتِهِ وَابْتَعَدَ عَنْ كُلِّ الْعَلَاقَاتِ الْجَنْسِيَّةِ وَإِنْ لَمْ يَذْمُهَا¹.

وَتَلَخَّصَ فِلْسَفَتَهُ فِي أَنَّ الْمَادَّةَ أَصْلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَفِي وَجُوبِ تَطْهِيرِ الْحَوَاسِ مِنَ الدَّنَسِ وَاعْتِزَالِ الْعَالَمِ وَخِلَاصِ الرُّوحِ مِنْ عِبُودِيَةِ الْجَسَدِ. وَبَعْدَ وَفَاةِ أَفْلُوطِينِ قَامَ تَلْمِيذُهُ وَالْوَصِيُّ عَلَى أَرْتِهِ الْأَدْبِي فُورْفُورِيُوسُ الصُّورِيُّ **Porphyry** (243-305م) بَحْثَ عَضْوٍ أُخَرَ فِي الْمَدْرَسَةِ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمَحْدَثَةِ وَهُوَ الثَّرِي الرُّومَانِيُّ كَاسْتَرِيْسِيُوسُ فِيرْمُوسُ (**Castricius Firmus**) عَلَى مِرَافَقَتِهِ فِي مَسْعَاهِ الْفِكْرِيِّ الْمَحْدَثِ: (عَلَيْهِمَا الذَّهَابُ عَرَاةً مِنْ دُونِ رِدَاءٍ إِلَى مَدْرَجِ الْأَلْعَابِ الرِّيَاضِيَّةِ لِيَتَنَافَسَا فِي أَوْلَمْبِيَادِ الرُّوحِ)²، لَقَدْ فَهَمَ فُورْفُورِيُوسُ هَدَفَ الْفِلْسَفَةِ بِأَنَّهُ ذَلِكَ التَّأَمُّلُ فِي رُوحِ الْحَقِيقَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَيْضًا بِمِثَابَةِ تَوْحِدٍ مَعَ الْإِلَهِ. يُمْكِنُ تَصَوُّرُ الْفِعْلِ الَّذِي قَامَ بِهِ فُورْفُورِيُوسُ بِأَنَّهُ تَعْرِيةٌ لِلنَّفْسِ، إِذْ طَالَمَا وَصَفَ أَفْلَاطُونُ الْجَسَدَ بِأَنَّهُ الْمَلْبَسُ الَّذِي تَرْتَدِيهِ الرُّوحُ وَكَانَ هَذَا الْمَجَازُ فِي مَحَلِّهِ³. اعْتَقَدَ فُورْفُورِيُوسُ أَنَّ التَّدْرِيْبَ الصَّارِمَ وَالْمَنْضَبُطَ مِنْ شَأْنِهِ تَسْهِيلُ عَمَلِيَّةِ التَّأَمُّلِ الْمُنْشُودَةِ، وَبَدَعُوْا إِلَى مِمَارَسَةِ يَوْمِيَّةٍ لِلتَّعَفُّفِ الزَّهْدِيِّ فِي أُمُورِ الْغِذَاءِ وَالنَّشَاطِ الْجَنْسِيِّ وَالثَّرْوَةِ وَالتَّقَاعُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ الْأَوْسَعِ، وَهِيَ جَمِيعُهَا عُنَاوِرُ تَشْكَالِ الْإِنْعِزَالِ التَّامِّ عَنِ الْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ وَالْفَانِيَّةِ . وَالزَّهْدُ عِنْدَ فُورْفُورِيُوسٍ لَا يَتَطَلَّبُ الْإِمْتِنَاعَ الْكُلِّيَّ عَنِ الْجَنْسِ وَلَكِنَّهُ يَحْصِرُهُ بِحَدِّهِ الْإِدْنَى أَيْ ذَلِكَ النِّشَاطِ الضَّرُورِيِّ لِبَقَاءِ الْعُنْصَرِ الْبَشَرِيِّ. وَعِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ يَحْضُرُ عَلَى مِمَارَسَةِ نَمَطِ حَيَاةٍ يَتَمَيَّزُ بِالْقَنَاعَةِ وَالتَّقَشُّفِ أَوْ بِسَاطَةِ الْعَيْشِ⁴.

¹ - ديورانت. (1973)، م3، ص 300.

² - Porphyry. (2000), **On Abstinence From Killing Animals**, Tr. Clark.G, London,I, p. 31.

³ - Bruit Zaidman,L.Schmitt Pantel.(1992), **Religion in the Ancient Greek City**, Cambridge university Press. p. 120.

⁴ - رينشارد. (2012)، ص 21- 22.

انتشر مذهب الافلاطونية الحديثة انتشاراً واسعاً ولا سيما في سورية وبلاد اليونان وهاجم أتباع الافلاطونية الحديثة أول الأمر المسيحية بعنف وأظهروا ميلهم إلى وثنية الإغريق والتفكير العقلي المحض¹.

يمكن تحديد أهم مبادئ الافلاطونية الحديثة حول الزَّهْد والتَّسْك بالتالي:

- الدعوة إلى التحرر من عبودية الجسد بالتَّسْك والتَّشَف.
 - مراعاة الجانب التأملي في الحياة، ورؤيتهم أنَّ الروح اذا تطهرت من النوازع الدنيوية فإنَّها تستطيع أن تصل إلى درجه التأمل في الله.
 - عدم تحرر الروح من الملذات المادية والنزوات الدنيوية ألا عن طريق الاعتزال والتَّسْك.
- وقد ظن البعض أنَّ الرَّهْبَنَةَ المسيحية اقتبست نظامها من هذه الفلسفات اليونانية وحول ذلك يقول المؤرخ رؤوف حبيب : ليس من المعقول أن تنشأ الرَّهْبَنَةُ المسيحية في هذه الفلسفات فحسب، بل لأنَّ زعماء الرَّهبان كانوا من طبقة الفلاحين الذين جهلوا اللغة اليونانية ولم تكن الظروف مواتية حتى ينتقلوا إلى المدن قبل أن يصبحوا رهباناً².

¹ -Brehier.(1965), Hellenistic and Roman Age, Fr: By wade Baskin First Phonix Editt, p.202.

² - حبيب، رؤوف.(1978)، تاريخ الرهبنة والديرية في مصر، القاهرة : مكتبة المحبة، ص 32 -33.

3- التَّنَسُّكُ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ:

يوجد هناك بعض الممارسات الزهدية التي كانت جزءاً من الحياة اليهودية، مثل الأحكام المتعلقة بالأطعمة والأحكام المختصة بشريعة النذير - وهو من ينذر نفسه لعبادة الله مدى الحياة - وكذلك أرسى الكتاب المقدس نمطاً مميزاً من امتناع الشخص الذي نذر تكريس نفسه للرب؛ أن يعزل نفسه من أجل الربّ وألا يشرب النبيذ وألا يستهلك أي شيء مأخوذ من الكرمة خلال مدة النذر، وألا يقوم بقص شعره في تلك الفترة، وكذلك تجنب التواصل مع الموتى، وجاء جلياً أنّ النذر يجعل المكرس نفسه للربّ يدخل في حالة من الطهارة الدينية¹. ومن متسكي اليهود (إيليا النبي) الذي عاش في البرية، وكانت الغريبان تأتي إليه بخبز ولحم صباحاً ومساءً، ويلبس عادة ثوباً من الشعر (مسوحاً) ومعطفه من الجلد، ولم يكن إيليا متزوجاً، إذ عاش كل حياته بتولياً².

ويرد ذكره في الكتاب المقدس عندما سجل ملاخي النبي كلام الله قائلاً: (هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الربّ اليوم العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم، لئلا آتى، واضرب الأرض بلعن)³، ولقد سأل التلاميذ السيد المسيح لماذا يقول الكتبة: إنّ إيليا ينبغي أن يأتي أولاً؟ فأجاب يسوع: (أنّ إيليا يأتي أولاً ويرد كلّ شيء، ولكنني أقول لكم إنّ إيليا قد جاء، ولم يعرفوه، بل عملوا به كلّ ما أرادوا، كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم)⁴.

ومن المتنسكين أيضاً نذكر يوحنا المعمدان الذي عاش في البرية، وكان يلبس لباساً من وبر الابل، ومعطفه من الجلد على حقويه، ويأكل جراداً وعسلأ برياً، وكان بتولاً أمضى كلّ حياته بالزهد والتقشّف⁵. وتتجلى الممارسات النسكية من العفة والعزلة والاسترحام والتوبة في الكتب المقدسة اليهودية، حيث كان

¹ -Chepey, S. (2005). Nazirites In The Second Temple Judaism. Leiden: Brill. PP. 25-30.

² - الأنبا ديمسقورس. (2003)، موجز تاريخ الكنيسة، القاهرة: شركة هارموني للطباعة، ص 174.

³ - العهد القديم، سفر ملاخي، 4: 5.

⁴ - إنجيل متى، 17: 11-13.

⁵ -ديوسقورس. (2003)، ص 174.

جميع اليهود في العالم الإغريقي -الروماني يجَلُون ويَقْبَلُون شريعة الأسفار الخمسة وكتب الأنبياء، ومجموعة الكتابات التي شملت فيما بعد كتباً أخرى، عرفناها من خلال كتاب العهد القديم الذي ظهر لاحقاً¹، ففي سفر اللاويين²، حظر قانون الربّ على اليهود أكل أصناف معينة من الطعام: فكان محظوراً عليهم أكل لحم الجمل، الأرنب، الخنزير، وأكل طعام البحر الذي يفتقر للحراشف والزعانف التي تميز السمك، ويحظر أيضاً على الناس أكل أنواع معينة من الطيور، حددها العلماء (الصقور والنسور والعقبان والشواهين والغربان والنعام واليوم والبجع) باستثناء أنواع معينة من الجراد، وكانت جميع أنواع الحشرات الطائرة طعاماً محظوراً، ويحظر أكل أي نوع من أنواع اللحوم ما لم يجف الدم منه، أيضاً يحظر طهي أي حيوان ما زال يرضع، هذه المحظورات السماوية ميزت الشعب اليهودي عن الأمم الأخرى لجعله مقدساً مثلما الربّ مقدس، وطبقت على طقوس القرايين قاعدة ما لا يمكن أكله، لا يمكن أن يقدم قرباناً³.

واقترضى الكتاب المقدس أنّه في يوم الغفران، الذي يقام في اليوم العاشر من الشهر السابع؛ على جميع الأمة أن تحزن أو تذلل نفسها، وهذا أمر يفهم بشكل عام على أنّه (مصطلح تقني للصوم في الشريعة الكهنوتية)، والصوم يظهر بشكل متكرر في النصوص على أنّه عامل مساعد لنجاح التوسل إلى الربّ في الصلاة، ويصوم الأفراد كذلك كشكل من أشكال التذلل أو التوبة من أجل التقرب من الله.

هذه الممارسات التَّسْكِيّة كانت سعيّاً للشفاء من المرض، أو التماساً لهبة أخرى من الربّ، وتعففوا عموماً لمدة ثلاثين يوماً⁴. وقد اشتهر بالزَّهد والتَّسْك بين اليهود طائفتان:

¹ - Beckwith. R. (1985). The Old Testament Canon Of The New Testament Church, London, P. 20.

² - اللاويون أو سبط اللاويين هم أحد أسباط بني إسرائيل الإثني العشر، وهم من نسل لاوي الابن الثالث ليعقوب ولبنّة، كان للاوي ثلاث أبناء هم جرشون وقهات ومراري، أسسه كل منهم عشيرة نسبة لاسمه وهم الجرشونيون والقهاتيون والمراريون، وقد كان النبي موسى وهارون لاويين من بيت عمّام بن قهات. انظر: طائفاً. (1971)، ص 13-14.

³ - Douglas. M. (1999). Leviticus As Literature. Oxford University Press, Pp. 75-93.

⁴ - Thompson. A. (1980). The book of Jeremiah. Grand Rapids: Eerdmans. P. 623.

أ- طائفة الشرايبيوت (شافو المرض) Therapeutoi:

ومعنى اسمهم الأساة أو المنتطسون وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول بحيرة مريوط، هذه الطائفة تأثرت بالفلسفة اليونانية، وكان من أتباعها الحكيم الاسكندري فيلون¹ (20 ق.م - 50 م). ذكرهم فيلون Philo Judaeus أنهم عديدون في مصر، وبأنهم فئة من العابدين واسعة الانتشار في أنحاء الشتات، وهم لا يعيشون بين الناس في المدن، بل يتخذون أماكن أكثر عزلة في الضواحي أو المناطق النائية، وفوق هذا كلُّه يعيشون في مستعمرة دينية شيدت على سواحل بحيرة مريوط خارج الإسكندرية، وهناك كرسوا أنفسهم للتأمل في الرب، وانسحبوا من الحياة العامة، تاركين وراءهم أخواتهم وأبنائهم ونسائهم وعائلاتهم الأوسع وأصدقائهم، قاطعين عهداً على أنفسهم بالصمت طوال الأسبوع. هؤلاء المنتطسون على حد تعبير فيلون يبدؤون بالصلاة عند الفجر، ثم يمضون يومهم بالتأمل في التوراة، ثم يختمون بالصلاة عند المساء، وقد عرف عنهم المداومة على الصلاة²، في يوم السبت يجتمعون معاً - رجالاً ونساءً - في مكانٍ واحدٍ يسمعون نصائح رئيسهم، ويجلسون على الأرض الجرداء اذلاً للجد، مع تناول طعامهم من الخبز والملح، ويمتنعون عن أكل اللحوم وشرب الخمر، ثم يقوم بعض أفراد هذه الطائفة بترنيمات، وتختم ببعض الرقصات³.

ويتمحور الوصف الذي قدمه فيلون لنمط حياتهم حول مقارنة متكررة بين الاسراف المرفوض، والنقشف الذي اختاروه لأنفسهم: فمنازلهم بسيطة ومتباعدة بعض الشيء فيما بينها، وذلك للسماح بالخلوة والتواصل الاجتماعي، وفي كلِّ منزل هناك مقامٌ أو ديرٌ يستبعد الطعام والشراب منه، حيث يبقى فيه المتعب وحيداً لمدة ستة أيام في الأسبوع في فترة تأمل لشريعة الرب وكتبه المقدسة، وقدم فيلون ذلك على أنَّه تمرين فلسفي يجعلهم يستغرقون عميقاً فيه، ويزودهم

¹ - فيلسوف يوناني ولد في الإسكندرية عام (20 ق.م)، ينحدر فيلون من أسرة يهودية أرستقراطية له مكانة هامة في المجتمع اليهودي في الإسكندرية، ذهب فيلون على رأس الوفد اليهودي إلى روما عام (40م) للطلب من الإمبراطور الروماني كالبيولا (37-41م) أعفاء اليهود من التعبد للتماثيل الإمبراطور في كنسهم. كتب فيلون مجموعة من كتب منها: تفسير الشريعة، التفسير المجازي، أبدية العالم، لفيلون أهمية كبيرة في المسيحية بسبب التفسير المجازي الذي يعدُّ مهماً عند أي فلسفة دينية، ولقد اعتمد الفلاسفة المسيحيين على هذا التفسير من أجل فهم المعنى الظاهري والباطني للكتاب المقدس. للمزيد حول الفيلسوف فيلون انظر: بريهييه، إميل (1954)، الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري، تر عبد الحليم النجار، القاهرة.

² - يوسابيوس (1979)، 2: 17.

³ - Glatzer. N.N. (1982). The Judaic Tradition, London. Pp. 90-99.

بالغذاء الروحي، حيث لا يصومون يومياً عن الطعام والشراب حتى الغروب وحسب، وإنَّما يتابع بعض الرجال صومهم عدة أيام كلِّ مرةٍ، وفي أيام السبت يتوقف الصوم الانعزالي، ويفسح المجال لوجبة مشتركة غير مكلفة من الخبز العادي بالملح¹. إنَّ الانعزال لدى جماعة الثرابيوتاي يمكن اعتباره انسحاب من مدينة مزقتها صراعات، لتشكيل مجتمع فلسفي منعزل، بمثابة موضوعات تقليدية فلسفية إغريقية. غير أنَّ فيلون يقصد المدن المنعزلة التي أعطيت لللاويين في سفر العدد(2: 35) أن وصف جماعة الثرابيوتاي وهم يتركون عائلاتهم وراءهم، يماثل إلى حد كبير رواية فيلون في موضع آخر حول اللاويين - سبط الكهنة.

لا يقدم فيلون أي تفاصيل عن الحياة الاقتصادية للمجتمع في بحيرة مريوط، ولعل هذا الصمت يخفي وراءه اندماج أكبر في المجتمع لم يرغب فيلون في الإفصاح عنه، عندما تحدث عن الانسحاب من المدن إلى الخلوة²، ويمكن تعليل ذلك بسبب استمرار روابط الاعتماد الاقتصادي على العائلات التي من المفترض أنَّهم تركوها وراءهم. يتحدث فيلون عن العفة والامتناع عن الجنس لدى جماعة الثرابيوتاي: (أَنَّ الْعَذَارَى الطَّاعَنَاتِ فِي السَّنِ اعْتَنَقْنَ مِنْ دُونِ شَكِّ هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْحَيَاةِ فِي فِتْرَةِ صَبَاهُنَ، كَمَا فَعَلَ الرِّجَالُ)³، لكنَّ ذلك يبدو غير قابل للتصديق في الثقافة الإغريقية الرومانية واليهودية التي كانت تفضل زواج الشبابات قبل بلوغ سن العشرين من العمر في أغلب الأحيان، ويجب الأخذ بعين الاعتبار وجود احتمال يشير إلى أنَّ المجتمع كان يفهم التعفف بالمعنى الكهنوتي، وهو مجال من المعاني لم يطرحه النص، ونجده في الكتب المقدسة اليهودية، فقد ضمن الامتناع عن الجنس النقاء الطقوسي اللازم للكهنة الذين كانوا يقدمون أضاحي الهيكل؛ وهو نقاء يضيع بالجماع وغيرها من أشكال خروج المنى⁴.

ولقد اعتمد المؤرخ شاي كوهين **Shaye Cohen** إلى حد كبير إلى ما قاله فيلون، وكتب عن جماعة الثرابيوتاي بأنَّهم فئات من الرجال والنساء الذين انتشروا في أنحاء مصر، والذين امتنعوا عن الزواج ومارسوا الاعتدال وكبح

¹ - يوسابيوس، (1979)، 2: 17.

² - Hay. D. M. (1991), Things Philo Said And Did About The Thera Peutae, Sblsp 31, P.118.

³ - يوسابيوس، (1979)، 2: 17.

⁴ - Desprez. V. (1990), Jewish Ascetical Groups At The Time Of Christ: Qumran And Therapeuts. American Benedictine Review. Pp. 291-311.

الذات¹، ويصنف يوسابيوس القيصري **Eusebius** أبو التاريخ الكنسي أنَّ الثرابيوتاي الذي يتحدث عنهم الفيلسوف فيلون الإسكندري على أنَّهم أول الرُّهبان المسيحيين، ويفسر تخليهم عن الأملاك والعفة والصيام والصلاة والحياة المنفردة، وعلى أنَّهم المثل الأعلى للرُّهبان المسيحيين².

بالرغم من وجود بعض التشابه بين الثرابيوتاي والرَّهْبَنَةُ المسيحية إلا أنَّ الفروق كثيرة بينهما، تؤكد أنَّ النظامين مختلفان، إذ أنَّ الثرابيوتاي تحرم العمل اليدوي، وتجيز وجود الرجال والنساء في مكان واحد، بينما الرَّهْبَنَةُ المسيحية تخالفها في هذا.

ب- الطائفة الثانية الأسينيين (المتواضعين):

أما طائفة الآسين أو الأسينيين كما يسميها المؤرخون، فهي طائفة يهودية نشأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وعاشت حول شواطئ البحر الميت. والشائع بين العلماء أنَّ الكلمة معناها (الأطباء)، وأن أصلها آرامي بمعنى الطبيب والمداوي وحول ذلك يقول العقاد: (إنَّ أفراد هذه الطائفة كانوا يتعاطون طب الروح، ويدَّعون إبراء المرضى بالصلوات والأوراد، كما يدَّعون العلم بخصائص العقاقير)³.

ويصف المؤرخ الروماني بلينيوس الأكبر⁴ **Pliny The Elder** (23 - 79 م) الأسينيين بإيجاز بأنَّهم قبيلة منعزلة من الرجال قامت بالقرب من البحر الميت، وأنَّهم جماعة سئموا الحياة وتعبوا من المجتمع، وأنَّ تعفُّفهم الجنسي شأنه شأن رفضهم للمال، وهو رمز للانسحاب من التفاعل البشري الذي سببه التخوف من حياة الآخرين، وأنَّهم كانوا

¹ - Shaye. J. D. Cohen. (1987), **From The Maccabees To The Mishnah**, (Philadelphia: Westminster Press). P. 171.

² - يوسابيوس. (1979)، 2 : 17.

³ - العقاد، عباس. (2012)، **حياة المسيح**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص 41.

⁴ - بلينيوس الأكبر أو بليني الأكبر، هو مؤرخ وفيلسوف ورجل دولة، ولد عام (23 ق.م) ينحدر من أسرة ثرية، تلقى تعليمه في روما حيث درس البلاغة وممارس المحاماة، شغل عدة مناصب مهمة في عهد الإمبراطور فسباسيان؛ كالقنصلية وقيادة الأسطول الروماني، كتب بلينيوس الكثير من الأعمال الأدبية والتاريخية لكن فقدت معظم تلك الكتابات، ولم يصل منها إلا كتابه التاريخ الطبيعي الذي يضم (37) كتاباً، ويضم فيه موضوعات متنوعة منها: علم النبات والجغرافية وعلم الحيوان والأدوية النباتية والحرف والصناعات والصخور وغيرها من موضوعات التي تطرق إليها. للمزيد انظر:

Pliny.(1940), **Natural History**, 10 Vol .Tr. Rackham ,London, LCL

مِالِينَ لِلوَحْدَةِ غَرِيبِينَ فِي أُمُورِهِمْ، عَاشُوا بَيْنَ أَشْجَارِ النَّخِيلِ بِدُونِ نِسَاءٍ، مُتَحَرِّرِينَ مِنَ النُّقُودِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ هَذَا فَإِنَّ عَدَدَهُمْ لَمْ يَهْبِطْ، لِأَنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ اتَّعَبْتَهُمُ الْحَيَاةُ انْضَمُّوا إِلَيْهِمْ¹.

بَيْنَمَا يَرَى فِيلُونُ الْإِسْكَانْدَرِيَّ أَنَّ انْسِحَابَ الْأَسِينِيِّينَ إِلَى مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْقُرَى لَا يَعْزِي إِلَى التَّعَبِ وَالْإِنْهَاكِ، وَإِنَّمَا لَتَجَنَّبِ السَّقُوطَ الْأَخْلَاقِيَّ وَفُوضَى الْمَدَنِ، مَعَ أَنَّهُ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى يَعْتَرِفُ أَنَّ الْكَثِيرِينَ فِي الْوَقْعِ قَدْ سَكَنُوا فِي مَدَن يَهُودَا، وَهُمْ يَعْتَبِرُونَ أَنَّ الثَّرْوَةَ تَكْمُنُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْقَلِيلِ وَالرِّضَا بِهِ، وَهُمْ يَعْرَضُونَ عَنِ نَزَوَاتِ الْجَشْعِ مِنْ خِلَالِ الْإِمْتِنَاعِ عَنِ التَّجَارَةِ (الانْسِلَاخُ عَنِ الرِّغْبَةِ، ضَبْطُ النَّفْسِ وَالْجُلْدِ، وَالرِّغْبَةُ فِي الْقَلِيلِ مِمَّا يَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّرَفِّ، بِوَصْفِهِ مَرْضًا يَفْسِدُ الْجَسَدَ وَالرُّوحَ، وَالْوُضُوحَ وَالْقَنَاعَةَ وَالتَّحَرُّرَ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ، وَمِلْكِيَّتَهُمُ الْمَشْتَرَكَةَ لِلْأَغْرَاضِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَغِيَابَ الْمِلْكِيَّةِ الْخَاصَّةِ عَنْهُمْ، لِإِثْبَاتِ أَنَّ الْأَسِينِيِّينَ لَا يَتَأَثَّرُونَ بِغَرَائِزِهِمُ الْجَسَدِيَّةِ وَالْعَاطْفِيَّةِ)².

وَقَدَّرَ الْمُؤَرِّخُ الْيَهُودِيُّ يَوْسُفِيُوسُ³ **Josephus Flavius** (37-100م) عَدَدَهُمْ لَا يَزِيدُ عَنْ أَرْبَعَةِ آلَافٍ. يَعِيشُ أَكْثَرُهُمْ فِي جَنُوبِ فِلَسْطِينَ (وَادِي قَمْرَانِ)، وَيَقْدَمُ وَصْفًا عَنْهُمْ وَاصِفًا إِيَّاهُمْ مَدْرَسَةَ فِلَسْطِينِيَّةٍ زَهْدِيَّةٍ لَهَا الْعَدِيدُ مِنَ الْإِتْبَاعِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مِنَ بِلَدَاتِ فِلَسْطِينَ، وَأَنَّهُمْ يَمَارِسُونَ الْقَدَّاسَةَ مِنْ خِلَالِ صَدِّ الرِّغْبَاتِ وَاتِّقَانِ ضَبْطِ النَّفْسِ، وَإِنَّ الْعَدِيدَ مِنْهُمْ يَعْرِضُونَ عَنِ الزَّوْاجِ لَا لَشَرٍّ فِيهِ، إِنَّمَا لِلْهَرُوبِ مِنْ فَحْشِ النِّسَاءِ عَلَى مَا يَفْتَرِضُ، وَهَنَّاكَ مَجْمُوعَةٌ مِنْهُمْ تَنْتَزِجُ لَكُنْهَا تَحْصِرُ الْمَمَارَسَةَ الْجَنْسِيَّةَ فِي التَّكَاثُرِ فَحَسْبُ. يَصِفُ يَوْسُفِيُوسُ رَفْضَهُمْ اسْتِخْدَامَ النُّقُودِ وَالِاسْتِعَاضَةَ عَنْهَا بِالْمِلْكِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ وَالْمَقَايِضَةَ الَّتِي تَسْتَدُّ إِلَى الْإِحْتِيَاجِ، وَكَانَ الْغِذَاءُ عِنْدَ الْأَسِينِيِّينَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ وَجْبَتَيْنِ يَوْمِيًّا مِنَ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ، إِذْ يَعْرِضُ الْإِطَارَ النَّقْشِيَّ الْفَلَسْفِيَّ لِهَذِهِ الْجَمَاعَةِ لِتَوْزِيعِ مَا يَسِدُّ الْحَاجَةَ فَقَطْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَعَلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ وَرَاءَ الْإِنْضِمَامِ إِلَى هَذِهِ الْحَرَكَةِ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُ طَرِيقَةِ الطَّائِفَةِ فِي الْحَيَاةِ، وَالْخُضُوعُ لِتَجْرِبَةٍ عَلَى مَدَارِ عَامٍ،

¹ -Pling. **Natural History**. V, (Tr. Rackham), London. P. 73.

² -philo.(1941), **Hypothetica**, TR: Fend, Loeb classical Library Preview, 11: 3-4.

³ -ولد يَوْسُفِيُوسُ فِي أُورُشَلِيمَ عَامَ (37م) مِنْ أُسْرَةٍ كَهَنُوتِيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ، يَعْذُ يَوْسُفِيُوسُ عَالَمَ مُؤَرِّخٍ وَكَاتِبِ سِيرٍ يَهُودِيٍّ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْمِيلَادِيِّ، حَارِبٌ ضَدَّ الرُّومَانَ فِي الْحَرْبِ الْيَهُودِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ الْأُولَى (66-73م)، كَقَائِدِ قَوَاتٍ فِي الْجَلِيلِ، وَمِنْ أَهَمِّ أَعْمَالِهِ التَّارِيخِيَّةِ: الْحَرْبُ الْيَهُودِيَّةُ وَأَثَارُ الْيَهُودِ.

لِلْمَزِيدِ انْظُرْ: Mason, Steve, ed. (2000). **Flavius Josephus: Translation and Commentary** (10 vols. in 12 ed.). Leiden: BRILL.

لأثبات قدرتهم على ضبط النفس والجلد¹. وتقدم نصوص قمران² معلومات عن انسحابهم من المجتمع الاعتيادي، وتشكيل مجتمع منعزل، وهو عبارة عن اتحاد منظم من وحدات تتكون من ألف ومئة وستون شخصاً.

ومن خلال نصوص قمران يمكن تحديد الأشياء التي انسحبوا إليها: معسكر إسرائيلي نقي أخلاقياً شعائرياً وبلائم بالتالي تجلي الربّ فيه، والامتناع الجنسي مطلوب للحفاظ على مستوى الطهارة الملائمة للحياة في هذا المعسكر، كما يسمح فقط للأشخاص الذين يتمتعون بالطهارة الشعائرية والأخلاقية بتناول الوجبة المشتركة التي يصفها قانون الجماعة بأنها طعام طاهر، وقبل تناول هذا الطعام على جميع الأعضاء الاستحمام قبل أكله، والملكية الجماعية لدى أعضاء الجماعة تعمل على حماية الطهارة كما يؤكد قانون الجماعة³. يتحدث المؤرخ جون سارتون (Sarton 1884-1956م) عن هذه الطائفة ويؤكد أنها كانت طائفة يهودية منظمة على شكل رهبنة، وقد ازدهرت هذه الفرقة بين القرن الثاني قبل الميلاد إلى العصور الميلادية الأولى، وكان نظامهم شيعياً، أي كلّ شيء يملكونه كجماعة، وكانوا على جانب كبير من النقش والزهّد وشغوفين بالمعرفة شغفاً كبيراً، فأسسوا لهم مكتبة كبيرة، وقد أسسوا دير وادي قمران حوالي سنة (136-106 ق.م)، وظل مأهولاً يقيم فيه الأسينيين حتى سنة (68 ميلادية)⁴.

يمكن أن نجل أهم الأفكار النّسكية لدى جماعة الأسينيين بالتالي:

- الاعتزال عن الناس والارتباط القائم بين أعضاء الجماعة بعهد مقدس، ويمين يحلفونه عند الدخول في الجماعة، ثم لا يحلفون بعده يميناً أبداً.

¹ - Josephus. The Jewish War, 11: 119-155.

² - وادي قمران او خربة قمران موقع أثري صغير الحجم يقع على شاطئ البحر الميت على مقربة بضع كيلو مترات جنوبي أريحا في الضفة الغربية، اكتسب شهرةً كبيرةً من خلال العثور في أحد كهوف وادي قمران على مخطوطات قديمة بلغ عددها (850) مخطوطة بعضها من الكتاب المقدس.

للمزيد انظر: حمادة، حسين عمر. (1982)، مخطوطات البحر الميت، عمان: دار منارات للنشر.

³ - حمادة. (1982)، ص 46.

⁴ - سارتون، جورج. (1987)، تاريخ العلم، تر مؤسسة فرانكن، القاهرة: دار المعارف، ص 53.

- يلبسون الثياب البيضاء، ويحرصون على نظافتهم ونظافة أجسادهم، والظهور بمظهرٍ لائقٍ، ويهتمون بتهديب شعر الرأس واللحية، والتطهير بالاغتسال والغطاس في الماء.
- كانوا يعيشون في زهدٍ وتقشفٍ شديدين، والمادة عندهم مصدر الشرور كُلِّها، والسرور بها سرور بالدنس والخيانة.
- يحرمون على أنفسهم الزواج.
- امتنعوا عن أكل اللحوم، ويحرمون الذبيحة في عبادتهم، ويرون فيها لوناً قاسياً من سفك الدماء، حيث لا يتناولون إلا الأكل النباتي ملتزمين بذلك في حياتهم اليومية¹.
- ويقول المؤرخ ول ديورانت: (لعلهم قد تأثروا بآراء البراهمانية² والبوذية³، وهي جاءت إلى أورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب آسيا)⁴.

والذي دفع المؤرخ ول ديورانت إلى هذا القول، هو تشابه أفكار الأسينيين مع مبادئ النّسك الهندي (البراهمانية والبوذية).

- المعيشة كانت جماعية في دار عامة للطائفة بعيداً عن الناس، إذ يتولى كلُّ واحدٍ منهم مهمة من مهام الحياة اليومية، من زراعة وصناعة أو طبخ أو تنظيم أو تأليف، ويعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية التي ظهرت فيما بعد.

¹ - ظاظا. (1971)، ص 269-271.

² - وهي عبارة عن ثالث إلهي مؤلف من براهما الخالق وشيفا Shiva المهلك وفيشنو Vishnu الحافظ. وكان براهما يعتبر سيد الإلهة المعترف له بالسيادة، وأما فيشنو فهو إله الحب الذي كثيراً ما انقلب إلى إنسان ليقدّم العون لبني الإنسان. أما شيفا Shiva فهو إله القسوة والتدمير. انظر: الندوي، محمد. (1970)، الهند القديمة حضارتها وديانتها، القاهرة: دار الشعب، ص 89.

³ - تنسب إلى جوتاما بوذا الذي ولد في القرن السادس قبل الميلاد وقد عاش بوذا حياة الزهد والتقشف. للمزيد انظر: عبد القادر، حامد (1957)، بوذا الأكبر حياته وفلسفته، القاهرة: مكتبة نهضة مصر

⁴ - للمزيد انظر: ديورانت، ول. (1973)، م، ج3، ص 172.

■ ويوجد تنظيم داخلي في كلِّ دارٍ من دورهم التي يعيشون فيها هذه الحياة الجماعية، كما أنَّهم يعظمون رئيسهم ويطيعونه، وكلُّ فرد من أفراد الجماعة له مكان في الترتيب الهرمي لمجتمعهم حتى ولو بالكلام¹.

والخلاصة مما تقدم حول النّسك عند اليهود يمكن الملاحظة أنَّ الأسينيين والثرايبوتاي انتهجوا حياة تشبه حياة الرّهبة، وكانوا يعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعملها الرّهبان المسيحيون، ولكنهم يختلفون عنهم في إباحة الزواج لأتباعهم لحفظ الجنس البشري، بخلاف الرّهبة المسيحية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي.

ثانياً- الزهد لدى المسيحيين:

1 - بدايات الزهد المسيحي:

يوجد هناك بعض الدعوات الصريحة إلى ممارسة الزهد في العهد الجديد ومنها الابتعاد عن التمتع المادية والحسية للذات التي ينطبق عليها قول السيد المسيح : (مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِ يَحْدُهَا)². ويقول السيد المسيح في موضع آخر للغني الذي أراد أن يكون كاملاً (إِنَّ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي)³ ويقول أيضاً (كُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِثْلَهُ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ)⁴.

ومن هذا المنطلق كانت الدعوة إلى الفقر من أهم المبادئ الزهدية التي دعا إليها السيد المسيح، فالزاهدين أجرهم فوق مع الله في السماء. فالسيد المسيح يدعو إلى الزهد في الأكل والملبس في كل شيء حيث يقول السيد المسيح : (لِئَلَّا أَقُولَ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ،

¹- ظا. (1971)، ص 286.

²- إنجيل متى، 10: 39.

³- إنجيل متى، 19: 21.

⁴- إنجيل متى، 19: 29.

وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللَّبَاسِ. فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ؟ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا
الْأُمَمُ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيَّ يَغْلُمُ أَنْكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ كُلِّهَا. لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللَّهِ وَبِرَّهُ، وَهَذِهِ كُلَّهَا تَزَادُ لَكُمْ¹.
أيضاً الرسول بولس دعا إلى الزهد واحتقار أباطيل العالم (لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنَّ أَحَبَّ أَحَدٍ
الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الْآبِ لِأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةُ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةُ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمُ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الْآبِ
بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ)².

المقصود بكلام بولس الرسول هو احتقار الحياة المادية، والدعوة إلى الزهد فيها والسعي إلى محبة الله، وغير ذلك فهو
باطل لأنَّ هذا العالم إلى زوال كما أكد في رسالته إلى أهل كورنثة (لأنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ فِي زَوَالٍ)³، فالسيد المسيح
يدعو إلى ذلك أيضاً إذ يقول: (إِنَّ لَمْ تَصُمْ فِي الْعَالَمِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَدْخُلَ مَمْلَكَةَ الرَّبِّ)⁴ ويمكن تفسير ذلك بالابتعاد عن
الدينونة والعلمانية، إذ يشرح العلامة أكلميندس الإسكندري⁵ عبارة الصيام عن الدنيا بأنها تعني تجنب الخطيئة.
ومن المبادئ الزهدية العفة التي دعا إليها السيد المسيح الذي عاش بتواضع على الأرض ولم يتزوج إذ يقول: (لِأَنَّهُ
يُوجَدُ خَصِيَّانَ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ
مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ)⁶. في هذا الكلام إشارة السيد المسيح عن أناس استطاعوا أن يخصوا
أنفسهم أي لا يتزوجوا لأجل ملكوت الله مستعينين بنعمته تعالى على احتمال مشاق العفة.

¹ -إنجيل متى، 6: 25-33.

² -العهد الجديد، رسالة يوحنا الأولى، 2: 15-17.

³ -العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس، 17: 31.

⁴ -إنجيل توما: 27.

⁵ - أكلميندس: اسمه الكامل يتيوس فلافيوس أكلميندس، وهو واحد من أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ولد في أثينا عام (150م)، وتوفى بين عامي (211-215م)، كانت أبرز تعاليمه الربط بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي، ويعدُّ أكلميندس أب الفلسفة المسيحية، وصفه يوسابيوس أنَّه كان متمزناً في الكتاب المقدس. للمزيد انظر: هيرونيمس (2010)، ص 63-65.

⁶ -إنجيل متى، 19: 10-12.

أيضا بولس الرسول دعا إلى العفة وهو أيضاً عاش بتولاً لم يتزوج ، كما أعلن في قوله: (وَلَكِنْ أَقُولُ لغيرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَزْمَلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنْ)¹ في هذا القول مطالبة صريحة من بولس الرسول بعدم الزواج وممارسة العفة المطلقة، وأيد ذلك في قوله: (فَأُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلَا هَمٍّ. غَيْرِ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ)². وفي زمن الاضطهاد التي تعرضت لها المسيحية، أطاع الكثير من المسيحيين أساقفتهم وهربوا إلى الصحراء والبراري حيث عاشوا هناك حياة الزهد والتسك تحت ظروف قاسية، وصاروا أول الزهاد والنسك المسيحيين، وعندما انتهى الاضطهاد، لم يرجع البعض إلى مدنهم بل ظلوا في البراري حيث وجدوا فيها أفضل موضع لجهادهم الروحي³.

بالجملة كانت القوة الأساسية الدافعة وراء الزهد هي الروح الرسولية التي كانت زهدية، ومنها ولدت الرهبنة المسيحية التي كان جهدها الأول هو: ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة.

¹ -العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، 8: 7-8.

² -العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، 7: 32-38.

³ -Eusebius, Historia Ecclesiastica, 6.42, P.G.20, 613A

2-الزهد لدى الحركات والجماعات المسيحية في القرن الثاني والثالث الميلاديين:

أ- الماركيونية:

تنسب هذه الحركة إلى ماركيون (95-160م) الذي ولد في سينوب على البحر الأسود، كان والده أسقفًا، يعتبر معظم المؤرخين الكنسيين أنَّ ماركيون **Marcionos** هو أحد كبار مبتدعي الهرطقات¹ في القرن الثاني الميلادي، ومن بين الغنوصيين²، إلا أنه لاهوتي أكثر مما هو فيلسوف³.

المعلومات حول ماركيون قليلة مستمدة من تاريخ الكنيسة للمؤرخ يوسابيوس ومن ترتليان الرد على ماركيون. يورد يوسابيوس معلومات حول البدعة التي قال بها ماركيون: (هناك شخص يدعى ماركيون البنطي لا يزال إلى الآن يعلم أتباعه أن هناك إلهًا آخر أعظم من الخالق، وبمساعدة الشياطين أقنع الكثيرين من كل جنس البشر لينطقوا بالتجديف، وينكروا أن خالق هذا الكون هو أب المسيح، ويعترفوا أنَّ هناك آخر أعظم منه وهو الخالق، كل الذين تبعوهم يدعون مسيحيين، كما يدعى اسم الفلسفة على الفلاسفة ولم تكن لديهم تعاليم مشتركة)⁴.

يقوم المعتقد الماركيوني أنَّ هناك الإله الصانع خالق العالم المرئي هو الإله العادل والقاسي للعهد القديم، وإله آخر أعظم منه هو الذي يكافح صنيعه المشؤوم هو (إله الإنجيل الطيب والرؤوف)، الثنوية هنا لا تعارض الشر بالخير، بل العدل بالغفران والقسوة بالمحبة. ولا يقبل ماركيون من العهد الجديد سوى إنجيل لوقا (مقتطعاً منه مقاطع لها علاقة بالتجسد)، وعشر من رسائل بولس الرسول، وهذا الأخير بالنسبة إليه هو مؤسس الشريعة الجديدة.

¹ -الهرطوقي (المهرطق أو الهيراطيقي) هو الإنسان المبتدع الذي يقول بتعليم يخالف ما كُتِبَ في الكتاب المقدس، كما أنه لا يخضع لتعاليم الكنيسة على لسان آبائنا عبر القرون، ونسميه "صاحب بدعة"، ويحاكمه مجمع كنسي مسكوني أو محلي.

للمزيد انظر: ويلتر، ج. (2007)، **الهرطقة في المسيحية**، تر جمال سالم، بيروت: دار الفارابي، ص 17-18.

² الغنوصية (Gnosticism) نسبة إلى (Gnosis) أي المعرفة وهي حركة فلسفية دينية نشأت في العصر الهلنستي بعد وفاه الإسكندر المقدوني، وأساسها أنَّ الخلاص يتم عن طريق المعرفة أكثر ما يتم بالإيمان والأعمال الخيرة، تأثرت بها اليهودية والمسيحية، الغنوصيون هم فلاسفة ورجال دين

تعرفوا على الأسرار الخفية للإيمان من خلال التأمل الفلسفي. للمزيد انظر: Britannica.com: Encyclopedia article about gnosticism

³ -ويلتر، (2007)، ص 64.

⁴ -يوسابيوس. (1979)، 4: 11

ولهذا قال عنه ترتليانوس Tertullianus (155-220م) : (إِنَّ مَارْكِيُون يَعْلَمُ الْكِتَابَ الْمَقْدَسَ لَا بِقَلَمِهِ بَلْ بِمَشْرُطِهِ لِيَقْطَعَ مِنْهُ كُلَّ مَا لَا يُوَافِقُ تَفْكِيرَهُ)¹. تظهر المبادئ الزهدية في حياة ماركيون إذ كان زاهاً متقشفاً وطلب من أنصاره ممارسة الزهد وعدم شرب الخمر وأكل اللحم مكتفين بالسّمك والخضار، وطالب فضلاً عن ذلك بالعفة المطلقة بالامتناع عن ممارسة الجنس ومنع الزواج ليعجل انقراض البشرية بأسرع ما يمكن. ولقد قال ماركيون: (إذا أنجبت أطفالاً فإنك تكثر اتباع إله الكون المادي Deminurge)، وكان يعترف بالعماد والقربان المقدس، لكنه عمد فقط الرافضين للزواج وإلا فإنه ينبغي تأجيل العمادة إلى اليوم الذي يعد فيه المرشح للعمادة مريضاً دنا أجله².

تمكن ماركيون من تأسيس كنيسة قوية التنظيم في آسيا الصغرى، وانتشرت الجماعات الماركيونية في كل مكان تقريباً في القرنين الثاني والثالث الميلاديين في ليون وقرطاجة والإسكندرية وأنطاكية، وكانت لها هرمية قديمة من الأساقفة وكهنة الرعايا والشمامسة، ومع نهاية القرن الرابع الميلادي بدأت الماركيونية بالتراجع والاضمحلال حتى انتهت تقريباً في القرن الخامس الميلادي³.

ويمكن الظن أنّ حياة الزّهد والتّنسك لدى أتباع ماركيون مشابهة تماماً للرّهْبَنَةِ المسيحية التي ظهرت فيما بعد التي تميزت بالنقشف والزّهد، وحرمان الجسد من كل وسائل الراحة حتى تتمكن النفس أن تتحرر وتصل إلى السمو الروحي.

¹ -لوريمر، جون-(2013)، تاريخ الكنيسة، القاهرة: دار الثقافة، ص 87-89.

² Frend.w(1980) The Early Church, The University of Glasgow, Scotland, p.66-68.

³ Walker, Williston, (1918), A History of The Christian Church, London, p.54-55.

ب- المونتانية:

حركة مسيحية مبكرة ظهرت منتصف القرن الثاني الميلادي، حوالي سنة (170م)، وسميت نسبة لمؤسسها مونتانوس **Montanos** الذي كان كاهناً وثنياً اهتدى إلى المسيحية¹. ومن المتفق عليه أنَّ الحركة نشأت بسبب قراءة مونتانوس لإنجيل يوحنا (سأرسل لكم البارقليط روح الحق)² إذ اعتبر نفسه روح القدس.

يصف المؤرخ الكنسي يوسابيوس مونتانوس (أنَّه مبغض للصالح ومحِبُّ للشَّر ولا يترك وسيلة أو حيلة ألاَّ يجربها ضدَّ البشر، واعتبر نفسه البارقليط وأنَّ المرأتين اللتين تبعناه وهما بريسكلا ومكسيميلان نبيتان لمونتانوس)³، وهذا التوصيف من قبل المؤرخ يوسابيوس ليظهر دفاعه عن الكنيسة والإيمان المسيحي الذي أدخل فيه مونتانوس بعض انحرافات عندما اعتبر نفسه روح القدس وأنَّ بريسكلا ومكسيميلان نبيتان.

ومن أهم المبادئ الزهدية التي نادى بها مبتدع هذه الحركة العفة إذ طلب بحل الزواج والابتعاد عن الممارسات الجنسية، ووضع قوانين للصوم المقتصر على المواد الجافة، وألزموا أنصاره بنظام غذائي من الخضراوات والابتعاد عن أكل اللحم وشرب الخمر، وقد نسب أوريجانوس إلى المونتانية وحياً إلهياً يقول فيه المتحدث: (أنا مندور للرَّب ومثلهم أنا لا أشرب الخمر)، يمكن تفسير ذلك الامتناع عن الخمر المذموم لغوايته الشارب للقيام بالفعل الجنسي، الخمر تم إدانته على أنَّه مغوٍ، ويقول نص: بأنَّ الكرمة قد نبت ونمت مع إله الجنس أيروس⁴ منذ سفك الدم الأول فوق الأرض والنتيجة هي أنَّ هؤلاء الذين يشربون منه يحسون بالرغبة في الاتحاد الجنسي، أما أكل اللحم يمكن تفسيره على أنَّه معارضة أوسع من قبل المونتانية لأكل الأضاحي ومعارضة قوى هذا العالم الشيطانية. ومن المبادئ

¹ -ويلتر. (2007)، ص 66.

² Walker, Williston. (1918), p55-56.

³ -يوسابيوس. (1979)، 5: 14.

⁴ -أيروس: هو إله الحب والإله المسؤول عن الرغبة والحب والجنس، وتمت عبادته كإله الخصوبة هو ابن الإلهة أفروديت وأريس، يقابله عند الرومان كيوبيد. للمزيد انظر:

. Berens.M.(2009), The Myths & Legends of Ancient: Greece and Rome, MetaLibri, October, p. 13

الزهدية أيضا التخلي عن الملكية وطلب من أتباعه بيع أملاكهم أو يجعلونها شراكة فيما بينهم. ومن خلال هذه المبادئ التي طبقها مونتانيوس وجماعته كانوا يستعدون لملكوت الله بأنَّه وشيك جداً¹.

انتشرت المونتانية في شمال أفريقيا وكان من بين أنصارها ترتليانوس الكبير الذي كان كاهناً في كنيسة قرطاجنة وكتب عدة كتب في الدفاع عن المسيحية ولا سيما ضد الغنوصيين وبوجه خاص ضد ماركيون². ولقد دعا ترتليانوس Tertullianus إلى الزهد المونتاني ومناهضة المتع الدنيوية، إلى حدٍ حذرٍ على المسيحيين حضور عروض تمثيلية أيا كانت طبيعتها أو حتى تعلم الآداب الجميلة، ومن خلال ممارسة الزهد يصل الإنسان إلى الفضيلة³، والخلاصة مما تقدم حول الزَّهْد عند جماعة المونتاني أن المونتانية انتهجت حياة مشابهة لحياة الرَّهْبَنَةِ وكانوا يعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعملها الرُّهبان المسيحيون.

ج- الانكراتية:

الانكراتية كلمة تقابل الكلمة اليونانية الأصل **Enkratela** التي تعني العفة المطلقة، وهي تطلق على الهرطقة الذين كانوا يبالغون بهذا الزَّهْد، الذي لا تدينه الكنيسة من حيث المبدأ، لا بل تشجعه ولكنها لا تؤيد مبالغاته. رائد هذه الحركة هو تاتيان Tatian المولد في أفريقيا، الذي اهتدى إلى المسيحية في روما، وكان تلميذ يوستينوس⁴، وقد أصيب بعدوى الغنوصية، فنادى تاتيان بأنَّ الزواج فساد وزنا، وهو ينكر خلاص آدم، واعتبر أنَّ الكلمة الله المتجسد ليس سوى ظاهر⁵.

¹ Lietzmann, H. (1985), **A History of The Early Church**, Vol II London and New York Routledge, p.192-197.

² هيل، جوناثان. (2002)، **تاريخ الفكر المسيحي**، تر سليم أسكندر، القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص 34-35.

³ -ويلتر. (2007)، ص 67-68.

⁴ -وُلد في نابلس في فلسطين وكان من أهم المدافعين عن الديانة المسيحية، جاء إلى روما في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (138-161م) أنشأ مدرسة لتعليم الدين المسيحي، لم يبق من مؤلفاته سوى الدفاعين الأول والثاني والحوار مع تريفون، وقد قضى شهيداً عام 165م.

انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 52-53.

⁵ -يوسابيوس. (1979)، 4: 29.

ومن أهم المبادئ الزهدية التي دعت إليها الانكراتية هي :

- الدعوة إلى التحرر من المادة على أنها مقام الشر وعمل الإله الصانع.
- العفة أي الابتعاد عن المعاشرة الزوجية التي يرى أنها عملاً من أعمال الشيطان، حيث يقول تاتيان: (لايمكن أن تكون لكم قيامة من الموت إلا إذا بقيتم أعفَاء، وبدلاً من تلطيخ جسدكم احتفظتم به نقياً).
- شجب تناول اللحم والخمر، إذ كان الامتناع عن اللحم مقروناً في أغلب الأحيان بالامتناع عن الخمر¹.
- وقد تفهم هذه القيود الغذائية بوصفها وسيلة للتمكن من الكبح الجنسي.

وفي هذا الموضع يجب أن نميز بين من دافعوا عن نموذج معين من الزهد بوصفه حافزاً للفضيلة ولكن من غير أن يطالبوا المسيحيين جميعاً بالالتزام به المقصود هنا الكنيسة، ومن يطالب جميع المعمدين أن يلتزموا بالشكل الزهدي وهم الانكراتية والماركيونية، وهذه الحركة تعرضت للنقد من قبل المؤرخ يوسابيوس لأنهم دعوا للعزوبة وإنكار خلاص الإنسان واعتبار العالم المادي مصدر الشر، إذ يقول عنهم: (*إنَّ الذين يدعون انكراتيين ونادوا بالعزوبة، متجاهلين ترتيب الله الأصلي، ومنتقدين ضمناً ذلك الذي خلقهما ذكراً وأنثى لتكاثر الجنس البشري، ونادوا بالامتناع عن الأشياء التي دعوها حياة مظهرين بذلك روح الجحود لله الذي خلق كل الأشياء كذلك أنكروا خلاص الإنسان الأول*)².

يمكن أن نستنتج أن موقف يوسابيوس السلبي من هذه الجماعة لأنهم أيدوا الكبح الجنسي في الزواج، وكذلك رفضهم للزواج نفسه ودعوتهم للعفة المطلقة. يمكن القول: إن فريقاً من الرهبان المسيحيين اتبعوا شيئاً من النظام الانكراتي الزهدي، في حياة أنطونيوس لا لحوم ولا نبيذ.

¹ -ويلتر. (2007)، ص 73.

² -يوسابيوس. (1979)، 4: 11.

د- الزَّهْدُ فِي الدِّينَانَةِ الْمَانَوِيَّةِ:

المانوية حركة غنوصية **Gnosticism** دينية أسسها ماني **Mani** (216-274م) وكانت هذه الديانة مزيج من الزرادشتية ¹**Zoroastrianism** واليهودية والمسيحية، ثنائية تؤمن بوجود إلهين للخير والشر.

اعتبر ماني نفسه (البارقليط) **Parakletoi** أي روح القدس الذي وعد به السيد المسيح، وعادة يبدأ خطابه بقوله: (ماني رسول يسوع المسيح)²، تعاليم ماني انتشرت في كل مكان من الإمبراطورية الرومانية، فقد انتسب إليها القديس أوغسطينوس³ **Augustine** (354-430م) قبل اعتدائه إلى المسيحية، واضطهد الأباطرة الرومان المانوية لأنهم اعتبروها وباءً شرقياً مفسداً، وإنَّ الإمبراطور ديوكليتيانوس **Diocletianus** (292-305م) اضطهد المسيحية امتداداً للمانوية⁴.

يذهب المؤرخ لوريمر إلى القول: يوجد في الديانة المانوية مبادئ زهدية قامت على قهر الجسد البشري، وجميع متطلباته المادية من خلال الزَّهْدِ والتَّقَشُّفِ، والسبب في ذلك لأنَّ العالم المادي المنظور هو عالم الشيطان المناقض لعالم الروح غير المنظور الذي هو عالم الله، وعاش أتباع ماني حياتهم في غاية الزَّهْدِ، لأنَّهم تعلموا أنَّ المادة شر، فلم يشربوا الخمر، ولم يأكلوا اللحم، ولم يخالطوا النساء، وكانوا

¹ - الزرادشتية هي الديانة التي أسسها زرادشت في إيران في القرن السادس ق.م، وقال: إنه تلقى وحياً من أهورامزدا إله الخير، ليبشر بالحق. ويعتقد البعض أنها ديانة توحيدية وأن أهريمان ليس إلهاً، وإنما هو الشيطان أو إبليس. للمزيد انظر: الشهرستاني، محمد أبو بكر. (2008)، **الملل والنحل**، بيروت: دار المعرفة، ص 281، 286.

² - Danielou, J And Marrou, H. (2009). **The Christian Centuries**. Vol. I. The Hundred Years. London. Pp.192-194.

³ - أوغسطينوس وُلِدَ سنة (354م) في ثاغاست **Thagaste** (سوق أهراس)، وهي بلدة صغيرة في شمال أفريقيا (مدينة سقسطة في الجزائر)، تميزت حياته بالصراع العقائدي والأدبي، فقد جذبته الفلسفة المانوية وصار تابعاً أميناً للعقيدة المانوية وفلسفتها، ثم تخطى عن المانوية واهتم بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة والذي من خلالها صار يعدُّ نفسه مسيحياً، ثم اعتنق الديانة المسيحية في روما وبرز فيها، أسس أوغسطينوس جماعة شبه رهبانية مع أصدقائه على أملاك عائلية في ثاغاست **Thagaste** بعد عودته مسيحياً معمداً، فأن ذلك قد يكون أقرب شيء إلى رهبانية جماعية في شمال أفريقيا الرومانية في ذلك الوقت، وعُيِّنَ أسقفاً على هيبو **Hippo** في تونس وظل في منصبه الكنسي إلى أن توفي سنة (430م)، ويعدُّ من أعظم قادة الكنيسة بعد بولس الرسول. أول أعماله الكتابية كان كتاب الاعترافات، وكتب العديد من التفسيرات والمواظ والرسائل في موضوعات متنوعة دينية وعلمية، وقد دافع عن الديانة المسيحية من خلال كتابه مدينة الله، يعد عمله عن الثالوث **on The Trinity** عمله الأكثر عبقرية والأكثر تطوراً فلسفياً وروحانياً، فاق عمل أوريجانوس الإسكندري حول الثالوث.

للمزيد انظر: هيل، جوثانان. (2012)، **تاريخ الفكر المسيحي**، القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع، ص 85، 92.

⁴ - Williston. W. (1959). **A History Of The Christian Church**. Darton. Long Man. Pp. 97-99.

ينتظرون المجيء الثاني للسيد المسيح ليحكم ألف سنة، وحينئذ تأتي النهاية، فيتحرر المختارون من عالم المادة ويتحدون بمملكة النور¹.

يؤكد المؤرخ لوريمر أنَّ حياة الزَّهْد والتَّسْك لدى أتباع ماني مشابهة تماماً للرَّهْبَنَةُ المسيحية التي ظهرت فيما بعد، التي تميزت بالتقشُّف والزَّهْد وحرمان الجسد من كلِّ وسائل الراحة حتى تتمكن النفس أن تتحرر وتصل إلى السمو الروحي².

هـ- الحركة الأوريجانية:

تنسب هذه الحركة إلى أوريجانوس **Origenes** (185-254م) مصدر معلوماتنا عنه مستمدة من تاريخ الكنيسة للمؤرخ الكنسي يوسابيوس **Eusebius** (265-339م)، ويقدم يوسابيوس معلومات هامة في الكتاب السادس من تاريخه الكنسي حول أوريجانوس، ويعطي المؤرخ يوسابيوس تاريخاً تقريبياً أنَّه ولد بالإسكندرية عام (185م) وتوفي في عهد الإمبراطور جالوس **Gallus** (251-254م) عام (254م)، وبدأت حياة أوريجانوس وانتهت بالاضطهاد . كانت عائلته عائلة مسيحية متدينة مرموقة في الإسكندرية، من المحتمل أنَّ تكون متعلمة تعليماً عالياً، فقد والده ليونيدس أبان الاضطهاد الذي ثار ضد المسيحيين عام (202)، وبعد وفاة والده أصبح مسؤولاً عن أسرته التي تتكون من خمس بنات وأمه³

درس أوريجانوس أولاً المعارف الدينية المقدسة منذ طفولته على يد أبيه، وتمرن على هذه الدراسات الدينية قبل تعلمه العلوم اليونانية، إذ طلب منه والده أن يحفظ كل يوم جزءاً معيناً ثم يتلوه عليه، ولم يكتف بدراسة الأمور السهلة والواضحة في الكتاب المقدس بل طلب المزيد وانكب على التأملات العميقة لدرجة أنَّه كثيراً ما أربك أباه بأسئلته عن المعنى الحقيقي للأسفار المقدسة، وعلاوة عن التعليم الديني تلقى أوريجانوس علوم اليونانيين على يد والده أيضاً، بعد

¹ - لوريمر، جون. (2013)، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول حتى السادس الميلادي، القاهرة: دار الثقافة، ص 198.

² - لوريمر. (2013)، 199

³ - يوسابيوس. (1979)، 6 : 1-2.

وفاة والده انكب على دراسة الأدبيات والفلسفة بأكثر توسع وتعمق، وقد كان أوريجانوس من تلاميذ المدرسة الأفلاطونية المحدثة التي أسسها أمونيوس ساكاس، وعلى الرغم من عدااء الأفلاطونية للديانة المسيحية¹.

يذكر المؤرخ يوسابيوس أنَّ أوريجانوس أصبح مهتماً بالفلسفة اليونانية وفي وقت مبكر من حياته، حيث درس على يد أمونيوس ساكاس **Ammonius Sacas** (175-242م) وجمع مجموعة من النصوص الفلسفية، وقد كان ناقداً ماهراً للفلسفة الوثنية في عصره، ولكنه تعلم الكثير منها من أجل تكييف تعاليمها المفيدة والبنوية لتوضيح الإيمان المسيحي². أدت أفكار أوريجانوس وعلى الأخص تلك الموجودة في كتاب المبادئ إلى ظهور حركة في الكنيسة تعرف باسم **Origenism** من القرن الثالث الميلادي حتى القرن السادس الميلادي، كانت هذه الحركة مؤثرة للغاية خاصة بين الرهبان وهذه الحركة كانت مفردة في الزهد³. وفرت الأوريجانية التي روح لها أوريجانوس في عظامه في قيسارية بفلسطين والتي انتشرت على نطاق واسع التربة أو الرحم التي تنبت منه حياة الرهبنة التي نشأت في القرن الرابع الميلادي⁴.

يركز الزهد عند أوريجانوس على العفة وضبط الشهوة عبر التعقل من أجل الخلاص، وهذه الشهوة والإثارات الحسية إذ برزت لدى أناس كان لديهم من التقوى والفضيلة والمعرفة بالعلوم الإلهية لا تجد لديهم سبيلاً، إذ كانوا يتخذوها سنداً للابتعاد عن هذه الإغراءات جميعها بوصفها أرض المعركة بين القوى المتعارضة للمسيح والشيطان⁵.

يتم ضبط الرغبات الجسدية عبر التعفف عندما يقوم الشخص المؤمن ببناء معبده في قلبه عن طريق التعبد لله، ويصبح العقل أداة ضبط النفس المملوءة بالردائل كالغرور والغضب والشهوة .

¹ -يوسابيوس. (1979)، 6: 2.

² -يوسابيوس. (1979)، 6: 19.

³ Jonas H. (1974), **"Origen's Metaphysics Of Free Will, Fall, And Salvation: A 'Divine Comedy' Of The Universe,"** In Philosophical Essays: From Ancient Creed To Technological Man (Englewood Cliffs, NJ: Prenticehall. Pp.7-12.

⁴ - Thomas.P, (2009), **Ancient Christian Texts, Homilies On Numbers, Origen**, IVP Academic, 1-2-6-9..

⁵ -أوريجانوس. (2002)، **المبادئ**، تر الأَب جورج خوام البولسي، بيروت: المكتبة البولسية، 2-4-3-1

أقدم أوريجانوس على عمل يعطي أعظم برهان على الإيمان بالعفة وضبط النفس (لأنه يُوجَدُ خَصِيَّانَ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَوُا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ قَلْبُهُ)¹، وذهب أوريجانوس في فهم معناها إلى أقصى حدودها، ولكي يتم كلمات المخلص، وفي نفس الوقت ليقطع كل فرصة قد يتخذها غير المؤمنين لإساءة الظن لأنه كان يلتقي بالرجال والنساء عند تدريس الإلهيات بالرغم من حداثة سنه، فقد نفذ عملياً كلمة المخلص، وقد انتشر وعلم به الجميع على الرغم من بذله من جهداً لإبقائه سراً مخفياً². من مبادئ أوريجانوس الزهدية الفقر، إذ دعا أوريجانوس إلى التخلي عن الثروة المادية ويعتمد على ما ورد في إنجيل متى، إذ يقول السيد المسيح: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبَعْنِي)³. وما ورد أيضاً في إنجيل لوقا عندما قال السيد المسيح: (فَعَذَلِكَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتْرُكْ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيذاً)⁴.

يذكر أوريجانوس أن التخلي عن الثروة يقود إلى الفضيلة، ويؤكد على هذا الجانب ويدعو إلى عدم امتلاك البيوت أو الأراضي، مثلما غادر اليهود مصر زمن رعمسيس كذلك ينبغي على المسيحيين أن ينفصلوا عن الثروة المنحورة بالعث والديدان، وكبح الجسد بالاعتماد على الإيمان، ومنح الروح الدور في تحضير المسيحي لكمال الرب. يعطي أوريجانوس الصوم قيمة كبيرة حيث يقول: إن انتصار المسيح على إغراءات الشيطان كان عن طريق الصوم في الصحراء، وقد جعلنا ندرك كيف أن الشياطين يهزمون عن طريق الصوم والصلاة، وشجع المسيحيين على ممارسة حياة التأمل والعزلة عن العالم، والهدف من ذلك الوصول إلى الكمال الروحاني، فالكمال عند أوريجانوس يعني تخليص النفس من العواطف غير العقلانية التي تعترض الفضيلة.

¹ -إنجيل متى، 19: 12.

² -يوسابيوس. (1979)، 6: 8.

³ -إنجيل متى، 19: 21.

⁴ - إنجيل لوقا، 14: 33.

وعَلَّمَ أوريْجانوس كيف يمكن تنقية القلب والأفكار والكلمات والأفعال التي تتبع من القلب من خلال الزَّهد والفضيلة والتَّقشُّف، وكان مطلوب من أتباع أوريْجانوس أن يسألوا أنفسهم في سَكينة قلوبهم إذ كان الله أكثر ما يحبونه أو شيء آخر أقل شأنًا يبجلونه، ويعبدونه مثل الثروة أو المتعة الحسية أو المنزل الاجتماعية¹.

ويشبه أوريْجانوس الجسد بالبئر ملأته القوى الشيطانية بالقاذورات من الأفكار والشهوات الحسية، ويمثل الغضب والعواطف الأخرى الحجاب الذي يمنعنا من إدراك مجد الله. ويورد شهادة القديس بولس الرسول: (**إِنَّهُ مِنَ السَّهْلِ مَعْرِفَةُ أَعْمَالِ الْجَسَدِ: الْفَجُورِ، النَّجَاسَةِ وَالْعَهْرِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالسَّحَرِ وَالْعَدَاوَاتِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْمَنَازَعَاتِ وَالْأَطْمَاعِ وَالْبَدْعِ وَالسُّكْرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ**)² ويقول: (**لَأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يَقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، حَتَّى تَفْعَلُونَ مَا لَا تُرِيدُونَ**)³ فمن تراهم هؤلاء الذين يقول عنهم: حتى أننا لا نفعل ما نريد. المقصود هنا إرادة النفس القادرة أن تحوز على إرادة لها تناقض إرادة الروح، هذه الإرادة تتوسط بين الجسد والروح، فتخدم بلا ريبه أحد الاثنين وتطيع من اختارت أن تطيع، ومتى خضعت هذه النفس لملاذات الجسد جعلت الناس جسديين، ولكن حين تلتصق بالروح تحمل الإنسان على العيش مع الروح فيدعى لأجل هذا روحياً، فالقديس بولس الرسول يبدو أنه يلمح إلى هذا عينه عندما يقول: (**وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللَّهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ**)⁴، ويجب أن تدخل الكلمة المقدسة إلى القلب بوصفها مصدر التطهير، وأن يمارس الإنسان تعاليم الله⁵.

ويعود الفضل لهذه الحركة في الدعوة للرَّهْبَنَة وانتشارها في مصر وخارج مصر، فالتعاليم النَّسْكِية والزَّهْدِيَّة التي نادى به أوريْجانوس بن ليونندس، والذي عكف منذ شبابه على تطبيقها بصرامة شديدة، كانت المقدمات لظهور الرَّهْبَنَة المسيحية في القرن الرابع الميلادي.

¹ فين. (2009)، ص 163-164.

² العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، 5: 19-21.

³ العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية، 5: 17.

⁴ العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، 8: 9.

⁵ أوريْجانوس. (2002)، **إِلْمَادِيٌّ**، 3-3-3-5.

وصف المؤرخ الكنسي يوسابيوس أوريجانوس بأنَّه: (كان طوال النهار يتحمل الكثير من التدريب العنيف، مبتعداً عن كل الرغبات والملذات الشبابية، ويقضي معظم الليل في دراسة الأسفار الإلهية، ويكبح جماح نفسه على قدر استطاعته بالحياة الفلسفية الصارمة، أحياناً بالصوم وأحياناً بالسهر، ولم ينم على فراش قط، بل ينام على الأرض، وأنَّه كان يمشي حافي القدمين سنوات طويلة، وامتنع عن شرب الخمر، وكذلك عن كل شيء غير الطعام الضروري، حتى أصبح في خطر إنهاك قواه، وإتلاف جسده)¹.

فالزهد عند أوريجانوس جزءاً لا يتجزأ من تقدم أي حياة مسيحية، وأنَّه يتمتع بقيمة أكبر وشكل أكثر كمالاً في الحياة من الفقر الطوعي والعفة الجنسية.

وانتشرت تعاليمه في كل مكان، وتناول الرهبان كتبه بالترسيخ والتأمل، غير أنَّ الكنيسة عادت وانقلبت على أوريجانوس، فأصدرت قرارها بحرمانه وتحريم كتبه، وذلك لأنَّه طبق تعاليم الكتاب المقدس حرفياً، إلَّا أنَّ هذا القرار لم يكن نهاية نشاط أوريجانوس، إذ استأنفه خارج مصر، ولم يحد من تأثير تعاليمه وآرائه على طائفة كبيرة من الراغبين في الزَّهد². الرَّهْبَةُ تدين للأوريجانية والمونثانية والانكراتية التي ميزت بين النوازع الطبيعية للروح والشوائب الواجب إزالتها، إذ كان لحيوية الروح وفضائلها أن تتلأأ، واستخلصت مبادئها ونزورها من هذه الحركات التي بدورها استمدت مبادئها من حياة المسيح.

مما سبق يمكن الاستنتاج أنَّ الأفكار والتعاليم التي نادى بها هذه الحركات الزهدية من الدعوة للعزلة والتأمل والعفة والمطالبة بالتخلي عن الملكية أي الفقر الاختياري ودراسة الكتاب المقدس بتعمق من أجل تنقية الروح من كل الشوائب والردائل والوصول للكمال المطلق والاتحاد مع الله، هذه الأفكار سوف تظهر بالرَّهْبَةُ المسيحية من خلال ما يعرف بنذور أو مبادئ الرَّهْبَةِ، ولذا يمكن التخمين أنَّ لهذه الحركات والجماعات المسيحية أثر عميق على الرَّهْبَةُ المسيحية، ولكن ليس أثراً مباشراً أو أصلاً من أصولها.

¹ - يوسابيوس. (1979). ص: 391.

² - يوحنا، منسي. (د-ت)، تاريخ الكنيسة القبطية، القاهرة: دار المحبة للطباعة والنشر، ص 35-36.

ثالثاً- الرَّهْبَنَةُ الْمَسِيحِيَّةُ التَّطَوُّرُ الْأَخِيرُ لِحَيَاةِ الزَّهْدِ:

إنَّ الزَّهْدَ الَّذِي مَوَّسَّ فِي الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ بِالْأَخْصَ لَدَى الْجَمَاعَاتِ وَالْحُرُكَاتِ الْمَسِيحِيَّةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ الْمِيلَادِيِّينَ، تَطَوَّرَ إِلَى مَا يَعْرِفُ بِالرَّهْبَنَةِ، فَالرَّهْبَنَةُ هِيَ التَّطَوُّرُ الْأَخِيرُ لِحَيَاةِ الزَّهْدِ وَتَعْنِي مَجْمُوعَةً مِنْ الزُّهَادِ الْبَتُولِيِّينَ الَّذِينَ يَمَارِسُونَ حَيَاةَ الزَّهْدِ ضَمَّنَ حَيَاةٍ جَمَاعِيَّةٍ مُشْتَرَكَةٍ وَمُنَظَّمَةٍ وَهِيَ لَا تَهْتَمُ فَقَطْ بِالصَّلَاةِ وَالتَّوَكُّلِ بَلْ تَقُومُ أَيْضًا بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ الْيَوْمِيَّةِ لِتَأْمِينَ بَعْضِ حَاجَاتِهَا الْمَادِيَّةِ¹.

يُمْكِنُ تَعْرِيفُ الرَّهْبَنَةِ **Monasticism** بِأَنَّهَا نِظَامٌ دِينِي الْمَقْصُودُ بِهِ الْإِبْتِعَادُ عَنْ مَلَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَاعْتِزَالُ النَّاسِ وَالتَّقِيدُ بِنُذُورِ (Vows) مَعِينَةٍ، وَالتَّفَرُّدُ فِي الْأَدِيرَةِ طَلَباً لِلْعِبَادَةِ وَالتَّقَرُّبِ مِنَ اللَّهِ²، فَالرَّهْبَنَةُ الْمَسِيحِيَّةُ لَهَا أَسَسٌ عِدَّةٌ أَهْمُهَا الْبَتُولِيَّةُ (عَدَمُ الزَّوْاجِ)، وَالتَّقَشُّفُ وَالْفَقْرُ الْإِخْتِيَارِيُّ وَالْعِزْلَةُ وَالطَّاعَةُ³. بَدَأَتْ الرَّهْبَنَةُ فِي مِصْرَ، وَحَوْلَ ذَلِكَ يَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُ الْكَنْسِي يُوْسَابْيُوسُ أَبَ التَّارِيخِ الْكَنْسِي بَدَأَتْ الرَّهْبَنَةُ فِي مِصْرَ حَالِ دُخُولِ الدِّيَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ فِيهَا، إِنَّ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِمَرْقُصٍ عَاشُوا حَيَاةَ الزَّهْدِ وَالرَّهْبَنَةِ الْمَتَطَرِفَةِ⁴، وَأَيْضاً يَتَحَدَّثُ الْقَدِيسُ جِيروم **Hironimus** (-420م) عَنْ ظُهُورِ الرَّهْبَنَةِ فِي الْعَالَمِ الْمَسِيحِيِّ جَاعِلاً مِنْ مِصْرَ مِيلَادِهَا وَمَرْكَزِ انْتِشَارِهَا إِلَى جَمِيعِ الْوِلَايَاتِ الرُّومَانِيَّةِ فِيمَا بَعْدَ⁵.

بَلَغَتْ الرَّهْبَنَةُ أَوْجَ نُمُوِّهَا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِي، وَيَعْدُ الزَّاهِبُ أَنْطُونِيُوسُ الْكَبِيرُ **Anthony of Egypt** الْمَوْلُودُ فِي مِصْرَ سَنَةِ (251م)، مُؤَسِّسُ الرَّهْبَنَةِ الْمَسِيحِيَّةِ فَقَدَ دَعَا إِلَى حَيَاةِ الْإِنْفِرَادِ وَالْعِزْلَةِ وَإِنْكَارِ الذَّاتِ وَالصَّلَاةِ وَالتَّفَكُّيرِ بِاللَّهِ بَعِيداً عَنِ الْمَدَنِ وَالْإِضْطِرَابَاتِ الدِّينِيَّةِ. عَاشَ أَنْطُونِيُوسُ فِي إِفْرَادٍ تَامَ لِمُدَّةِ عِشْرِينَ عَاماً مُجَاهِداً بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ، وَمَعْرِضاً ذَاتَهُ لِلْإِمْتِنَاعِ عَنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَرَمَاتِ، فَذَاعَ صِيَّتُهُ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ مِصْرَ وَتَوَافَدَ عَلَيْهِ الْمَسِيحِيُّونَ لَزِيَارَتِهِ، وَرَغِبُوا بِالْعِيشِ بِقَرْبِهِ وَتَحْتَ قِيَادَتِهِ، وَتَجَمَّعَ حَوْلَهُ عِدَدٌ مِنْ عَشَاقِ الرَّهْبَنَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَتَمَّ تَأْسِيسُ أَوَّلِ جَمَاعَةٍ

1 - أبو زيد. (د-ت)، ص 385

2- Hannay, J. (1976), **The Spirit And The Origin Of Christian Monasticism**, London, P.10

3 - سَكْرِيْمَا، أَنْدَرِيَّة. (1992)، **أَصُولُ الْحَيَاةِ الرُّوحِيَّةِ**، تَرْ: رَهْبَنَةُ دِيرِ مَارِ جَرِجِسْ، ط ٢، الْقَاهِرَةُ: مَنَشُورَاتُ دَارِ النُّورِ، ص 29-40.

4 - يُوْسَابْيُوس. (1979)، 2: 16.

5- Jerome, **Illustrious Men**. (1849), **Nicene And Past – Nicene Fathers** Ed . Schaff, Newyork, II, P.365

رهبانية عام (305م)، وهذه الجماعة لم يكن لها قوانين مفصلة بشأن الحياة النّسكية، بل جملة من الطرق لبلوغ الكمال الروحي والأدبي اقتداءً بسلوك مؤسسها ومثله وأخلاقياته. وفي النظام الرهباني الأنطوني لم يضع أنطونيوس نظاماً للحياة النّسكية، ولم يطالب النّسّاك بأكثر من النّقش والصلاة والعمل اليدوي¹.

وكتب أنطونيوس الإرشادات لمن سيدخل سلك الرّهبنة، يوجه أنطونيوس خطاباً يقول فيه: إنّنا مطالبون بالتوبة من خلال القانون المودع فينا منذ خلقنا، وتتطلب التوبة الطهارة، وهو ما يفتح العقل للحكمة الممنوحة من الروح، وتهزم الفوضى الموجودة في الجسد والنفس، وأنّ هذه الفوضى هي بشكل كبير مسألة رغبات خاطئة، وهو ما يفهمه أنطونيوس بوصفها حركات غير ملائمة تجد أصلها في الاستهلاك المفرط والإغواء الشيطاني².

وينصح أنطونيوس من سيصبح راهباً كيف يتصرف مع المشاعر الخاطئة التي تؤثر في كل جزء من أجزاء الجسد، فالأذن يجب تدريبها على عدم الاستماع للثرثرة الشريرة، والحركات الخاطئة للروح كالتفاخر والكراهية وعدم الصبر، تتم مواجهته عن طريق الصوم لفترات طويلة، والسهر للتعبد والكثير من الدراسة لكلمة الرب، والإكثار من الصلاة، وكذلك نبذ العالم والأشياء الإنسانية، ومن ثم التواضع والندم³.

يبدو تأثير الزهد أوريغاني كبيراً وقوياً في أنطونيوس أب الرهبان، وقد كتب أوريغانيوس (مثلما تصبح بئر المرء التي هي كلمة الرب أباراً وينابيع وأنهاراً لا حصر لها، فإنّ روح الإنسان قادرة على احتواء الآبار والجداول والأنهار وإنتاجها، غير أنّ الآبار في أرواحنا تحتاج إلى من يحفرها، لا بدّ من تنظيف ويزال منها كل ما هو أرضي، حتى تنتج تلك الآبار الروحانية التي وضعها الله فينا ماء نقياً وصحياً)⁴.

ويمكن تحقيق ذلك عند أنطونيوس بممارسة الحياة باستقامة والإيمان بالله وممارسة الصوم والسهر بيقظة والصلوات، ومن عدم محبة المال وعدم الغرور بالذات ومن التواضع وعدم الغضب، ومن التقدم في تقوى المسيح، وبذلك كل

¹- Athanasius, *Vita Antonii (The Life of Antony)*, P.G. 26, 884. .

²- أنطونيوس، (1979). الرسائل، تر الأب متى المسكين، القاهرة: دار مرقس، الرسالة الأولى.

³- أنطونيوس، (1979)، الرسالة الثانية.

⁴- Thomas.P.(2009), p. 170

أعمالهم لا تملك من ذاتها أن تسحقنا ومعرفتنا بكل ما أعطى لنا ضدهم بسبب الإيمان بكلمات المخلص القائلة: (مَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لَتُدْوسُوا الْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلَا يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ)¹.

ويوجه أنطونيوس كلامه للرهبان ويطلب منهم التخلي عن الملكية والعيش بفقر (إِذْ تَخْلِينَا عَنْ الْقَلِيلِ فَلَنْ نَمُوتَ جُوعًا، وَحَتَّى الذَّهَبُ الَّذِي يَلْمَعُ فِي الْبَيْتِ فَلَنْ نَلْتَزِمَ بِالْاِفْتِخَارِ بِهِ أَوْ نَشْعُرَ بِهِ هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ، وَخِلَافَ ذَلِكَ فَإِنْ التَّزَامْنَا بِالتَّفَكُّيرِ بِهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُوَصِّلَنَا إِلَى الْفَضِيلَةِ، بَلْ يَجْعَلُنَا أَكْثَرَ تَأَخُّرًا فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْتِ، وَيَقُولُ: لِمَاذَا لَا نَجُوعُ لِلْفَضِيلَةِ حَتَّى نَنَالَ مُلْكُوتَ السَّمَوَاتِ؟)، ويجب ألا نخاف من هجمات الروح لأنها تهزم حالاً بالصلوات والأصوام وبالإيمان بالرب الذي يسقط هؤلاء سريعاً، عندها تصبح قلوبنا نقية وطاهرة ونرتقي للكمال الروحي².

هذا الخطاب الذي تحدث به أنطونيوس أثناء كلامه مع الرهبان يظهر بشكل واضح في كتاب المبادئ عندما تحدث أوريجانوس عن الروح ومراتب النفس وكيفية التصدي للإغراءات التي تعترض الروح من أجل الوصول للفضيلة والكمال. ويمكن ملاحظة أن ترجمة أنطونيوس للنص المقدس يدين في طريقته كثيراً لأوريجانوس، ويرى أنطونيوس استمرارية عميقة بين العهدين القديم والجديد، والكنيسة ببيت الحق أسسها موسى، وكان يخاطب أتباعه التُساك والرهبان بوصفهم أبناء أسرائيل المقدسين³، وهذا التوصيف يظهر كثيراً في كتابات أوريجانوس الروحية والزهدية (أبناء أسرائيل المقدسين)، ولا سيما في مواضع أوريجانوس بقيسارية.

¹ - إنجيل لوقا، 10: 19.

² - أثناسيوس (2012)، ص 50، 74.

³ - أنطونيوس (1979)، الرسالة 2-3-5.

1- ظُهور الرّهبنه ومقدماتها:

يذكر المؤرخ يوسابيوس القيصري **Eusebius** (265 - 339م) - آب التاريخ الكنسي- أنَّ الرّهبنه بدأت بمصر حال دخول الديانة المسيحية فيها، وأنَّ الذين استجابوا لمرقص¹ عاشوا حياة الرّهد والرّهبنه المتطرفة²، وأيضاً يتحدث القديس جيروم **Hironimus** (347 - 420م) عن ظهور الرّهبنه في العالم المسيحي، جاعلاً من مصر ميلادها ومركز انتشارها إلى سورية أولاً، وآسيا الصغرى وبلاد اليونان فيما بعد³، وهذا ما يؤكده أيضاً الأب متى المسكين (1919-2006م) بقوله: إنَّ حياة الرّهبنه بوضعها المنظم ومبادئها، ظهرت لأول مرة في تاريخ المسيحية في مصر⁴، ويعود الفضل لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية في الدعوة للرّهبنه وانتشارها في مصر وخارج مصر، إنَّ التعاليم النّسكية التي نادى بها أقطاب هذه المدرسة اللاهوتية، ولا سيما تعاليم أوريجانوس بن ليونيدس، الذي تتلمذ على يد أكلميندس وغيره من معلمي ذلك العصر، الذي عكف منذ شبابه على النّسك والعيشة الصارمة، ومن تعاليم أوريجانوس النّسكية؛ أنه دعا إلى عدم امتلاك البيوت أو الأراضي، وشجع المسيحيين على ممارسة حياة التّأمل والعزلة عن العالم، وانتشرت تعاليمه في كل مكان، وتناول الرّهبان كتبه بالتفسير والتّأمل⁵.

غير أنَّ الكنيسة عادت وانقلبت على أوريجانوس، فأصدرت قرارها بحرمانه وتحريم كتبه، وذلك لأنّه طبق تعاليم الكتاب المقدّس حرفياً، إلا أن هذا القرار لم يكن نهاية نشاط أوريجانوس، إذ استأنفه خارج مصر، ولم يحد من تأثير تعاليمه وآرائه على طائفة كبيرة من الراغبين في الرّهد، وبعد الحرمان من قبل الكنيسة، انتقل أوريجانوس إلى قيصريّة في فلسطين وبقي فيها حتى تتيح بسلام سنة (254م)⁶. من خلال وصف المؤرخ الكنسي يوسابيوس للعلامة

¹ - كتب مرقص تلميذ بطرس الرّسول وترجماته إنجيلاً قصيراً في روما، فأقرّه بطرس بعد أن اطلع عليه، وأمر أن يقرأ في الكنائس هذا ما ذكره القديس أكلميندس الإسكندري في الجزء السادس من كتابه المخطوطات. أخذ مرقص إنجيله الذي ألفه، وجاء إلى مصر حيث أنشأ كنيسة، وكان أول من نشر المسيحية في الإسكندرية، وترك تأثيراً قوياً من جهة التعليم والقداسة مما دفع بأنصار المسيح إلى الإقْتداء به. انظر: هيرونيمس (2010)، ص 34

² - يوسابيوس، (1979)، 2: 16

³ - Jerome, **Illustrious Men**, P.N.F, Schaff, Newyork, II, P.365

⁴ - الأب متى المسكين. (1981)، **لمحة سريعة عن رهبنه مصر**، القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ص 46.

⁵ - يوسابيوس. (1979)، 6: 3

⁶ - يوحنا، منسي. (د-ت)، ص 35-36.

أوريْجانوس والتعاليم الزهديَّة والنسكيَّة التي نادى بها وطبقها على نفسه، يمكن التَّخمين أنَّه كان المثل الأعلى للرَّهبان المسيحيين، ومن المعروف أنَّ القديس أنطونيوس (251-356م)، هو المنشئ الحقيقي للنظام الرَّهباني في العالم المسيحي¹. ولكن كان هناك مقدمات مهدت لهذا النظام ومنها:

- تعاليم أوريْجانوس النَّسكيَّة.
- خروج أحد أغنياء الإسكندرية اسمه فرونتيوس **Frantoni** في عام (150م) ليتعبد في صحراء النطرون منطقة نتريا، ومعه سبعون مسيحياً تقياً، حيث أسس ما عرف بالقلالي المسيحية².
- الهروب من الاضطهاد الروماني: ومن الأشخاص الذين هربوا من الاضطهاد الأنبا³ بولا الطيبي (228-343م)، من "الأقصر" واستقر به المقام في إحدى الكهوف في الجبال المطلة على البحر الأحمر، ومكث الأنبا بولا عابداً ناسكاً حتى بلغ الثالثة عشر بعد المائة على قول الرواية، ولولا أن عثر عليه القديس أنطونيوس مصادفة الذي بلغ من العمر حوالي التسعين وقتذاك، لظل أمر الأنبا بولا مجهولاً⁴.

2- أنظمة الرَّهْبَنَةِ وتطورها:

اتخذت الرَّهْبَنَةُ ثلاثة أنظمة، نشأت كلها في مصر، وهي نظام الرَّهْبَنَةِ الوجدانية أو الانعزالية، الرَّهْبَنَةُ الجماعية أو شبه النَّسْكيَّة ثم الرَّهْبَنَةُ الاجتماعية أو الدَّيرية.

أ- نظام الرَّهْبَنَةِ الفرديَّة *Singula monastica* :

مؤسس هذا النظام الأنبا أنطونيوس الكبير **Antinius** الذي ولد في مدينة كوما قرب بني سويف، قد رياه والداه على التقوى والفضيلة، فقد أبويه في سن الثامنة عشر، اهتم بتربية أخته الصغيرة، في أحد الأيام ذهب إلى الكنيسة وسمع الآية التي تقول: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ،

¹- أنثاسيوس. (2012)، ص 3.

²- الأورشليمي، يسطس. (2013)، الرَّهْبَنَةُ القبطية وأثرها على العالم، الإسكندرية : مركز الزمالة للدراسات والفنون القبطية، ص 14.

³- الأنبا: هي كلمة من أصل سرياني وتعني الأب والمعلم ، وهي لقب للأباء الرَّهْبَنَةِ (الأنبا أنطونيوس، الأنبا هيلاريون، الأنبا باخوميوس).

للمزيد انظر : ملطي. (2021)، قاموس المصطلحات الكنسية، مادة أنبا

⁴- حبيب، يوسف. (1976)، القديس أنبا بولس الطيبي، القاهرة، ص 14.

وَتَعَالَ اتَّبَعْنِي¹، وفي الحال قام القديس وباع كل أملاكه ووزعها على الفقراء، وألحق أخته ببيت للعداري وذهب إلى الصحراء²، هناك ذاع صيته وانتشر خبر قداسته بين الناس، وتجمع حوله عدد كبير من راغبي العزلة والرهبنة. حيث يعود الفضل لهذا القديس في تجميع الرهبان في مناسك جماعية، فاعتبر مؤسس الرهبانيات الأولى في العالم، إذ يعد عام (305م) ميلاد هذا النظام الرهباني، لأن عدد الرهبان حول أنطونيوس كان كبيراً، وبسبب كثرتهم أجبروه أن يقطع عزلته ويخرج لتعليمهم ثم يعود إلى حصنه المهجور³، وفي النظام الأنطوني لم يضع أنطونيوس نظاماً للحياة النسيكية، ولم يطالب النساك بأكثر من التقشف والصلاة والعمل اليدوي⁴. وقد تتلمذ على يديه القديس أثناسيوس الرسولي Athanasius (298-373م) رئيس أساقفة الإسكندرية. ذهب الأنبا أنطونيوس إلى الإسكندرية مرتين في المرة الأولى لمؤازرة المسيحيين أثناء الاضطهاد، وفي المرة الثانية لتأييد البطريرك أثناسيوس ضد الآريوسية سنة (365م).

ويرجع الفضل في معرفة سيرة الأنبا أنطونيوس إلى البطريرك أثناسيوس الرسولي، الذي دون سيرة أنطونيوس باللغة اليونانية بعد نياحته بفترة وجيزة، وذلك بناءً على طلب الرهبان الأجانب، كما يتضح من مقدمة السيرة، وقد ترجمت هذه السيرة إلى لغات عديدة منها: اللاتينية والسريانية والقبطية⁵. ويحتفظ الأدب القبطي بتقريظ (مدح) للأنبا أنطونيوس من تأليف يوحنا أسقف الأشمونيين⁶ الذي عاش نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي، ويقول يوحنا في مدح القديس أنطونيوس: (من من الآباء لم يمدح ذلك الشيخ المبارك؟ لأن أثناسيوس قال: أما بالنسبة لي أنا مجرد تذكر أنطونيوس له فائدة عظيمة لي، وعندما يريد باسيليوس القيصري أن يسن قوانين للرهبان فهو يذكر

¹ - إنجيل متى، 21:19

² - أثناسيوس. (2012)، ص 12-13.

³ - أثناسيوس. (2012)، ص 45، 48.

⁴ - أثناسيوس. (2012)، ص 3-4.

⁵ - أثناسيوس. (2012)، ص 4-5.

⁶ - اختير أسقفًا على منطقة الأشمونيين التي كانت أسقفية غنية بالكنائس والأديرة، وهي الآن قرية تابعة لمركز ملوى في محافظة المينا المصرية تقع إلى الشمال الغربي من ملوى.

انظر: ابن كبر، شمس الرياسة أبو البركات. (1970)، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، ج 1، القاهرة: مكتبة الكاروز، ص 306-307

أنطونيوس، عندما يريد يوحنا فم الذهب أن يصف الشخص الذي اعتزل العالم فهو يقول: مثل العظيم أنطونيوس، عندما يريد كيرلس الإسكندري¹ أن يمدح رهبان مصر يقول: لأنكم تتمثلون بأنطونيوس، وعندما يريد ساويرس الأنطاكي أن يعطي مثلاً للشخص الذي حقق نجاحاً في عالم الإدراك (البصيرة) يقول: مثل العظيم أنطونيوس، وفوق كل هؤلاء الأرشمندريت² الأنبا شنودة صاحب الفم الناطق بالحق قال: إذا جمعت رهبان المسكونة جميعاً، فلن يصنعوا أنطونيوس واحداً³.

ب- الرَّهْبَنَةُ الْجَمَاعِيَّةُ Collective monasticae disciplinae :

وفي هذا النظام الرَّهْبَانِي يعيش الزَّاهِب منفرداً، ولكن في تناسق مع جماعته الرَّهْبَانِيَّة التي يعيش فيها البعض في قلالي منفردة، وجماعات كانت تعيش في قلاية واحدة، وبعدُ القديس مكاريوس الكبير **Macarius** (301-390م) مؤسس هذا النمط الرَّهْبَانِي، وقد ولد هذا القديس من أبوين مسيحيين فقيرين هذباه على روح النَّسْك في حادثته، وعندما بلغ سن الثلاثين من عمره، قصد الأنبا أنطونيوس بوادي النطرون، وتلمذ على يديه، فيما بعد ذاع صيته وكثر عدد تلاميذه، فقام وبنى لهم ديراً. وفي سنة (375م) نفاه الأريوسيون إلى جزيرة فيله **philae** بالصعيد الأعلى مع عدد من الرُّهبان، ثم رجع إلى بريته إلى أن تتيح بسلام، وله من العمر تسعين عاماً، وقد بلغ عدد رهبانه ألف وخمسمئة راهب، من أشهر تلاميذه: (الأنبا بيشوي- الأنبا موسى الأسود، والقديس يوحنا القصير، وغيرهم)⁴.

¹ - كيرلس الإسكندري: وُلِدَ نحو (380م)، نشأ في ظل خاله ثيوفيلس رئيس أساقفة الإسكندرية. وتُمرس في البلاغة، والفلسفة، والكتاب المقدس. أصبح بطريك الإسكندرية عام (412م) بعد وفاة ثيوفيلس. واختيار كيرلس كان لما تمتع به من غيرة على الإيمان، ومعرفة كبيرة بالكتاب المقدس، ومعرفة جيدة في عقائد الأرثوذكسية؛ وخاصة ما هو متعلق في لاهوت الثالوث القدوس.

عمل كيرلس على إرساء قواعد الكنيسة وبسط نفوذها ومد تأثيرها. كما عمل على تحويل المجامع اليهود إلى كنائس، وحد من الوثنية وانتشارها. اشتهر كيرلس في الدفاع عن الأرثوذكسية في وجه النسطورية، حين صار نسطوريوس أسقفاً على القسطنطينية عام (428م). فاشترك كيرلس في المجمع المسكوني الثالث عام (431م) حين أدين نسطوريوس، وكل من يعتقد بهرطقته التي تقول: أولاً يوجد شخصين في المسيح (شخص إلهي هو الكلمة يقيم في شخص بشري هو يسوع الإنسان)، وثانياً عندما قال مريم العذراء ليست بوالدة الأله. إذ اشتهر كيرلس بالحرمانات الاثنا عشر ضد نسطوريوس. انظر: يوحنا. (د-ت)، ص 214-219.

² - أرشمندريت Archimandrite كلمة يونانية تعني مدير رعية، واستخدام هذا الاصطلاح في الكنيسة الشرقية منذ القرن الرابع الميلادي بمعنى رئيس دير أو مجموعة أديرة. للمزيد انظر: ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠٢١)، قاموس المصطلحات الكنسية، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

³ - معوض، صموئيل قزمان. (2013)، إطلاات على تراث الأدب القبطي، ج2، الاسكندرية، ص 22، 23.

⁴ - حبيب، يوسف. (2019)، القديس مكاريوس الكبير وديره، القاهرة: منشورات الكنوز القبطية، ص 47.

ج-الرَّهْبَنَةُ الذَّيْرِيَّةُ حَيَاةُ الشَّرَكَةِ (Cenobitism):

وظهر في زمن أنطونيوس نمط آخر لحياة الرَّهْبَنَةِ، هو الرَّهْبَنَةُ الذَّيْرِيَّةُ الَّتِي أَسَّسَهَا بَاخُومْيُوسُ الْكَبِيرُ **Pachomius** (285-365م)، وَقَدْ أَسَّسَ بَاخُومْيُوسُ أَوَّلَ أَدِيرَتِهِ فِي طَبَانِيسِ **Tabennisi** عَامَ (323م) وَعِنْدَ نِيَاحَتِهِ كَانَ الْقَدِيسُ بَاخُومْيُوسُ قَدْ أَسَّسَ تِسْعَةَ أَدِيرَةٍ لِلرُّهْبَانِ، وَدِيرَيْنِ لِلرَّاهِبَاتِ، وَكَانَ إِجْمَالِي عِدَدُ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانِ وَالرَّاهِبَاتِ نَحْوَ عَشْرَةِ آلَافٍ. يَعُدُّ الْقَدِيسُ بَاخُومْيُوسُ أَوَّلَ مَشْرَعِ رَهْبَانِيٍّ؛ وَكَانَتِ الْفِكْرَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي قَانُونِهِ هِيَ أَنَّ يَضَعُ قَانُونُ جِهَادٍ رُوحِيٍّ مَشْتَرَكٍ يَسْتَطِيعُ جَمِيعُ الرُّهْبَانِ أَنْ يَتِمَمُوهُ وَيَبْلُغُوهُ، ثُمَّ يَشْجَعُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَرْتَقُوا فِي جِهَادَاتِهِمْ قَامَاتٍ أَعْلَى، كُلٌّ بِحَسَبِ أَشْتِيَاقِهِ وَقُدْرَاتِهِ¹، وَفِي هَذَا النَّمْطِ صَارَ الرُّهْبَانُ يَسْكُنُونَ فِي دِيرٍ يَحِيطُ بِهِ سُورٌ وَاحِدٌ، وَتَجْمَعُهُمْ شَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالصَّلَاةِ، وَاسْتَحْدَثَتْ وَظَائِفٌ وَصَنَاعَاتٌ لَتَنْظِيمِ الْحَيَاةِ ضَمْنَ الدَّيْرِ².

وَأَكْمَلَ الْمَسِيرَةَ الْأَنْبِيَا شُنُودَةُ **Shenouda** رَئِيسَ الْمُتَوَحِّدِينَ (348-451م) أَهَمَّ شَخْصِيَّةٍ فِي الرَّهْبَنَةِ الْقِبْطِيَّةِ وَكَانَ مَشْرَعاً وَكَاتِباً أَدْبِيّاً مَعْرُوفاً بِاللُّغَةِ الْقِبْطِيَّةِ، الَّذِي بَلَغَ عِدَدُ الرُّهْبَانِ فِي عَهْدِهِ الْفَانِ وَمُنْتَهَى رَاهِباً بِالْأَبْيَضِ (دِيرِ الْأَنْبِيَا شُنُودَةَ)، وَأَلْفَ وَثَمَانِمِائَةِ رَاهِبٍ بِالْأَحْمَرِ، وَقَدْ أَدْخَلَ الْأَنْبِيَا شُنُودَةُ نِظَاماً شَدِيدَ الصَّرَامَةِ عَلَى الرُّهْبَانِ مِنْ حَيْثُ النَّسْكِ وَالتَّقَشُّفِ وَالصَّلَاةِ، فِي قَانُونِهِ اخْتَلَفَ عَنِ الْقَدِيسِ بَاخُومْيُوسِ وَتَحَدَّثَ عَنْ نَذْرِ رَهْبَانِيٍّ مَكْتُوبٍ يَوْقَعُهُ الرُّهْبَانُ كَتَعَهْدِ قَانُونِيٍّ³.

¹-Morrison.E.(1912), **Basil and His Rule** , London, Oxford University Press, P. 40.

²-المخلصي.(1989)، ص 79.

³-عطية.(1948)، ص 32 ، 34

رابعاً: نتائج الفصل :

يبين هذا الفصل ظاهرة الزهد والتنسك ما قبل ظهور الديانة المسيحية وكذلك دراسة هذه ظاهرة لدى المسيحيين وهكذا نجد:

- إن التعف والتطهير الطقوسي الذي مورس في الديانة اليونانية والرومانية القديمة، تطور ليصبح ممارسات زهدية لدى الحركات والمدارس الفلسفية الإغريقية والرومانية.

-أنَّ الأسينيين والثرايبوتاي انتهجوا حياة تشبه حياة الرهبنة، وكانوا يعيشون عيشة خشنة تشبه ما يعمله الرهبان المسيحيون، ولكنهم يختلفون عنهم في إباحة الزواج لأتباعهم لحفظ الجنس البشري، بخلاف الرهبنة المسيحية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي.

-إنَّ الزهد الذي مورس من قبل الحركات والجماعات المسيحية التي ظهرت في القرن الثاني والثالث الميلاديين تطور إلى الرهبنة، حيث أنَّ الأفكار والمبادئ الروحية والزهدية التي ظهرت في العهد الجديد ولدى الحركات والجماعات المسيحية هي مقدمة لظهور الرهبنة في الكنيسة المسيحية، وهذه المبادئ الروحية والزهدية تدعو لترك العالم المادي والتحرر منه من أجل الوصول إلى الفضيلة والكمال الروحي والأخلاقي.

-إنَّ الأفكار والمبادئ الروحية والزهدية التي دعا إليها أوريجانوس، وعمل على نشرها في الكنيسة المسيحية في القرن الثالث الميلادي؛ أدت إلى ظهور الحركة الأوريجانية التي استمرت حتى القرن السادس الميلادي، هذه الحركة كانت من مقدمات الرهبنة المسيحية.

-إنَّ الرهبنة الحقيقية من ابداع وابتكار المسيحيين، كما يؤكد النص القرآني المقدس:

(ثُمَّ قَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بَرَسَلْنَا وَقَفِينَا بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً

وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) الحديد: ٢٧

وهذه الرهبانية التي ابتكرتها المسيحية أصبحت تعرف بفلسفة الديانة المسيحية كانت بداياتها في مصر وانتقلت إلى سورية ولها دور مهم في نشر الديانة المسيحية.

الفصل الثاني : الرهبة في سورية نشأتها وتطورها وانتشارها

- تمهيد :

أولاً: قواعد الرهبة السورية:

1-البتولية

2-الفقر الاختياري

3-الطاعة

4-الصلاة

5-العمل

6-التجرد والأمانة

ثانياً: العوامل المساعدة على نشأة الرهبة المسيحية:

1-الاضطهاد السياسي

2- دوافع اقتصادية

3-عدم الرضى عن الكنيسة

ثالثاً: الرهبة وانتشارها في سورية:

1-القديس هيلاريون رائد الحركة الرهبانية :

2- انتشار الرهبة وآبائها العظام في مناطق مختلفة من سورية

أ-يعقوب النصيبيني:

ب- يوليانوس الرهاوي:

ج- افرام السرياني:

د - إسكندر الساهر

هـ - ثيودوريتوس

3 - الجماعات الرهبانية :

4- أشهر تيارات الرهبانية السورية :

أ- الرهبة المارونية السريانية:

ب-الرهبة العمودية ابداع وتجدد:

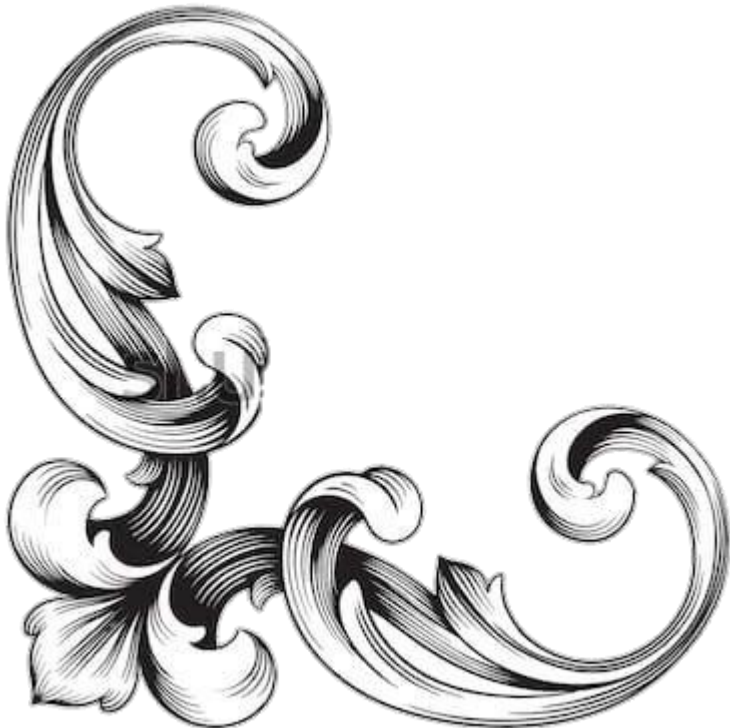
5- الرهبة النسائية:

أ- مرحلة التأسيس

ب- مرحلة التطور والانتشار

هـ- مرحلة الاندماج والاكتمال

رابعاً-الخاتمة



الفصل الثاني : الرّهبة في سورية نشأتها وتطورها وانتشارها

تمهيد:

لم تكن الرّهبة نوعاً جديداً من المسيحية، بل نبعت من حياة الكنيسة، ويمكن تتبع جذورها في العهد الجديد، فقد تحدث السيد المسيح عن هؤلاء الذين أعطوا نعمة كافية لكي يخصصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، وفي موضع آخر علّم السيد المسيح تلاميذه أن يعيشوا حياة الفقر، هذا بجانب تعاليم السيد المسيح ودعوته لترك العالم المادي والتحرر منه، كما كانت حياة النّسك التي عاشها إيليا ويوحنا المعمدان نموذجاً سعى النّساك الأولون ليقنّوا بها¹. امتدح القديس بولس الرسول في رسالته إلى الكورنثيين حياة البتولية وتحدث عن حياة النّسك والتكريس²، والتي جاهد المسيحيون الأوائل والرّهبان لحيوا بحسبها، وهذه النماذج الكتابية تقدم نذرين من نذور الرّهبة الثلاثة الأساسية، أي البتولية والفقر، أما النذر الثالث فهو الطاعة وله أيضاً مراجعه وأصوله الكتابية كما سوف أوضح فيما بعد.

فالقديس أكلميندس الإسكندري **Clemens** (150-215م) مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وتلميذه العلامة أوريجانوس **Origen** (185-254 م) قد جعلوا الرّهبة- بل المسيحية بصفة عامة- أكثر وضوحاً للعالم المتحدث باليونانية³، لم ينظر النّساك الأولون إلى حياتهم كنوع جديد من المسيحية، بل على العكس رأوا فيها عودة إلى الحياة الرسولية، واعتبر كل من القديس أنطونيوس الكبير **Antinius** (251-365م) والقديس يوحنا كاسيانوس⁴ **Cassianus** (360-445م) مؤسس رهبة الغرب، أنّ الرّهبة هي استمرارية لحياة كنيسة الرسل الأولى⁵، والقديس جيروم **Hieronymus** (347-420م) الذي كتب في الأعوام الأخيرة من القرن الرابع قال: إنّ

¹ - Hannay .J. (1976), The Spirit And The Origin Of Christian Monasticism, London, P.10

² - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس، 7: 32-38.

³ - يوسابيوس (1979)، تاريخ الكنيسة، تر عن الأصل اليوناني: القمص مرقص داود، ط2، القاهرة، 6: 13-6.

⁴ - يوحنا كاسيان والمعروف أيضاً باسم يوحنا الزّاهد، وُلِدَ سنة (360م)، كان راهباً وعالم دين مشهور في الكنائس الغربية والشرقية؛ بسبب كتاباته الرّهبانية، اشتهر كاسيان بتقديم أفكار وممارسات الرّهبة الشرقية للغرب الأوروبي التي تحمل في طياتها الفكر الرّهباني الشرقي؛ وخاصة الفكر الرّهباني المصري من خلال كتابه: أنظمة حياة الشركة الذّيرية وعلاج الأوجاع أو الأهواء، محاورات مع آباء صحاري مصر.

للمزيد انظر: تادرس، يعقوب ملطي. (2016)، قاموس القديسين والشخصيات التاريخية، مشروع الكنوز القبطية، القاهرة، مادة كاسيان.

⁵ - Chadwick, O : **John Cassian**, Cambridge University Press, 1968, Pp.51-52

المسيحيين الأولين اعتادوا أن يعيشوا حياة نسكية كما كان يفعل الرُّهبان في زمانه¹. فالتَّسْك مَلْمَح أساسي للرَّهْبَنَةُ في كلِّ مكان وكلِّ زمان، فحياة الرُّهبان النَّسْكِية لم تكن شيئاً خاصاً أو إضافياً، بل تحقيق للمتطلبات والضرورات الموضوعية على سائر المسيحيين، ولذلك كان ينظر للرَّهْبَنَةُ على أنها معمودية ثانية وثمة صفة أخرى للمسيحية الأولى، ذلك أنَّ الكنيسة كانت جماعة الذين جحدوا العالم، واعتبروا أنفسهم غرباء في الأرض ومواطنين في المدينة العتيدة، وقد كتب ترتليان الإفريقي **Tertullan** (115-240م) يقول: (ليس شيئاً غريباً عنا أكثر من أمور العالم)². وهذا مثال واضح لتعليم الكنيسة الأولى، وفي زمن الاضطهادات التي تعرضت لها المسيحية، أطاع الكثير من المسيحيين أساقفتهم، وهربوا إلى الصحراء والبراري، حيث عاشوا هناك حياة نسكية تحت ظروف قاسية، وصاروا أول نساك مسيحيين، وعندما انتهى الاضطهاد، لم يرجع بعضهم إلى مدنها، بل ظلوا في البراري، حيث وجدوا فيها أفضل موضع لجهادهم الروحي³. ثم وجدت الرِّغبة القوية في الاستشهاد عندما انقضى زمن الاضطهادات، وكانت الحياة الرَّهْبَنَةُ في ذلك الوقت تعتبر الشهادة البيضاء أي شهادة بدون سفك دم⁴ وكانت الرَّهْبَنَةُ - ولا تزال - جزءاً عضواً من الكنيسة، فالقديس أنطاسيوس الرسولي في كتابه حياة أنطونيوس يتحدث عن التوقير الكبير الذي كان يكنه القديس أنطونيوس أب الرُّهبان لرجال الكنيسة⁵. والقديس باسيليوس **St. Basileus** (330-379م) رئيس أساقفة كبادوكيا، وأحد أهم واضعي قوانين الرَّهْبَنَةُ، جعل الرَّهْبَنَةُ في خدمة الكنيسة والمجتمع بصفة عامة⁶. بالجملة كانت القوة الأساسية الدافعة وراء الرَّهْبَنَةُ، هي الروح الرسولية التي كانت نسكية، وولدت الرَّهْبَنَةُ التي كان جهدها الأول هو: (مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَكْرَبَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْحَيَاةِ، وَقَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ!)⁷.

¹- Jerome, **Illustrious Men**, II, P.N.F., II, p. 365.

²- Tertullian, **Apology**, 38,3, P.L., 1,52B.

³ - يوسابيوس (1979)، 6: 42.

⁴ - لوريير، جون (2013)، **تاريخ الكنيسة**، القاهرة: دار الثقافة، ص 222.

⁵ - أنطاسيوس (2012)، ص 12.

⁶ - المخلصي، الياس كويتز (1989)، **القديس باسيليوس الكبير**، بيروت: مطبعة دار البولسية، ص 23.

⁷ - إنجيل متى 7: 14

أولاً- قواعد الرهبنة السورية :

الرَّهْبَنَةُ هي نذر التبتل إلى الله مع اختيار الفقر طوعية واعتزال العالم، الحياة الرهبانية ليست ملجأ ولا مأوى للكسالى والفاشلين أو مهنة لعديمي المهن؛ وهي ليست دعوة لجميع الناس بل الذين يدعوهم الله فقط، المدعوون إلى الحياة الرهبانية لا يخلصون إلا في الحياة الرهبانية، والرهبان يختبرون ذلك جيداً وقد قال باسيليوس: (إنَّ الرَّاهِبَ مطالب بأكثر ما يطالب به الإنسان العادي) ¹.

تقوم الرهبنة المسيحية السورية **Monasticism** على ستة قواعد أساسية؛ وهي العفة أي البتولية والطاعة والفقر الاختياري أو التقشف والصلاة والعمل والأمانة، وأخذت هذه القواعد من حياة المسيح، وبولس الرسول، ومن الآيات التي وردت في الكتاب المقدس على لسانهما ².

1-البتولية:

ليست البتولية هي عدم ممارسة العلاقات الجنسية فحسب، كما أنَّها ليست وضعاً خارجياً، بل هي حالة الطهارة الداخلية (القلبية)، الطهارة بالمعنى الكلي للكلمة، فالبتولية هي طريقة يرتقي بها الرَّاهِب إلى شيء أعظم ³، في هذا الباب يمكن القول: إنَّ عدم الزواج والتبتل مستمدَّ من قول السيد المسيح، الذي عاش بتولاً على الأرض ولم يتزوج، ومن قول السيد المسيح: (لأنَّه يُوجَدُ خَصِيَّانَ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خَصِيَّانَ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ) ⁴، وفي هذا إشارة السيد المسيح عن اناس استطاعوا أن يخلصوا أنفسهم أي لا يتزوجوا، لأجل ملكوت الله، مستعينين بنعمته تعالى على احتمال مشاق البتولية. وقد عاش بولس الرسول بتولاً أيضاً، كما

1 - الأورشليمي، يسطس.(٢٠١٠)، الرهبنة القبطية وأثرها على العالم، القاهرة : مركز الزمالة للدراسات والفنون القبطية، ص ٣

2 - سكريما، اندريه.(1992)، أصول الحياة الروحية، تر رهبنة دير مار جرجس، ط2، منشورات دار النور، ص 29، 40.

3- سكريما.(1992)، ص 29.

4- إنجيل متى، 19: 12

أعلن في قوله: (وَلَكِنْ أَقُولُ لغيرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا)¹، وأيد البتولية في قوله: (فَأَرِيدُ أَنْ تَكُونُوا بِلَا هَمٍّ. غَيْرِ الْمُتَزَوِّجِ يَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ كَيْفَ يُرْضِي الرَّبَّ. وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُ فَيَهْتَمُّ فِي مَا لِلْعَالَمِ كَيْفَ يُرْضِي امْرَأَتَهُ)²، ويتضح من قول بولس أَنَّ الزواج لا يناقض البتولية أصلاً، ولا البتولية تتناقض الزواج. ويؤكد الباحث اندريه سكريما في هذا الإطار أَنَّ الرَّاهِب لا يحقق وحدة طبيعته عن طريق سر الزواج، بل بالزواج الروحي، أي باتحاده مع المسيح وتوحيد ذاته فيه، والرَّاهِب لهذا يفهم سر الزواج أكثر من الجميع، ويحققه أكثر من الجميع، فإنه يفهمه ويحققه في أقصى غاياته وأسمى معانيه، والبتولية بالنتيجة أخصب من الزواج، فالرَّاهِب بصلاته والتصاقه بالله يعطي أبناء روحيين للكنيسة في خصب لا يقاس بخصب الزواج³.

2-الفقر الاختياري:

يعد الفقر في نظر الرهبان الفضيلة العظمى، ذلك لأنَّ العالم الروماني كان فاسداً بالغنى، ولكنَّ الحياة بالمسيح كانت غناهم هم، إذ يبرهنون للعالم أَنَّ غناهم الجديد يغني عن كل غني آخر⁴. حيث عاش السيد المسيح فقيراً ورد عنه قوله: (وَأَمَّا ابْنُ الْإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ)⁵. وقال في موضع آخر: (وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذْ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ)⁶، كما قال للغني الذي أراد أَنْ يكون كاملاً (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاتَّهَبْ وَبِعْ

¹- العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، 8:7.

²- العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس، 7:32-33.

³- سكريما. (1993)، ص 30.

⁴- سكريما. (1993)، ص 38.

⁵- إنجيل متى، 8: 20

⁶- إنجيل متى، 19: 29

أَمْلاكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي¹، وأيضاً بولس الرسول عاش فقيراً وأعلن ذلك في قوله: (كَحَزَائِي وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنَّ لَا شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ)². ومن هذا المنطلق كان الفقر من أهم مبادئ الفلسفة الرهبانية له معانٍ متعددة:

أ-المعنى الاجتماعي: فلا يملك الراهب، ولا يحق له أن يملك ما يملكه الآخرون.

ب-المعنى الأخلاقي: حيث يعيش الراهب حياة الفقراء، ويتحسس للألم الذي يتألمه الفقراء ظلماً.

ج- المعنى الروحي: الذي يهمننا هو هذا المعنى، الفقر من هذه الناحية هو حركة انسلاخ، حركة تجريد وتنازل اختياري عن خيارات العالم، وذلك لا احتقاراً للعالم بل تفضيلاً لما هو أفضل منه، أعني الله خالق العالم، بالفقر يحقق الراهب تجريداً يعيده أكثر فأكثر إلى يدي الله³.

3-الطاعة:

الطاعة هي الأساس في الفلسفة الرهبانية، ولذلك اختبار الطاعة كان أول اختبار يختبر فيه الرؤساء طلاب التزهد قبل قبولهم في الحياة الرهبانية، هذه الطاعة واجبة على الرهبان نحو رؤسائهم⁴. أرجعوها للسيد المسيح الذي كان أفضل نموذج عن الطاعة في رسالته، ولا سيما عمله الفدائي الذي فيه (وَأَنْذِرْ وَجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَانِسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ مَوْتِ الصَّلِيبِ)⁵، وكان عنوان حياته كلها على الأرض (لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيْسَ لِأَعْمَلِ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةِ الَّذِي أَرْسَلَنِي)⁶، (مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ

¹ - إنجيل متى، 21:19

² - العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، 6: 10

³ - سكريما. (1993)، ص 34-35.

⁴ - سكريما. (1993) ص 43.

⁵ - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، 2: 8

⁶ - إنجيل يوحنا، 6: 38

مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ¹، وقد حض القديس بولس الرسول على الطاعة في قوله: (هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ غُلُوٍّ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلِّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ)². يقصد بالطاعة في الفكر الرهباني طاعة الرؤساء في كل ما يأمرون به وفقاً للكتب المقدسة، وهذه الطاعة واجبة على الرهبان، من أجل الخضوع إما لله على حسب وصيته، وإما للآخرين بسبب وصيته، لأنه كتب: (إِنَّا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ)³، ويؤكد ذلك المؤرخ اندريه سكريما بقوله: نذر الطاعة يلتزم الراهب أن يطيع رئيسه وإخوته متنازلاً عن إرادته الذاتية حتى الممات، وتتسم هذه الطاعة أنها شخصية ومباشرة، أي من التلميذ إلى معلمه وأبيه الروحي، واتسمت بالغرابة والطابع غير الاعتيادي، فعلى سبيل المثال لا الحصر جاء يوماً أحدهم إلى راهب شيخ في البرية طالباً التزهب على يديه، وكان معه طفله الصغير، فما كان من الراهب الشيخ إلا أن أمره قائلاً: إرم ابنك في التتور! فتناول الطفل حالاً، ولو لم يوقفه الشيخ لكان رماه، كحادثة النبي ابراهيم عليه السلام مطيعاً لله. فالطاعة عند الرهبان هي المحبة للمسيح، ومن أجل المسيح، هي الاستماع والإصغاء الداخلي لصوت الله، لنداء الرجوع إلى الله من تحت نير الخطيئة، لنداء المسيح الذي يدلنا على طريق الرجوع⁴، فالراهب يختار الحياة المشتركة ويخضع للجميع، متخلياً عن كل أثر، وحب ذات وكل عائق للمحبة، ويلتزم الطاعة لكي يتخلى عن إرادته الذاتية ويتحرر في اتباع المسيح، ويطلب الطاعة لأنه يريد أن يخضع لإرادة الله في كل شيء⁵.

¹ - العهد الجديد، رسالة بولس إلى العبرانيين، 5: 8

² - العهد الجديد، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس، 10: 5

³ - إنجيل مرقس، 9: 35

⁴ - سكريما. (1993)، ص 44، 40.

⁵ - الفاخوري. (2001)، ص 511.

4- الصلاة:

إنَّ أول واجب للراهب أن يوثق العروة مع الله الذي من أجله ترك كل شيء ليكون في وحدة كاملة معه، وشرح باسيليوس الصلاة وبسط أنواعها المختلفة وطريقة تلاوتها وأوقاتها حيث يقول : (**لابد من الصلاة صباحاً حتى توجه أفكار القلب والنفس قبل كل شيء إلى الله وحتى تتوج أعمال النهار بها، لا يبدأ الجسم بالعمل إلا بعد تسبيح الرب، وفي الساعة الثالثة تنهض للصلاة مع الأخوة رغم أن ذلك يسبب انقطاعاً عن العمل فنذكر آنئذٍ نزول الروح القدس في مثل تلك الساعة، وفي الساعة السادسة نتشبه بالقدّيسين الذين قالوا: في المساء وبالعُدوة ونصف النهار نصلي، وفي التاسعة نصلي حتى نتشبه بالرسول، في الليل نصلي لأجل الاستمتاع بالراحة والنجاة من الخطيئة، وعند بزوغ الفجر نسرع إلى تمجيد الله هاربين من النوم لا يمكن أن نهمل جزء من هذه الفروض**)¹.

إنَّ الصلاة تستلزم نقاوة القلب أي يكون متحرراً من كل غاية أو مصلحة شخصية فترتفع حينئذٍ صلاته كالبخور وتعمل عملها القوي لدى الرب، ولا بدّ من الثقة في الصلاة، لأنَّ الله لا يستجيب لمن لا يؤمن بقدرته على نقل الجبال وإطعام العصافير والاهتمام بجيوش النحل والنمل².

ومن الملاحظ من قاعدة وقانون الصلاة أنَّ يصل الراهب إلى رؤية الله وإلى الوحدة معه حينئذٍ تصبح الصلاة هواءً يستنشقه وطعاماً يغذيه ويحييه.

¹ باسيليوس. (1952)، القانون الكبير : 37

² باسيليوس. (1952)، القانون الكبير : 31

5- العمل:

يدخل العمل ضمن النظام الرهباني السوري ويستند في ذلك إلى كلمة السيد المسيح (أَنْ الْعَامِلَ يَسْتَحِقَّ أَجْرَتَهُ)¹، وجعل العمل صلب الحياة الرهبانية وَأَنَّ الرَّهْبَنَةَ لَيْسَتْ مَجَالاً لِلْكَسَلِ وَلَيْسَتْ هَرُوباً مِنْ مَسْئُولِيَّةِ الْعَمَلِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ كَمَا قَالَ : (بَعْرِقْ جَبِينَكَ تَأْكُلْ خَبْزَكَ)²، ونظم العمل إذ يُعْطَى الرَّاهِبُ الْعَمَلُ الَّذِي يَتَوَافَقُ مَعَ مَوْهَلَاتِهِ وَلَيْسَ مَا يَطْلُبُهُ هُوَ، وَيَلْتَزِمُ الرَّاهِبُ أَنْ يَعْمَلَ بِنَشَاطٍ وَجْهِدٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرَّهْبَانِ يَعْمَلُ لِكَمَالِ الْمَجْمُوعَةِ كَمَا تَعْمَلُ الْأَعْضَاءُ لِكَمَالِ الْجَسَدِ (الْعَيْنُ تَرَاقِبُ مَصَالِحَ الدَّيْرِ، وَتَسْهَرُ عَلَى أَشْغَالِهِ وَهَكَذَا بَعْضُ مِنَ الرَّهْبَانِ، وَالبعض الآخر هو مثل الأذن يسمعون الشكوى وأنين العذاب فيعملون كاليد لدرء الشرور، وهكذا كل واحد يكون في مقامه وإلا اختلَّ التوازن وعمت الفوضى)³.

ويجب أن يتوافق العمل مع الحياة الرهبانية، لا بدّ للعمل أن يساعد على حفظ السلام ويحقق الهدوء في الدير، ويجب الابتعاد عن كل عمل يشغل البال كثيراً ويستلزم جهداً كبيراً للحصول على المواد الأولية وعلى تصريف الإنتاج والمحصول ثم يحذر من الاختلاط في العمل بين الجنسين⁴.

الملاحظ في قاعدة وقانون العمل في النظام الرهباني في سورية جعل العمل هو جوهر الحياة الرهبانية وابتعد عن كل الأعمال الشاقة والتي تحتاج وقتاً وجهداً كبيراً، والربط بين العمل والصلاة، وعلى اعتبار أن الصلاة مقدسة كذلك العمل مقدس.

¹ -أنجيل متى، 10:10 .

² -العهد القديم، سفر التكوين، 3: 19

³ -جاسيليوس (1952)، القانون الكبير 37.

⁴ - Morison.(1912),op.cit,pp.79-86

6- التجرد والإماتة:

التجرد في الرهبة السورية هي نسيان الذات وإهمال كل شيء يعيق العلاقة مع الله يقول القديس باسيليوس: (لا تهتم بالغنى، ولا الفنون ولا الجسد ولا بالصحة ولا بالجمال ولا باللذة ولا بالعيش الهنيء، ولا يشغل بالك المجد والعظمة والسلطان، ولا بسطة الحياة، اهتم قبل كل شيء بأمر نفسك)¹.

غاية التجرد هي إصلاح الطبيعة التي فسدت بالخطيئة والجهل والشهوة والموت وإرجاعها إلى حالتها الأولى، إنّ السيد المسيح أعطى كل إنسان وخصوصاً الراهب القدرة على الرجوع إلى المثال الأول الذي يشبه صورة الله بالتمام، لذلك يلتزم الراهب بقتل الخطيئة المعشعشة فيه ووأد الشهوة التي تتأجج سعيها في جسده هذا هو التجرد، وغاية التجرد ليست الموت بل التحرر، وليس قتل ما فينا من آمال وشهوات وملكات بل تحريرها بواسطة الاماتة والسهر من كل عائق يمنع مسيرتها نحو الله . إنّ التجرد يعطى الراهب الطمأنينة فلا تعدّ تراود فكره هموم ولا تطرق في مخيلته صور قديمة ولا يعدّ قلبه يستعذب الحياة الماضية، بل يكون حراً مستقلاً منقطعاً إلى الصلاة و العيش مع الله بمحبة².

الأماتة في الفكر الرهباني هي الالتزام بالخير العام وتفضيله على الخير الخاص وتقبل الأنظمة مهما كانت، والهدف من الأمانة استئصال الرذائل كالشراسة والكبرياء والحسد والبخل والغضب وغيرها، ومحاربة الميول الفاسدة وخاصة الشهوة وحب العالم، بالأماتة يتحكم الراهب بما يفور فيه من الداخل من شهوات ويبتعد عن اللهو والعشرة الفاسدة والراحة والتلذذ بما تطلبه الأنانية المقيتة، وترمي الأماتة أن يعيش الإنسان في السلام

¹ - المخلصي.(1989)، القديس باسيليوس الكبير، عظة إهتم لذاتك، تر عن الأصل اليوناني : كيرلس حداد المخلصي، ص 257.

² -باسيليوس.(1952)، القانون الكبير 28.

والطمأنينة ويتحرر من كل السلاسل والقيود لينصرف إلى تعبد الله والعمل في سبيل الكمال، وهنا الراهب يتجرد من كل شيء حتى عن الأمور الجسدية لكي يتفرغ كلياً لله وحده¹.

ثانياً- العوامل المساعدة على نشأة الرَّهْبَنَةِ المسيحية في سورية:

ظهرت الرهبة في الديانة المسيحية خلال القرن الرابع الميلادي وتتنوع أسبابها الحقيقية التي أدت إلى ظهورها في الكنيسة المسيحية؛ منها أسباب سياسية وعوامل اقتصادية وعدم الرضى عن الكنيسة المسيحية.

1-الاضطهاد السياسي:

أدت سياسة الاضطهاد التي اتبعتها الأباطرة الرومان ضد معتقي الديانة المسيحية إلى فرار العديد منهم إلى الصحراء أو الجبال نجاة بأنفسهم ومعتقداتهم، للتعب في أمان. هذه الاضطهادات اشتدت بداية عهد الإمبراطور ديكْيوس **Decius** (249- 251 م) الذي جعل الاضطهاد عاماً في جميع أنحاء الإمبراطورية، وبلغت ذروة الاضطهاد في عهد الإمبراطور ديوكليتْيَانوس **DIOCLETIANUS** (284- 305م) وعرف عهده باسم عصر الشهداء²، وقد أصدر في أواخر عهده قرارات تدعو إلى اضطهاد المسيحيين تضمنت الأمر بسجنهم وتدمير كنائسهم واعتقال مسؤولي الكنائس، وحرق جميع كتبهم المقدسة، ونزع ممتلكات المسيحيين، والقيام بنفيهم أو اعدامهم قتلاً بالسيف أو بالقائم للوحوش المفترسة، كما أرسل فريقاً منهم إلى المعسكرات الرومانية ليعملوا في المناجم حتى الموت³، وقد اختلف في تحديد عدد الضحايا التي أزهقت أرواحهم، ما بين مائة وأربعين ألفاً إلى ثلاثمائة⁴، وهو عدد كبير مبالغ فيه ولكن يعكس مدى شدة الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون في تلك الفترة.

ولم يكن منشأ هذه الاضطهادات كراهية الأباطرة الرومان للمسيحية فحسب، بل إمعاناً في أن يكون إخلاص الناس بقلوبهم وأجسامهم للإمبراطور والإمبراطورية دون غيرها من القوى، وهو ما يعارض المبادئ المسيحية

¹ -جاسيليوس.(1952)، القانون الكبير، 5-17-45

² - عبد الحميد، رأفت.(2001)، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج3، القاهرة، ص 15.

³ - يوسابيوس.(1979)، 8: 12-8

⁴ - باتشر، أ.(1900) تاريخ الأمة القبطية، تر إسكندر تاضروس، ج1، القاهرة: مطبعة مصر، ص 20.

تمام المعارضة، ولذلك اجتهد المسيحيون الذين اختاروا البقاء على دينهم أن يلجؤوا إلى الصحراء الواسعة وممارسة التَّسْك والرَّهْبَنَةِ¹. وانتهت محنة الاضطهاد الروماني عندما أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير **Constantine** - (306 336 م) مرسوم التسامح الديني في ميلانو **Milano** سنة (313م)، وبهذا المرسوم أصبحت الديانة المسيحية مسموح بها إلى جانب الديانات الأخرى، ولم يعد المسيحيون بحاجة إلى الاختباء والعزلة في الصحراء².

كما يتصل بالاضطهاد أمر آخر كان سبباً من أسباب الرَّهْبَنَةِ المسيحية، وحول ذلك يقول المؤرخ لوريمر: (أنه بعد انقطاع الاضطهاد نمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد - كما يسمونه - نظراً لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء، ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي عانوه، لذلك ولدت الرَّهْبَنَةُ من رغبة المسيحي في أن يكون شهيداً، ولقد عرفت الرَّهْبَنَةُ بأنها الشهادة البيضاء التي حلت محل الشهادة الحمراء)³. ويستدل من كلام هذا المؤرخ: إنَّ الدافع نحو الرَّهْبَنَةِ هي الرغبة في الحصول على تقدير العامة وإجلالهم، ويعتبر هذا سبباً من أسباب انتهاجهم حياة الرَّهْبَنَةِ والنَّسْك.

ولعل العبارة التي أوردها المؤرخ المقريري (1364 - 1442م) عن القديس أنطونيوس تؤكد تماماً هذا الذي أورده لوريمر، حيث يقول المقريري: (كان أنطونيوس أول من أحدث الرَّهْبَانِيَّةَ للنصارى عوضاً عن الشهادة الحمراء)⁴.

وكان هذا متمشياً مع ما ارتأه القديس أكلميندس **Clemens** (150 - 215م) الذي يرى أنَّ الشهادة هي خاتمة الحياة عند المسيحي الحق كما كان يراه هو، وراح يؤكد على الترحيب بالشهادة حينما تأتي، وهذا لا يعني أنَّ يسعى إليها الإنسان بنفسه، بل إذا جاءت هي تنفيذاً لتعاليم المسيح الذي يقول: (وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْأُخْرَى. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَكْمُلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ)⁵، وذلك أنَّ أكلميندس كان ينظر إلى الحياة باعتبارها عيداً مقدساً، لأنَّ الإنسان هو أنبل ترنيمة ترنم به الله، ومن ثم كانت الدعوة إلى الحياة النَّسْكِية

¹ - أمين. (1979)، ص 5.

² - يوسابيوس. (1979)، 10:9.

³ - لوريمر. (1979)، ص 222.

⁴ - المقريري. (د، ت)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، القاهرة، ص 122.

⁵ - إنجيل متى، 23:10.

عوضاً عن الشهادة¹، وفي الاتجاه نفسه سار تلميذه أوريجانوس **Orgenus** (185-254م) فقد كان ينظر إلى الحياة الرهبانية باعتبارها نوعاً من التزاوج مع المسيح².

2- دوافع اقتصادية:

يعد العامل الاقتصادي عاملاً مهماً من عوامل نشوء الرهبنة، وانتشارها عند المسيحيين، حينما فرضت الدولة الرومانية وهي تعاني من متاعب اقتصادية، ضرائب كبيرة تجاه سكان الولايات الرومانية³، لذلك أصبحت هذه الضرائب عبئاً ثقيلاً، زاده ثقلاً قسوة جامعها الذي عرفوا باسم (**Dikaproti**)⁴ رداً على هذه السياسة ترك الناس أراضيهم وأعمالهم وممتلكاتهم، وهربوا إلى الصحراء⁵، لأنهم عجزوا عن دفع ما فرض عليهم من ضرائب، ومع أنهم لم يصبحوا جميعاً رهباناً، إلا أنَّ ندرة فرصة العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت كثيرين منهم على أن يجربوا حياة الرهبنة في الصحراء والجبّال، التي وفرت لهم الأمن رغم ما فيها من عيش على الكفاف⁶.

بالإضافة إلى ذلك يوجد سبباً اقتصادياً آخر غير الفرار من دفع الضرائب، وكان له دورٌ فاعلٌ في انتشار الرهبنة، وهو اصدار الإمبراطور قسطنطين الكبير **Constantine** (306-336م) أمراً بإعفاء غير المتزوجين من الضرائب، وإعفاء الرهبان من التجنيد في الجيش الروماني، وهذا القرار كان كافياً للكثيرين للامتناع عن الزواج والذهاب إلى الأديرة⁷. حول ذلك تقول المؤرخة المسيحية (باتشر) : **أول باعث على الرهبنة هو القانون الذي وضعه قسطنطين عام (320م)، وفيه يعفى الأعزب، والذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة عليهم، وهذا القانون دفع العديد**

¹- Bouyer, L : **La Spiritualite Du Nouveau Testament Et Des Peres**, 1960, P.335

²- يوسابيوس. (1979)، 6: 8

³- أمين. (1963)، ص 6.

⁴- حصلو الضرائب ويتم اختيارهم من وجهاء المدن من قبل الحاكم الروماني مباشرة واشتملت مهمتهم على تحصيل وجباية الضرائب . انظر: النعمات. (2017)، ص 32.

⁵- شيفمان، أ. ب. (1987)، **المجتمع السوري في عصر البرنسيبات**، تر احسان اسحق، دمشق، ص 200.

⁶- أمين. (1963)، ص 6.

⁷- سوزومين. (1890)، 1: 9.

إِلَى الْإِمْتِنَاعِ عَنِ الزَّوْجِ، بَلْ سَاعِدَهُمْ عَلَى الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، إِذَا جَاءَ فِي فِقْرَةٍ أُخْرَى مِنْهُ أَنَّ اللَّقْطَاءَ يَرِيْبُونَ عَلَى نَفَقَةِ الْحُكُومَةِ، وَأَنَّ الرُّهْبَانَ يَعْفُونَ مِنَ الْخِدْمَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي مَدَّةِ حُكْمِ قُسْطَنْطِينِ الْكَبِيرِ¹.

وَيَتَبَيَّنُ مِنْ هَذَا أَنَّ الرُّهْبَنَةَ لَمْ يَكُنِ الْبَاعِثُ عَلَيْهَا الدِّينَ الْمَسِيْحِي فَقَطْ، وَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَطْلُوبَةً مِنَ الْمَسِيْحِيِّينَ، أَمَّا هِيَ هَرُوبٌ مِنَ الضَّرَائِبِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَاتِ الرُّومَانِيَّةِ.

3- عَدَمُ الرِّضَى عَنِ الْكَنِيسَةِ:

شَهِدَتِ الدِّيَانَةُ الْمَسِيْحِيَّةُ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيْلَادِي أَحْدَاثًا مُؤَثِّرَةً مِنْهَا نَشُوءُ الْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ الَّتِي قَرَّرَتْ الْعَقَائِدَ الْكَنِيسِيَّةَ، وَرَدًّا عَلَى هَذِهِ الْعَقَائِدِ وَالْآرَاءِ الدَّخِيلَةِ الَّتِي طُرِئَتْ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَسِيْحِيَّةِ ظَهَرَتْ ظَاهِرَةُ التَّنَسُّكِ وَالرُّهْبَنَةِ لَدَى الْمَسِيْحِيِّينَ احْتِجَاجًا عَلَى الْكَنِيسَةِ.

إِنَّ مَا حَدَثَ فِي الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الْأَوَّلِ الَّذِي انْعَقَدَ فِي مَدِينَةِ نِيْقِيَّةِ **Níkaia**² عَامَ (325م)، بِدَعْوَةٍ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِ قُسْطَنْطِينِ الْكَبِيرِ **Constantine** (306-336م) الَّذِي كَانَ وَثَنِيًّا حِينَئِذٍ، وَالَّذِي اخْتَارَ مِنْ بَيْنِ (2048) أَسْقَفًا حَضَرُوا إِلَى مَقَرِّ الْاجْتِمَاعِ (318) أَسْقَفًا لِيَقْرُوا أَلْهُيَةَ السَّيِّدِ الْمَسِيْحِ، وَلِيَضَعُوا دَسْتُورَ الْإِيمَانِ الْمَسِيْحِيِّ الَّذِي فَرَضَ عَلَى الْمَسِيْحِيِّينَ، هَذِهِ مِنْ بَيْنِ الْانْحِرَافَاتِ الَّتِي لَحِقَتْ بِالْكَنِيْسَةِ، وَالَّتِي جَعَلَتْ بَعْضَ الْمَسِيْحِيِّينَ يَفْزَعُونَ هَرَبًا إِلَى الصَّحْرَاءِ وَالْجِبَالِ تَارِكِينَ الْكَنِيسَةَ، وَمُعْلِنِينَ الْإِحْتِجَاجَ عَلَيْهَا بِالْفِرَارِ وَالتَّوَجُّعِ إِلَى حَيَاةِ الرُّهْبَنَةِ وَالْقَدَاسَةِ³. وَلَقَدْ بَرَهَنَ هِيلَارِيُونُ **Hilarion** (293-371م) (أَبُ الرُّهْبَانِ) بِإِنْعِزَالِهِ بِالرُّهْبَنَةِ، إِنَّ الْكَنِيسَةَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِهِ لَمْ تَعُدِ الْمَكَانَ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ شَخْصٌ يَرِيدُ أَنْ يَحْيَا حَيَاةَ مَسِيْحِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَأَخْبَرَ الرُّهْبَانَ (بِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ وَالصَّلَاةَ الْإِنْفِرَادِيَّةَ وَالصُّومَ أَصْبَحَ لَهَا الْأَفْضَلِيَّةُ عَلَى الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَالْقِيَادَةِ الْكَنِيسِيَّةِ)⁴، وَهَكَذَا يَعلَنُ أَنَّ الْكَنِيسَةَ كَمَا يَعْرِفُهَا قَدْ فَشَلَتْ فِي إِشْبَاعِ الْحَاجَاتِ الرُّوحِيَّةِ.

¹- باتشر. (1900)، ص 276.

²- مَدِينَةُ إِغْرِيقِيَّةٌ قَدِيمَةٌ تَقَعُ عَلَى السَّاحِلِ الْغَرْبِيِّ لِلْأَنَاضُولِ عَلَى بَحْرِ مَرْمَرَةٍ، تُسَمَّى الْآنَ مَدِينَةُ (أَرْنَكُ بَتْرَكِيَا) وَقَدْ اشتهرت بِأَهْمِيَّتِهَا فِي تَارِيخِ الْمَسِيْحِيَّةِ، لَوْقُوعِ مَجْمَعِ نِيْقِيَّةٍ فِيهَا الَّذِي يَنْسَبُ إِلَيْهِ مَعْظَمُ الْعَقَائِدِ الْمَسِيْحِيَّةِ مِثْلُ قَانُونِ الْإِيمَانِ النِّيْقِيِّ. انظر: فرح. (2009). ص 40.

³-Walker . Willston.(1970), **Ahistory Of The Christian Church**. Scribners, N, PP.106-111

⁴-Frend.W.H.C.(1982),**The Early Church, The University Of Glasgow**, Scttand,P.263

وهذا ما دفع المؤرخ لوريمر إلى القول: (إِنَّ الْإِحْسَاسَ الْقَوِيَّ فِي قُلُوبِ بَعْضِ النَّاسِ، بِأَنَّ الْكَنِيسَةَ فَقَدَتِ الْقُدَّاسَةَ وَالتَّكْرِيسَ، وَشَعَرُوا أَنَّ حَيَاتِهِمُ الرُّوحِيَّةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْمُو إِلَّا بَعِيداً عَنِ الْأَوْسَاطِ الْكَنِيسِيَّةِ، وَمَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَنْ يَتْرَكُوهَا وَيَذْهَبُوا إِلَى الصَّحَرَاءِ لِيَحْيُوا فِيهَا حَيَاةَ الْفَضِيلَةِ وَحَيَاةَ الْقُدَّاسَةِ)¹، ويذهب المؤرخ دوشيزن Duchesne إلى ما ذهب إليه لوريمر ويؤكد: (إِنَّ الرَّاهِبَ نَقَدَ حَيِّ لِلْمَجْتَمَعِ الْكَنِيسِيِّ)²، من خلال ما سلف يمكن الاستنتاج أنَّ حركة الرَّهْبَنَةِ لم تكن إدانة نهائية للكنيسة فقد كانت على الأقل حركة تصحيح لبعض الاتجاهات التي بدأت تظهر فيها في القرن الرابع الميلادي.

وهذه هي الأسباب والدوافع التي أدت إلى ولادة الرَّهْبَنَةِ فِي الْكَنِيسَةِ الْأَرْتُوذُكْسِيَّةِ بحسب آراء بعض المؤرخين. ولكن يمكن القول خلافاً لذلك هناك سببان لظهور الرَّهْبَنَةِ سبب حقيقي رئيسي: وهو نتيجة إلهام إلهي ينشأ في فكر الإنسان فيوقظه من سباته ليتصور ليلاً نهاراً العذاب المعد للخطاة في العالم الآتي، والنعيم الموعود به للأبرار في ملكوت الله، وهذا الأمر لا يحدث إلا نادراً ولأفراد قليلين في أزمنة متفاوتة وفي بعض الأماكن فقط. السبب الثاني فهو مجازي ومستعار: إنَّه محبة المجد الباطل التي تغري الإنسان بالشهرة حتى تسوقه إلى اقتناء المجد بأتعاب النَّسْكِ المضنية، مثله مثل الأغنياء الذين في سبيل الحصول على المجد يضحون بخسارة كبيرة.

¹ - لوريمر. (2013)، ص 222.

² - Frend.(1982), P.263

ثالثاً - الرَّهْبَنَةُ وانتشارها في سورية:

كانت مصر مهد الرَّهْبَنَةِ ثم انتشرت الرَّهْبَنَةُ في القرن الرابع الميلادي في أصقاع كثيرة من بلاد المشرق انتشاراً مدهشاً، وأشهر مواطنها بعد بَرِيَّة (صحراء) مصر، سواحل سورية الجنوبية وبادية الشام وبریة قورش¹ وجبل الرها المعروف بالجبل المقدس، والجزيرة الفراتية وجبل الأزل وطور عبيدین، وجبل الفاف (الموصل) وجبل ماردين وضواحي قيصريَّة هذه المناطق كانت ضمن سورية القديمة².

وعرف السوريون الرهبة ومارسوها أفراداً وجماعات في أعماق المغاور، وعلى قمم الجبال، وفي بُعد الأودية، وفي قلب الغابات، وفي كل مكان من بلادهم. وتفاعلوا مع هذا النمط والنظام الجديد بكل ما أوتوا من عزيمة ومضاء وامكانات علمية ومادية حتى أن سُراة القوم ووجوه المجتمعات يتسارعون في انتهاج هذا السلك السماوي المقدس. فانضوى تحت لواء الرهبة أبناء الطبقات العليا ليعيشوا جنباً إلى جنب مع أبناء العامة والخاصة متنافسين في تحمل شظف العيش، وخشونة الحياة بأدوم الطعام، وقلة الراحة والعمل الشاق في الصومعة أو الدير، حتى نافسوا الملائكة طهراً وقداًسة. وهم يحملون هذا الجسم المادي الذي جعلوا منه واسطة ليرتفعوا به إلى الله³.

ومن هنا انتشرت الأديرة وعمت الصوامع، وكثرت القلايى الرهبان. وصارت مثل أعشاش النسور في أعالي الجبال وأوجرة الثعالب في أغوار الأرض، وهم يرددون بفخر واعتزاز قول السيد المسيح (للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه)⁴.

¹ - مدينة كيروس Cyrus أو Cyrrhus أو Kyrros وتورد بالكتابات العربية قورش أو كورش، كانت مدينة سورية قديمة، وتعرف باسم النبي هوري تقع أطلالها الآن في شمال شرق مدينة عفرين Aphreen بنحو (45كم) بسورية الحالية ولا تبعد عن تركيا سوى (2كم) ، يمر إلى الشرق منها نهر سابون، كما تبعد عن شمال غرب حلب بمسافة (70كم). انظر: ثيودوريتوس. (دحت)، التاريخ الكنسي. تر: عن الأصل اليوناني: بلومفيلد جاكسون نقلاً: P.N.F, S2, V3. تعر: بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، مقدمة المعرب، د ص.

² - اغناطيوس أفرام الأول برصوم. (1940)، الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، م ١، حمص: مطبعة السلامة، ص 538.

³ - صليبيا. (2013)، ص 17.

⁴ - إنجيل لوقا، 9:58

1- القديس هيلاريون رائد الحركة الرهبانية في سورية :

انتقلت الرَّهْبَنَةُ من مصر إلى سورية بواسطة القديس هيلاريون Hilarion (293-371م) الذي لم تعرف سورية ناسكاً قبله حسب تعبير القديس جيروم. مما كتبه القديس جيروم (347-420م) عن هيلاريون أنه ولد في قرية طبثا Tabatha بجوار غزة عام (293م)، دفعه أبواه إلى السفر إلى الإسكندرية في طلب العلم، فقرأ النحو والأدب في مدرستها التي كان لها شهرة كبيرة في عالم البحر المتوسط ، على الرغم أن أبويه وثنيان إلا أنه تحول إلى المسيحية وتتنصر، وترامت إلى سمعه شهرة الزاهد المصري أنطونيوس، الذي كان على لسان كل إنسان في مصر على قول القديس جيروم نفسه فتأقت نفسه إلى رؤيته، فولى وجهه شطر الصحراء يبتغي أنطونيوس، الذي كان قد استقر به المقام في صدر الصحراء الشرقية عند منطقة بسبير. أدى هذا اللقاء بين هيلاريون والقديس أنطونيوس الكبير Antinius إلى تغيير كامل في حياة الغزاوي السوري حيث لازم أبو الرهبان لمدة شهرين، درس فيها طرائق حياته وسلوكه وصلواته وتواضعه ورقة حديثه مع الآخرين، وتركت هذه الزيارة أثرها البعيد في حياة هيلاريون، بعد أن وقف بنفسه على نمط هذه الحياة النسكية التي لم يألفها من قبل، فلما رضيت نفسه بهذه الحياة عاد إلى موطنه، فتنازل عن أملاكه لأخوته، وتصدق بالباقي على الفقراء، فالقديس هيلاريون أيقن أنه من الأفضل له أن يبدأ كما بدأ أنطونيوس¹.

وعمل هيلاريون على ممارسة الحياة الرَّهْبَنَةَ ونشرها في سورية، حيث نمت هذه الحياة هناك نمواً مطرداً في القرنين التاليين، وبعد مرور (22) عاماً على الممارسة التقشفية والنسكية من قبل هيلاريون أي حوالي (329م)، وبدأت حياته تجذب البعض إليها، فتتلمذ على يديه الكثير من عشاق الرهد، وتحولت غزة إلى بستان يعج بالنساك والرهبان، وبلغت شهرة هيلاريون جميع أنحاء سورية، فكان الناس يقصدونه من كل حدب وصوب، وانضم إليه تلاميذ وكثروا حتى بلغوا حوالي الألفين². فكان يلقتهم طريقة الأنبا أنطونيوس ويديرهم، فيما بعد شيد العديد من تلاميذه

¹ - انظر: النص الأصلي باللغة اللاتينية في:

Jerome, Vita Hilarionis, P.L ,23: 29-54 P.2-3

² - أبو زيد. (د-ت)، ص 400.

ديارات في سورية على طريقته، واهتدى خلق من الوثنيين إلى المسيحية على يديه منهم بعض القبائل العربية، ثم اضطر إلى المغادرة من هذه المنطقة حوالي (360م) والانتقال من مكان إلى آخر باحثاً عن الخلوة والصمت، وبقي على هذه الحالة حتى وفاته سنة (371م)¹. عندما حضرته الوفاة فسمعوه يقول: اخرجي يا نفس، اخرجي مالك تترددين؟ أيمضى لك في عبادة الله زهاء سبعين من السنين، وأنت من الموت تجزعين؟ ومضي إلى ربه في عام (371م)، وقد ناهز الثمانين من العمر، بعدما أوصى بكتاب إنجيله وثيابه إلى تلميذه الصالح هيزيكاس، ودفن في بافوس في قبرص اليونانية، وتمكن هيزيكاس من نقل جثته الطاهرة إلى دير في مايوما بفلسطين².

من خلال دراسة سيرة القديس أنطونيوس الكبير أول من نظم الحياة النّسكية والرّهبانية وهو أول من دعي راهباً بل صار أباً لجميع الرّهبان، وسيرة القديس هيلاريون (293-371م) الذي لم تعرف سورية راهباً قبله كما يقول جيروم، يمكن القول أنّ هناك تشابهاً كبيراً بينهما، وهذا يدل على مدى تأثير هيلاريون بسيرة أبي الرهبان أنطونيوس، ويؤكد صدق خبر اللقاء بينهما، ويمكن تحديد عوامل التشابه بينهما التي قادت كل منهما إلى الرّهبنة :

- العامل الأول: وفاة والد كل من أنطونيوس وهيلاريون، فيما يتعلق بأنطونيوس حيث نظر إلى جثمان والده المسيحي أمامه وخاطبه قائلاً: أين عظمتك وسلطانك وغناك؟! لقد خرجت من هذه الدنيا كارهاً، ولكني سوف لا أكون مثلك، وإنّما سأخرج منها بإرادتي³. بينما هيلاريون بعد وصول نبأ وفاة والده عاد من مصر إلى غزة، وتأثر كثيراً بوفاة والده لأنّه لم يهتدِ إلى المسيحية، وعمل على توزيع كل أملاكه على اخوته والفقراء، واتجه إلى حياة الزّهد وممارسة الرّهبنة⁴.

- العامل الثاني: تأثر كل منهما بآية من الإنجيل المقدس سمعها في الكنيسة، فيما يخص أنطونيوس قول السيد المسيح للشباب الغني: (إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَاهْجُبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ،

¹ - سوزومين. (1890)، 3: 14

² - أغناطيوس أفرام الأول. (1940)، ص 520.

³ - بلاديوس. (2014)، ص 21.

⁴ - أبو زيد. (د-ت)، ص 400.

وَتَعَالَ اتَّبَعْنِي¹. وهكذا قرر أنطونيوس أن يعطي كل أمواله للفقراء، وسلم أخته إلى أحد بيوت العذارى، ومضى لكي ينشغل بالله وحده². أما هيلاريون تأثر بالآية التي تقول: (إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتَّبَعْنِي. فَإِنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يَهْلِكُهَا، وَمَنْ يَهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَحْيَاهَا. لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ فَإِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدٍ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ)³.

ثم غادر موطنه إلى الصحراء لممارسة الحياة الرهبنة والتأمل والفضيلة، وبعد هيلاريون أول شخصية مؤثرة ومهمة في الرهبنة السورية الأولى، وبعد أبو الرهبان السوريين⁴، على الرغم أنه لم يكن الأول في ذلك المجال، فقد سبقه آخرون في حياة الرهبنة أثناء الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون السوريون، ولكن لم تصل أخبارهم وسيرهم، ومنذ ذلك الحين بدأ الانتشار الفعلي لحياة النّسكية والرهبانية في سورية، وبدأ الكثير من المعجبين بسيرة هيلاريون في الالتفاف حوله والتلمذة على يديه، إذ لم يكن قد سبقه أحد في هذه البلاد، وأن رأى هذا النمط من الحياة. ويقول القديس جيروم **Jerome**: إِنَّ الشَّارِقَ عَرَفَ بِذَلِكَ كُوكِبَيْنِ مَشْرِقِيَيْنِ بِالْقَدَاسَةِ وَسَمُو الْفَضَائِلَ أَحَدَهُمَا فِي مِصْرَ وَهُوَ الْأَنْبَا أَنْطُونِيُوسَ الْكَبِيرَ، وَالثَّانِي فِي سُورِيَا وَهُوَ الْأَنْبَا هِيلَارِيُونُ، الَّذِي كَانَ الْقَدِيسَ أَنْطُونِيُوسَ يَقُولُ عَنْهُ لَمَنْ يَأْتِي إِلَيْهِ مِنْ سُورِيَا: (لِمَاذَا تَكْبِتُمْ مَشَقَّاتِ الطَّرِيقِ، وَعِنْدَكُمْ ابْنِي هِيلَارِيُونُ الَّذِي يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَنَالُوا مِنْهُ مَا تَطْلُبُونَهُ مِنْي)⁵، وجذبت شهرة هيلاريون جموعاً من المسيحيين، سواء من طالبي الشفاء أو من طالبي الرهبنة والراغبين في الحياة النّسكية⁶، وبرز في سورية عددٌ من الرهبان تتلمذوا على يد هيلاريون، وصلوا إلى ذروة الكمال الفلسفي، ومن بينهم هزيكاس رفيق هيلاريون، وإبيفانيوس الذي صار فيما بعد أسقفاً لسلايميس في قبرص.

¹ - إنجيل متى، 19: 21.

² - اثنا سيوس (2012)، ص 15.

³ - إنجيل متى، 16: 24-27.

⁴ - Jerome, **Vita Hilarions**, P.L ,23: 29-54.

⁵ - انطون، فهمي جورج (1994)، **القديس هيلاريون**، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس (الأوفست)، ص 23.

⁶ - انطون (1994)، ص 24.

المعلومات حول هزيكاس مستمدة من المؤرخ الكنسي سوزومين **Sozomenus** الذي لا يقدم معلومات كاملة عنه، ولكن يؤكد أنَّ هزيكاس كرس نفسه لحياة الفلسفة الرَّهْبَانِيَّة في نفس المكان الذي أقام فيه معلمه هيلاريون¹. حيث كان يعدُّ القديس هيلاريون الآب والمدير والمرشد لكل الرُّهبان في سُورِيَّة الجنوبيَّة ويرافقه هزيكاس في جولاته السنوية على الأديرة التي بناها لهم في براري فلسطين، من أجل رشاد الرُّهبان ويثبتهم في الدعوة التي دعاها المسيح إليها². بينما إبيفانيوس **EPIPHANIUS** (315-403م) الذي ولد في إحدى قرى فلسطين، وجعل أقامته بالقرب من قرية بسودك التي تقع بين غزة والقدس، وصار مشهوراً في مصر وسُورِيَّة ببلوغه الفلسفة الرَّهْبَانِيَّة³، وفي هذا الموضوع لابدَّ من الإشارة إنَّ إبيفانيوس انجذب إلى هذه الحياة من خلال هيلاريون **Hilarion** فتتلمذ على يده وتنبأ عنه أنَّه سيصبح أسقفًا، كمؤيد قوي لهذه الفلسفة المسيحية زار مصر، وقضى فيها سنوات عديدة في أديرتها ثم عاد إلى سُورِيَّة، وأسس دير بالقرب من (**ELeutheropolis**) بيت كوفرين القريبة من مدينة غزة وتولى رئاسته لمدة تقارب الثلاثين عاماً، واشتهر بمحبته للعلم والقداسة وحياة الفضيلة والتقوى، ويروي جيروم عن هذا الزَّاهب أنَّه يتقن اليونانية والسريانية والعبرية والقبطية والقليل من اللاتينية⁴، ويُعدُّ إبيفانيوس كمعلمه هيلاريون من الذين تأثروا جداً بالنظام الرَّهْبَانِي المصري، فجعلوه ركيزة الحياة الرَّهْبَانِيَّة في سُورِيَّة، ولا سيما في منطقة غزة **Gaza** المجاورة لنُساك مصر ورهبانها⁵.

ومن بين الذين نقلوا تعاليم المدرسة الرَّهْبَانِيَّة المصريَّة إلى سُورِيَّة بورفيريوس **Porphyrius** الذي ولد في تسالونيكي حوالي (347م) بدأ حياة الرهبنة سنة (372م) في مصر واستمرت لمدة خمس سنوات، وانتقل بعدها إلى فلسطين

¹ - سوزومين. (1890)، 6: 32

² - انطون. (1994)، ص 24.

³ - سوزومين. (1890)، 6: 3

⁴ - Jerome, Adv, Rufin, 22:2

⁵ - WILLIAMS.F: **The Panarion Of Epiphanius Of Salamis**, Book, Newyork, Leiden, 1987, Pp.41-43

(377م) معه الراهب السوري الأصل سيلفانس. أصبح بورفيرْيوس أسقفًا على غزة سنة (395م) ومات فيها سنة (420م). أما سيلفانس أسس ديرًا في غزة وستقر فيه حتى وفاته¹.

هؤلاء هم الآباء الأوائل للرهبنة في سورية الذين نشروا هذه ظاهرة في المجتمع السوري على نمط المدرسة المصرية. وهم الذين ساهموا مساهمة فعالة في الدعوة إليها من خلال سيرهم الصالحة التي تميزت بالفضيلة والأخلاق العالية والسمعة الطيبة. ونتيجة لذلك تبنى عدد كبير من السكان في سورية هذا النمط من الحياة. وأصبحت منطقة غزة بستان للرهبان الذين عشقوا هذه الفلسفة التي تدعو إلى التجرد والأمانة والعزلة والطاعة والعمل. فيما بعد انتشرت هذه الظاهرة من خلال هؤلاء الآباء وتلاميذهم في سواحل سورية الجنوبية وبادية الشام وبرية قرش وجبل الرها المعروف بالجبل المقدس، والجزيرة الفراتية وجبل الأزل وطور عبيد، وجبل الفاف (الموصل) وجبل ماردين وضواحي قيصرية هذه المناطق كانت ضمن سورية القديمة.

2- الرهبنة وآباؤها العظماء في مناطق مختلفة من سورية:

وبعد ظهور الرهبنة في سورية وانتشارها برز عدد من الرهبان كان لهم دورٌ مهم في هذه الفلسفة المسيحية، ويسلط المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس **Theodoretus** (393-457م) الضوء على هؤلاء الأبطال الذين جسدوا بأشكال مختلفة المثل الرهبانية السورية من العزلة المتطرفة، والنظام الغذائي القاسي معرضين أنفسهم لعنف الطبيعة، وفترات من التجوال من مكان إلى آخر²، ومن أشهرهم القديس يعقوب النصيبيني المتوفى سنة (338م)، ويوليانوس (سابا) المتوفى سنة (367م) ومار أفرام السرياني وثيودوريتوس القورشي.

¹ - أبو زيد. (د-ت)، ص 400-401

² - ثيودوريتوس. (1987). تاريخ أصفاء الله، تر عن الأصل اليوناني: الأرشمندريت أدريانوس شكور، لبنان: جوبة.

أ- يَعْقُوبُ النَّصِيبِيُّ :

❖ نشأته ورهبانيته:

يعدُّ يعقوب **Jacob of Nisibis** رائد الحركة النَّسْكِية في الشمال السوري، والمعلومات حول يعقوب شحيحة للغاية، والمصدر الرئيسي لهذه المعلومات هو ما يرد في تاريخ ثيودوريتوس القورشي عن رهبان سورية.

بدأ يعقوب النصيبيني حياته النَّسْكِية في بداية النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي وهو فتى يافع، ولكن نجهل اسم الناسك الذي تتلمذ على يديه، وانطلق يعقوب من مدينته نصيبين¹ ليتعاطى العيشة النسكية التوحدية، فراح صوب قمم الجبال العالية ليقضي فيها حياته، حيث كان يقضي الشتاء في مغارة والصيف والخريف في العراء، ولم يكن طعامه ما يحتاج إلى عناية في زرعهِ وغرسهِ، بل مما ينبت من ذاته في البرية لذلك كان يقتات من الأعشاب البرية وبعض الفاكهة التي تجود بها الأرض ولمرة واحدة في النهار، وأحياناً لمرة واحدة في الأسبوع عندما كان يصوم، وقد تجنب أي طعام مطهي على النار، أما لباسه مصنوع من وبر الإبل الجزيل الخشونة، يكون له هذا ثوباً ورداءً بسيطاً، ومن صفاته ينام قليلاً، ويقضي معظم الوقت في التأمل والصلاة ومناجاة الله، الذي صنع العجائب الكثيرة على يديه².

ويذكر المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس **Theodoretus** بعض العجائب التي حصلت على يد مار يعقوب ومنها لعن يعقوب الفتيات الفاجرات، سائلاً أن يتحول صباهن الأثيم إلى مشيب قبل الأوان، والسبب في ذلك بحسب كاتب سيرته

¹ - مدينة سورية قديمة تقع إلى الشمال من مدينة القامشلي، عرفت نصيبين في المصادر الآشورية باسم نصيبيني Nasipini، وفي العام (195م) دخلها الإمبراطور الروماني سببتموس سفيروس وجعلها عاصمة ولاية ميزوبوتاميا Mesopotamia وكانت في القرنين الثالث والرابع الميلاديين مثار نزاع بين الرومان والساسانيين، وصارت بعد عام (363م) مدينة حدودية بأيدي الساسانيين وكانت لها أهميتها في القرن الرابع الميلادي؛ بسبب المبادلات التجارية بين بيزنطة والفرس، وفي اتفاقية عام (561م) اتفق الطرفين الفارسي والبيزنطي على أن تكون نصيبين مدينة فارسية ومركزاً لتبادل البضائع التجارية بين الطرفين. انظر: حمادة، حميدو (2005)، نصيبين، الموسوعة العربية السورية، م 20، ص 704.

² - ثيودوريتوس. (1987)، ص 23-24.

عدم احتشامهن له، وأخذن بالنظر إليه والضحك، فجفت مياه النبع وأبيض شعورهن¹، وتنبّهن إلى العقاب وهرعن إلى المدينة مسرعات فأخبرن بما حدث، ثم أقبل السكان إلى يعقوب العظيم وتوسلوا إليه أن يكف غضبه ويبطل العقاب، وهو بدون تردد رفع ابتهاله إلى السيد الربّ ثم أمر المياه أن تعود إلى مجاريها، أما الفتيات سمح بأن يستمر العقاب قائماً إرشاداً لهنّ إلى الحكمة، ومثالاً للتأديب وتذكيراً دائماً للاعتراف بقدرة الله². والأعجوبة الأخرى التي يوردها المؤرخ ثيودوريتوس، أنّ يعقوب في جلسة يشاهد فيها قاضياً يصدر حكماً ظالماً، فلعن صخرة عظيمة كانت جاثمة هناك، وأمرها بأن تتفتت وتتفجر، فانذهل الحاضرون وصار القاضي يرتجف بكل كيانه، فأبطل حكمه الأول، واستعاض منه بحكم آخر عادل³. في هاتين الحالتين يشبه ثيودوريتوس يعقوب بالسيد المسيح، تمثلاً بعطفه على البشر لم يقاص القاضي الظالم بل أرشده إلى إحقاق الحق بضربة الصخرة، أما مشهد الفتيات فلكي يحررهن من كفرهن بأعجوبة.

وقد تم تعيينه أسقفاً على مدينة نصيبين وهو في شبابه، وكان ذلك حوالي سنة (300م)⁴ وخلال هذه الفترة تعرضت نصيبين لحصار من قبل سابور ملك فارس، واستخدم كل الوسائل من أجل دخول المدينة؛ ولكنه فشل فشلاً ذريعاً بسبب صلاة القديس يعقوب كما يذكر ثيودوريتوس، ويعلل ذلك أنّه بعد وفاته سنة (338) ميلادية تمكن الفرس فيما بعد من دخول هذه المدينة عن طريق الخيانة⁵.

¹ - ويلاحظ هنا أن ثيودوريتوس كرجل دين يضيف على الاحداث التاريخية تأمله الديني خالص، ويدمجها بتصوراته الخاصة، مما يجعله روائياً وليس مؤلفاً تاريخياً بالمعنى العلمي الحالي، بالنسبة للمؤرخين والدارسين قد لا يرقى أسلوبه إلى المستوى الأكاديمي، ربما يعتبرون روايته قصصاً أو فلكلور شعبي، وهذا عكس المؤرخين سقراطيس وسوزومين يوردون الاحداث مجردة من التعليق الخاص أو أضفاء تفسير غيبي لها.

² - ثيودوريتوس. (1987)، ص 24 - 25.

³ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 24 - 25.

⁴ - ايسيدوروس. (د-ت)، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، تعريب: القمص عطا الله ارسانيوس المحرقى أحد رهبان دير العذراء بالمرق عن النسخة الأصلية، ص 251.

⁵ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 28 - 29.

ب-يوليانيوس الرهاوي (Julianus saba):

يعرف يوليانيوس بلقب سابا اجلالاً وتكريماً له، وهي كلمة يونانية وتعني شيخاً، وهو من منطقة الرها¹ التاريخ الوحيد الذي نعرفه عن حياته هو سنة وفاته (367م)، وقد دفن في مدينة الرها. يورد أحد الميامر (العظات) النسكية المنسوبة إلى أفرام الذي تكلم فيه عن روحانية يوليانيوس، أنه قضى أكثر من خمسين سنة في الحياة النسكية². المعلومات المتعلقة عن يوليانيوس قليلة ونادرة وهي مستمدة من كاتب سيرته المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس Theodoretus في تاريخه الرهباني (تاريخ أصفياء الله)، ذكر أن طعامه هو خبز الشعير المجفف مع شيء من الملح بمثابة مقبلات، وشرابه اللذيذ كان الماء الصافي من الينابيع، أما اللوازم والبذخ والترف بأنواعها فكانت بالنسبة إليه التغمي بمزامير داود³ والانقطاع الدائم إلى مناجاة الله، يردد دائماً: (ما أعذب أقوالك في حلقي، هي أحلى في فمي من العسل). ما لبث أن عرف الكثيرون بالفلسفة السامية التي كان يعيشها هذا الرجل سواء أكانوا من السكان القريبين منه أم البعيدين، لأن شهرته قد انتشرت في كل مكان، فجاء إليه الكثير من محبي هذه الفلسفة، وطلبوا منه أن يكون المدرب والمرشد لهم طيلة ما تبقى لهم من هذه الحياة، فأسسوا تحت رعايته أول جماعة رهبانية بلغ عددها مئة ناسك، وبنوا مسكناً فقيراً لإيوائهم، عاشوا فيه جميعاً، أما هو فقد أثر البقاء وحده في كهفه، ثم وسعوا هذا البناء بمشورة يوليانيوس، وكان أكبر مما خطه لهم، وعندما لاحظ وسع هذا المكان وجه خاطباً هذا نصه: (يا رجال، أنا أخشى أننا في تكبيرنا منازلنا على الأرض تصغر تلك التي لنا في السماء، على أن هذه وقتية وتفيدنا لمدة قصيرة، أما تلك فهي أبدية لا يكون لها نهاية)⁴، وهؤلاء النساك كانت حياتهم ماثلة لحياة معلمهم في كل شيء، عملهم الدائم الصلاة

¹ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 33.

² - Voobus, A. (1960), History Of Asceticism In The Syrian Orient, li, Early Monasticism In Mesopotamia And Syrio, Cs, 197, Louvain, P.25

³ - سفر المزامير هو أحد أسفار التناخ اليهودي والعهد القديم من الكتاب المقدس المسيحي ويبلغ عددها مئة وخمسون مزمراً، وهي ما كان يترنم بها النبي داود من الأناشيد والأدعية. انظر : الكتاب المقدس، العهد القديم: سفر المزامير.

⁴ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 33-35.

والصوم والتأمل والتراثل الروحية الليتورجيا¹، ويسترحون فترة من الزمن لتناول وجبتهم اليومية الوحيدة عند غياب الشمس، ثم يجتمعون في كهف يوليانوس لأداء صلاة المساء، إذ استطاع يوليانوس تلقينهم الحياة النسيكية، وتمكن أن يجمعهم تحت نسق روحاني موحد بعدما كان كل راهباً يعيش في قلايته منفرداً².

وبسبب شهرته أصبح عشاق الخير يقصدوه بكثرة لتلمذة على يديه، أحب أن يتهرب من هذا التكريم، فرحل أخيراً صوب جبل سيناء (جبل موسى أو حوريب) **Χωρήβ** مع نخبة صغيرة من تلاميذه سالكاً طريق الصحراء، حيث مكثوا هناك مدة طويلة، لأن العزلة في ذلك المكان، وراحة النفس، كانتا لديهم السعادة العظمى، وشيدوا كنيسة مع هيكل الله لا يزال قائماً إلى الآن على تلك الصخرة التي اختبأ تحتها موسى النبي³.

ولما اشتد الخطر الآريوسي تجاه الكنيسة الأرثوذكسية أسرع أكايوس⁴ **Acacius** (322-433م) أسقف بيرية (حلب) إلى مقر يوليانوس الصحراوي، وقال له: إن زعماء الآريوسية يزعمون أنك شريك في كفرهم، ما أن سمع الشيخ هذا الكلام حتى ترك الحياة النسيكية إلى حين، واتجه إلى أنطاكية دون خوف من اضطرابات المدينة التي لم يتعودها، وأعلن يوليانوس أن الآريوسية هم أعداء الحق والإيمان القويم. وقد تجمع الناس حوله بكثرة من كل صوب، وجرت على يديه كثير من المعجزات من شفاء وغيرها، وبعد ذلك توجه صوب قورش حيث أمضى هناك فترة من الزمن غير

¹-الليتورجيا: كلمة يونانية تعني الخدمة، ويقصد بها العبادات والصلوات الاجتماعية بكل أنواعها، ولكن استقر الرأي بين علماء اللاهوت على إطلاق هذا الاصطلاح على القداس الإلهي تحديداً. للمزيد انظر: ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠٢١)، قاموس المصطلحات الكنسية، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

²- أبو زيد. (د-ت)، ص 389.

³- ثيودورتيوس. (1987)، ص 39-42.

⁴- أكايوس وُلِدَ في سنة (322م)، صار راهباً في سن مبكرة ونال شهرة كبيرة من أجل حياته النسيكية والزهبانية، كان صديقاً للقدّيس يوحنا فم الذهب ولكن بسبب اختلافات شخصية أصبح أحد المعارضين الذين حكموا عليه بالنفي والعزل في مجمع السنديانة (403م). رسم أسقفاً على إبرشية بيرية (حلب) في سنة (378م)، حضر أكايوس مجمع القسطنطينية عام (381م)، منعه كبر سنه من المشاركة في مجمع أفسس، بالرغم من ذلك لعب دوراً حيوياً في المصالحة بين يوحنا أسقف أنطاكية وكيرلس الإسكندري أسقف الإسكندرية في سنة (433م). انظر للمزيد:

. Quasten: **Patrology**, vol 3, P 481-482

قصيرة، ثم انتقل مسروراً إلى الحياة التي لا تعرف الشيخوخة والحزن، بعد أن تمرن على احتمال الآلام في طبيعة فانية استعداداً لخلود الروح¹.

ج- مار أفرام السرياني (306-373م):

❖ حياته ورهبانيته:

أفرام السرياني Ephraim Syrus ، وُلِدَ في نصيبين نحو سنة (306م) في بيت مسيحي في ما حكاه عن نفسه، قال الذهبي الفم في حقه: (أفرام قيثاره الروح القدس، ومخزن الفضائل معزي الحزاني، ومرشد الشبان، وهادي الضالين، كان على الهرطقة كسيف ذي حدين)². يقول المؤرخ الكنسي سوزومين Sozomenus (380-450): (إنه كرس حياته للفلسفة الرهبانية، وعلى الرغم من أنه لم يلق أي تعليم فقد صار على عكس التوقعات متميزاً في علم ولغة السريان، لم يتعرض قط لمشاعر الغضب نحو أي أحد منذ فترة اعتناقه الحياة الرهبانية، وعين أسقفاً على أحد المدن فتظاهر بالجنون، وظل مختبئاً حتى تم سيامة آخر في مكانه)³. وهنا نختلف مع المؤرخ سوزومين في ذلك لأنَّ مار أفرام تتلمذ على يد الناسك يعقوب النصيبيني أسقف نصيبين فسقاه من التقى والعلم لبناً نقياً، وقرأ كتاب الله فأحكمه، فيما بعد ألبسه الثوب الرهباني.

وعرف عن مار أفرام حبه للحياة النسيكية والتأمل والفضيلة، وقد علم في مدرسة نصيبين لمدة (38) عاماً وهو منصرف إلى ممارسة حياة الزهد والعبادة، يكب على الدرس والتصنيف⁴، ويورد المؤرخ سوزومين أنَّ باسيليوس القيصري Basil (330-379م) أسقف قيصرية في كبادوكيا كان معجباً بشدة بأفرام ومندهشاً من سعة اطلاعه وهذه

¹ - ثيودورتيوس. (1987)، ص 39-45

² - أغناطيوس افرام الأول. (1940). ص 523.

³ - سوزومين. (1890)، 3: 16

⁴ - أغناطيوس افرام الأول. (1940)، ص 523.

شهادة عظيمة بحق مار أفرام، لقد قيل أنه كتب ثلاثة آلاف بيت شعري، وأنَّه له تلاميذ كثيرون يلتصقون بشدة بتعليمه، وألَّف أفرام قصائد طبقاً لتعاليم الكنيسة، ووضع تسابيح مقدسة في مدح الإنسان الذي بلا أهواء¹.

كانت ممارسة الحياة الرهبانية عند مار أفرام كلها توبة ويتم التعبير عنها بالصلاة والصوم والاسهار وبالدموع على الأخص، والتوبة المستمرة بلا انقطاع، وهذا يتطلب جهداً مستمراً من قبل الراهب على حسب قول مار أفرام: (في شخصك، في حريتك، كن شهيداً وقاضياً، اصلب جسمك طيلة الليل في الصلاة اصنع من ذاتك شهيد السهر، أدّى الشهداء الشهادة في النهار، والنساك أدوها في الليالي)²، ويذكر أفرام أنَّ الراهب لا يثبت في مكان ما ولا يجد راحة أنَّ لم يحبب الصمت والإمساك أولاً؛ لأن الصمت يعلم الهدوء والصلاة المستمرة؛ ولأنَّ الإمساك يجعل الذهن غير مغلوب وغير مشتت، وأخيراً أنَّ السلام يتبع ذاك الذي يتمسك بالصمت والإمساك³.

كان مار أفرام صوماً قواماً، ذبل جسده ورق نتيجة لتطرفه، واغراقه في حياة الزهد والرَّهْبَنَةِ، وقد وصفه غريغوريوس النيصي Gregoryus⁴ (335-395م)، قائلاً: (إنَّه لم يأكل سوى خبز الشعير والبقول المجففة، ولم يشرب سوى الماء، حتى أصبح هيكلاً عظيماً بل تمثالاً من الفخار أما لباسه فكان ثوباً خلقاً بل اظماراً بالية)⁵.

في ممارساته الرهبانية يركز على الفقر والبتولية والطاعة، وهي مبادئ الأساسية لهذه الفلسفة المسيحية. البتولية في فكر مار أفرام أهمية كبيرة، وهي من أهم أسس هذه الفلسفة المسيحية حيث يؤكد عليها ويقول: (هي تدخلنا الجنة أكثر من الصوم والاسهار، صورة المسيح موضوعة في قلب البتوليين والبتوليات، فالمسيح حاضر فيهم)⁶. في الطاعة مغبوط من يحوز ملك الطاعة الحقيقية المنزهة عن الرياء، فإنَّه يشبه معلمنا الصالح الذي أطاع حتى الموت،

¹ -سوزومين. (1890)، 3: 16.

² - الأب افرام كريكوس، واسبيرو حبرو. (1994)، القديس افرام مختارات نسكية وزهدية، دمشق: دار العلم، ص 16.

³ - الأب افرام كريكوس. (1994)، ص 127-128.

⁴ - غريغوريوس النيصي (335-395م) أسقف نصيص الأخ الصغير للقديس باسيليوس الكبير، يعدُّ من أهم الأباء الكبادوك دعاه القديس غريغوريوس النزينزي بعمود الكنيسة. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 121.

⁵ - عيواض، زكا. (1974)، مار افرام السرياني، بغداد، ص 66.

⁶ - الأب افرام كريكوس. (1994)، ص 18.

الطائع مشبه له سينال الميراث مثله، من عنده طاعة يتحدّ بالجميع بفضل المحبة ويقتني ثروة عظيمة، المطواع يرضي الجميع ويعظمه الجميع، يرتفع وينجح سريعاً يؤمن بالله بصدق، متهيّ لكل عمل صالح¹.

فيما يتعلق بالرهبانة عند مار أفرام لم تكن تصوراً أو انقطاعاً عن العالم وصوماً وصلاة فحسب، بل كانت أيضاً خدمة للإنسانية ووسيلة لحفظ التراث القومي، لذلك عمل مار أفرام لجعل الأديرة مراكز مهمة للعلم والمعرفة حيث ازدهرت العلوم والآداب فيها، وختاماً نقتبس مقتطفات من قصيدة السروجي (449-521م)² في مار أفرام السرياني:

(أعيروني أسماكم أيها المؤمنون لأحدثكم عن مار أفرام الكبير، محامي الدين القويم الذي ناضل عن حقائقه بجرأة نادرة المثال، فكان ينبوعاً فياضاً انهمرت مياهه المباركة في أرضنا وأروت غابات إيماننا لم يقتصر مار أفرام على التعليم والتثقيف، بل زين نفسه بأجمل الخلال وأفضل الخصال، فلم يكتفِ بأن يعلم بكلامه، بل علم كذلك بمثله وسيرته المتألّنة بأشعة القداسة والكمال، هذا إيمانه الوثيق، فهو يضربني ضرب الإصبع للقيثارة كي اترنم بوصفه وأتغنى بنشيدته وأجاهر بحسناته الوافرة. دعوني أيها السامعون الكرام، استرسل في وصف أفرام المجاهد الشجاع الذي استمر يكافح كفاحاً متواصلاً في ميدان العلم والتهذيب، ويحارب حرباً عنيفة في المعركة الكبرى فقد تعرى عن العالم وعن موبقاته، ولم يدع قدميه تتعرقلان في أشواكه، انحدر إلى الساحة مخرجاً بدماء ابن الله الزكية، فتعذر على الخصم الفتك به، أو التغلب عليه حاول زعماء الهرطقة أن يجذبوه إليهم، فعاندهم وناهضهم وتهدهم بنشاط ما بعده نشاط، وصوبوا نحوه نبال الكذب والبهتان، فحطمها كالليث الصنديد، لم يفشل في الجهاد

¹ - الأب أفرام كريكوس. (1994)، ص 159.

² - يعقوب السروجي: ولد نحو (449م)، في قرية كورتم، وقيل في حورا على ضفة الفرات من أعمال مدينة سروج، درس في مدرسة الرها اللغة السريانية والعلوم الفلسفية واللاهوتية والكتابية، له العديد من الرسائل والمواظ والخطب والميامر، وله كتابات حول الثالوث. للمزيد انظر: اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، ص 225، 219.

ظَلَّ مُتَقَيِّظاً حَرِيصاً يُوَاطِّبُ عَلَى التَّرَنُّمِ بِقِيَّارَتِهِ، حَتَّى كَشَفَ الذَّنَابَ الْخَبِيْثَةَ عَنْ الرَّعِيَةِ الْأَمْنِيَةِ الَّتِي افْتَدَاهَا ابْنُ اللَّهِ الْعَزِيزُ بِدَمِهِ الثَّمِينِ، وَأَحْرَزَ الْغَلْبَةَ التَّامَةَ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ الْقَوِيمِ¹.

فِي النِّهَايَةِ الْحَدِيثِ عَنْهُ كَانَ أَفْرَافِيمُ رَاهِباً مُمْتَازاً فِي فَضَائِلِ الْعِفَافِ وَالتَّوَاضُعِ وَالرَّحْمَةِ، مَعْتَصِماً بِدِينِهِ أَشَدَّ اعْتِصَامٍ مَغَالِيّاً فِي حُبِّ الْكَنِيسَةِ وَالْإِيمَانِ الْقَوِيمِ، وَأَبْرَزَ مَصْنَفَاتِهِ الَّتِي رَفَعَتْ لَهُ اسْماً، هِيَ مِيَامَرُهُ أَيْ قِصَائِدُهُ الْمُنَظُومَةُ عَلَى الْبَحْرِ السَّبَاعِيِّ الْمُنَسُوبِ إِلَيْهِ، وَمَدَارِيْشُهُ أَعْنِي أَنْشِيدُهُ وَكُلُّهَا تَدُورُ حَوْلَ مَوَاضِيْعٍ دِينِيَّةٍ، كَاللَّاهُوتِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَنَاسُوتِهِ وَتَعَالِيْمِهِ وَأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيِهِ، وَالْحَثُّ عَلَى الصَّلَاةِ وَالصُّوْمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالْفَضِيلَةِ، تُوْفَى مَارَ أَفْرَافِيمَ سَنَةَ (373م)، وَقَدْ نَازَلَ السَّبْعِينَ وَبَنَى فَوْقَ ضَرْيَحِهِ دَيْرَ بَجَوَارِ الرَّهْأِ عَرَفَ بِالْدَيْرِ السُّفْلِيِّ²

د-ثيودوريتوس Theodoretus (393-457م):

❖ الرَّاهِبُ الْمَوْرَخُ:

وُلِدَ فِي أَنْطَاكِيَةِ سَنَةَ (393م) مِنْ عَائِلَةٍ مَسِيحِيَّةٍ تَقِيَّةٍ وَثَرِيَّةٍ، تَلَقَّى تَعْلِيماً كِلَاسِيْكِياً بِوصْفِهِ مِنْ عَائِلَةٍ مَيَسُورَةٍ الْحَالِ، دَرَسَ عَلَى يَدِ ثِيُودُورُسِ الْمَصِيصِيِّ بِكَلِيْكِيَا وَدِيُودُورُسِ الطَّرْسُوسِيِّ³. كَانَ ثِيُودُورِيْتُوسُ مَلِماً بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ وَالْعَبْرِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَلِماً بِاللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ⁴ وَتَكْشِفُ رِسَائِلُ ثِيُودُورِيْتُوسِ عَنْ مَعْرِفَةٍ وَاسِعَةٍ بِفَلَسَفَةِ الْيُونَانِ وَتَقَاتِفَتِهَا، وَيَقُولُ الْقَمَصُ تَادَرَسُ يَعْقُوبُ مَلْطِي: تَعَكَّسَ أَعْمَالُهُ الَّتِي وَصَلَتْهَا الْمَامَا جَلِيّاً بِأَعْمَالِ الشَّاعِرِ هُومَرِ وَأَفْلَاطُونِ وَيُورِيْدِيُوسِ وَالكِتَابِ الْكِلَاسِيْكِ الْيُونَانِ الْآخِرِينَ⁵.

¹ - أَرْمَلُهُ، اسْحَقُ. (1953)، مَارَ أَفْرَافِيمَ السَّرْيَانِي، بِيْرُوت: نَشِيْدُ الْفَرْدُوسِ 11:4.

² - أَغْنَاطِيُوسُ أَفْرَامِ الْأَوَّلُ بِرُصُوم. (1996)، ص 197-198.

³ - وُلِدَ فِي أَنْطَاكِيَةِ وَلَمَعَ مِنْ خِلَالِ تَفَاسِيْرِهِ رِسَائِلُ الْقَدِّيسِ بُولُسِ الرُّسُولِ أَضَافَةً إِلَى كِتَابَاتِهِ أُخْرَى، وَكَانَ لَا يَزَالُ كَاهِناً فِي كَنِيسَةِ أَنْطَاكِيَةِ، أَصْبَحَ عَالِماً مَشْهُوراً وَمِنْ بَيْنِ تَلَامِيْذِهِ كُلِّ مَنْ يُوْحَنَّا فَمَ الذَّهَبِ وَثِيُودُورُسِ الْمَصِيصِيِّ، ثُمَّ أَصْبَحَ أَسْقَافاً عَلَى طَرْسُوسَ سَنَةَ (378م) فَشَارَكَ فِي الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الثَّانِي سَنَةَ (381م)، كَتَبَ عِدداً كَبِيراً مِنَ الْمَوْلُفَاتِ الَّتِي لَمْ يَصِلْ مِنْهَا إِلَّا شَذَرَاتٌ؛ لِأَنَّهُ حُكِمَ عَلَى حَرَمِهِ فِي مَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الْخَامِسِ سَنَةَ (553م).

انْظُرْ: هِيْرُونِيْمُس. (2010)، ص 123-124

⁴ - رَسْتَم. (2017)، ص 326.

⁵ - تَادَرَسُ، يَعْقُوبُ مَلْطِي. (2017)، قَامُوسُ آبَاءِ الْكَنِيسَةِ وَقَدِيْسِيْهَا مَعَ بَعْضِ شَخْصِيَّاتِ كَنِيسِيَّةٍ، الْقَاهِرَةِ: مَشْرُوعُ الْكُنُوزِ الْقُبْطِيَّةِ، مَادَةُ ثِيُودُورِيْتُوسِ.

وعقب وفاة والديه وكان أنداك في الثالثة والعشرين من عمره، وزع ممتلكاته التي ورثها منهما وتبنى حياة الفقر والاعتزال عام (416 م) بدير نكرت **Nicerte** دير (يوربيوس) وهي قرية على مسافة ثلاثة أميال من أقامية **Apamea** وخمس وسبعون ميلاً من أنطاكية، وهناك قضى سبعة سنوات، ونعلم من كتاباته (التاريخ الرهباني) أنَّه قد زار في خلالها الأديرة المجاورة، ثم ترك الدير حوالي (423 م)، وأصبح أسقفًا على أبرشية قورش **Cyrus** سنة (423م)، وكانت أبرشية قورش كبيرة ولكن هذه المدينة لم تكن غنية، كانت تعج بالآريوسيين والماركونيين واليهود فضلاً عن الوثنيين، مما جعل من همه أن يكسب كل هؤلاء للإيمان الحقيقي من خلال الوعظ والكتابة والتأليف، ويفتخر في رسالته إلى البابا لاون الكبير (440-461م) أسقف روما (أنه لم يعد هناك زؤان في حقله)¹، اهتم ثيودوريتوس بالخدمة الرعوية وتدبير الاحتياجات الاجتماعية للمحتاجين على اختلاف أصنافهم، واهتم بالمضطهدين في أرمينيا الفارسية². وقد شارك في مجمع أفسس³ المنعقد سنة (431م) وتولى الكلام باسم كنيسة أنطاكية ما فتئ في الدفاع عن مدرسة أنطاكية وموقفها اللاهوتي، ولا سيما بعد اعلان كيرلس الإسكندري الحرامات الأثنى عشر ضد نسطوريوس، وصنف ثيودوريتوس كتاباً اسماء الرد على اللعنات، ولكن لم يصل هذا الكتاب إلينا، وعندما تمّ التفاهم بين يوحنا الأول (428-441م) أسقف أنطاكية وكيرلس الإسكندري (412-444م) أسقف الإسكندرية وطغت محبة المسيح على صيغة الإيمان، ووقع ثيودوريتوس على المصالحة، ما أدى إلى توحيد صفوف الكنيسة⁴. وقيل عن كرسيه في مجمع أفسس الثاني سنة (449م)، وعزل عن أبرشيته؛ وبسبب رسالته التي دافع فيها عن ديودورس

¹ - ثيودوريتوس. (د-ت)، التاريخ الكنسي، مقدمة المعرب، د ص.

² - ثيودوريتوس. (د-ت)، 5: 38.

³ - تقع مدينة أفسس على الساحل الغربي لآسيا الصغرى (تركيا حالياً) وقد اشتهرت بأهميتها من النواحي الدينية والسياسية والتجارية، معظم سكان أفسس من اليونانيين ويوجد بينهم عدداً لا بأس به من اليهود المشتغلين بالتجارة أو غيرها، وكانت أفسس أعظم مركز للعبادة الوثنية يوجد في المدينة معبد للإلهة أرتيميس اليونانية أو ما يسمى عند الرومان الإلهة ديانا. زار القديس بولس الرسول هذه المدينة أثناء رحلته التبشيرية وبقي في هذه المدينة مدة ثلاث سنوات مركزاً بالإنجيل ليلاً نهاراً وجهاً في كل بيت حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين، وأنشأ القديس بولس الرسول كنيسة فيها. للمزيد انظر: نودري، بولين. (د-ت)، كنائس السبعة في سفر الرؤيا، القاهرة: المكتبة القبطية الأرثوذكسية.

⁴ - رستم. (1986)، ص 326-343.

الطرسوسي وثيودورس المصيصي ضد حرامات البابا كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية¹ ونتيجة لذلك أتهم بمشايعته للنسطورية، فترك الأسقفية واعتزل بديره في أفامية وبقي في هذا الدّير حتى وفاته سنة (457م) ادين وحرّم بعد وفاته وصدر أمر بحرق كتاباته².

❖ أعماله التاريخية:

-التاريخ الرّهباني **Historia Monastica**: أو تاريخ أصفياء الله ويروي في هذا الكتاب سير نساك البطريركية الأنطاكية من مطلع القرن الرابع إلى منتصف القرن الخامس الميلاديين، وهو يقدم معلومات مهمة عن النّسّاك والرّهبان في منطقة قورش، فالتاريخ الرّهباني لثيودوريتوس يعدّ المصدر الأساسي في الحديث عن هؤلاء الرّهبان، ولا سيما القدّيس سمعان العمودي والقدّيس مار مارون³.

-التاريخ الكنسي **Historia Ecclesiastica**: يشمل هذا العمل الفترة من (325م) حتى وفاته، مبتدئاً بالجدال الآريوسي منتهياً بموت ثيودورس أسقف الميصّة الهرطوقي، الملاحظ في هذا العمل التاريخي أنّ ثيودوريتوس لا يذكر نسطوريوس الذي جلس على بطريركية القسطنطينية عام (428م)، ولا يتحدث عن الجدل النسطوري في تاريخه. يمكن الجزم أنّ المؤرخ ثيودوريتوس كان يهدف من هذا العمل أن يعلن نصره للكنيسة على الهرطقة وخاصة الآريوسيين⁴.

¹ - أيفاجريوس. (2019) **التاريخ الكنسي**، تر: عن الأصل اليوناني صموئيل باغسيتر، تعر: بولا ساويروس، القاهرة، مشروع الكنوز القبطية، 1: 10

² - ثيودوريتوس س. (د-ت)، **التاريخ الكنسي**، مقدمة المعرب، د-ص

³ - ثيودوريتوس. (1987). **تاريخ أصفياء الله**، تر عن الأصل اليوناني: الأرشمندريت أديانوس شكور، لبنان: جوبة.

⁴ - للمزيد انظر: ثيودوريتوس. (د-ت)، **التاريخ الكنسي**.

3- الجماعات الرهبانية (الرهبنة الاجتماعية) في سورية :

تميزت الحياة الرهبنة في سورية بالفردية وانعدام وجود التنظيم الرهباني لها وبخاصة في مراحلها الأولى. لم ينقل المؤرخون وخاصة المؤرخ ثيودوريتوس أية فكرة واضحة عن الجماعات الرهبانية الأولى في سورية، بل نقل سير الرهبان الكبار وحدهم. الذين لم يهتموا كثيراً بتنظيم حياة رهبانية جماعية كما حدث في مصر مع القديس باخوميوس. ومن الملاحظ أنَّ أول جماعة رهبانية هي جماعة الراهب يوليانوس سابا بلغ عددها مئة ناسك، وهؤلاء النُساك كانت حياتهم مماثلة لحياة معلمهم في كل شيء، عملهم الدائم الصلاة والصوم والتأمل والتراتيل الروحية الليتورجيا، ويستريحون فترة من الزمن لتناول وجبتهم اليومية الوحيدة عند غياب الشمس، ثم يجتمعون في كهف يوليانوس لأداء صلاة المساء، إذ استطاع يوليانوس تلقينهم الحياة النُسكية، وتمكن أن يجمعهم تحت نسق روحاني موحد بعدما كان كل راهباً يعيش في قلايته منفرداً¹.

ويذكر ثيودوريتوس أنَّ أول جماعة رهبانية في صحراء تشالسيس **Chalcis** قد أسسها الراهب مرقيانوس **Marcianus** ومن أبرز أقطابها الراهب أوسابيوس الذي أسند إليه الإدارة فيها بعدما زاد عددها، فأخذ يسير بموجب تعاليم مرقيانوس. ومن رهبان هذه الجماعة الراهب اغابيتوس **Agapetus** بعد أن تدرّب على الفضيلة والرهبنة على يد مرقيانوس واشتهر بها. عمل على تأسيس جماعة في منطقة حماة وكانت قوانين هذه الجماعة مقتبسة من مرقيانوس². ومن الجماعات الرهبانية أيضاً جماعة تلعدا التي أسسها الراهب أمانئوس **Ammanius** ومن أشهر رهبانها القديس سمعان العمودي³. وهناك جماعة قرية مارونيا **Maronia** في منطقة تشالسيس التي عاش فيها الراهب مالكوس **Malchus**.

وقد تمكن بوليوس البلقيسي الذي أضحى مثلاً للفضيلة والرهبنة لمن يرغبون في الاقتداء به. من تأسيس جماعة رهبانية في منطقة زغما (بلقيس) هذه الجماعة عاشت في بناء واحد ومعيشة مشتركة. وكان بوليوس يتوجه بالخطاب

¹ - أبو زيد. (د-ت)، ص 389.

² - ثيودوريتوس. (1987)، ص 38-39.

³ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 59-60.

والنصح لهم ويقول: (وهكذا إذا اتخذ كل منا من الآخر ما ينقصه هو، تصبح فضيلتنا جميعاً كاملة وحينئذ نشبه التجار في المدينة. فإن الواحد منهم مختص ببيع الخبز وغيره بالخضار. وهذا يخطط الثياب وذاك يصنع الأحذية. وعندما يشتري كل منهم من الآخر ما يلزمه تصبح الحياة أكثر سعادة. فبائع الثياب يشتري هو بدوره حذاء والذي يشتري الخضار يبيع بدوره الخبز. وعلى هذه الصورة ينبغي لنا أن نتبادل في ما بيننا الشيء القليل من الفضيلة التي نكون قد حصلنا عليه)¹. ومن خطاب بوبليوس لجماعته الرهبانية يمكن ملاحظة عمق الفضيلة التي يدعو لها. هذه الفضيلة تقوم على رابط المحبة والأخوة والتعاون بين جميع أفراد جماعته. من خلال هذا الخطاب يمكن ملاحظة إشارات إلى العمل اليدوي والتعاون فيما بين الرهبان.

أما جماعة أسكوبولس **Skopelous** التي أسسها الراهب ثيودوسيوس **Theodosius** في منطقة اسكندرون هي أول جماعة رهبانية أدخلت العمل اليدوي في صلب الحياة النسكية- الرهبانية اليومية. فكان ثيودوسيوس قد سمح لعدد كبير للاشتراك معه في السكنى والعمل وطريقة العيش، إذ يقبلهم ويدربهم على معيشته تلك، فهذا يصنع شراعاً للسفن وذاك ينسج قماشاً من الوبر، وذلك يصنع السلال والمراوح، والآخرون يعملون بالزراعة، ولما كانت المنطقة على البحر تعاطوا التجارة لنقل السع ومنتجات هذه الجماعة، ويستورد ما كانوا يحتاجون إليه.

والملاحظ أن ثيودوسيوس كان يحث أفراد جماعته على العمل قائلاً لهم: (لا يجوز أن الرجال العائشين في العالم يكدون ويتعبون في إعالة أولادهم ونسائهم، فضلاً عن تأدية الجزية، وإعانة الفقراء بحسب مقدورهم، نحن لا نسعى بأتعابنا لسد احتياجاتنا الضرورية، رغم أننا نستعمل من الطعام أقله وأرخصه ومن الثياب أحقرها، فنبقى مكتوفين الأيدي نستغل عمل الآخرين)².

¹ - ثيودورتيوس. (1987)، ص 70.

² - ثيودورتيوس. (1987)، ص 108.

وشكل الاسكندر الساهر¹ جماعة رهبانية، يدعو رهبانها إلى انتظار عودة المسيح الثانية بالسهر الدائم، وعمل على تنظيم الصلاة في جماعته لتتلاءم كلياً مع المثال الإنجيلي الذي يتكلم عنه الرب في إنجيل مرقس: (اَنْظُرُوا! اِسْهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ. كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ السُّلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى الْبُيُوتَ أَنْ يَسْهَرَ. اِسْهَرُوا إِذَا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نِصْفَ اللَّيْلِ، أَمْ صِيَا حِ الدِّيكِ، أَمْ صَبَاحًا. لِئَلَّا يَأْتِيَ بَغْتَةً فَيَجِدَكُمْ نِيَامًا! وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اِسْهَرُوا)². إذ عمل الاسكندر على تحقيق هذا المثال الإنجيلي بتقسيم جماعته الرَّهْبَانِيَّةِ إلى جوقات على حسب عدد ساعات اليوم لتتناوب على الصلاة والتراتيل من أجل تمجيد الله كل ساعة من ساعات الليل والنهار، ولذلك سمو بالساهرين، وأصبح الاسكندر يعرف بالساهر بسبب حياته الرَّهْبَانِيَّةِ المميَّزة بالسهر الدائم³.

ومن الجماعات الرَّهْبَانِيَّةِ التي ظهرت في سُورِيَةِ في القرن الرابع والخامس الميلاديين جماعة الرعاة التي ذكرها المؤرخ سوزمين في تاريخه الكنسي . وكانوا يمارسون حياة تقشفية صعبة كمعظم الرهبان في ذلك الوقت، فلا يأكلون الخبز ولا اللحوم ولا يشربون الخمر، ويسكنون في المغاور والكهوف في الجبال النائية، وعملهم الدائم هو الصلاة وتمجيد الله بالتراتيل والصلوات الليتورجيا التي تأمر بها الكنيسة. وعندما يحين وقت الطعام يأخذ كل واحد منجله ليقطع العشب ويأكله، كأنهم كما يقول المؤرخ سوزمين كقطيع ماشية يرعى بالحقول، ولهذا سموم بالرعاة⁴.

لا نعرف إلا القليل من المعلومات عن تنظيم هذه الجماعات وقوانينها، حتى جماعة إسكندر الساهر التي تبدو من الوهلة الأولى أنها جماعة رهبانية منظمة، ولكن لا شيء يوحي أبداً بوجود قانون مكتوب ينظم حياتها اليومية، يبدو أن كل جماعة كانت تخضع لسلطة الرئيس المباشرة الذي كان يتبع قوانين رهبانية غير مكتوبة وهي في جوهرها

¹ -ولد اسكندر الساهر في آسيا الصغرى حوالي منتصف القرن الرابع الميلادي، وبسبب قراءته اليومية للكتاب المقدس قرر هجر العالم واعتناق الحياة النُسْكِية، في إحدى الأديرة في سُورِيَةِ، لكن بعد أربع سنوات من ممارسة الحياة النُسْكِية وجد ذاته مرغماً على هجر ديرهِ لاعتناق حياة زهدية إنجيلية.

عاش في خلوة روحية دامت سبع سنوات في إحدى البراري السُورِيَةِ بصحبة كلمة الله لا غير . انظر: أبو زيد. (د-ت)، ص 389.

² -إنجيل مرقس، 13: 33-37

³ - Elizebeth. Theokritoff. (1991), The Life of our holy father Alexander , Aram, 3, pp.293-318

⁴ -سوزمين. (د-ت)، 6: 33.

عادات وتقاليد توارثها الرهبان عن معلمهم. بمعنى آخر كانت سلطة الرئيس هي القانون الرسمي لكل جماعة رهبانية في مراحلها التأسيسية الأولى¹.

4- أشهر تيارات الرهبة السورية:

أ- الرهبة المارونية السريانية:

الرهبة المارونية نسبة إلى البار مارون (350-410م) الذي انتشرت قداسته في جميع أصقاع جبل قورش وتعتبر شهادة المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس **Theodoretus** أسقف قورش المنطقة التي تنسك فيها مارون المصدر الأساسي الوحيد عنه²، ويذكر هذا المؤرخ أنه ولد حوالي (350م)، ونشأ في مدينة قورش شمال شرقي أنطاكية السورية، وقد اختار قمة في ضواحي قورش، كان قد أقيم عليها هيكل وثني، وهذه المنطقة قد خلت من سكانها، فقصدها مارون في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وكرس هذا المعبد لله وعبادته ثم ابتنى لنفسه صومعة صغيرة يلجأ إليها في ظروف نادرة، ويوضح ثيودوريتوس عن حياته أنه انصرف منذ البداية إلى الصلاة والتقوى بالإضافة إلى الأعمال اليدوية الشاقة لقهر الجسد، لابساً اللباس الخشن، وشاعت أخبار هذا القديس فقصدته الجموع من كل حدب وصوب ملتمة شفاعته. ويقول عنه ثيودوريتوس: (إنَّ مارون موزع الخيرات بسخاء كان يُغلق عليه موهبة الشفاء حتى ذاع صيته في كل مكان واستجلب إليه الجموع حيثما وجدوا، ونظراً لشهرته هذه كان في أثناء عمله يرشدهم إلى التعليم الحق، فكان يرى الأوبئة تزول بندي بركته، والشياطين يهربون، وكل أنواع الأمراض المختلفة تعالج بدواء واحد، فصلاة القديسين علاج عام للأسقام كلها، لا يكتفي بشفاء عاهات الجسد فحسب، بل أيضاً علاج النفوس، شافياً هذا من داء البخل وذلك من الغضب، مانحاً هذا التعليم المؤدي إلى الحكمة، وواضِعاً لذلك الإرشادات إلى الفضيلة، مروضاً ميول هذا ومنعشاً ذاك من كسله)³. وقد مارس مارون ضرباً من النقشفات

¹ - أبو زيد. (د-ت)، ص 389.

² - ضو، بطرس. (1977)، تاريخ الموارنة، بيروت: دار النهار، ص 50.

³ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 145-146.

والأماتات، تحت جو السماء متعبداً ومتجهداً في الأصوام والصلوات والركوع والسجود، وقد جمع حوله بعض محبي الحياة النّسكية في العراء، أسس البعض من تلاميذه دير مارون "بيت مارون في سورية" في الرستن قرب حماة¹. يمكن ملاحظة إنّ سيرة هذا القديس في كتابات ثيودوريتوس تبتعد عن منحى التوثيق التاريخي، وتأخذ طابع الكتابات الدينية، فهي لا تذكر مكان تنسك القديس مارون أو مكان دفنه، إلّا أنها تذكر المنازعات بين سكان القرى والبلدات المجاورة لحيازة جثمانه، كما أنها تصف القديس مارون بعدد من الصفات الهامة.

أول ذكر تاريخي للرّاهب مارون يرد في رسالة بعثها البطريك يوحنا فم الذهب **Johannes Chrysostomos** (347-407م) من منفاه حوالي سنة (404م)، إلى مارون الكاهن والناسك، وتدل هذه الرسالة على أنّه كان يعرف الناسك معرفة شخصية، وهذا ما دفع المؤرخ البطريك الدويهي (1630-1704م) للقول: إنّ يوحنا الذهبي الفم ومارون كانا صديقي دراسة في أنطاكية قبل أن يتبنّى كل منهما نمط الحياة النّسكية².

ويعبر يوحنا فم الذهب في هذه الرسالة عن مشاعره الودية اتجاه الناسك مارون، ويقدر تقواه الشديدة، ويعلن رغبته في المراسلة على نحو متكرر، وهو ما حال تحقيقه صعوبة العثور على المسافرين من القوقاز تجاه ضواحي حلب، ويستفهم الذهبي الفم في الرسالة بحرارة عن صحة مارون، ويختتم طالباً دعاءه والصلاة لأجله

(إِنَّا لَمُرْتَبَطُونَ مَعَكَ بِرِبَاطِ الْمَحَبَّةِ وَالشَّعُورِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّا نَرَاكَ كَأَنَّكَ حَاضِرٌ هُنَا أَمَامَنَا، لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ أَعْيُنِ الْمَحَبَّةِ أَنَّ تَكُونَ هَكَذَا، فَلَا الْمَسَافَةَ تَحْجِبُهَا وَلَا الزَّمَانَ يَخْمِدُهَا، وَكَانَ بَوَدْنَا أَيْضاً أَنَّ تَكُونَ رَسَائِلُنَا إِلَى تَقْوَاكَ مُتَوَاصِلَةً، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ، بِسَبَبِ صَعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةِ سَالِكِيهَا، فَعَلَى قَدْرِ اسْتَطَاعَتِنَا نَشِيدُ نَحْنُ بِفَضْلِكَ، وَنَعْلَنُ أَنَّكَ لَا تَبْرَحُ مِنْ ذَاكِرَتِنَا، حَامِلِينَكَ فِي أَنْفُسِنَا أَيْنَمَا كُنَّا، فَاجْتَهِدِ الْآنَ أَنْتَ أَيْضاً أَنَّ تَوَافِينَا سَرِيعاً جِداً بِمَا يَتَعَلَّقُ بِسَلَامَتِكَ، حَتَّى لَوْ كُنَّا بَعِيدِينَ بِالْجَسَدِ نَوَاصِلُ التَّفَكِيرِ بِمَا يَخْتَصُّ بِنَشَاطِكَ فَيَزِيدُ اِطْمِئْنَانَنَا، وَنَحْصِلُ

¹- الدبس، يوسف. (د-ت)، تاريخ سورية الديني، بيروت: المطبعة العمومية، ص 421.

²- البطريك الدويهي. (د-ت)، تاريخ الموارنة، طبعة الشرتوني، نقلاً عن الآباء اليونان، طبعة ماين، مج 102، عمود 630

على الكثير من التعزية ونحن هنا في المنفى، لأنَّه ليس بالقليل السرور الذي يحل بنا لدى سماعنا أخبار سلامتك، وقبل كل شيء نطلب إليك أن تصلي لأجلنا¹.

من أشهر تلاميذ مار مارون يعقوب القورشي الذي عاش في العراء بدون أن يستعمل أي سور لحمايته أو أية خيمة لوقايته من تقلبات الطقس الباردة، معرضاً ذاته لكل سلبات الطبيعة بشتى فصولها، وعاش ناسكاً خلال القرن الخامس الميلادي، وقد ذاع صيته في شمال سورية، حتى أنَّ الإمبراطور مركيانوس (450-457م) استشاره بشأن مجمع خلقيدونية الأول عام (451م)². أيضاً من تلاميذه القديس حوشب القورشي إذ يورد ثيودورتيوس: أنَّه كان يقضي فترة الصوم دون أن يذوق طعاماً باستثناء خمس عشرة ثمرة من التين المجفف، ويقوم عند أطراف القورشية شمالاً، ويبعد عن صومعة القديس مارون نحو (50كم) وهذا يدل على مدى تأثيره بسيرة مارون، ومات قبل انجاز ثيودورتيوس كتابه³. ومن الأشخاص الذين اتبعوا نهج الناسك مارون القديسان أوليمنيوس وتلاسيوس نذرا أنفسهما للصمت على غرار الراهب يعقوب النصيبيني، وتبعاً طريقة القديس مارون في اللجوء إلى العراء دون غطاء، واستمر في ذلك لمدة (38) عاماً، ثم انصرفا إلى الأعمال البر والإحسان حتى وفاتهما⁴.

يمكن القول إنَّ الرّهبة المارونية السريانية تأثرت إلى حد كبير بالنظام الأنطوني فكانت العزلة من أهم السمات التي يلتزم بها الراهب، وإذ كانت معظم الرهبنات تعتمد على ما يعرف بالندور الثلاثة بالإضافة إلى الوحدة . فإن ميزة الرّهبة المارونية السريانية تشترط اتحاد بين إرادة الله وإرادة الإنسان بالتوبة النصوح، وتحقيق الندور الستة التي اشترطها الراهب على نفسه بكامل حريته وهي:

■ الطاعة التامة والخضوع لإرادة رئيسه الروحي ومرشده باتتبع تعاليم الكنيسة السريانية الأرثوذكسية.

¹ - يوحنا فم الذهب، الرسالة رقم 26.

² - للمزيد حول الراهب يعقوب القورشي. انظر: ثيودورتيوس. (1987)، ص 167-181

³ - ثيودورتيوس. (1987)، الفصل 22.

⁴ - ثيودورتيوس. (1987)، ص 185-187

- الفقر الاختياري أن لا يملك الرَّاهب شيء البتة، وأن يكون مقلّاً في طعامه وشرابه مع التزام الصوم الأسبوعي، والمداومة على الصلاة والتأمل الدائم متجنباً الكلام الباطل مع الناس.
- البتولية وهي إلا يتزوج الراهب ويبقى عفيفاً، هذا عهد يقطعه الراهب مع الله طيلة حياته، تحت عقابه الهلاك الأبدي.
- يجب عليه حفظ أسرار المعتزف لا يبوح بشيء منها لأحد؛ لأنّ المعتزف لا يعترف أمامه بل أمام الله.
- يجب أن لا يقبل من المعتزف هدية ما أثناء الاعتراف لنلا يهان سر الكهنوت المقدّس.
- يجب على الرَّاهب ألا يحابي أو يهاب وجهاً كبيراً أو يحتقر صغيراً، بل عليه أن يعظ ويرشد الجميع ويوبخ من كان مستحق للتوبيخ¹.

ب- الرَّهْبَةُ الْعُمُودِيَّةُ إبداع وتجديد:

إن الميزة المثيرة للدهشة والاستغراب في الرَّهْبَةُ السُورِيَّة هي ظهور فئة من القديسين الذين تخلوا عن العالم، واعتزلوا فوق أعمدة قديمة أو فوق أعمدة شيدها بأنفسهم، وعرفوا هؤلاء بالرهبان العموديين. الذي ابتدع هذا النمط من حياة الرَّهْبَةُ وشجع عليها هو القديس سمعان العمودي **saint Symeon** (389-459م) ولقد اختار أصحاب هذه الرَّهْبَةُ الحياة على تاج عامود أقاموه في أماكن ليست بعيدة عن الناس ليرى الناس زهدهم في الحياة، كما أنّ المعيشة في زهد فوق العامود يجعلهم أقرب إلى السماء عن الذين يعيشون فوق الأرض، وكلما زاد ارتفاع العمود كلما كان قريبهم من الخالق أكثر².

¹ - الحمد، محمد عبد الحميد. (2004)، *الرَّهْبَةُ والتَّصَوُّفُ فِي الْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ*، الرقة، ص 56.

² - جان، مورييس فييه. (2005)، *القديسون سريان*، بيروت: دار النشر، ص 167.

ومن المؤكد أنّ الطقوس العمودية كانت جزءاً من طقوس الديانة السورية القديمة، ففي معبد الإلهة السورية هيرا (أتارجاتيس)¹ **ATARGATIS** في منبج كان الكاهن يصعد إلى أعلى العمود، ويبقى هناك عدة أسابيع أو شهور يبتهل متقرباً إلى رب السماء، وقد وصف المؤرخ لوقيانوس **Lucianus**² (120-180م) في كتابه الإلهة السورية هذا المشهد بجمالية خاصة، حيث يأتي إليه الكثيرون يحملون الذهب والفضة والبرونز ويضعونها أمامه على الأرض ويذكر كل ما منهم أسمه، ويقف شخص آخر يعلن هذه الأسماء بصوت عالٍ، إذ يتلقاه العمودي ويرفع الصلاة لكل هذه الأسماء، وأثناء رفع الصلاة يضرب هذا الرجل على أداة من البرونز تصدر صوتاً عريضاً واجشاً حين تهتز، هذا الكاهن لا ينام مطلقاً، وإذ غلب عليه النعاس يصعد إليه عقرب يقرصه ويوقظه³.

وهنا يمكن التخمين أنّ القديس سمعان كان على معرفة بهذه الطقوس العمودية في الديانة السورية القديمة لأنها كانت في نفس منطقته أو بالقرب منها أو وصلت له عن طريق التواتر وسماع وتأثر بهذه الطقوس وابتدع هذه الطريقة من الرّهبة، لأنه اعتنق الديانة المسيحية.

ولقد تحدث عن الرهبان العموديين بعض المؤرخين الكنسيين، ومنهم القديس غريغوريوس النزينزي⁴ **Gregoryus Nazianzen** (329-390م) والمؤرخ بلاديوس **Palladius** (386-431 م) كما سجل المؤرخ ثيودوريتوس القورشي (393-457م) أنّه شاهد بنفسه راهباً ظل داخل أنبوب لمدة عشرة أعوام، كما تكلم عن القديس سمعان العمودي. وُلد سمعان حوالي (389م)، في بلدة سيس القريبة من بيقوبولس (قرب أضنة التركية حالياً) من والدين

1- تعدّ من الإلهات الرئيسية في سورية خلال العصر الهلنستي، انتشرت عبادتها في العصور الهلنستية والرومانية في مدينة منبج هيرابوليس (منبج) مدينة الإلهة هيرا زوجة زيوس وتقابلها جونو الرومانية إلهة الأسرة والزواج وزوجة جوبيتر، أهم مصدر عن عبادتها لوقيانوس السمساطي في مؤلفه الإلهة السورية، حيث يتحدث عن احتفالاتها وطقوسها المقدسة والقرابين التي تقدم لها. انظر: النعمات. (2017)، ص 80.

2- لوقيانوس وُلد في عام (120م) في مدينة سمسباط على نهر الفرات شمال سورية وتوفي في سنة (180م)، ويقال أنّه توفي سنة (175م) وهو أديب وفيلسوف وكاتب ساخر عرف بكتاباتة الإغريقية القديمة، أول من أبحر في عالم الرواية والخيال، ويعدّ من أشهر العلماء والمفكرين والفلاسفة في عصره وكان المعلم الأول لعدد من الفلاسفة والعلماء في عهده. انظر: النعمات. (2017)، ص 60.

3- للمزيد انظر: لوقيانوس. (1996)، الإلهة السورية، تر: موسى الخوري، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

4- وُلد في مدينة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من كبادوكية وتدعى نزينزة أصبح أسقفاً على نزينزة ويعدّ مع باسيليوس وغريغوريوس النصي من أشهر آباء الكبادوك في تاريخ المسيحية، توفي سنة (390م). انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 121.

تقيين، أمضى طفولته يعمل راعياً، في يوم قارس البرد وكثير الثلج لزم القطيع فيه الحظيرة، وذهب مع والديه إلى الكنيسة، حيث استمع إلى الكاهن يردد التطويات التي أطلقها الفادي في عظة الجبل:

(طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزَانِ، لَأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوَدَّاعِ، لَأَنَّهُمْ يَرْتَبُونَ الْأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْمَرْ، لَأَنَّهُمْ يُشْبِعُونَ. طُوبَى لِلرَّحْمَاءِ، لَأَنَّهُمْ يُرَحَّمُونَ. طُوبَى لِلْأَتْقِيَاءِ الْقُلُوبِ، لَأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لَأَنَّهُمْ أَنْبَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْمَرْ، لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ)¹.

اجتذبت هذه الكلمات سمعان، وتاقت نفسه إلى الصفاء الروحي، ومال إلى الحياة النسيكية فانضم إلى جماعة من النساك قرب سيس حيث أمضى السنوات العشر الأولى من حياته النسيكية².

قام في بداية شبابه بأعمال فذة في مجال التنسك وتعذيب النفس، كان القديس سمعان يأكل مرة واحدة كل أسبوع، بينما سائر الرهبان يأكلون مرة كل يومين، وكان قد ربط حبلاً خشناً من ألياف النخيل حول جسمه تحت ثيابه ولكن أمره افتضح حين رؤوا آثار الدماء السائلة من جسمه، ولقد رفض استعمال مرهم ضد القروح التي كان يعاني منها³، وحين قرر رئيس الرهبانية أن يطرده من الدير، هرب إلى الجبل واختبأ في إحدى مغاور لمدة خمسة أيام، إلى أن ندم رئيس الرهبانية على فعلته وأرسل اثنين من الإخوة للتفتيش عنه واعادته إليهم، وقد عثروا عليه داخل بئر، ولم يبق سمعان معهم طويلاً، لأن نفسه كانت تطمح إلى تقشف أشد وطأة.

ولما اعتزل في قفار تلانيسوس على بعد أميال من أنطاكية، طلب أن يسد باب مغارته ويترك فيها لمدة أربعين يوماً دون مؤونة نظراً لموعد الصوم الكبير، إلا أن البناء ألح قبل اغلاق المغارة على ترك عشرة أرغفة من الخبز، وجرة ماء لمنعه من القيام بمهمة انتحارية، ولما عاد البناء في نهاية الصوم رأى المؤونة كما تركها والقديس ساجداً يتأرجح

¹ - إنجيل متى، 5: 3-9

² - Peeters. P:(1938), Symeon De Seleucie- Ctesiphon, La Date du Martyre De Saint Symeon Archeveque.

Seleucie- Ctesiphon, in *Analecta Bollandiana*. 56, pp.118-120

³ - ثيودوريتوس، (1987) ص 209.

بين الموت والحياة، بعناية وتدبير استرجع القديس سمعان عافيته بناءً على ما قاله المؤرخ ثيودوريتوس كاتب سيرته: (ظل يقف الأربعين يوماً دون طعام يستمدُّ القوة لأجل ذلك من شجاعته ومن النعمة الإلهية)¹.

فيما بعد غادر سمعان تلانيسوس، وارتقى قمة الجبل المجاور حيث أقام ضمن سياج صغير على شكل دائرة في أرض تعود إلى الأب (داوود) من تلانيسوس، وربط نفسه بسلسلة طولها عشرون ذراعاً لتحد من حركته، وتكون قيداً لجسده، ثبت طرفها الأول في صخرة ضخمة، وربط طرفها الثاني في رجله اليمنى، لكي لا يتمكن ولو أراد أن يتجاوز مسافة محددة، وبقي هكذا باستمرار في الداخل يتأمل في السماء، ويبذل وسعه لمشاهدة أقصى أعليها، لأنَّ الرباط الحديدي كان يمنعه طبعاً عن الاختطاف بالروح، ولكن ملايتوس العجيب أسقف أنطاكية الذي كان رجلاً فظناً وصافي الذهن وحكيماً، قال لسمعان: أنَّه ليس بحاجة إلى مثل هذه السلسلة الحديدية، لأنَّ ضميره كان يكفي لأن يفرض قيوداً روحية على جسده، فافتنع سمعان لهذه النصيحة، فاستدعى إليه حاداً وطلب منه أن يحل الرباط الحديدي.

ذاعت طريقة حياته والعجائب التي كان يصنعها الله على يديه، فأقبل الناس عليه بكثرة منهم المرضى لينعموا بالشفاء، ومنهم العواقر ليرزقهن الله أولاداً، وغيرهم ليمدهم بالنصح والرشاد لحل مشاكلهم المستعصية²، وكان الناس يقصدونه من كلِّ حدبٍ وصوب على مختلف جنسياتهم، من الفرس والأرمن والعرب ومن أقصى الغرب من اسبانيا وانكلترا إلى بلاد الغال. وبغية تجنب مضايقة الزوار العديدين انتصب سمعان على عمود أقيم له بارتفاع زراعين ثم أصبح ستة أذرع كما يذكر ذلك المؤرخ ثيودوريتوس أسقف قورش، وأخذ العمود يزداد ارتفاعاً بازدياد حجم أعداد الجموع التي كانت تقصد القديس سمعان حتى وصل ارتفاعه إلى (40 ذراعاً) بحسب النص السرياني، و(36 ذراعاً) بحسب قول ثيودوريتوس، أمضى القديس سمعان على هذا العمود اثنين وأربعين عاماً، ونعرف ذلك من الأسقف ثيودوريتوس الذي ذكره في التاريخ الكنسي الذي كتبه عام (444م)، أورد فيه سيرة نساك المنطقة³، أنه يرى القديس

¹ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 210-212 .

² - Peeters. (1938), p.122

³ - ثيودوريتوس (1987)، 212-213

سمعان على عموده للمرة الثامنة والعشرين، وبما أنَّ القديس توفي في العام (459 م)، فهذا يعني أنه بقي على عموده مدة 42 عاماً.

كان القديس سمعان صاحب رسالة وخطيباً، يعظ مرتين في اليوم، ويوزع نصائحه على قاصديه ومن حوله، ويحل الخلافات بين المتخاصمين، ويرشد الوثنيين منهم إلى الدين المسيحي، وكانت حياته مثلاً نموذجياً لحياة الناسك السوري، الذي كان يعرف كيف يوفق بين الانعزال والنظام القاسي لنكران الذات، والمشاركة المباشرة مع مظاهر الحياة المدنية والدينية بالاحتكاك اليومي مع الجماهير¹.

وفي الواقع نظراً لشهرة سمعان العمودي الكبيرة والطريقة التي ابتدعها في التَّسْك، هي طريقة غريبة وغير معروف للبشر، أرسل إليه قاطنوا الصحراء المقدسة مندوباً يحمل تحذيراً له، ويسأله لماذا هجر الطريق الممهّد الذي وطأه القديسون؟ واتبع طريقاً آخر غير معروف للبشر؟ وعلاوة على ذلك ينبغي أن تنزل، وتساfer عبر طريق الآباء المختارين، وهم في الوقت نفسه أعطوا المندوب تعليمات، أنّه إذا أظهر سمعان الاستعداد التام للنزول، يعطيه الحرية في أن يعيش الطريق الذي اختاره، حيث أن امتثاله (طاعته) دليل كاف أنّه اختار هذا الطريق بإرشاد من الله، ولكن إذا أظهر معارضة أو بدا عليه التردد، ورفض الإرشاد بوضوح من التحذير، فليجره المندوب وينزله بالقوة، وعندما أتى المندوب وأبلغه بأمر الآباء، مد سمعان في الحال أحد قدميه للنزول امتثالاً للتحذير، فأعلمه المندوب بأنّه حر في إتمام منهجه الخاص، قائلاً تشدد وتشجع، الوضع الذي اخترته هو من الله².

ومن عجائب القديس سمعان كما يورد المؤرخ ثيودوريتوس شفاء أحد الامراء القادمين إليه من الرقة وكان مصاباً بالفالج، كما استجاب دعاء إحدى أمهات الإسماعيليين فأصبحت أمّاً بعد أن كانت عاقراً، وكان أهل فارس يدعونه بالرجل الآلي. وكانت قوة احتماله للوقوف والسجود فوق عموده في أثناء صلاته عجائبية، فقد عدّ أحد مرافقي الأسقف ثيودوريتوس ألف ومائتي وأربع وأربعين سجدة ثم ضجر وتوقف عن العد، كان في سجوده ينحني فتصل

¹ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 219.

² - إيفاجريوس. (1890)، 1: 13.

جبهته حتى اصبع رجله، ذلك أنَّ معدته التي لا تصل إليها الطعام سوى مرة واحدة في الأسبوع وبكمية ضئيلة كانت تسهل انحناء ظهره، كان يبقى بعد غياب الشمس وحتى شروقها في الأفق واقفاً الليل كله رافعاً يديه نحو السماء دون أن يميل إلى النعاس أو يغلبه التعب¹.

لقد استقرت قوة النعمة الإلهية على هذا الرجل، إلى حد أنه عندما أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني **Theodosius II** (416 - 450م) أمراً رسمياً بإعادة المجمع الذي أخذه المسيحيون سابقاً إلى اليهود في أنطاكية. كتب إلى الإمبراطور بحرية كبيرة موبخاً إياه بشدة، كشخص لا يرهب إلا سيده الخاص، لدرجة أنَّ الإمبراطور سحب أوامره في ذلك². وقد ساهمت العلاقات التجارية بين أنطاكية والعالم الروماني في اذاعة شهرة القديس سمعان العمودي، وكان يرسل تحياته إلى القديسة جنفيان شفيعة باريس (قرية ليطسا Lutetia) مع التجار الغالبيين الذين كانوا يزورونه ويعلمونه عن قداستها وأخبارها³.

توفي القديس سمعان في (459م)، ونقل جسده إلى أنطاكية خلال أسقفية ماريتريوس (459-470م) في عهد الإمبراطور فلافيوس فاليريوس أو ليو الأول **Flavius Valerius** (457-474م)⁴ ورافق هذا الجسد المقدس حشد من الكتائب العسكرية وآخرين ونقل إلى أنطاكية، وصاحب وصول الجسد إجراءات غير عادية، أيضاً أراد الإمبراطور امتلاك الجسد فكتب إليه شعب أنطاكية التماساً لصرفه على غرضه هذا نصه: (لما كانت المدينة بلا أسوار حيث ابتلينا بسقوطها، فقد أحضرنا الجسد المقدس إلى هنا ليكون سوراً لنا ومرتاساً)، ولقد تأثر الإمبراطور بهذه الاعتبارات، استجاب لتوسلاتهم وترك لهم امتلاك الجسد المكرم⁵.

¹ - ثيودوريتوس، (1987)، ص 217-218.

² - إيفاجريوس، (1890)، 1: 13

³ - Peeters, (1938), p. 136

⁴ - جان، (2005)، ص 167-168.

⁵ - إيفاجريوس، (1890)، 1: 13.

5- الرهبنة النسائية:

بدأت الكنيسة في العصر الرسولي بوضع نظام للإنفاق على كل أرملة مشهود لها بالصلاح ولم تتزوج إلا مرة واحدة¹، في بادئ الأمر يعيشن في بيوتهن منفردات أو مجتمعات ثلاثة أو أكثر، ويتبين من هذا أنَّ النساء سبقن الرجال في تكوين جماعات نسكية، بدليل أنَّ ديمتريوس الكرام **Demetrius The Vinedresser** (127-231) أسقف الإسكندرية في القرن الثاني الميلادي أودع زوجته عند المتبتلات، كما أودع أنطونيوس **Antonius** أب الرهبان أخته عندهن قبل عزمه الاعتزال عن العالم للتعبد عام (269م)².

وأما فيما يتعلق بالدوافع والأسباب التي أدت بالنساء إلى حياة النك والعزلة، يمكن أن نحدد منها ما يتعلق بالجوانب الدينية طمعاً في رضا الرب والبعد عن المجد الزائف، وذلك اتباعاً لنصائح بولس الرسول الذي أوصى بوضع الأرمال والعذارى الراغبات في ذلك في بيوت أطلق عليها بيوت العذارى اللاتي رغبن في العزوف عن الزواج وفضلن أن يكن عرائس للسيد المسيح³.

كذلك كان للأوضاع الاجتماعية دوراً أساسياً في لجوء الكثير من العذارى إلى تلك البيوت هرباً من الفساد الخلقي خلال تلك الفترة، وملاحقة أصحاب السلطة والنفوذ لهن من أجل ممارسة الرذيلة، ومنهن من أتت إلى هذه البيوت نتيجة ضغوط عائلية لإجبارهن على زواج دون رغبة منهن⁴.

والجدير بالذكر أنَّ الباحث عن أصول الحياة النسكية الخاصة بالنساء في القرون الأولى لانتشار المسيحية بسورية يجد صعوبة في ذلك لما يحيطها من الغموض، لأنَّ الكتابات المبكرة تركز جل اهتمامها بالمواد اللاهوتية على حساب المعلومات التاريخية. وتدل السيرة الطيبة لتلك الراهبات بما تحمله من فضائل وتمسك بأهداب الدين،

¹ - العهد الجديد، رسالة بولس الرسول الاولى إلى تيموثاوس، 5: 3-15.

² - ابن المقفع سايرس. (1999)، **تاريخ البطارقة**، ج 1، القاهرة: دار النعام للطباعة، ص 127.

³ - باسيليوس. (2000)، **كلمة في الرهبنة**، القاهرة: مكتبة النسر، ص 27.

⁴ - Brown. (1988), **The Body and Society**, London, p.26

والمساهمة في نفس الوقت في النواحي الاقتصادية والاجتماعية، لذا لا يمكن أن تتهم بالانعزالية والسلبية، والبعد عن المجتمع.

فمن الناحية الاقتصادية سعت الراهبات لأن تكون حياتهن مليئة بالنشاط، ولا يعشن على التواكل، بل يجب عليهن أن يكنّ منتجات لذلك مارست الكثيرات منهن العمل اليدوي مثل طحن الحبوب وصناعة الخبز والعمل في صناعة النسيج وحياسة الملابس¹.

أما فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي كان لهن دورٌ لا يجب أن نغفله، ساهمن من خلاله في أداء بعض الخدمات الاجتماعية سواء كان ذلك عيناً أم مادياً، من خلال ما قامت به الراهبات من توفير بعض المشغولات اليدوية من ملابس وغيره، وبعض الأموال الخاصة من عائد بيع بعضها للإنفاق على الفقراء، وتفقد المرضى ورعاية المسجونين، والاعتناء بالمعوزين والغرباء، كذلك قمن بزيارات متعددة لعائلتهن لرعايتهن وتخفيف آلامهم، وأنيط لكل واحدة منهن برعاية حي من الأحياء، وخدمة سكانه وإدخال الطمأنينة على نفوسهم، وتشجيعهن على الحضور للكنيسة بانتظام، فضلاً عما وكل إليهن غير ذلك من الأعمال الخيرية، وإذ يسمح للراهبات المتزوجات بالمبيت خارج الدّير للقيام بهذه الأعمال الخيرية².

هذه الأمور جعلت من الراهبات نموذجاً لأن يحتذي به الكثيرات من نساء ذاك العصر ليس في سورية وحدها، بل ليشمل بلاد أخرى متعددة سواء المجاورة لها أو البعيدة عنها، فهذا النظام الذي احترمه الجميع، والذي جمع بين العبادة والنّسك والأعمال المنزلية، إلى جانب الأعمال اليدوية المختلفة تحت إشراف رئيسة تسمى "الأم" لها الطاعة، وعليها توجيه جميع الراهبات واحترامهن من دون تفرقة بين واحدة وأخرى.

¹ - حبيب، (1973)، ص 178.

² - بلاديوس، (1999)، بستان الرّهبان، تر: ميخائيل اسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة، ص 406.

يمكن تحديد المراحل التي مرت بها الرَّهْبَنَةُ النسائية في سورية بثلاث مراحل:

أ- مرحلة التأسيس:

تتميز هذه المرحلة بصفتين أساسيتين: البتولية والزَّهْد، وهما قواعد النَّسْك الرَّهْبَانِي الْوَحْدَانِي، هذا النَّسْك ينبع من الروحانية المسيحية ومن لاهوته، ويعاش وسط الجماعة المسيحية أو يتفاعل معها، أمثال (بنات العهد وبنيه) الذي يبدو واضحاً أنها تمارس حياة البتولية لغير المتزوجين، وحياة القُدَّاسة للمتزوجين التي تعني الانقطاع الكلي عن ممارسة الحياة الجنسية الزوجية.

وكان عملهم الدائم الصلاة والصوم والسهرة وكبح ملذات الجسد من أجل تطهير ذواتهن من الخطيئة الساكنة فيهن، وقد مارسن حياة النَّسْك والزَّهْد في مجموعات صغيرة ضمن بيوتهن، ولكن لا يوجد قانون ينظم حياتهن اليومية الرَّهْدِيَّة¹. كان الزَّهْد والنَّسْك عندهم نعمة إلهية إذ يزهدون بملذات العالم الزائلة، وينذرون العفة إكراماً لجسد الرب كما يقول أغناطيوس الأنطاكي **Lgnatius of Antioch** (35-108م)².

ب- مرحلة التطور والانتشار:

تبلور وجه المرأة المكرَّسة أو الراهبة في توجهات أربعة للحياة النَّسْكِيَّة: بنات العهد والحبيسات والشماسات والشهيدات، ولكن يصعب القول كيف انتقلت الحياة الرَّهْبَانِيَّة النسائية من طور بنات العهد إلى طور الرَّاهبات المجتمعات في دير (ديرو) مع رئيسة الدير (ريشت ديرو)³.

لقد وصف المؤرخ ثيودوريتوس القورشي (393-457م) حياة الحبيسات الثلاث: كيرا، مارانا، دمنينا وهو كاتب سيرتهن وعلق في مطلع الكلام عليهن بالقول: (أرى مفيداً أنَّ أجعل نكراً للنساء اللواتي جاهدن هن أيضاً بعزيمة

¹ - أفراهات. (2007)، المقالات، تر بولس الفغالي، ط2، بيروت: دار المشرق، ص 105.

² - تسلم أغناطيوس كنيسة أنطاكية في مطلع القرن الثاني الميلادي، ويؤكد المؤرخ الكنسي يوسابيوس أنَّ أغناطيوس هو الخليفة الثاني لبطرس على كرسي أنطاكية بعد الخليفة الأول إيفوديوس، ألقي القبض عليه في عهد الإمبراطور تراجانوس (98-117م) وسبق إلى روما، حيث عانى أشد العذابات، وقد كتب أثناء رحلته سبع رسائل ذكرها يوسابيوس. انظر: يوسابيوس. (1979)، 22:3.

³ - حلو، كليمانص. (د-ت)، دور المرأة في الرهبانيات خلال القرون الأولى للميلاد في المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ط2، ص ص 413-

415، بيروت، مجلس الكنائس الشرق الأوسط، ص 422-423.

ليست في شيء أقل من عزائم الرجال، لأنهن رغم طبيعتهن الضعيفة قد أظهرن من البسالة ما يضاهي شجاعة الرجال، وأضاف أن مارانا وكيرا اللتين تفوقتنا على جميع النساء ببطولتهما في الجهاد¹.

وتتبع كل من مارانا وكيرا إلى طبقة الأشراف وترتبا تربية راقية، لكنهن تخلتا عن كل شيء، وجعلتا لهن حصن صغير عند مدخل مدينة حلب، وأوصدتا الباب بالطين والحجارة، وعاشتا في الهواء الطلق دون غرفة ولا كوخ، طعامهن يصل إليهن عبر نافذة، ومنها أيضاً تخاطبان النساء الأتنيات لزيارتهم². وقد صامتا على غرار النبي موسى أربعين يوماً لم تتناولن شيئاً من الطعام، فعلتا ذلك ثلاث مرات كما صامتا صوم النبي دانيال ثلاثة أسابيع، وخرجتا لزيارة الأماكن المقدسة فلم تتناولوا الطعام ذهاباً وإياباً إلا مرة واحدة، مع أن الرحلة استغرقت قرابة عشرين يوماً، واستمرت في الرهبنة والنسك حتى أضحتا مثلاً للنساء المسيحيات إلى أن أخذهما الرب الإله مكملتين بالفضيلة.

وبوضح المؤرخ ثيودوريتوس: (أن كيرا ومارانا تحملان من الأثقال الحديدية ما يعجز عن حمله رجل معافى، وكثيرة لجاجتي توصلت إلى اقناعهما بالتخلي عنها في أثناء حضوري، ولكنهما بعد ذهابي كانتا تعودان إلى إرجاع تلك الأثقال إلى محلها في الجسم: الطوق الحديدي في العنق، والزنار في الخصر، والباقي في الذراعين والرجلين، وهما تسيران على هذه الطريقة من العيش ليس منذ خمس سنوات أو عشر أو خمس عشر فحسب، بل منذ اثنتين وأربعين سنة، وقد صرحتا أن عشقهما لعريسهما القدوس يفقدهما الشعور بالعذاب كما أشار ثيودوريتوس)³.

أما دومنينا كانت إحدى المعجبات بحياة القديس مارون (350-410م)، رغبةً منها في أن تعيش على طريقته، لذلك اصطنعت لها كوخاً من القصب في حديقة بيت أمها، وسكنت فيه وهي تذرف الدموع على الدوام، ليس على خديها فحسب، بل على ثيابها الوبرية أيضاً كما يذكر ثيودوريتوس، وكانت تذهب كل صباح إلى المعبد الإلهي القريب منها لترفع ابتهالاتها إلى رب العالمين مع سائر الناس رجالاً ونساءً، وهي لا تفعل ذلك في مطلع النهار فحسب، بل في آخره أيضاً لأنها تدرك وتعلم الآخرين أن المكان المكرس لله هو أحق من سائر الأماكن للقيام

¹ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 231

² - ثيودوريتوس. (1987)، ص 231

³ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 232.

بواجبات العبادة. ويتحدث كاتب سيرتها المؤرخ ثيودوريتوس القورشي عنها: (إِنَّ طَعَامَهَا الْوَحِيدَ هُوَ الْعَدَسُ الْمَسْلُوقُ، وَهِيَ تَحْتَمِلُ كُلَّ هَذَا الْجِهَادِ فِي جِسْمِ كَأَنَّهُ هَيْكَلُ عِظَامٍ شَبِيهِ بِالْأَمْوَاتِ وَجِلْدُهَا أَضْحَى رَقِيقاً جِداً كَالْقَشُورِ وَهُوَ يَغْشَى عِظَاماً سَرِيعَةً الْعَطْبِ، فَإِنَّ الْإِمَاتَاتِ قَدْ أَذَابَتْ مِنْهَا الشَّحْمَ وَالْعِضَلَاتِ، وَيَذْكُرُ أَيْضاً أَنَّهَا كَانَتْ لَا تَرَى أَحَداً وَلَا تَظْهَرُ وَجْهَهَا أَمَامَ أَحَدٍ، بَلْ تَبْقَى مَحْجُوبَةً تَمَاماً تَحْتَ سِتَارِهَا وَحَانِيَةِ رَأْسِهَا حَتَّى الرِّكْبَتَيْنِ وَهِيَ تَتَمَتَّعُ بِكَلِمَاتِ بَصَوْتٍ خَافَتْ يَكَادُ لَا يَسْمَعُ تَلْفِظَهَا ذَارِفَةً الدَّمْعَ بِاسْتِمْرَارٍ، وَقَدْ حَدَثَ مَرَّراً أَنْ أَخَذَتْ يَمِينِي وَوَضَعَتْهَا عَلَى عَيْنَيْهَا، ثُمَّ رَدَّتْهَا وَهِيَ مَبْلَلَةٌ وَتَقَطَّرُ دَمْعاً¹) ، ويعلل ثيودوريتوس ذلك بسبب الحب الحار لله الذي يولد هذا البكاء عندما يضرم النفس بالمكاشفة الإلهية فيدفعها إلى أَنْ تَغَادِرَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. كَانَتْ دُومَنِيَا تَهْتَمُ بِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْتُونَ لَزِيَارَتِهَا، فَتَجِدُ لَهُمْ مَأْوًى لَدَى رَايِ الْبَلَدَةِ، وَتُؤَمِّنُ لَهُمْ أَحْتَاجَاتِهِمْ، لِأَنَّهَا تَبْذُلُ لَذَلِكَ مِنْ ثَرْوَةِ أُمِّهَا وَأَخَوَتِهَا، فَتَسْتَجْلِبُ عَلَيْهِمُ الْبَرَكَاتِ، وَأَنَا نَفْسِي عِنْدَمَا أَكُونُ فِي زِيَارَةِ تِلْكَ الْمُنْطَقَةِ الَّتِي هِيَ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ بِلَادِنَا، تَرْسِلُ لِي خَبِراً وَفَاكِهِةً وَعَدْساً مَسْلُوقاً.

ويذكر المؤرخ ثيودوريتوس القورشي أَنَّ كَثِيرَاتِ أَمْثَالِهِنَّ يَعِشْنَ الْحَيَاةَ الْوَحْدَانِيَّةَ أَوْ يَعِشْنَ فِي الْمَحَبَّةِ الْحَيَاةَ الْمَشْتَرَكَةِ، وَقَدْ بَلَغَ عِدَدُهُنَّ أَكْثَرَ (250) تَقْرِيباً، وَهُنَّ يَعِشْنَ الْعِيشَةَ نَفْسَهَا، وَيَتَنَاوَلْنَ الطَّعَامَ نَفْسَهُ، وَلَا يَرْتَضِينَ بِالرَّقَادِ إِلَّا عَلَى الْحَصِيرِ، وَيَسْتَعْمَلْنَ أَيْدِيَهُنَّ لَغَزْلِ النَّسِيجِ، وَأَلْسِنَتُهُنَّ لِإِنْشَادِ النَّسَابِيحِ².

ج- مرحلة الاندماج والاكتمال:

بدأت كل أنواع التكرس النسائي تميل نحو الاندماج في حالة الرّهْبَنَةِ الْمُنْظَمَةِ، وَلَقَدْ وَضَعْتَ قَوَانِينُ عِدَّةٌ لِنَتْظِيمِ هَذِهِ الرّهْبَنَةِ الذَّيْرَةِ وَعِدَدُهَا خَمْسَةٌ عَشَرَ قَانُوناً وَمِنْهَا:

- ارتداء الثوب الأسود والمنديل وقص الشعر وهو أساس في النّسك السرياني.
- تقسيم النهار بين عمل وصلاة وراحة.

¹ - ثيودوريتوس. (1978)، ص 235.

² - ثيودوريتوس. (1978)، ص 236-237.

- الانقطاع عن مخالطة العلمانيين بالأخص الرجال.
 - ضرورة تعلم القراءة والتراتيل، لأن قراءة الكتاب المقدس هي أساسية.
 - ترتيل الفرض الإلهي سبع مرات في النهار.
 - انعاش الليتورجيا .
 - تعيين رئيسة للدير (أما ريتا أومرتا) ترسم شماسة مع كل الصلاحيات المعترف بها لهذه الوظيفة بما يختص بالنساء عموماً وبمن هن تحت امرتها¹.
- وكانت مهمة هذه الشماسة الراهبة كالتالي:
- حمل البشارة إلى بيوت النساء.
 - مساعدة النساء ومسحهن بالزيت قبل التغطيس في الماء للعماد واستقبالهن بعد الخروج منه.
 - تربية النساء على المحافظة على وسم المعمودية نقياً،
 - زيارة النساء المرضى ومساعدتهن، ووضع اليد عليهن للشفاء.
- وكانت رئيسة الدير بالنسبة للراهبات بمثابة المثال والمرجع لحفظ القوانين، وقوة كلمتها وشهادة الجماعة أفعال من القوانين المكتوبة².
- هكذا نجد إنَّ الرّاهبات قد ضحين بكل شيء من أجل الوصول لدرجات أعلى من الزَّهد والعبادة، وعملهن الدائم هو الصلاة والتسابيح والتأمل والبكاء، بالإضافة إلى العمل اليدوي المتنوع؛ من صناعة الخبز ونسج النسيج وحياكة الثياب ومساعدة الآخرين.

¹- حلو، كليمانص. (د_ت)، ص 222-223

²-Woobus.A.(1975), The Syndicon in The West Syrian, Traditions, I, csc0368, Louvain, p.11

رَابِعاً - الْخَاتَمَةُ:

وهكذا نجد أنَّ الرَّهْبَنَةَ **Monasticism** لم تكن نوعاً جديداً من المسيحية بل نبعت منها ومن حياة الكنيسة وهي جانب من تعاليم السيد المسيح ودعوته إلى ترك العالم المادي والتحرر منه إذا هي حياة إنجيلية. ولدت الرَّهْبَنَةُ في مصر وانتقلت إلى سورية وشهدت الرَّهْبَنَةُ فيها تطوراً من العزلة الفردية إلى العزلة المترابطة وكان الشكل النهائي لها الدَّيرِيَّة. وقد عرف العالم القديم مدرستين للرَّهْبَنَةِ المدرسة الأولى وهي الأقدم وصنفت من حيث تاريخ تأسيسها هي مدرسة القديس أنطونيوس من أبرز أقطابها باخوميوس مؤسس الحياة الرَّهْبَانِيَّة الدَّيرِيَّة في مصر، والمدرسة الثانية هي المدرسة السوروية وهي الأكثر شهرة في تلك الفترة وتوقفت على مدرسة مصر.

1 - يعد القديس هيلاريون هو رائد الحركة الرَّهْبَانِيَّة في سورية يمكن القول عنه هو أب الرَّهْبَنَةِ السوروية من خلال انتشرت في كافة مناطق سورية.

2 - برز في سورية عدد من الرهبان المشهورين بالقداسة والفضيلة والسيرة الطيبة حيث يقول المؤرخ سوزومينوس (380-450 م) في تاريخه الكنسي عنهم : أنَّ الرهبان في سورية الشمالية والوسطى فاقوا رهبان مصر في ممارسة الزَّهْد والتَّسْك والتَّهْب، وهو يقصد النخبة التي اشتهرت بالتطرف بأعمال الزَّهْد والتَّسْك الذين جسدوا بأشكال مختلفة الرَّهْبَنَةَ الفردية المنعزلة المتطرفة معرضين أنفسهم لعنف الطبيعة وفترات من التجول من مكان إلى آخر.

3 - ظهرت في سورية تيارات رهبانية مهمة وهي الرَّهْبَنَةُ المارونية السريانية والرَّهْبَنَةُ العمودية وهي ابداع سوري ونمط غير مألوف في حياة الرَّهْبَنَةِ المسيحية.

4 - النساء السوريات ممارسن حياة الفضيلة والقداسة والرَّهْبَنَةَ وحققن شهرة كبيرة بهذا المجال ليس في سورية فحسب بكل في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

الفصل الثالث : أثر الرهبان في الديانة المسيحية والسلطة الرومانية

أولاً- دور الرهبان في نشر المسيحية:

ثانياً- الرهبان والوثنيون:

ثالثاً- العقائد المسيحية والمجامع المسكونية وموقف الرهبان منها:

1- العقائد المسيحية:

أ- العقيدة الآريوسية

ب- العقيدة النيقوية (الأرثوذكسية):

ج- العقيدة النسطورية

د- العقيدة المونوفيزيتية (monophysitism):

هـ- العقيدة الملكانية (الخلقيدونية):

و- العقيدة اليعقوبية:

2- المجامع المسكونية وموقف الرهبان منها

رابعاً- الدولة والرهبان:

1- الامتيازات

2- الرهبان والصراعات السياسية الدينية:

أ- الردة الوثنية

ب- انتصار المسيحية والمذهب الأرثوذكسي النيقوي

ج- الاخلاص العقائدي الديني

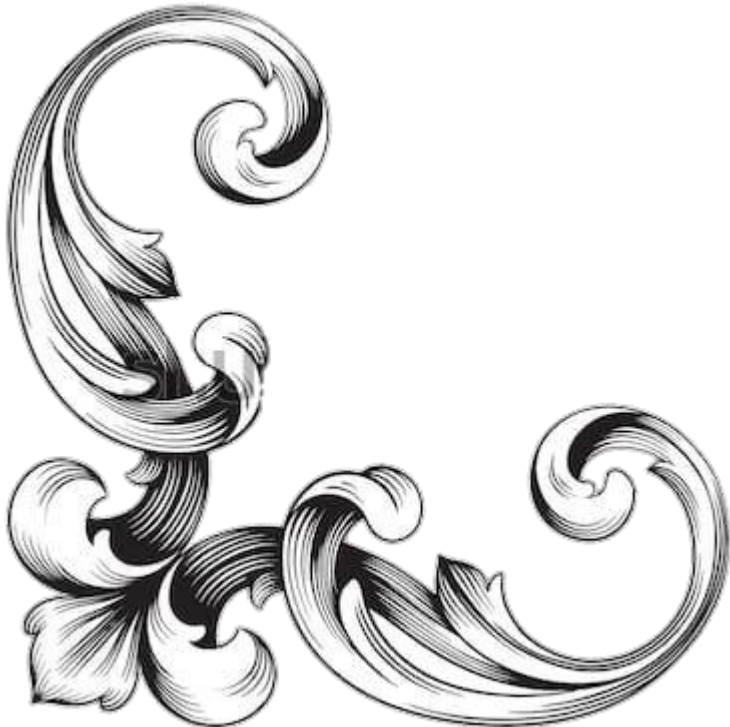
خامساً- الرهبان والمناصب الكنسية:

1- القديس إبيفانيوس Epiphanius

2- يوحنا فم الذهب Johannes Chrysostomos:

3- نسطوريوس.

سادساً- الخاتمة:



الفصل الثالث : أثر الرهبان في الديانة المسيحية والسلطة الرومانية

أولاً- دور الرهبان في نشر المسيحية:

في الواقع إنّ الإيمان المسيحي لم يعمّ مناطق سورية وبلاد ما بين النهرين، ولم ينتشر في بلاد فارس وأرمينيا والهند، إلا نتيجة نشاط إرسالي كبير قام به الرهبان السوريون بصلابة وإيمان، فهؤلاء الرهبان في كلّ مرة يخرجون من كهوفهم وأديرتهم، يجوبون الطرقات ويدخلون المدن والقرى ليبشروا الناس ويربّحوهم بالإنجيل، وقد دام هذا الاندفاع حتى عمّت المسيحية جميع أرجاء سورية، حيث حملوا كلمة الإنجيل على شفاهم، وأضحوا شهوداً أمناء للمسيح مترسمين خطى الرسل والمبشرين، فهذّوا إلى الدين المسيحي خلقاً كثيراً من مختلف الأقوام يهوداً وثنيين وعلى مختلف المستويات ملوكاً وبسطاء¹.

ولعل أقدم أخبار التنصّر على يد الرهبان في البداية السّورية رواية نقلها القديس جيروم **Hironimus** (347-420م) ويورد فيها احترام عشائر البدو في منطقة غزة لشخص القديس هيلاريون **Hilarion** وتعلّقهم به وتنصرهم على يده². ومن أقدم ما يُروى من هذا القبيل أيضاً الرّاهب موسى الذي مارس الفضيلة في الصحراء على مقربة من قبيلة تنوخ العربية التي كانت ماوية ملكة عليهم، وتمكن موسى من إدخال ماوية وقبيلتها في الديانة المسيحية النيقوية، قامت ماوية البدوية بمحاربة الإمبراطور فالنس الأريوسي **Valens** (364-378م)، ويجمع المؤرخون الكنسيون الذين كتبوا عن ماوية على أنّ سبب ثورتها المباشر كان دينياً مرتبطاً بقرار الإمبراطور "فالنس" بتعيين أسقف من مذهب على العرب، متجاهلاً طلبات ماوية المتكررة بتعيين أسقف عربي من المذهب النيقوي يدعى موسى، وتمكنت ماوية من الانتصار على الرومان، ويتضح أنّ الثورة حصلت عام (377م) واستمرت حتى (378م) ولم يكن أمام الإمبراطور "فالنس" سوى السلام، بعدما انزلت به الخسائر الفادحة، وحينما جاء دور الصلح والتفاهم، ماوية اشترطت أنّ يكون الرّاهب "موسى" أسقفاً على عشيرتها، وقد كان لهذا الرّاهب دورٌ في نشر المسيحية بين أفراد هذه

¹- الدبس، يوسف. (1994): تاريخ سورية الدنيوي والديني، مج4، دمشق: دار عبود، ص 154.

²-Jerom: (1903), **Vila Hilarionis, XXV, Nicene and Past Nicene Father ,ed.** P.N.F, New york

العشيرة، فوافق الإمبراطور "فالنس" وأمر بذلك، فنقل الراهب موسى إلى الإسكندرية ليسام على يد لوسيوس آريان الإسكندري¹، فلم يرضَ موسى لتمسكه بالعقيدة النيقوية (الأرثوذكسية)، فجيء بأسقف نيقاوي فسماه أسقفًا، فأقام في البادية يرعى شؤون ماوية وعشائرها².

ويذكر سوزومين أيضاً أنَّ راهباً من الرهبان تضرع إلى الله أن يرزق زوكومس **Zocomus** شيخ العشائر الضاربة في البادية ابناً ذكراً، وأنَّ الله استجاب لطلب هذا الراهب، فتتصر الشيخ زوكومس وجميع أتباعه، وأنَّ زوكومس وقومه أصبحوا من أخلص القبائل العربية للدولة الرومانية في نزاعها مع دولة فارس³.

ويبين المؤرخ الكنسي سوزومين **Sozomenos** (380-450م) دور الرهبان في نشر المسيحية بين الوثنيين ويقول: إنَّهم دخلوا في عهد الإمبراطور فالنس أشد المناطق وثنية، وسكنوا بالقرب من أفامية وحمص وغيرها، وبشروا بالمسيح، وأعادوا له عدداً من السريان والفرس والعرب⁴. ويفضل نشاط الرهبان والتساك القديسين أمثال يوحنا فم الذهب **Johannes Chrysostomos** (347-407م) والقديس مارون (350-410م) وتلاميذهم، أخذت الجموع تحتشد لسماع مواظ الكهنة الذين راحوا يكرزون بالتعاليم التي نشروها بينهم منذ مطلع القرن الرابع الميلادي في سورية الثانية وفينيقيا، بالإضافة إلى مجموعات كانت تعيش في مدن الساحل وصلتها المسيحية عن طريق الرسل الأوائل والأساقفة والكهنة الذين ساموهم وهم في طريقهم إلى أنطاكية في أواسط القرن الأول الميلادي⁵.

وعندما أصبح يوحنا فم الذهب بطريركاً على القسطنطينية عام (397م)، جاء على لسانه: كثرت شرور في فينيقيا وتجدد شرارها، وزاد كيد الوثنيين، فأرسل رهباناً لكي يقتلعوا جذور الفساد منها، ويستأصلوا الشرك لدى السكان

¹ - تولى لوسيوس زعامة التيار الآريوسي في كنيسة الإسكندرية، ودخل في صراع مع أنثاسيوس الرسولي أسقف الإسكندرية، بعد وفاة أنثاسيوس تمكن لوسيوس بمساندة الإمبراطور فالنس من تسلم زمام كنيسة الإسكندرية عام (373م). في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير عام (378م) غادر أبرشيته مجدداً وانقطعت أخباره لم تصل من كتاباته سوى رسائل فصيحة رائعة، فضلاً عن بعض الكتابات الدينية المختلفة.

انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 122.

² - سوزومين. (1890)، 6: 36.

³ - سوزومين. (1890)، 6: 38.

⁴ - سوزومين. (1890)، 7: 15.

⁵ - عبدالله. (2002)، ص 59.

وينشروا المسيحية ونجحوا في ذلك، وأقاموا أعياداً مسيحية فعدل السكان عن الاحتفالات الوثنية¹، وهنا تعاون يوحنا فم الذهب مع راهب قديس يعيش متنسكاً في جبل قورش في منطقة سورية الثانية يدعى مارون للقضاء التام على وثنية السكان في فينيقيا، ونشر التعاليم المسيحية وتأسيس الرهبانيات وإطلاق الحياة النّسكية فيه على غرار نّسك جبل قورش². ولا يمكن أن نُغَيِّبَ مجهود الراهب إبراهيم القورشي الذي استدعاه الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني (416-450م) وكرمه وقبّل يديه تبركاً بسبب قداسته، ويورد المؤرخ ثيودوريتوس **Theodoretos** أنّ هذا الراهب سمع وهو في القورشية بأنّ بلدة لا تزال وثنية في سورية الفينيقية، فرحل إليها يهديها إلى نور المسيح مصطحباً معه رفاقاً أسس معهم دير هناك في تلك المنطقة، ويربط المؤرخون بين معبد "أفقا" كونه آخر معقل للوثنية وبين هذه الواقعة، مهما يكن من أمر فتسمية نهر أدونيس باسم إبراهيم تخليداً لذكرى هذا الناسك يظهر الأهمية التي له والدور الذي مارسه في نشر المسيحية هناك³.

وفي هذا الموضع لابدّ من الإشارة إلى سمعان العمودي (389-459م) المشعل الوضاء الذي يصفه ثيودوريتوس بأنّه كان بمثابة منارة يرسل كالشمس بأشعته إلى كلّ مكان، كنا نرى الإيبيريين والأرمن والفرس مقبلين إليه ومتقبلين العماد على يده، أما الإسماعيليون (مقصود بهم العرب) القادمون إليه بالجملة مئتان أو ثلاثمئة معاً أحياناً حتى الألف، فكانوا ينبذون ضلال آبائهم بصراخ قوي، ويحطّون تجاه هذا المشعل العظيم الأصنام التي كان آباؤهم يعبدونها ويحرمون على أنفسهم تلك الولائم المقامة لأفروديت⁴ وثم يشتركون في الأسرار الإلهية، ويتقبلون الوصايا من هذا الفم المقدس قائلين الوداع لعادات آبائهم، وممتنعين عن أكل حمار الوحش والجمال كما يذكر ثيودوريتوس⁵.

¹ - ثيودوريتوس. (د-ت)، 32:6

² - عبد الله. (2002)، ص 59.

³ - Festugier. (1960), **Anitoché Paienne Et Chretienne**, Published By: Société d'Études Latines de Bruxelles, p.315

⁴ - تظهر أفروديت APHRODITE في الأساطير الإغريقية كإلهة للخصب والحب والجمال وهذه خصائص عشتار إلهة الساميين، انتشرت عبادتها في سورية في عدد كبير من المدن في دمشق وحمص وحمّة وأفامية واللاذقية وأنطاكية، حيث عثر على تماثيل لها ويظهر معها أحياناً ابنها إيروس إله الحب كما في دمشق وحمّة. انظر الغش، محمد أبو فرج هـ الجندي، عدنان، زهدي، بشير. (1969)، **المتحف الوطني بدمشق**، ص 98

⁵ - ثيودوريتوس. (1987)، ص 214.

وفي هذا الباب لابدّ من التطرق لدور الرهبان النساطرة في نشر تعاليم المسيحية في ولايات عديدة من الشرق ومن أبرز الرهبان المتحمسين للمذهب رجلاّن هما المؤسسان الحقيقيان للمدرسة الجديدة وهما برصوما¹ Barsauna (460-491م) متروبوليت نصيبين ونرسييس، كانا قد غادرا الرها إلى نصيبين سنة (457م) وقد ازداد امتداد التعاليم النسطورية بعد أن دخلت هذه التعاليم إلى مدرسة نصيبين، لأن المعلمين في هذه المدرسة لم يعلموا فقط تلاميذهم مبادئ المسيحية النسطورية بل ترجموا من اليونانية إلى السريانية كتاباته وكتابات معلمه ثيودوروس الميسويستي² وكتابات ديودورس الطرسوسي ونشروها في بلاد الرافدين وبلاد فارس، وقد عمت فيها النسطورية بشكل كبير وتمكّن الرهبان النساطرة من إقناع ملك الفرس فيروز شاه (457-484م) أن يقبل النساطرة وهدم مسيحيين في بلاده، وأن يطرد المسيحيين المتمسكين بعقائد الآباء اليونانيين، وأن يدخل عوضاً عنهم النساطرة، وليس فقط هذا بل يسمح لهم بأن يجعلوا مراكز بطريركهم في أشهر مدن فارس وسلوقية وطفيسون³.

وفي الختام نرى أنّ الرهبان لا يعيشون رسالتهم التي هي الاهتمام بخلاص نفوسهم فقط، بل أيضاً قد اهتموا بخلاص الآخرين من خلال تبشيرهم بالديانة المسيحية، فهم يرفعون الصلاة ليلاً ونهاراً لأجل الكنيسة ومن أجل نشر الدين.

¹ -برصوما عُيّن أسقفاً على نصيبين سنة (460م) وتوفي سنة (490م) هو الذي أسس مدرسة نصيبين ووضع لها قوانينها، وسلم إدارتها لنرسييس، ثم ناشد ملك الفرس فيروز شاه (457-484م) أن يقبل النساطرة وهدم مسيحيين في بلاده.

أما نرسييس توفي سنة (507م)، كان مديراً لمدرسة نصيبين؛ وجعلها مركزاً لإشعاع النسطورية وانتشارها. انظر: يوسف، محمد حسني. (2011)،

موسوعة الفرق والمذاهب المسيحية، مصر: دار العالمية للنشر والتوزيع. ص 184-185

² - لاهوتي وُلِد في أنطاكية عام (350م) وتوفي في مصيصة (موبوسستا) بعد أن صار أسقفها سنة (428م)، أمر مجمع القسطنطينية المجمع المسكوني الخامس عام (553م) بإتلاف كتبه؛ لما اتضح للعيان أنّه يمكن أن يعدّ أبا النسطورية.

انظر طرابيشي، جورج. (1997)، **معجم الفلاسفة**، بيروت: دار الطليعة، ص 251-252.

³ - لورنس، فان موسهيم. (1815). **تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة**، تر هنري هرس، بيروت، ص 216.

ثَانِيًا - الرُّهْبَانُ وَالْوُثْنِيُّونَ:

عدَّ الوثنيون الرُّهْبَانُ أعداءً لجميع المسرات الطبيعية وخونة وسخفاء الذمة لم يثبتوا على عهد الولاء للمجتمع المدني، والسبب في ذلك أنَّهم اختاروا البتولية والفقر الاختياري والطاعة مبادئ أساسية لحياتهم، التي لم يعتد عليها المجتمع المدني وقالوا: إنَّهم لا يدخلون المدن إلا لبذر الشقاق في المجتمع، والحاق الضرر بهياكل الآلهة¹. ورد في رسالة الإمبراطور يولييان المرتد Iulianus (361-363م) التاسعة والثمانين: (إِنَّ الرُّهْبَانِ أَرْوَاحَ نَجَسَةٍ تَجْعَلُهُمْ يَتَغَالَطُونَ وَيُشَاكِسُونَ ثُمَّ يَبْتَعِدُونَ عَنِ النَّاسِ).

ولقد وصفهم يولييان بهذا الوصف القبيح على الرغم أنَّ هذا الإمبراطور كان يعيش عيشة الرُّهْبَانِ ويلبس كما يلبسون، ويلوح أنَّه لم يتصل اتصالاً جنسياً بالنساء بعد أن ماتت زوجته، وكان ينام على قش خشن في حجرة غير مدفأة، لكي يعتاد تحمُّل البرد، ولم يكن يميل إلى اللهو والتسلية، وعرف بزهده وانهماكه في العمل في أزمات الحكم². وهذا إن دلَّ على شيء فإنَّه يدلُّ على إعجاب الإمبراطور داخلياً بأسلوب حياة الرهبان، ولكن مقتَّ يولييان لهم يعود في ذلك؛ لأنَّه كان معادياً للمسيحية حتى وفاته.

وأيضاً وجه الخطيب لبيانيوس Libanius (314-394م)³ الأنطاكي في سنة (384م) رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير Theodosius (378-395م)، يطلب منه التدخل المباشر ضد الرُّهْبَانِ وهذا نصها:

(هؤلاء الذين يخربون الهياكل يملؤون الكهوف والمغاور، ليس لديهم من الزهد والتقشف سوى معافهم، هؤلاء الذين يرتدون الأسود، ولكنهم يأكلون أكثر من الفيلة. ويشربون أثناء التراتيل ما يتعب الأرقاء من

¹ - رستم، (1988)، ص 294.

² - ديورانت، (1973)، مج 4، ص 13.

³ - لبيانيوس: وُلِدَ في مدينة أنطاكية، وبعدَّ من أشهر خطباء القرن الرابع الميلادي، تمسك لبيانيوس بوثنية، وظل معادياً للمسيحية حتى وفاته، له عدة خطابات ومن أشهرها الخطاب الحادي عشر، الذي يحمل عنوان الأنطاكي؛ حيث امتدح في هذا الخطاب مدينة أنطاكية وأورد فيه الكثير من الأساطير والتفاصيل المتعلقة بأنطاكية. للمزيد انظر:

كثرة السكب¹، يُصَفَّرُونَ وجوههم، ولكنهم يخبئون تحت هذا التصغير بلبلة وتشويشاً، هؤلاء أيها الإمبراطور هم الذين يهجمون على الهياكل عابثين بالقانون، حاملين الأخشاب لإضرار النار والحجارة والحديد للتقويض والنهب². والسبب في هذا الهجوم العنيف من قبل لبيانيوس تجاه الرهبان؛ لأنهم كانوا يقومون بأعمال وممارسات غير جيدة من وجهة نظره منها: تدمير هياكل الآلهة والتماثيل ونهب تقدمات المعابد، فرض عبادة العبيد بدلاً من تكريم الآلهة الحقيقيين يا ليتهم كانوا من العبيد الأمناء، حيث جمعوا من كل حدب وصوب عظام وجماجم هؤلاء الذين أُلقي القبض عليهم كمجرمين، وحُكِّم عليهم بالموت بقرارٍ من المحكمة، ونادوا بأن هؤلاء المحكومين هم آلهة، ونعتوهم بالشهداء والقديسين والرسل، ولكن بالمقابل أيادي الرهبان على حد تعبير لبيانيوس لم تكن ملطخة بالدماء ولكنها لم تكن نظيفة أبداً، بل كانت مدنسةً بالجشع، صاحوا قائلين بأنهم انتصروا على الآلهة³.

تعقيباً على رسالة لبيانيوس إلى الإمبراطور ثيودوسيوس حول الرهبان يمكن الملاحظة أن لبيانوس لم يحابِ الحقيقة ويقدم معلومات مغلوطة عن الرهبان، وقد وصفهم بصفات هي على النقيض منهم حيث اعتبرهم كالفيلة بالأكل والشرب، كما هو معلوم أنَّ الرهبان السوريين اشتهروا بالتقشف الشديد والأمانة، إذ لم يتناولوا الطعام إلا مرة واحدة في

¹ - تقدم المصادر التاريخية معلومات مهمة عن النظام الغذائي الديري، إذ أنَّ الرهبان يأكلون كل يوم ولكن كمية قليلة، وجرت العادة على تناول وجبة واحدة خفيفة في الساعة التاسعة من النهار (أي في الثالثة بعد الظهر في وقتنا هذا)، ولكن الرهبان فضلوا تناول الخبز الجاف والأعشاب الخضراء، ويتكون الخبز عادةً من أرغفة صغيرة تزن حوالي (12) أوقية، وتخزن لمدة غير محددة من الزمن، وينقع الخبز الجاف مع الماء ليصلح للتناول، حتى أنَّ هذه الوجبة تعتبر ترفاً من قبل بعض الرهبان المتقشفين. التقليد الرهباني الديري يؤكد على حفظ الأصوام القانونية في يومي الأربعاء والجمعة والامتناع التام عن الطعام في ذكرى آلام السيد المسيح، ولكن في الأيام العادية كان من المعتاد تناول وجبة واحدة. أنشأت المجتمعات الديرية قوائمها الخاصة للممارسات الغذائية، واشتمل النظام الغذائي الديري على الكثير من الفاكهة والخضروات إذ تم استهلاك الفول والعدس والخبز والشمش والعنب واللوز والبرقوق والرمان التي كانت تزرع في حدائق الأديرة السورية، وعلاوة على ذلك تناول الرهبان الديريين نوعاً من الحساء مصنوع من السمك الصغير، هذا الحساء عُد للمرضى فقط، ولا يبدو أنَّ اللحوم كانت غائبة في النظام الغذائي الديري، في حفائر دير القديس ثيودوسيوس شرقي بيت ساحور الذي أسس عام (465م) بفلسطين، اكتشف عدد من عظام الأسماك والطيور، بالطبع لا يمكن الجزم إذ كان الأكلون من الرهبان أو العلمانيين، بينما النبيذ لا يناسب الرهبان مطلقاً في (حياة أنطونيوس الكبير) (Life of Anton) لا لحوم ولا نبيذ، بينما الديريون بالمقابل شربوا النبيذ في دار الضيافة الرهبانية مثال على ذلك (سابا ورهبان آخرون). للمزيد حول النظام الغذائي الرهباني انظر:

Dembinska.M.(1985),Acomparison of food consumption between Some Eastern and western monasteries in The 4Th-12Th centuies,Byzantion.p.441

البراموسي.(د.ت)، ص 37.

Y. (1992), The Judean Desert Monasteries In The Byzantine Period, New Haven And London: Yale,p.88

² - Libanius: Oratio, II, 3

³ - كرافتشوك، ألكسندر.(د-ت).الوثنية والمسيحية، تر كبرو لحدو، دار الحصاد، ص 107.

اليوم وهي الوجبة الوحيدة لهم؛ وهي عبارة عن الخبز اليابس المبلول بالماء مع الملح، وأحياناً تكون هذه الوجبة كل يومين. أما الشراب الذي دعا لبيانيوس في الرسالة أن الارقاء يتعبون من كثرة السكب نعلم أن النبيذ لم يكن مسموح فيه كما في سيرة القديس أنطونيوس أبو الرهبان لا لحوم ولا نبيذ. ويقدم لبيانيوس في رسالته دليلاً على صحة المعلومات حول ذلك حيث يقول: كان الرهبان يصفرون وجوههم، هذا الصغار دليل على قلة الطعام والشراب. أما هدم الهياكل لم يرقم الرهبان بذلك بل حولوا هذه الهياكل إلى كنائس لهم، وأزالوا منها التماثيل. يمكن الاستنتاج من هذه الرسالة شديدة القسوة تجاه الرهبان، الدور المهم للرهبان في التصدي للوثنية التي كان يعتنقها لبيانيوس، ويدافع عنها، ولولا ذلك لم يقدم لبيانيوس على توجيه رسالة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس ويطلب منه الحد من نشاطهم.

ولكن الأعمال التي قام بها، وتجاسر عليها الوثنيون تحتاج تاريخاً خاصاً بها كما أورد المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس Theodoretus سأختار بعض الحالات التي ارتكبوها بحق المسيحيين: (ففي مدينة غزة *Gaza* وعسقلان *Ascalan* بقروا بطون الرجال نوي المراتب الكهنوتية، والنساء اللواتي عشن حياتهن بالبتولية، وحشوها بالشعير وجعلوها غذاءً للخنازير، وفي ساموساطا قاموا بفتح تابوت يوحنا المعمدان وأحرقت عظامه ونثر رمادها، وفي مدينة هيلوبوليس (بعلبك) كان هناك راهب يدعى كيرلس *Cyrilus* قام بتحطيم تماثيل كثيرة عُبِدَت هناك، كردة فعل قام بعض الوثنيين بقتله وشقوا أمعاءه والتهم كبد، ونتيجة لهذا العمل الوحشي نالوا جزاءهم العادل من الله بسبب قدسية هذا الراهب، وفي مدينة إيمسا *Emesa* (حمص) خصصوا المناطق المجاورة للكنيسة المشيدة حديثاً للإله ديونيسوس *Dionysos*¹ ونصبوا له تماثلاً فيها، وارتكب الوثنيون جريمة شنعاء بحق ماركوس أسقف أريثوزا *Arethus* ؛ الذي أزال أيام الإمبراطور قسطنطين الكبير *Constantine* (306-336م) معبداً وثنياً وأقام محله كنيسة، وما إن علم سكان أريثوزا بفكر يولييان حتى قبضوا على ماركوس، ولم يشفقوا على

¹ - الإله ديونيسوس: واحد من أقدم الآلهة في اليونان هو ابن زيوس من سيميلي Semele مات وبعث من جديد، وعُبدَ على أنه إله الخمر والخصب، كما توحد ديونيسوس مع الإله باخوس حيث أطلق عليه الرومان لقب ليبر *liber* ، وقد كرس له عدة أعياد مرحلة؛ كانت تقام منذ أواخر الخريف حتى الربيع، وفي بعض الأحيان كانت هذه الاحتفالات تأخذ طابع الطقوس الدينية والباطنية، وغالباً ما تتحول إل حفلات تهكية (باخوسية). انظر: شابيرو، ماكس، هندريكس. (1999)، *معجم الأساطير*، تر حنا عبود، دمشق، ص 81.

شيخوخته ولا عمق فضيلته ولا سموّ تعليمه وحياته، ونال منهم مختلف صنوف العذاب ولم يُظهر أيّة علامةٍ للألم، ولكنه ازدرى معذبيه الكفرة موبخاً إياهم، وعندما قنطوا منه أطلقوا سراحه، ولم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من الإعجاب بثباته¹.

بالمقارنة بين أعمال الرّهبان والوثنيين يمكن القول: كانت أعمال الرّهبان تنحصر بإزالة معبد أو تحويله إلى كنيسة من أجل العبادة، وتحطيم تمثال وثني لا يضر ولا ينفع من أجل هداية الناس إلى دين المحبة والسلام وتمجيد السيد المسيح، بينما كانت أعمال الوثنيين وحشية بحق المسيحيين من تعذيب واضطهاد لهذا الإنسان الذي هو صورة الله على الأرض. وكانت نهاية الوثنية في الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول عندما أصبح إمبراطوراً على كامل الإمبراطورية بدون منازع، فأصدر تشريعاً لصالح الديانة المسيحية، هو إلغاء العبادة الوثنية من جميع أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ووضع عقوبات صارمة على كلّ من يرتد عن تعاليم المسيح، أو يعبد إلهاً غير إله المسيحية، وكان هذا القرار سنة (384م)، وبهذا القرار أصبحت الديانة المسيحية هي الدين الرسمي للدولة الرومانية²، وبذلك نجحت المسيحية بعد نضالٍ شاقٍّ ومزير دامت مراحلها قرابة ثلاثة قرون وأُتيح لها أن تتغلب على وثنية العالم الروماني.

¹ - ثيودوريتوس. (د-ت)، 3:3 .

² - سوزومين. (1890)، 7: 20.

ثالثاً- العقائد المسيحية والمجامع المسكونية وموقف الرهبان منها:

1-العقائد المسيحية:

وما أن حل القرن الرابع الميلادي حتى بدأت السجلات حول طبيعة السيد المسيح، هل أنه الإله؟ أو ابن الإله؟ هل هو من طبيعة واحدة أم من طبيعتين؟ وحتى دب الخلاف بين مدرستي الإسكندرية وأنطاكية وأخذ يتفاقم. وعلى ما يبدو أن الخلاف في جوهره خلافاً فلسفياً بحيث تبنت كل واحدة منها تفاسير خاصة للكتاب المقدس وطبيعة للسيد المسيح، فأقرت مدرسة أنطاكية بالألوهية السيد المسيح وينظرون بالأكثر إلى حياته الإنسانية الأرضية أي ناسوته أكثر من لاهوته، بينما مدرسة الإسكندرية فكانت ترى في المسيح لاهوته أكثر من ناسوته.

وقد شارك الرهبان السوريون في هذا السجال ومنهم نسطوريوس وإوطيخة ويعقوب البرادعي، فظهرت عقائد تنسب إلى هؤلاء الرهبان وانتشرت في سورية والعراق وجزيرة العرب ومصر والحبشة.

أ-العقيدة الآريوسية:

تنسب إلى آريوس Arius (256-335م) وجل ما نعرف عنه أنه ليبي المولد والنشأة، وأم الإسكندرية وتعلم فيها، ويقول عن نفسه أنه تلميذ لوقيانوس الأنطاكي¹ (240-312م) الذي كان عالماً لاهوتياً ومفسراً مشهوراً، حيث تلقى آريوس تعليمه اللاهوتي في أنطاكية السورية. كان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً يجيد الوعظ والإرشاد، فألفت حوله عدد من المؤمنين، ولا سيما عذارى الإسكندرية اللواتي نذرن أنفسهن للعمل الصالح، وأنضم إلى هؤلاء عدد كبير من رجال الإكليروس الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس فأثروا الاصغاء إليه على الرغم من التخالف في التعليم بينه وبين رئيس أساقفة الإسكندرية².

¹ - كان لوقيانوس كاهناً في كنيسة أنطاكية ومنتزاعاً بالعلوم المقدسة، أعاد النظر في النص اليوناني للعهد القديم قبل استشهاده عام (312م) زمن الاضطهاد الأخير، وبعد معلم آريوس وأوسابيوس النيقوميدي، وصلت من أعماله الكتابية بعض المباحث القصيرة في الإيمان، إضافة لبعض الرسائل القصيرة، تآلم ومات شهيداً في نيقوميديا إذ اعترف بالمسيح أبان اضطهاد مكسيميس. انظر: هيرونيمس. (2010)، ص 93-94.

² - Bardy, G, Origins De L'Arianisme Fliche Et Martin, A.N F, III, Pp.69-71.

لم يبقَ من تعاليم آريوس إلا مقتطفات يسيرة جاءت في بعض الردود عليه ولا سيما ما كتبه القديس أنثاسيوس الكبير Athanasius (328-373م)، وجل ما يجوز القول عن مذهبه محاولة جديدة لتأكيد وحدانية الله وتخفيض منزلة الابن **Subordinationisme** والروح القدس، فالآب وحده يستحق لقب الإله في نظر آريوس أما الابن لم يكن سوى إله ثانوي منخفض في الرتبة والمنزلة مخلوق من العدم بإرادة الآب بيد أنه يتميز عن سائر المخلوقات في أنه صورة الله الآب في جوهره وإرادته وقدرته ومجده¹. كان هدف آريوس توضيح لاهوت أوريجانوس (185-245م) في الثالوث، إذ أنَّ أوريجانوس قد اعترف بثلاثة أقانيم، ولكنه أخضع الابن والروح القدس للآب، للحفاظ على وحدة الله، لتأكيد التمايز بين الأقانيم، أما العلاقة بين الأقانيم أراد آريوس تقديم جواب لها انطلاقاً من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، التي تنادي لا وجود إلا لمبدأ واحد للكائنات، هو وحده له جوهر بالمعنى الحقيقي أي أنه غير مرتبط بأحد، هذا الوصف نسبته آريوس إلى الله وحده (الآب)، فهو الإله الأوحد، وهو أساس كل شيء، ولا بدء له، وهو وحده غير مولود وغير مخلوق، وهو وحده أزلي وغير متحول، وإليه وحده يجب أن ينسب الألقوم الإلهي (الطبيعة الإلهية)، أما الابن فهو مخلوق غير أزلي، فكان آريوس يردّد دائماً عن الابن: (كان زمان لم يكن فيه موجوداً)، ومع ذلك يؤكد آريوس أولوية ابن الله بالنسبة إلى سائر المخلوقات، فقد خلُق قبل كل الأزمنة، ونال من الله القدرة على الخلق، وهو الذي خلق كل شيء، وهو الكلمة والحكمة والقدرة، ولكن ليس من طبيعته بل بالنعمة التي أنعم بها الله عليه².

وسرعان ما انتشرت أفكار آريوس في مصر، ونتيجة لذلك عُقد مجمعٌ محليٌّ في عام (320م)، يضم حوالي مئة أسقف مصري وليبيي، أحلّ اللعنة على آريوس وأتباعه، أي أسقفين وخمسة كهنة وستة شماسة، والسبب في ذلك لأنّ

¹ - Athanasius, **Contra Arian**, F.T.CH, I,8, Epiphane Haeres, LxIx, 3.

² - سقراطيس، سكولاستيكوس (1890)، **التاريخ الكنسي**، تر عن الأصل اليوناني: أيه. سي. زينوس نقلاً: PNF, II, V.2, 1890، تعر: بولا ساويروس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية 1: 9

ألكسندروس¹ بطريرك الإسكندرية (313-328م) قد عارض آريوس بعقيدة الابن الأبدي، الذي لا يتغير الذي هو صورة كاملة عن الأب، وهو الله مثله².

قامت العقيدة الآريوسية بصورة حاذقة على نصوص توراتية تقدم الأب بوصفه وحده إلهاً حقيقياً، في حين أن المسيح يدعى فيها رباً فحسب³، وعلى آراء بعض آباء الكنيسة مثل العلامة أريجانوس الذي كان يخضع الابن للأب، وعلى الاتجاهات العقلانية للمسيحيين الذين ظلوا تحت تأثير الفلسفة اليونانية، وأخيراً على حجج تبسيطية كنتك التي كانت تستخدم مع النساء، هل كان لديك ابن قبل أن تتجبي واحداً؟ بالطبع لا، الأمر نفسه يقال لله قبل أن ينجب⁴. ويعد آريوس دعواً ماهراً، كان يؤلف كتيبات وقصائد وأغانٍ شعبية للدفاع عن أفكاره، وهنا نذكر أحد النصوص: (وَفَقاً لإيمان مختاري الله، الذين يفهمون الله، الأطفال القديسين، مستقيمي المعتقد، الذين تلقوا روح قدس الله، هاتكم ما تعلمت ممن يملكون الحكمة)⁵، إذ كان آريوس يقول: إنَّ ماهية الأب، الابن، الروح القدس منفصلة بطبيعتها لا احتكاك ولا تواصل في ما بينها، وهي مختلفة من حيث الماهية والمجد حتى اللانهاية، والكلمة إذاً مختلفة في كل شيء عن الأب وعن الروح القدس، هو موجود على حدة حيث لا شيء يشترك فيه الابن مع الأب⁶.

ولم يكتب للآريوسية النجاح رغم ذكاء مؤسسها الثاقب وحماس أنصاره، والسبب في ذلك لأن الكنيسة حظيت بدعم السلطة المدنية، فالمسيحية أصبحت تقريباً دين الدولة، وذلك أن قسطنطين الكبير الذي بات سيد الإمبراطورية بعد انتصاره على ماكسانس عام (312م)، قد أجاز في العام التالي الاحتفال بالعبادة المسيحية بالقرار الذي أصدره في

¹ - وُلِدَ في الإسكندرية وتلقى تعليماً في مدرستها، ورسم قساً بها، وعندما انتخب للبطريركية كان قد وصل إلى سن الشيخوخة؛ ورغم ذلك أخذ يستخدم علمه وتقواه في خدمة الله بكل نشاط وإخلاص، كان الشعب يلقيه بالقديس والفقراء يدعونه أبا المساكين، أفضل ما اشتهر به هو غيرته الشديدة على حفظ الإيمان المستقيم، ومحاربه للهرطقة ولا سيما الذين أنكروا لاهوت المسيح. انظر: يوحنا. (د-ت)، ص: 111

² - سقراطيس. (1890)، 6:1.

³ - عبد الحميد. (2001)، ج2، ص 166-167.

⁴ - الفاخوري. (2001)، ص 410، 411.

⁵ - ويلتر. (د-ت)، ص 79-80.

⁶ - سقراطيس. (1890)، 1: 6.

ميلانو¹، ثم شارك هو نفسه في النقاشات اللاهوتية، ولما كان قسطنطين شديد الاهتمام بالسلام داخل الإمبراطورية التي كانت تشهد بلبلة عميقة آنذاك بسبب الآريوسية دعا إلى مجمع مسكوني في نيقية عام (325م)، ولقد اجتمع فيه أكثر من (318) أسقفاً معظمهم من أساقفة الشرق ومصر، وكان حوالي العشرون من بينهم يدافعون عن أفكار آريوس². يمكن الجزم أنَّ هذا الرقم مدعاة للشك بناءً على رسالة آريوس إلى صديقه الأسقف أوسابيوس النيقوميدي³ Eusebius Nicomedia (؟-341م) أسقف نيقوميديا التي أوردها المؤرخ ثيودوريتوس في تاريخه الكنسي، حيث ذكره فيها آريوس كل أساقفة الشرق ماعدا ثلاثة قد تبنا العقيدة الآريوسية⁴. ومن خلال هذه الرسالة نعلم مدى انتشار العقيدة الآريوسية في الولايات الشرقية. (فقد جاء بها ذكر الأساقفة الذين شايعوا الآريوسية وهم: يوسابيوس أسقف قيصرية، ثيودوتيس Theodotus أسقف اللاذقية Laodicea وباولينوس أسقف صور، وأثناسيوس Athanasius أسقف عين زربة Anazarbus أهم مدن كيليكيا Cilicia وجريجوري Gregorius أسقف بيروت Berytus، وآيتيوس Aetius أسقف اللد Diosopolis، ثم يضيف آريوس قائلاً: وكل أساقفة الشرق ماعدا ثلاثة هم فيلوجون philogonius أسقف أنطاكية، هيلانكوس Hellanicus أسقف طرابلس، ومكاريوس Macarius أسقف اورشليم)⁵.

المصدر الوحيد عن عقيدة آريوس هو المناظرة التي جرت بين آريوس وأثناسيوس الرسولي رئيس شمامسة كنيسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور قسطنطين الكبير Constantine في مجمع نيقية؛ وتعد هذه المناظرة المصدر الأصلي الوحيد لبيان عقيدة آريوس كما يذكر المؤرخ سوزومين Sozomenus (380-450م)، فالمناظرة دارت

¹ - عبد الحميد. (2001)، ج1، ص129.

² - سقراتيس. (1890)، 1: 8

³ - أوسابيوس النيقوميدي: كان يمثل الجانب المعادي للإيمان النيقوي، ورفضاً قانون مجمع نيقية سنة (325م)، رغم أنه قد وقع على هذا القانون وقد سُمي أتباعه باليوسابين، كان صديقاً لآريوس وتلميذاً للعالم لوقيان الأنطاكي، أصبح أسقفاً على بيروت Berytus، وانتقل بعد فترة قليلة إلى أيرشية نيقوميديا وعين أسقفاً عليها، كان له مكانة مرموقة داخل القصر الإمبراطوري؛ بسبب تعلق قسطنطيا أخت الإمبراطور قسطنطين به، ومن خلالها كان يصل إلى الإمبراطور قسطنطين ليثيره على أثناسيوس الرسولي أسقف الإسكندرية، تمكن من عزل أسقف أنطاكية أفسطاثيوس وأثناسيوس عام (335م)

في مجمع صور . انظر: Quasten,(1986), Patrology, Vol 3, pp. 190-193.

⁴ - ثيودوريتوس. (د-ت)، 1: 4

⁵ - ثيودوريتوس. (د-ت)، 1: 4

بعد أنْ رَأَسَ الإمبراطور المجمع، وطلب من أريوس أن يشرح مذهبه فقال: (الابن ليس مساوياً للآب في الأزلية وليس من جوهره وقد كان الآب في الأصل وحيداً فأخرج الابن من العدم بإرادته، والآب لا يمكن أن يراه أو يكافئه أحد ولا حتى الابن، لأنَّ الذي له بداية لا يعرف الأزلي)، وكان التعليم يتلخص كما يبدو من شرحه لمذهبه أمام الإمبراطور قسطنطين في خمسة نقاط: (كان زمناً لم يكن فيه للابن وجود أو قبل أن يولد ولم يكن، خلق من جوهر لم يكن من قبل موجوداً أو صنع من مادة لا وجود لها أي خلق من العدم، خُلق من جوهرٍ يخالف جوهر الله، لأنَّه خلق ولم يولد فإنَّه يشارك المخلوق في صفاته، ولأنَّه مخلوق لا مولود فإنَّه قابلٌ للتغيير والاستحالة)¹.

وفي هذا المجمع تمَّ إدانة أريوس وطرده من الكنيسة، وتمَّ تبني العقيدة الأرثوذكسية وأعلن دستور الإيمان النيقوي؛ الذي استشهد بسلسلة من الحرومات التي تهدف الى إدانة التعاليم الأريوسية مثل: (كان وقت لم يكن فيه موجوداً أو خُلق من العدم، ولم يكن قبل أن يولد أو من جوهر آخر أو ذات أخرى، إذ يعني ذلك كل فكرة تشير إلى عدم المساواة الآب والابن)².

وبعد أقل من ثلاث سنوات، أُعيد أريوس من منفاه وأعلن الأريوسيون إيمانهم القويم في اعترافات إيمان عامة: (نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، يسوع المسيح ابنه، الإله الكلمة الذي صدر منه منذ الأزل، وبه كان كل شيء في السماء وعلى الأرض، الذي نزل وتجسد، وتألَّم، وقام ثانيةً وصعد إلى السماء وسوف يأتي ثانيةً ليدين الأحياء والأموات ونؤمن أيضاً بالروح القدس، بقيامة الجسد، بالحياة الآخرة، بملكوت السموات، بكنيسة الله واحدة تمتد فوق كل أرضين هذا الإيمان عن الإنجيل تلقيناه إذ يقول السيد لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس)³. بعد إعادة أريوس تدخّل الإمبراطور لدى أثاناسيوس الكبير Athanasius

¹ - سوزومين. (1890)، 1: 15.

² - ثيودوريقوس. (دنت)، 11: 1.

³ - سقرايتس. (1890)، 1: 26

الذي خلف ألكسندروس بطريركاً على كنيسة الاسكندرية عام (328م) ، في المصالحة بينه وبين آريوس، فرفض أثناسيوس رفضاً قاطعاً¹ .

وهل يعقل هذا ؟ أسقف يرفض طلب الإمبراطور؟

للأجابة على ذلك نقول نعم والسبب في ذلك تمسك أثناسيوس الرسولي بعقيدة مجمع نيقية ورفض المصالحة مع آريوس وأعادته إلى الكنيسة، ونتيجة هذا الرفض تعرض للنفي والمطاردة، فتعالت الاحتجاجات تستنكر نفي أثناسيوس، فكتب القديس أنطونيوس أبو الرهبان في الشرق إلى الإمبراطور الذي أجابه : **(لا يصدق أن جماعة كبيرة من الأساقفة المستنيرين والشرفاء قد تصرفت عن حقد أو عن عدم مراعاة، وأن كان البعض منهم تصرفوا على هذا النحو، إن أثناسيوس عنيد ومستهزء وعلة الشقاق والخصام)².**

وفي سنة (333م) عاد قسطنطين فحكم على آريوس وأمر بإحراق كتاباته، ولكن في سنة (335م) عقد مجمع في أورشليم بتحريض من يوسابيوس أسقف قيصرية وأوسابيوس أسقف مدينة نيقوميديا، أعاد آريوس إلى الكنيسة ولكن آريوس مالِبث أن تُوفي بعد الإعلان الرسمي لهذه المصالحة سنة (336م)³. يورد المؤرخ الكنسي سوزومين رواية أثناسيوس بطريرك الإسكندرية عن موت آريوس (إنَّ البعض يقول: ألم به مرض القلب فجأة، بينما رأى آخرون أنَّه كان يعاني من سقم بسبب فرحته بحقيقة أنَّ الأمر يجري حسب ما في ذهنه، بينما تصور فريق ثالث أنَّ هذا الموت بسبب بدعته، أما الذين تبنا مفاهيمه فيرون أنَّ موته كان بفنون سحرية)⁴. يمكن التخمين أنه مات اغتيالاً من خلال السم من أجل التخلص منه وإعادة السلام والهدوء إلى الكنيسة .

في النهاية يمكن القول: إنَّ انتصار الكنيسة على آريوس كان بسبب موقف الإمبراطور قسطنطين الكبير الذي حاول إعلاء شأنه وبسط نفوذه على الكنيسة المسيحية ورجالها، فكما كان الإمبراطور هو الكاهن الأعظم **pontifex**

¹ - سقراطيس. (1890)، 1: 27

² - سوزومين. (1890)، 2: 31

³ - سوزومين. (1890)، 2: 28-29.

⁴ - سوزومين. (1890)، 2: 39.

Maximus في الإمبراطورية، وهو لقب لم يتخلَّ عنه قسطنطين فقد أراد بالتالي هنا أن يغدو رجل المسيحية الأول الذي اختارته العناية الإلهية ليقرَّ على الأرض السلام وليمجد الرب في الأعلى.

ب- العقيدة النيقية (الارثوذكسية):

هذه العقيدة خضعت لآراء المدرسة الأفلاطونية الحديثة، وذهبت إلى القول بأنَّ الإله ثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس (الثالوث)¹ وأنَّ الابن أو الكلمة هو يسوع المسيح، وكانت الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا المذهب الذي أصبح المذهب الرسمي للديانة المسيحية في الإمبراطورية الرومانية في مجمع نيقية (325م)، ومجمع القسطنطينية (381م)². إنَّ التاريخ الفاصل بينهما هو مجرد فاصل صوري، فعلى الرغم من أنَّ المجمع الثاني مستقل تماماً عن الأول، إلَّا أنه استكمل وتابع ما تم بدايته في نيقية، وكأَنَّ تاريخهما وإطارهما التاريخي ومسيرتهما اللاهوتية واحدة، للوصول إلى هذه العقيدة للحفاظ على وحدة الإيمان، وتدوينه في مرجعية مشروحة مفصّلة، تتلافى الاختلافات والافتراقات العلنية، وإنَّ مجمع نيقية والقسطنطينية ساهما في تطوير الفكر اللاهوتي وفي صياغة العقيدة وتنقيتها من قبل آباء الكنيسة، الذين فتشوا بمعرفة لبلوغ البراهين التي لا تُقاوم، من أجل تسليم إيمان يفوق كلَّ قياس بشري، لحفظ وديعة الإيمان السليم بلا تقريط أو تحوير³. إنَّ مجمع نيقية (المجمع المسكوني الأول) الذي انعقد عام (325م)، بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير **Constantinus** (306-337م) هو الذي ثبت عقيدة التثليث الأرثوذكسية بحضور (318) أسقفاً، كان منهم (310) من أساقفة الكنائس الشرقية، ثمانية فقط من

¹ - مفهوم الثالوث لم يكن موجوداً حرفياً في العهد الجديد ولا لدى الآباء الرسوليّين ويبدو أنه يعتمد على ما جاء في إنجيل متى: يقول يسوع المسيح لتلاميذه: امضوا إذاً وعلموا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس، وفي إنجيل يوحنا، قال يسوع أنا في الآب والآب فيّ، والقديس يوحنا ذاته يتحدث عن الكلمة الذي كان في البدء، والذي كان الله وصار جسداً. يرجع الفضل إلى القديس أثناسيوس الرسولي في تمسك الكنيسة بعقيدة الثالوث وألوهية السيد المسيح، وهو ثالث ثلاثة قاموا بالدفاع هذه العقيدة بعد بولس الرسول والإمبراطور قسطنطين، وقد نصب نفسه محامياً عن ألوهية السيد المسيح، فلم يكن حماسه ناجماً عن حبه للديانة المسيحية فقط بل عن عشقه لفلسفة مدرسة الإسكندرية التي تقول بأن العالم يوجد في قمته ثلاثة أشياء هي الواحد والنفس والعقل التي عبر عنها أثناسيوس الرسولي بالآب والابن والروح القدس.

² - الفاخوري. (2001)، ص446.

³ - Hefele.Ch.J, (1972), **A History The Council The Church** Vol. 2(A.D 326 To A.D 429) . Edinburg, Pp.340-373 .

الأساقفة الغربيين ويرجع هذا إلى قلة الأساقفة وضعف المسيحية في الغرب في ذلك الوقت¹، وجعل الإمبراطور لهؤلاء الأساقفة مجلساً خاصاً بهم، وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: سلّطتكم اليوم على مملكتي لصنع ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقتلوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين المسيحية وذبّ عنه².

السؤال المطروح هل من المعقول تاريخياً؟ الإمبراطور الوثني يسلم الأساقفة المسيحيين مقاليد سلطته؟ من أجل توظيف الدين لتحقيق أغراض نفعيّة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو حتى ثقافية. وهكذا تحوّل الدين المسيحي إلى مظاهر خارجية وأداة من أدوات الحكم والسلطة وتم اختزاله في وظائف وغايات ذات طبيعة دنيويّة متدنّية من قبل الإمبراطور الروماني أو الأساقفة الذين تعاونون معه.

وأبرز الآباء المتواجدين في هذا المجمع ألكسندروس بطريرك الإسكندرية ومعه شماسه أثناسيوس، وحضر عن أورشليم أسقفها مكاريوس وعن أنطاكية أسقفها أفسطاثيوس³، وعن قيصرية فلسطين المؤرخ يوسابيوس، وبعد مناقشات طويلة مع الجانب الآريوسي في جلسات هذا المجمع فُحصت خلالها عقيدة آريوس الدنسة وهو حكم غير موضوعي من المؤرخ سوزومين وأن دل على شيء فيدل على مقتته لآريوس وانحيازه إلى الجانب النيقوي، وأجمع المجمع على إدانتها ولعنها، سواءً بسواءٍ مع لغة التجديف التي روج لها زاعماً أنّ ابن الله جاء من العدم، وأنّه ما كان قبل أن وُلد، وأنّ هناك وقت لم يكن، وأنّه من جوهر آخر hypostasis، أو من طبيعة أخرى substance غير التي للآب، وأنّه خاضع للتغيير والتبدل، هم محرومون من الكنيسة الجامعة وغرباء عنها⁴.

فيما يلي صيغة الإيمان الأرثوذكسي التي خرج بها الآباء وتمت الموافقة عليها بالإجماع: (نؤمن بآله واحد، الله الآب، ضابط الكل، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى، نؤمن بربّ واحد يسوع المسيح، المولود من الآب

¹ - ويلتر. (د-ت)، ص 81.

² - ابن البطريق. (1909)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ج 1، ص 126-127.

³ - أفسطاثيوس وُلد في سيدا بمفيليا وصار أسقفاً على حلب ثم على أنطاكية عام (324م) وقد اشتهر بمقاومته البدعة الآريوسية فلمع نجمه في المجمع المسكوني الأول عام (325م) ولكن مجمع صيدا عام (335م) حطه عن كرسبه ونفاه إلى تراقيا ثم انقطعت أخباره. هيرونييمس. (2010)، ص: 101

⁴ - سوزومين. (1890)، 1: 21-17.

قَبْلَ كُلِّ الدَّهْورِ، نُورٌ مِنْ نُورٍ، إِلَهٌ حَقٌّ مِنْ إِلَهٍ حَقٍّ، مَوْلُودٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَسَاوٍ لِلْأَبِ فِي الْجَوْهَرِ، الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ هَذَا الَّذِي مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ الْبَشَرِ وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَجَسَّدَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَمِنْ مَرْيَمِ الْعَذْرَاءِ، تَأَنَسَّ وَصَلَبَ عَلَى عَهْدِ بِيْلَاطُسَ الْبَنْطِيِّ، تَأَلَّمَ وَقَبِرَ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَمَا فِي الْكُتُبِ، وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ، وَأَيْضاً يَأْتِي فِي مَجْدِهِ لِيُدِينَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتِ، الَّذِي لَيْسَ لِمَلِكِهِ انْقِضَاءٌ، وَنُؤْمِنُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَبِكُنْيَسَةِ رَسُولِيَّةِ جَامِعَةٍ¹. وَالنَّازِرُ فِي دَسْتُورِ الْإِيمَانِ النِّيَقُويِّ (الْأَرْثُودُكْسِيِّ)، يَدْرِكُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةِ الْجُهُودِ الْمُضْنِيَّةِ الَّتِي بِذَلِكَ الْآبَاءِ فِي هَذَا الْمَجْمَعِ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، وَلَكِي يَجْعَلُوا فُقَرَاتِهَا مُقَدَّسَةً مَعَ أَنَّ الْإِنَاجِيلَ وَمُلْحَقَاتِهَا لَمْ يَرُدَّ فِيهَا نَصٌّ أَوْ قَرَارٌ كَهَذَا، إِلَّا أَنَّ الْآبَاءَ الْحَاضِرِينَ حَاوَلُوا أَلَّا يَأْتُوا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ عِنْدِهِمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ هُنَاكَ اعْتِرَاضٌ لِمُعْتَرِضٍ أَوْ حُجَّةٌ لِمُخَالَفٍ، فَاقْتَرَبُوا مِنَ الْإِنَاجِيلِ وَالرِّسَالِ وَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَهِيَ الْاعْتِرَافُ بِالْوَهْيَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ وَمِنْ نَفْسِ جَوْهَرِ الْآبِ.

لَمْ يَكْتَمِلِ الْبَنِيَانُ لِهَذِهِ الْعَقِيدَةِ حَتَّى مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ حِينَ اعْتَبِرَ الْآبَاءُ الْمِئَةُ وَالْخَمْسُونَ الَّذِينَ اجْتَمَعُوا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ (الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الثَّانِي) الَّذِي انْعَقَدَ عَامَ (381م)، بِدَعْوَةِ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِ ثِيُودُوسِيُوسِ الْكَبِيرِ (379 - 395م) بِأَنَّهُمْ مَكْمَلُوا آبَاءَ مَجْمَعِ نِيَقِيَّةٍ، وَكَمَا دَافَعَ آبَاءُ نِيَقِيَّةٍ عَنِ الْوَهْيَةِ الْإِبْنِ، كَذَلِكَ دَافَعَ آبَاءُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَنِ الْوَهْيَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَالَّذِي قَرَّرَ الْوَهْيَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَى قَوْلِ الْمُؤَرِّخِ الْمَسِيحِيِّ ابْنِ الْبَطْرِيْقِ² (877-940م)، هُوَ تِيْمُوثَاوُسُ I **Timotheos** (381-385م) بِطَرِيْرِكِ الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ فَضْلُ الصَّدَارَةِ فِي رِئَاسَةِ الْمَجْمَعِ، بَلْ كَانَ لَهُ فَضْلُ الْقِيَادَةِ فِي الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ الْعَامِ حَيْثُ قَالَ: (لَيْسَ رُوحُ الْقُدُسِ عِنْدَنَا بِمَعْنَى غَيْرِ رُوحِ اللَّهِ، وَلَيْسَ رُوحُ اللَّهِ شَيْئاً غَيْرَ حَيَاتِهِ، فَإِذَا قُلْنَا أَنَّ حَيَاتِهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ زَعَمْنَا أَنَّهُ غَيْرُ حَيٍّ فَقَدْ كَفَرْنَا بِهِ، وَمِنْ كَفَرٍ بِهِ وَجِبَ

¹ - سَفَرَاتِيْس. (1890)، 1: 8.

² - سَعِيدُ بْنُ الْبَطْرِيْقِ وَلَدَ فِي الْفُسْطَاطِ عَامَ (876م)، هُوَ طَبِيبٌ وَمُؤَرِّخٌ مِصْرِيٌّ أَبْدَعَ فِي الطَّبِّ حَتَّى اشْتَهَرَ بِهِ، قَالَ عَنْهُ بَنُ أَبِي أَصْبِيْعَةَ: كَانَ مُتَقَدِّمٌ فِي زَمَانِهِ وَكَانَتْ لَهُ دِرَابَةٌ فِي الطَّبِّ، كَانَ مِنْ أَوَائِلِ الْمَسِيحِيِّينَ فِي الْكِتَابَةِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُ نَقَلَ عَنْهَا مِنَ التَّرْجُمَاتِ السَّرْيَانِيَّةِ، عُيِّنَ بِطَرِيْرِكِ عَلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ وَاسْمُهُ أُوْثِيُخْيُوسُ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّى أَيَّ مَنَصَبٍ كُنْسِيٍّ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، مِنْ أَهَمِّ مَوْلَفَاتِهِ التَّارِيخِيَّةِ تَارِيخُ الْجَوَاهِرِ وَيَعْرِفُ أَيْضاً بِتَارِيخِ ابْنِ الْبَطْرِيْقِ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ ابْنُ خَلْدُونٍ، تَوَفَّى عَامَ (940م).

لِلْمَزِيدِ انْظُرْ: لُؤْيْسُ شِيخُو، لُؤْيْسُ. (1983)، عُلَمَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، التَّرَاثُ الْعَرَبِيُّ الْمَسِيحِيُّ.

عليه اللعن)، وكان هذا الكلام موجهاً لمقدونيوس **Macedonius** (342-360م) بطريرك القسطنطينية الذي كان يعتقد: (أنَّ الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات)، ثم طلب من مقدونيوس أن يرجع عن سوء رأيه فلم يرجع، فقطعه وأسقطه من رتبته، وقد قرّر الآباء في هذا المجمع إضافة ما تبقى من قانون الإيمان النيقوي (الأرثوذكسي) خاصاً بالروح القدس بعد عبارة (نؤمن بالروح القدس، الربّ المحيي الكلّ، المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن، يسجد له ويتمجدّ، الناطق في الأنبياء...)¹. ويلاحظ أن الآباء قرروا صياغة تكون بمثابة الإيمان المسكوني في أربعة بنود وهي: (لله الآب - الله الابن - الله الروح القدس - الكنيسة والمعمودية الأبدية).

لذلك يرى آباء هذا المجمع أنه شدّد على الدستور النيقوي، مكملاً أمانة نيقية في المعنى والمبنى، حيث سُمي آباء مجمع القسطنطينية (بالنيقاويين الجدد)، الذين أزالوا الكثير من اللغط اللفظي واللغوي، مما يمهّد الطريق نحو الوحدة والمصالحة اللاهوتية والفكرية والكنسية، الأمر الذي وضح جلياً في تحديدات مجمع القسطنطينية مؤكداً على حفظ إيمان نيقية وتثبيتته، مع حرم وإدانة الهرطقات جميعها واعتبر من يؤمن بها محروماً (اناثيما)، وكذلك قبلوا الذين تابوا عن الهرطقات، شريطة أن يقدموا صكاً مكتوباً باعتراف إيمانهم، ورفضهم لكلّ هرطقة لا تتفق مع العقيدة الأرثوذكسية².

¹ - سعيد بن البطريق. (1909)، ج 1، ص 145-146.

² - ثيودورتيوس. (د-ت)، 5: 9.

ج-العقيدة النسطورية:

في حين كانت مدرسة أنطاكية اللاهوتية تفكر بوجه خاص في الطبيعة البشرية للسيد المسيح، الذي كانت تصفه بالإنسان- الله، بينما كانت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الأكثر مثالية تنتظر بشكل خاص إلى ألوهية السيد المسيح (الكلمة المتجسد)، وإنَّ الاتجاه الذي سارت عليه مدرسة أنطاكية لتمييز شخصٍ ماديٍّ في يسوع المسيح، سيؤدي ذات يومٍ إلى الهرطقة النسطورية السورية¹.

لقد كان نسطوريوس Nestorios راهباً سورياً ولد عام (386م)، في مدينة مرعش² السورية على الفرات . التي كانت تعرف آنذاك باسم غرمانيكيا Germanikeia- لأسرة فقيرة، وعاش في عصر كانت المسيحية فيه قد وطدت مكانتها وصارت الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية. ولكن الخلافات المذهبية حول طبيعة السيد المسيح بدأت تمزق أوصال الكنيسة فانقسم رجالها إلى شيع ومذاهب متصارعة حول عقيدة الإيمان القويم. تلقى نسطوريوس علومه ودرسه الدينية في أنطاكية عاصمة الشرق وتأثر بتعاليم مدرستها اللاهوتية انتسب إلى دير مار يوبريوس Euperpios القريب من المدينة. وقد تأثر بتعاليم ديودوروس Diodoros الطرسوسي التي تؤكد كمال الطبيعة الإنسانية للمسيح، وكذلك بآراء تلميذه اللاهوتي الكبير ثيودوروس Theodoros أسقف موبسويستيا Mopsuestia (مصيصة من الثغور الشامية قرب طرسوس في كيليكيا) الذي كان يصرّ على أن تجسّد المسيح إنساناً كان كاملاً ومن ثم فالمسيح كان بشراً ليس فقط في طبيعته وإنما في شخصه أيضاً.

يعدُّ نسطوريوس خطيباً مفوهاً، ولاهوتياً متفهماً وثاقباً، متشبع بثقافة عصره الدينية واللاهوتية والفلسفية وعاش في عصر بلغت فيه الخطابة الإغريقية أوجها في أنطاكية على أيدي أعلام كبار، واشتهر بمواعظه وخطبه الرنانة التي كان يلقيها باللغة الإغريقية بصوته الجهوري المؤثر، كما اشتهر بالفصاحة والجرأة وطلاقة اللسان.

¹ - ويلتر. (د-ت)، ص 91-92.

² - تقع مدينة مرعش في موقع جغرافي مميز في منطقة تلتيقي فيها جبال الأمانوس مع جبال طوروس بين كيليكية والأناضول في الجهة الجنوبية من تركيا، تقدر مساحتها ٤,525 كم^٢

وَعُيِّنَ بطريرك على القسطنطينية في العام (428م)، في عهد الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني (416-450م). تَمَكَّنَ من استئصال جميع الهرطقات بكلِّ مظاهرها وأنواعها فشملت في حكمه: الآريوسية والمقدونية والأبولينارية والمانوية والمركيونية والبولوسية¹، حتى قال عنه المؤرخ ويلتر: إِنَّ نسطوريوس حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل لهرطقته، فقد توصل نسطوريوس بأن يسوع المسيح ليس إنساناً-إلهاً بل فقط حامل الله (Theophore)، أقام فيها كلمة الله².

إذ يقول نسطوريوس: (لا يمكنني أَنْ ادعوه إلهاً من كان عمره شهرين أو ثلاثة، لذلك أنا بريء من دمكم، ولن أكون بعد الآن في وسطكم)³، فضلاً عن ذلك نسطوريوس يميّز في يسوع المسيح شخصين، أحدهما إلهي والآخر بشري، ولكي يصون الوحدة الإلهية كان يتذرع بنص يوحنا القائل: (الأب وأنا واحد)، وكان يستنتج من ذلك أنه إذا كانت الطبيعتين منفصلتين من حيث الماهية، فهما متصلتان في المحبة⁴، قد صرّح نسطوريوس بأرائه الداعية لكمال الطبيعة البشرية واعتراضه على تلقيب السيدة مريم العذراء بوالدة الإله (Theotokos) واستبدالها بلقب والدة المسيح (chrisotokos) مدعياً أنها لم تلد إلهاً بل إنساناً. رأى نسطوريوس أَنَّ هذا الاصطلاح لم يرد في الأسفار المقدسة وأنَّ الآباء لم يستعملوه في مجمع نيقية، وذكر القول النيقوي: ابن الله تجسّد من الروح القدس ومريم العذراء، فرأى في هذا اعترافاً بطبيعتين؛ طبيعة ابن الله المساوي للأب في الجوهر، وطبيعة الإنسان المولود من العذراء، فرأى في الاصطلاح والدة الله خلط بين اللاهوت والانسوت، واقترح القول والدة المسيح⁵.

¹ - سقراطيس. (1890)، 7: 31

² - ويلتر. (د-ت)، ص 92.

³ - سقراطيس. (1890)، 7: 34.

⁴ - ويلتر. (د-ت)، ص 92.

⁵ - سقراطيس. (1890)، 7: 32.

وكانت لهذه الآراء ردّة فعلٍ قويّةٍ من قبل الشعب والإكليروس¹ في القسطنطينية، وأشدُّ معارضةٍ واجهت نسطوريوس كانت من قبل بطريرك الإسكندرية كيرلس الإسكندري (412-444م) وعقد مجمع أفسس (المجمع المسكوني الثالث) عام (431م)، بدعوة من الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني²، في هذا المجمع انقسم الآباء الحاضرين إلى قسمين؛ فريق يؤيد كيرلس الإسكندري وشكلوا مجمعاً واستدعي نسطوريوس لكنه رفض مقابلتهم، وأثناء المجمع واصل هذا الفريق فحص آراء وأحاديث نسطوريوس التي ألّفها عن الموضوع محل النزاع ونتيجة الاطلاع المستمر عليها، وقرروا أنها تحتوي تجديفاً واضحاً ومميزاً، ثم اتخذوا قراراً بخلع نسطوريوس.

رداً على ذلك قام فريق نسطوريوس بعقد مجمع خاص بهم، خلّعوا كيرلس ومعه ممنون أسقف أفسس، وحين وصل يوحنا أسقف أنطاكية (428-441م) وجه انتقاداً لاذعاً لكيرلس الإسكندري، واعتبره مصدر هذا الاضطراب عندما خلّع نسطوريوس من منصبه، ثم رد كيرلس على الانتقام من يوحنا فخلّعه أيضاً، عندما وصلت الأمور إلى هذه الحالة المضطربة، رأى نسطوريوس أنّ النزاع الذي قد أثير أدى إلى تدمير الشركة، فاعتذر بمرارة ودعا مريم (ثيوتوكس) وصرح قائلاً: فلندعُ مريم ثيوتوكس إن كنتم تريدون وليكفَّ كلّ النزاع وعلى الرغم من تراجع نسطوريوس إلّا أنّ أحداً لم يكثرث بهذا القول³، وقرر المجمع تحريم نسطوريوس ونفيه إلى البتراء أولاً وثم إلى الواحة الكبرى في صحراء ليبيا، التي بقي فيها حتى وفاته⁴.

يمكن التعقيب على هذا الجدل بالقول: إنّ الجدل الذي حصل حول القدّيسة مريم هو جدلٌ عقيمٌ، يخفي وراءه أطماعاً وتنافساً بين مدرستي أنطاكية والإسكندرية من أجل السيادة على كنيسة القسطنطينية، هذه العوامل السياسية كانت المحرك الأساسي للخلاف المفتعل، أيضاً لا أحد ينكر أنّ كنيسة الإسكندرية على وجه التحديد كانت تسعى إلى موقع الصدارة عالمياً بين الكنائس منذ مجمع نيقية.

¹ - إكليروس كلمة يونانية المقصود بها أصحاب الرتب الكهنوتية الذين يخدمون الشعب المسيحي؛ من أساقفة وكهنة وشمامسة، وهم يحملون صوت الشعب إلى الله، ويحملون سر الله وكلمته إلى الشعب . للمزيد انظر: ملطي. (2021)، قاموس المصطلحات الكنسية، مادة الإكليروس.

² - إيفاجريوس. (2019)، 1: 3.

³ - سقراتيس. (1890)، 7: 34.

⁴ - إيفاجريوس. (2019)، 1: 7.

د- العقيدة المونوفيزيتية Monophysitism:

رداً على النسطورية التي ترى شخصين في السيد المسيح، ظهرت العقيدة المونوفيزيتية رائد هذه الفرقة الدينية أبوليناريوس¹ Appolinarius أسقف اللاذقية (310-390م) ومؤسسها الفعلي الراهب إوطاخي Eutyches (378-456م)، بعد موت البطريرك كيرلس الكبير (412-444م)، بعد عهد دام 32 عاماً، ترك الكنيسة الجامعة تنمادى في رعونة الحماس وسوء استغلال النصر على نسطوريوس، ونادى رجال الدين بقوة بعقيدة المونوفيزيتية (الطبيعة المتجسدة)، وذلك في كنائس سورية ومصر وأديرة الشرق، وحمت قداسة كيرلس عقيدة أبوليناريوس البدائية، وأطلق اسم إوطاخي صديق كيرلس المبجل على الطائفة التي عارضت أشد المعارضة هرطقة نسطوريوس².

كانت بداية هذه العقيدة عندما وقع أبوليناريوس بهرطقته عندما أكد أن الله الكلمة إتخذ جسماً بشرياً بلا نفس، ثم فيما بعد غير رأيه وتراجع وسلم بأنه أخذ نفساً في الحقيقة ولكن بلا عقل، إذ أن الله الكلمة هو العقل³.

ويورد المؤرخ سوزومين مقولة أبوليناريوس: (إنَّ الكلمة الله هو الذي تجسد وهو نفسه يسوع المسيح، بمعنى أنَّ الكلمة الله لم يتخذ شخصاً من البشر، بل اتخذ جسداً ذا نفس بلا روح عاقلة، وبهذا يتحقق في نظرة وحدة الطبيعة في المسيح الكلمة المتجسد، وعصمته من الخطيئة)⁴، وبهذا لم يترك مبتدع هذه الهرطقة للإنسان الإله غير جسد بلا نفس، فهو لم يمنحه إلا إنسانيةً ملتبسةً ناقصة، بما أنَّها ليست من جوهر إنسانيتنا نحن فقد كانت تُفسد عمل الفداء بالذات، ومن أجل تقادي الاعتراضات التي وجهت له، وجد مخرجاً بقوله أن إنسانية السيد المسيح مؤلفة من جسد ونفس حيوانية⁵.

¹ أبوليناريوس أسقف اللاذقية Laodicea عام (390م)، درس الأدب والفلسفة اليونانية وبرز فيها، وكان خطيباً ماهراً في البلاغة، وشرح الأناجيل والعقائد الرسولية بأسلوب الديالوج كما فعل أفلاطون بين اليونانيين. انظر: سقراتيس، التاريخ الكنسي، 3 : 17 .

² جيبون، ادوار. (1997)، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر محمد علي أبو درة، مر: أحمد نجيب هاشم، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، ص97.

³ سقراتيس. (1890)، 2: 46.

⁴ سوزومين. (1890)، 6: 27.

⁵ ويلتر. (د-ت)، ص: 95.

وقد أُدين أبوليناريوس في مجمع القسطنطينية (المجمع المسكوني الثاني) عام (381م)، لأنَّ رأي آباء هذا المجمع بأنَّ للسيد المسيح نفس إنسانية عاقلة لأنَّه جاء لخلاص البشر وليس لخلاص الحيوانات، وينبغي أن تكون إنسانية كاملة لكي يتم افتداء الطبيعة الإنسانية، وأنَّ الروح البشرية مثلها مثل الجسد في حاجة إلى الفداء وهي مسؤولة عن سقوط الإنسان، فبدون الروح البشرية العاقلة كيف يكون الإنسان مسؤولاً عن الخطيئة، ولهذا يجب أن يتخذها كلمة الله مع الجسد لأن مالم يتخذ لا يمكن أن يخلص¹. ويؤكد ذلك القديس غريغوريوس النريزي (329-390م) بعبارته المشهورة ضد أبوليناريوس: (لأنَّ مالم يتخذهُ الله الكلمة فإنَّه لم يعالجْهُ، ولكن ما تم توحيدُه بلاهوت فهذا يخلُص)².

ولقد كان المحرِّك الحقيقي للهرطقة المونوفيزيتية الراهب إوطاخي **Eutyche**، الذي كان رئيس دير أيوب بالقرب من القسطنطينية، ومقرباً جداً من الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الثاني الذي كان يجلُّه كثيراً، كما أنَّ الخصي خريسافوس ابنه في المعمودية يحترمه، ويستشيرُه في جميع المشاكل الإدارية الدينية.

يعتبر إوطاخي مؤيداً قوياً للجانب المصري، لأنَّه من أنصار الدفاع عن عقيدة الطبيعة الواحدة المتجسدة لكلمة الله التي علَّم بها القديس كيرلس الإسكندري، ولهذا واجه مقاومة ومعارضة من الأنطاكيين وهذا ما زاد من حدة التوتر³، ولكن إوطاخي أنكر أنَّ للسيد المسيح جسداً، وبلغه أهل اللاهوت المسيح ليس له ناسوتاً، وإنَّ شكل المسيح الجسدي ليس مثل إنسانيتنا، ولا من ذات جوهرها، فنأى بوجود طبيعتين قبل حلول اللاهوت في الجسد، أي قبل الاتحاد وصارت الطبيعتين واحدة بعد الاتحاد، يقول إوطاخي: (المسيح الكلمة الربَّ الإله، نزل من السماء بلا جسد، صار جسداً من ذات جسد العذراء دون أن يتغيَّر أو يتحول، بطريقةٍ هو نفسه يعلمها ويريدها، هو الإله الكامل قبل الدهور، هو بعينه صار إنساناً كاملاً لأجلنا ولأجل خلاصنا)⁴.

¹ - الانبا بيشوي. (2002)، بلورة الفكر المسيحي: مجمعا أفسس خلقيدونية السجلات الكريستولوجية في القرنين الرابع والخامس، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، بيروت، ص 193، 195.

² - McGuckin.J:(2001), Saint Gregory Of Nazianzus: An Intellect Al Biography, Grest Wood,P.12.

³ - رستم، (1988) ص 328.

⁴ - أيفاجريوس. (2019)، 9:1.

سقط إوطاخي في هرطقته المعروفة بإسمه (إنّ الطبيعة الإنسانية في السيّد المسيح امتزجت بالطبيعة الإلهية حتى تلاشت فيها، تلاشي نقطة خمر في بحر ماء) أثناء المواجهة مع النسطورية، أي أنّ العذراء ولدت الله فقط، المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومن هنا جاءت تسمية المونوفيزيتية، لأنّ عبارة (موني فيزيس) تعني طبيعة وحيدة وليست طبيعة واحدة التي تعني (ميافيزيس)¹.

انتشرت تعاليم إوطاخي في القسطنطينية وخارجها، نظراً لروابط الصداقة بينه وبين أصدقاء كيرلس الكبير، ونظراً لبراعة إوطاخي في وضع الخطط والمكايد من خلال التودد إلى أسقف هيميرية في منطقة الرها، لمواجهة إيبا الأسقف الرها، وتقرب من الناسك مار برصوم² ليشاغب به على دومنوس أسقف أنطاكية وثيودوريتوس أسقف قورش في سورية³، وقد عمد المجمع الذي انعقد في القسطنطينية عام (448م)، إلى صبّ اللعنة عليه، لكونه أعلن أنّ للمسيح طبيعتين قبل التجسد، ولكن ليس بعده، وأنّ العذراء مساوية لنا في الجوهر، ولكن ليس المسيح⁴.

ولكنه عاد وندم وقبله بطريرك الإسكندرية ديسقورس (444-454م) في مجمع أفسس الثاني عام (449م)، الذي كان برئاسته وبحضور عدد كبير من الأساقفة، عندما أكد إوطاخي أنّ إيمانه هو إيمان الآباء، ثم لعن جميع الهرطقات، وفي هذا المجمع احتج إوطاخي على قطعه وطلب إنصافه، وطُرح قضية إوطاخي للتصويت فقال باستقامة رأيه مئة وأربعة عشر أسقفًا، فأعلن المجمع أنّه مستقيم الرأي وأُعيد إلى مقامه ورئاسة دير⁵، ولكن في مجمع

¹- Samuel.V.C:(1977), The Council Of Chalcedon Re-Examined, Senate Of Serampore Colleage, Madras, India ,Pp.14-15.

²- ماربرصوم: دعي بهذا الاسم لكثرة صومه ونسكه، وُلِد في سميساط تقع على نهر الفرات ثم فر من والديه وترهب في مغارة بجانب النهر فاجتمع حوله كثيرون، وأخذوا عنه سيرة الرّهينة فصار لهم أباً، ونظراً لشهرته اختاره الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني أن يكون من آباء مجمع أفسس، ولقد دون سيرته تلميذه صموئيل وترك لنا مديح لهذا القديس (برصوم الذي صبر على كل التجارب مصلوباً أمام ربه خمسين سنة، كان يشبه عموداً من حديد لا ينفس ليلاً ولا نهاراً وكانت منحنية قدميه من الصباح حتى المساء....) انظر: ايسيدورس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، ص: 563 - 564.

³- رستم.(1988)، ص 328.

⁴- إيفاجريوس.(2019)، 9:1.

⁵- البليغ، زكريا.(2013)، التاريخ الكنسي، تر عن الأصل السرياني: بروكس وهملتون، تعر: بولا ساويروس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، 2: 3.

خَلْقِيْدُونِيَّة (المجمع المسكوني الرابع) عام (451م)، الذي حضره أكثر من (520) أسقفًا، أقر بحرمان إوطاخي ونفيه فتوفي بعد فترة¹.

هـ-العقيدة الملكانية (الخلقيدونية):

نشأت المسيحية أساساً في سورية والشرق، ومن ثم كان من نصيب الشرق ثلاث من أربع كراسي الأسقفية الرسولية، وهي الإسكندرية، أنطاكية، القدس، والكرسي الرابع كان بالغرب وهو كرسي روما، وفي القرن الرابع الميلادي أضيف إليهم كرسي خامس، وهو كرسي القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية، حدث في تاريخ المسيحية عامة وتاريخ الشرق خاصة تغيير رئيسي كان في مجمع خلقيدونية **Chalkedon** عام (451م)، بعدها أطلق السوريون والمصريون على أقرانهم الذين قبلوا عقيدة مجمع خلقيدونية لقب الملكانيين، أي الذين اتبعوا عقيدة الإمبراطور (الملك)²، ويتضح أنَّ لقب ملكاني أو ملكي نشأ في سياق شرقي، وتحديدًا بدأ في سورية ومصر لوصف المسيحيين المحليين الذين تبَّعوا عقيدة الدولة، أي أنَّ لقب ملكي يدلّ على المذهب، وليس على العرق³.

تمّ تبني هذه العقيدة في مجمع خلقيدونية (المجمع المسكوني الرابع) عام (451م) ويُقدر عدد الأساقفة المشاركين فيه حوالي (520) أسقف أو من يمثلهم، وسبب الاعتقاد مناقشة طبيعة السيد المسيح. وكانت النقطة الهامة والبارزة في مجمع خلقيدونية تدور حول الطبيعة الواحدة **Monophysite**، والطبيعتين **Diophysite**، وقد حرص المجمع على شجب تطرف نسطوريوس (أقنومين) وتطرف إوطاخي (خلط الطبيعتين)، واتفقوا على الإقرار بأنّه بعد التجسد كان المسيح شخصاً واحداً ذا طبيعتين بدون اختلاط أو تغيير أو تقسيم أو انفصال⁴. وفي هذا المجمع وجّه الانتباه

¹ - الأُنبا بيشوي. (2009)، ص 211-212.

² - Davias, Stephen: (2004), **The Early Copitc Papacy: The Egyptia Church And Its Patriarchs From St Mark To Pope Shenoud III**, Vol, Newyork ,P120.

³ - سعيد بن البطريق. (1909)، ص 12.

⁴ - إيسيدورس. (د-ت)، ص 531-532.

إلى كتاب طوموس لاون¹ (440-461م)، وركز على وضع بيان منقح للعقيدة في المسيح، وعملياً نجد أن العقيدة الملكانية (الخليدونية) مستمدة من كتاب طوموس لاون الذي أرسله بابا روما إلى فلافيان بطريرك القسطنطينية عام (449م)، وفيه تقريباً واضحاً بين الطبيعتين الناسوتية والإلهية في شخص السيد المسيح وهو ما تبناه مجمع خليدونية، وأيضاً من رسالة البطريرك كيرلس الإسكندري إلى نسطوريوس التي تعرف بالرسالة العقائدية وقد اعتمدها مجمع خليدونية².

وفي هذه الرسالة يشرح القديس كيرلس عملية الاتحاد بين الطبيعتين (إن يوضح أن عملية الاتحاد تمت بين اللاهوت والناسوت في لحظة الحبل المقدس بمعنى أن كلمة الله اتحد بالجنين الذي تكوّن في بطن العذراء مريم، والذي ولد من العذراء ليس إنساناً عادياً بل كلمة الله المتأنس، واستخدم القديس كيرلس التعبير المفضل له؛ وهو طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة، وقال بأنه لدينا طبيعة إنسانية اتحدت بالطبيعة الإلهية وكل منهما احتفظ بخصائصها، وهذا الاتحاد ظل بدون اختلاط أو امتزاج أو تغيير، وعلى الرغم من هذا الاتحاد القوي، فإن الكلمة تظل كلمة، والجسد يظل جسداً، ولذلك نقول للعذراء في التسبحة السلام لمعمل الاتحاد غير المدرك)³.

بالإضافة إلى خطاب يوحنا أسقف أنطاكية إلى كيرلس الإسكندري يتضمن الاعتراف بالإيمان: (نؤمن بأن السيد المسيح ابن الله الوحيد، هو إله تام، وإنسان تام من نفس ناطقة وجسد، وأنه قام به اتحاد طبيعتين، وأنه مسيح واحد وابن واحد ورب واحد، وأنّ البتول بحسب هذا الاتحاد العادم الاختلاط هي والدة الإله لأنّ الإله الكلمة تجسد

¹ - وُلِدَ الْقَدِّيسُ لَاوْنُ فِي مَنطَقَةِ تَوْسْكَانَةِ الْإِيطَالِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ، وَانْتَقَلَ إِلَى رُومَا مَعَ اسْرْتِهِ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْمِيلَادِيِّ، حَيْثُ لَعِبَ دَوْرًا فِي قَضَايَا الْكَنِيسَةِ الْعَقَائِدِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، رَسَمَ أَسْقَفًا عَلَى رُومَا عَامَ (440م) وَكَانَتْ أَسْقَفِيَّتُهُ حَاقِلَةً بِالْأَحْدَاثِ؛ فَهُوَ حَارِبُ الْبِدْعَةِ الْمَانَوِيَّةِ الَّتِي تَقُولُ بِثَنَائِيَةِ الْأُلُوهِيَةِ إِلَهَ الْخَيْرِ وَإِلَهَ الشَّرِّ، وَكَانَ لَهُ الْبِدْعِيَّةُ الْعَلِيَا فِي الْمَجْمَعِ الْمَسْكُونِيِّ الرَّابِعِ الَّذِي انْعَقَدَ فِي مَدِينَةِ خَلْقِيدُونِيَّةِ عَامَ (451م) لِلْمَزِيدِ حَوْلَ الْقَدِّيسِ لَاوْنِ انْظُرْ: تِيلُورْد. (1987)، أَسْقَفُ رُومَا، تَر جُورْجْ خَوَام، بِيْرُوت: الْمَكْتَبَةُ الْبُولْسِيَّة.

² - إِيْفَاغْرِيُوس. (2019)، 2: 4

³ - Mecuckin.J, (1994), Cyril Of Alexandria, Leyde-Brill ,P.22-23 .

وتَأْنَسُ مِنْهَا وَمِنْ بَدْءِ الْحَبْلِ اتَّحَدَ بِذَاتِهِ الْهَيْكَلُ الْمُؤَخَذُ مِنْهَا¹. يمكن الملاحظة من خلال ذلك أَنَّ العقيدة الملكانية (الخليدونية) اعتمدت على هذه المصادر الثلاثة.

فيما يلي الجزء الرئيسي من قانون الإيمان الخليدونى كما ينقله المؤرخ الكنسى إيفاجريوس:

(نحن نعترف تابعين الآباء القديسين، بابل واحد، ربنا يسوع المسيح، نعلن جميعاً بصوت واحد أَنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَامِلٌ فِي لَاهُوتِهِ، وَكَامِلٌ فِي نَاسُوتِهِ، فَهُوَ الْإِلَهُ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ إِنْسَانٌ لَهُ جَسَدٌ وَنَفْسٌ عَاقِلَةٌ، مَسَاوٍ لِلآبِ فِي الْجَوْهَرِ مِنْ جِهَةِ لَاهُوتِهِ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ مَسَاوٍ لَنَا فِي الْجَوْهَرِ مِنْ جِهَةِ نَاسُوتِهِ، وَيُشَبِّهُنَا فِي كُلِّ شَيْءٍ مَا عِدا الْخَطِيئَةَ، وَبَيْنَمَا هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ الْآبِ قَبْلَ الدَّهْرِ مِنْ جِهَةِ لَاهُوتِهِ، لَكِنَّهُ وَلِدٌ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ مِنْ مَرْيَمِ الْعَذْرَاءِ أُمِّ اللَّهِ، لِأَجْلِ خَلَاصِنَا فَهُوَ وَاحِدٌ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْإِبْنُ، الرَّبُّ، الْإِبْنُ الْوَحِيدُ، يَعْرِفُ فِي طَبِيعَتَيْنِ بَدُونَ اخْتِلَاطٍ أَوْ امْتِزَاجٍ أَوْ تَحَوُّلٍ بَدُونَ انفصالٍ أَوْ انقسامٍ، غَيْرَ أَنَّ الاختلافَ لَمْ يُلْغَ بِاتِّحَادِهِمَا، فَالْخَوَاصُ الْمُمَيِّزَةُ لِكُلِّ مِنْهُمَا احْتَفِظَتْ بِهَا فِي أَقْنُومٍ وَاحِدٍ، وَجَوْهَرٍ وَاحِدٍ، لَيْسَ كَأَنَّهُمَا انقسمَا إِلَى شَخْصَيْنِ أَوْ جُزْأَيْنِ، وَلَكِنْ نَفْسُ الْإِبْنِ، وَنَفْسُ الْوَاحِدِ، الْإِبْنُ الْوَحِيدُ الْكَلِمَةُ الْإِلَهِيَّةُ، الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، كَمَا أَعْلَنَ الْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ، كَمَا عَلَّمَنَا الْمَسِيحُ نَفْسَهُ بِالْتِمَامِ، وَقَانُونِ إِيْمَانِ الْآبَاءِ الْمُسْلِمِ لَنَا، وَحَيْثُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ قَدْ تَحَدَّدَتْ مِنَّا بِكُلِّ دَقَّةٍ وَاجْتِهَادٍ، فَقَدْ قَرَّرَ الْمَجْمَعُ الشَّامِلُ وَالْمُقَدَّسَ، أَنَّ أَيَّ شَخْصٍ لَيْسَ حَرّاً فِي أَنْ يَضَعَ إِيْمَاناً آخَرَ، سِوَاءً بِالْكِتَابَةِ أَوْ النَّصْحِ أَوْ تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ، وَأَنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ سَيَنْشُرُونَ أَوْ يَعْلَمُونَ إِيْمَاناً آخَرَ، أَوْ يَتَدَاوِلُونَ تَعْلِيماً آخَرَ، إِذَا كَانُوا أَسَاقِفَةً أَوْ كَهَنَةً فَلْيُعْزَلُوا الْأَسَاقِفَةُ مِنْ كِرَاسِيهِمْ، وَالْأَكَلِيرُوسُ مِنْ خِدْمَتِهِمُ الْكَهَنُوتِيَّةِ، وَإِذَا كَانُوا رَهَبَاناً أَوْ عِلْمَانِيَيْنَ فَلْيُحْرَمُوا)².

والجدير بالملاحظة أَنَّ (350) مندوباً وقَّعوا على هذه القرارات، وَأَنَّ الْكَثِيرِينَ تَغَيَّبُوا عَنْ عَمْدٍ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الإِصْرَارَ عَلَى الطَّبِيعَتَيْنِ أَمْرٌ غَيْرٌ مَقْبُولٌ لَدَى السُّورِيِّينَ وَالْمَصْرِيِّينَ لِأَنَّهُمْ يَتَمَسَّكُونَ بِإِيْمَانِ الْآبَاءِ (الإِيْمَانِ السَّلِيمِ):

¹- Mcenerrey. John, (1987), **The Fathers Of The Church**, S. Cyril Of Alexandria, Letters 1-50, Vol 76, The Catholic University Of America Press, Washington D.C ,Pp.144-146

²- إيفاجريوس. (2019): 2: 4

المولود من مريم هو الله المتجسد جوهر واحد، أقنوم واحد، طبيعة واحدة، طبيعة واحدة من طبيعتين؛ طبيعتين قبل الاتحاد ولكن بعد الاتحاد فلا شيء سوى طبيعة واحدة لها صفات الطبيعتين¹.

بعد قراءة صيغة الإيمان الخلقيدونية، زار الإمبراطور مركيانوس **Marcianus** (450-457م) خلقيدونية **Chalkedon** وحضر المجمع، وبعد أن ألقى كلمة عامة، صادق الإمبراطور على القرارات والقوانين وحلَّ المجمع المسكوني الرابع، حيث تقرر أيضاً أن يأخذ كرسي القسطنطينية المرتبة الثانية بعد كرسي روما، مركز الصدارة على سائر الكراسي الأخرى². ومن أسوأ النتائج التي تركها هذا المجمع شطره الكنيسة الجامعة إلى شطرين؛ الشطر الأول يتألف من السريان السوريين والأقباط المصريين الرافضين عقيدة مجمع خلقيدونية، والشطر الثاني من الذين قبلوا العقيدة الخلقيدونية وهم الروم الأرثوذكس واللاتين³.

وفي النهاية يمكن القول: إنَّ الخلاف بين الجانب الخلقيدوني والجانب اللاخلقيدوني حول طبيعة السيد المسيح خلافاً في الرأي واختلافاً في التعبير كلاهما يقول المسيح له طبيعتين:

- الجانب الخلقيدوني: في طبيعتين

- الجانب اللاخلقيدوني: من طبيعتين.

وكان هذا الخلاف وسيلة للتعبير عن الميول الوطنية لسكان مصر وسورية وعن رغبتهم في التحرر من السيطرة الرومانية وفي الانفصال عن جسد الإمبراطورية الرومانية، فقد ألغت كنيسة الإسكندرية استعمال اللغة اليونانية في طقوسها وشعائرها واستخدمت اللغة القبطية المصرية، وكذلك الكنيسة اليعقوبية في سورية، كما قامت الثورات في سورية ضد السلطات الرومانية التي حاولت فرض قرارات مجمع خلقيدونية على سكان هذه المقاطعات قسراً، وبذلك تحول الخلاف العقائدي إلى عداة قومي فأخذت الشعوب العربية المسيحية في مصر وسورية تسعى للتخلص من

¹ - إيسينورس. (د-ت)، ص 531-532.

² - إفاجريوس. (2019) 2: 4

³ - ميخائيل السرياني الكبير. (1996): **تاريخ مار ميخائيل الكبير**، ج 1، تر عن الأصل السرياني: مارغريغوريوس صليبا شمعون، متروبوليته حلب، ص 391-392 .

الاستعمار الروماني، مما سهل على العرب المسلمين فيما بعد تحرير هذه البلدان من السيطرة الرومانية، حيث استقبل سكان هذه البلدان أخوانهم العرب المسلمين كمنقذين ومحررين¹.

و-العقيدة اليعقوبية:

الجدير بالذكر في هذا الموضع، إنّ الخلقيدونيين هم من أطلقوا في المجمع المسكوني السابع عام (780م) في مدينة نيقية اسم اليعاقبة على أتباع كنيسة أنطاكية اللاخليدونية، وأيضاً لقب المونوفيزية، متهمينهم بالهرطقة وأتباع المطران يعقوب، ولإثبات أنّ يعقوب البرادعي هو مؤسس هذه الفرقة، وكانوا يصنفون اليعاقبة ضمن الهرطقة مثل الآريوسية والنسطورية². علماً أنّ أتباع الكنيسة السريانية الأرثوذكسية يرفضون هذه التسمية كلياً، ويؤكدون أنّهم فريق المؤمنين (**The Believing party**) الذين لهم نفس فكر مار كيرلس الإسكندري، والذين مع ساويروس الأنطاكي، والذين لهم نفس فكر ساويروس، والذين لم يوقعوا قرارات مجمع خلقيدونية، ويصّرون على تسميتهم سرياناً بدعوى إنّ تاريخهم الكنسي بدأ مع تأسيس بطرس الرسول لكرسي أنطاكية سنة (37م)، كما يرفضون نعت الكنيسة السريانية أيضاً بالمونوفيزية والإوطاخية³. وحول ماهية الاسم نرى أنّ الحقيقة موجودة في تاريخ يوحنا الأفسسي (507-586م) فهو عاصر هذه الأحداث وكتب عنها، ويذكر اختلاف يعقوب مع البطريرك بولس حول أمور داخلية متعلقة بكنيسة الإسكندرية، فاختلاف أبناء هذه الكنيسة بين مؤيد ليعقوب البرادعي ومؤيد للبطريرك بولس، إذ أنّ تسمية اليعاقبة جاءت من هذا الاختلاف، وليس بسبب نشاط وتنظيم الكنيسة بواسطة يعقوب⁴.

وتنسب هذه العقيدة إلى يعقوب البرادعي **Jacob Baradaeus** وهو راهب سوري ولد في بلدة تلا على مسافة (58كم) من الرها في أواخر القرن الخامس الميلادي، وكان ورعاً فترهب في صباه في دير بالقرب من الرها يعرف بدير الشقوق، وأتسم بحبه الشديد للعبادة والزهد، وتتلذذ على يد الأسقف سفيروس **Severus** (511-539م) أسقف

¹ - فرح، نعيم. (2009)، الحضارة البيزنطية، دمشق: منشورات جامعة دمشق، ص 50.

² - ساويروس، يعقوب توما. (1957)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، لبنان: بيروت، ص 5.

³ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 98،94.

⁴ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 211،213.

أنطاكية، فأُتقِن اللغات السريانية واليونانية وتعمق في علم اللاهوت والفلسفة، لقب بالبرادعي لأنَّه كان يطوف بلاد الشام وآسيا الصغرى وفارس وقبرص وهو متكرر بزى متسول، يلبس خرق البرادع¹. توجه إلى القسطنطينية سنة (540م) ليدافع عن الإيمان الأرثوذكسي المهدد بالزوال بسبب الاضطهادات الناجمة عن الخلاف العقائدي بين الخلقيدونيين والسريان الأرثوذكس، وتمكن من اللقاء مع الملكة ثيودورا² زوجة الإمبراطور جوستينيانوس (527-565م) والتي كانت تتعاطف مع اللاخلكيدونيين، لأصولها السريانية (منبج)، وتعمل ما بوسعها لإنقاذهم وحماية أساقفتهم المنفيين أو المسجونين في القسطنطينية³، فتم برعايتها رسم يعقوب البرادعي مطراناً عاماً للسريان على سورية وآسيا الصغرى سنة (543م)، بواسطة ثلاثة بطاركة معزولين وهم ثيودوسيوس الإسكندري وساويروس الأنطاكي وانيتموس القسطنطيني.

دأب البرادعي في مدة أسقفية (543-578م) على نشر العقيدة الأرثوذكسية ودعمها معرضاً نفسه لشتى أنواع المخاطر، فصار يرسم قساوسة وأساقفة، ويضم الشيع المتفرقة، ويوفق بين المتخاصمين، ويهدي كثيراً من أتباع إوطاخي إلى المعتقد القويم، وكان له الدور الحاسم في تنظيم المونوفيزية السورية ككنيسة قومية مستقلة لها مرتبتها الخاصة المنفصلة عن روما، وتعديل عن اللغة اليونانية وتلجأ إلى اللغة السريانية في وضع قوانينها وصوغ شعائرها، رغبة منه في مناهضة سلطة الإمبراطورية الرومانية والثقافة اليونانية.

هذه الكنيسة نسبت إليه تحت اسم الكنيسة اليعقوبية، وأقامت علاقات مذهبية مع الكنيسة القبطية ودعيت رسمياً باسم الكنيسة السريانية الأرثوذكسية مقرها حالياً دمشق، وسمي ذوها باليعاقبة أو السريان، وبهذا تمكن يعقوب البرادعي من إحياء الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، وتجديد بطريركية أنطاكية للأرثوذكسيين، وترأس مجمعين كرس لهم فيهما بطريركين أحدهما بعد الآخر بعد وفاة القديس ساويروس (456-535م) وهما سرجيوس وبولس، كما تمكن بمعاونة

¹ - يوحنا، منسي. (د-ت)، تاريخ الكنيسة القبطية، القاهرة : مكتبة المحبة، ص 373-374.

² - ثيودورا (527-548م) ابنة قسيس منبج السرياني الأرثوذكسي تزوجت عام (527م) من الإمبراطور جوستينيانوس تمكنت من إقناع زوجها بصحة إيمان الكنيسة الأنطاكية السريانية، وعملت على إيواء رجال الكنيسة السريانية والعطف عليهم، واهتمت برسامة مار يعقوب البرادعي مطراناً عاماً للسريان في سورية. انظر: ساكا، اسحق. (2002)، ص 240.

³ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 211، 213.

أساقفة الإسكندرية، وبنقوبيض البطريرك الإسكندري دوميان (570-610م) من رسم (27) أسقفاً ومئات القساوسة والشمامسة وثبت أبناء الكنائس اللاخليديونية على الإيمان الأرثوذكسي الذي أقرته المجامع المسكونية الأولى (نيقية 325م، القسطنطينية 381، أفسس 431)، ورفض قرارات مجمع خليديونية¹.

ذهب يعقوب إلى مصر للسعي في إعادة السلام بين كنائسها وكنائس سوريّة؛ وسبب ذلك أنّ يعقوب قد رسم بطريركاً أرثوذكسياً لأنطاكية يدعى بولس، ولكن بسبب الاضطهاد الذي لحق به؛ اضطر أن يوافق الخليديونيين، فاستاء منه يعقوب وأصدر قراراً بحرمة، بينما بولس قد غادر القسطنطينية بعد أنّ جاهر أمام الإمبراطور بأرثوذكسيّة وتاب عن زلته وأتى إلى يعقوب وضمه إلى عضوية الكنيسة، غير أنّ الكنيسة المصرية عابت على يعقوب قبول بولس، فحضر القديس يعقوب إلى مصر للمفاوضة في هذا الأمر، وترأس مجمّعاً عقد في الإسكندرية فسلم بعزل بولس على أن يبقى عضواً في الكنيسة، لأنّه تاب وأعلن عزله بواسطة ثلاثة أساقفة ثم عاد يعقوب إلى سوريّة². أما بولس فكان له أنصار عديدون، رفضوا قرار مجمع الإسكندرية بشأنه، وكاد الشقاق أن يستحفل، فعزم يعقوب على زيارة مصر ثانية أيام البطريرك دميان البطريرك (35)، لكنه أصيب بمرض في الطريق، فعرج على دير في مصر ولما بلغ البطريرك الإسكندري خبر مرضه، ذهب إليه ليزوره فوجده قد نتيج وكان ذلك سنة (587م)³.

وهكذا نجد أن ليعقوب البرادعي دوراً مهماً في المحافظة على الكنيسة السريانية ولولا هذا الدور الذي قام به الراهب يعقوب لانتهدت الكنيسة السريانية إلى الأبد، لذلك تعدّه جميع الكنائس اللاخليديونية قديساً وبطلاً حمى كنائسها في الفترات الصعبة من تاريخها.

¹ - يوحنا. (د-ت)، ص 274-373.

² - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 212، 207.

³ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 222.

2- المَجامعُ المَسكونِيَّةُ وموقفُ الرهبانِ منها:

بعد أن شعرت الكنيسة المسيحية بنشوب الخلاف بين رجالاتها، حاولت تنظيم السلطة الدينية للقضاء على كلِّ خلاف قد ينشب داخلها، وجرت العادة إلى عقد المَجامع المحلية والمَسكونية (العالمية)، لإثبات عقائد الإيمان القويم كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ووضع قوانين لحفظ النظام في الإدارة الكنيسة وتنظيم العلاقات بين الأسقفيات المتعددة، وبين أعضائها من رجال الإكليروس، وعوام المسيحيين فكانت أعمال المَجامع¹.

أول المَجامع كما يذكر سفر أعمال الرسل، مجمع اورشليم الذي عقد أيام الرسل من أجل النظر في حكم إلزام غير اليهود بالشرعية الموسوية، فقرر المجتمعون هناك أنَّهم لا يلزمون بالختان ولا الشرائع الموسوية، وإنَّما يلزمون فقط بالامتناع عن الذبح للأصنام والزنا وأكل المخنوق والدم².

ويعد مجمع نيقية المجمع المَسكوني الأول **council of Nicaea**، وكان بسبب بدعة آريوس، وفي هذا المجمع الذي انعقد (325م)، بدعوة من الإمبراطور قسطنطين (306-337م)³ تواجد وفد مصري وعلى رأسه البطريرك ألكسندروس والشماس أثناسيوس وعدد من الرُّهبان، أبرزهم الراهب بافنوتيوس **paphnutius** تلميذ القديس أنطونيوس (آب الرُّهبان)، الذي فقئت عينه اليمنى وتعرضت قدميه لإصابة، فأصبح أعرج في الاضطهاد الأخير⁴، يذكر المؤرخ الكنسي يوسابيوس إنَّ الإمبراطور قسطنطين كان يحرص على احتضان بافنوتيوس وتقبيله في مكان عينه المفقودة⁵، وقد شارك في أعمال وجلسات مجمع نيقية الراهب السوري يعقوب النصيبيني الناسك الورع المتوشح بجلد الماعز⁶. أيد الرُّهبان في سورية ومصر قرارات مجمع نيقية، كما أنهم ساندوا الكنيسة في زمن الاستشهاد وفي زمن هرطقة آريوس، كذلك كتبوا للإمبراطور ودعموا الكنيسة وقت نفي القديس أثناسيوس الرسولي (328-373م) ومن

¹ - عبدالله، محمد زايد. (2014)، **مصادر التاريخ البيزنطي**، القاهرة، مصر العربية للنشر والتوزيع، ص 121-122.

² - العهد الجديد، **سفر أعمال الرسل**، 15: 28-29.

³ - Dudley. D: **History Of The First Council Of Nice: A Word Christian Convention**, A.D, 325, Boston, Pp.29-120.

⁴ - أغناطيوس أفرام الأول برصوم. (1950)، **الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة**، حمص: مطبعة السلامة، ص 442.

⁵ - لوريير. (2013)، ص 250.

⁶ - رستم. (1988)، ص 200.

أبرزهم آب الرهبان القديس أنطونيوس¹، ومن أقواله: لا تدعوا حياتكم الوقتية تحرمكم من الأبدية، ولأجسادكم تبعدكم عن مملكة النور، ولا تهملوا خلاصكم، ولا كراسي الآثيم تفقدكم منازل الملكوت، ولا تتبعوا أنفسكم باختياركم للعدو الشرير، واطلبوا مجد السماء، واعملوا عمل القديسين².

تورد المصادر الكنسية مشاركة للرهبان السوريين في المجمع المسكوني الثاني (القسطنطينية) الذي انعقد بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (379-395م) سنة (381م) وبلغ عدد آباءه مئة وخمسين أسقفًا، برئاسة القديس ملاتيوس بطريرك أنطاكية (363-381م)، ممثلة بالراهب أكابيوس الذي اشتهر بحياته النسكية والرهبانية وكان صديقاً للقديس يوحنا فم الذهب، وأصبح أسقفًا على بيرييه (حلب)³، وفي هذا المجمع قرر الآباء مراسيم مجمع نيقية وأثبتوا دستور إيمانه، وأضافوا إليه قولهم: **(نؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد)**⁴ وأكد أنَّ الإيمان النيقوي هو الإيمان المستقيم وقانون الإمبراطورية.

بينما في المجمع المسكوني الثالث (أفسس الأول) الذي انعقد سنة (431م)، بدعوة من الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (416-450م) يتجلى في هذا المجمع مشاركة الرهبان بمرافقة الوفد المصري بزعامة كيرلس الإسكندري (412-444م) ومعه خمسين أسقفًا بخلاف الرهبان، كما أنَّ الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وجه دعوة إلى ماربرصوم كممثل رؤساء الأديرة المقدسة في سورية للمشاركة في جلسات وأعمال هذا المجمع، كان ماربرصوم غيوراً على العقيدة النيقوية، ومحرّضاً للرهبان على التمسك بالإيمان النيقوي، وإيمان المجامع المسكونية الثلاثة (نيقية-القسطنطينية، أفسس)⁵. هذا يقدم دليلاً على موافقة الرهبان السوريين وتأبيدهم لقرارات المجامع المسكونية الثلاثة من أجل التمسك بالإيمان السليم.

¹ - المسكين، متى. (دست)، القديس اثنا سيوس الرسولي (296-373م)، القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ص: 17.

² - أنطونيوس (1979)، الرسالة الخامسة.

³ - Quasten: Patrology, vol 3, P 481-482

⁴ - سوزومين. (1890)، 9:7

⁵ - Hefele.ch.j. (1972)، A History of the council the church, vol.2(A.D429), Edinburgh , pp. 340-373

بينما الرُّهْبَانُ النّسَاطِرَةُ الَّذِينَ سَانَدُوا نِسْطُورِيُوسَ لَجُؤًا إِلَى أَدِيَسَا (الرَّهْأ) حَيْثُ نَشَرُوا عَقِيدَتَهُمْ وَقَتًّا طَوِيلًا فِي مَدْرَسَتِهَا الَّتِي أَغْلَقَهَا الْإِمْبَرَاطُورُ زِينُون **Flavius Zeno** (474-491م) سَنَةَ (489م)، وَفِي عَهْدِ الْإِمْبَرَاطُورِ جُوسْتِنْيَانُوسَ (527-565م) تَجَدَّدَ نَشَاطُ هَؤُلَاءِ الرُّهْبَانِ النّسَاطِرَةِ، وَعَمِدَ الْمَجْمَعُ الْمَسْكُونِي الْخَامِسُ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَامَ (558م)، إِلَى إِدَانَةِ الْأَطْرُوحَاتِ النّسْطُورِيَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ فِي الْمَوْئَلَفِ الْمُسَمَّى الْفُصُولُ الثَّلَاثَةُ، إِلَّا أَنَّ الْعَقِيدَةَ النّسْطُورِيَّةَ وَجَدَتْ مَلْجَأً فِي بِلَادِ فَارَسَ ثُمَّ انْتَقَلَ الْإِيمَانُ النّسْطُورِي مِنْ بِلَادِ فَارَسَ إِلَى الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ¹.

بَيْنَمَا كَانَ مَوْقِفُ الرُّهْبَانِ السُّورِيِّينَ وَاضِحًا مِنْ مَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ (الْمَجْمَعُ الْمَسْكُونِي الرَّابِعُ) الَّذِي انْعَقَدَ عَامَ (451م)، بِدَعْوَةٍ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِ مَرْكِيَانِ (450-457م)، حَيْثُ رَفَضُوا قَرَارَاتِ هَذَا الْمَجْمَعِ مَتَمَسِّكِينَ بِإِيمَانِ الْمَجَامِعِ الْمَسْكُونِيَّةِ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ لِمَجْمَعِ خَلْقِيدُونِيَّةِ، وَبِتَجَلَّى الْمَوْقِفِ الرَّافِضِ لِهَذَا الْمَجْمَعِ بِزَعَامَةِ مَارِ بَرِصُومَ رَئِيسِ النُّسَاكِ²، وَقَدْ تَمَّ إِقْلَاعُ الْقَبْضِ عَلَيْهِ وَسَيْقُ إِلَى الْعَاصِمَةِ لِلْمَحَاكِمَةِ، فَصَاحَ الْإِمْبَرَاطُورُ مَرْكِيَانُ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا: أَلَا تَعْلَمُ بِأَنِّي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْفِيكَ إِلَى أَرْضٍ لَا مَاءَ فِيهَا؟ فَأَجَابَ الْقَدِّيسُ إِنْ رَبَّ الْيَنْبَاعِ سِيرَسَلُ مَطَرًا لِي مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَفْجُرُ لِي يَنْبُوعًا فِي الْأَرْضِ، فَهَلْ بِإِمْكَانِكَ أَنْ تُتَفَنِّينِي إِلَى حَيْثُ لَا يَوْجَدُ اللَّهُ؟ فَأَخَذَ الْإِمْبَرَاطُورُ يَتَوَعَّدُ بَرِصُومَ بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ، فَقَالَ بَرِصُومُ: يَا هَذَا إِنَّ أَبَاكَ وَسَيِّدَكَ ثِيُودُوسِيُوسَ كَانَا يَقْفَانِ لِي إِجْلَالًا وَأَنْتَ تَحَاكِمُنِي وَتَتَوَعَّدُنِي!

وَبَعْدَ ذَلِكَ فَكَّرَ الْإِمْبَرَاطُورُ فِي صَرْفِ الْقَدِّيسِ مِنْ سَجْنِهِ إِلَى دِيرِهِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْبِضَ مِنَ الْخَزِينَةِ مَا يَكْفِي حَاجَتِهِ وَحَاجَةَ رَهْبَانِهِ وَالْمَغَادِرَةِ، وَلَكِنَّهُ غَادَرَ الْعَاصِمَةَ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ شَيْئًا، وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ الْإِمْبَرَاطُورَةُ بَلْخَارِيَا قَائِلَةً: لَقَدْ أَرَدْنَاكَ أَبَا وَمُرْشَدًا لَنَا فَأَبَيْتَ، لِذَلِكَ أَمَرْنَا بِعَوْدَتِكَ إِلَى دِيرِكَ بِسَلَامٍ، فَلَا نَحْنُ نَأْتِي إِلَيْكَ وَلَا أَنْتَ تَأْتِي إِلَيْنَا، فَأَجَابَهَا أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ وَاثِقٌ بِأَنَّهَا سَتَغَادِرُ قَبْلَ وَصُولِهِ إِلَى دِيرِهِ، فَتَمَّتْ نُبُوءَتُهُ وَمَاتَتْ بَلْخَارِيَا قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى دِيرِهِ³.

¹ - ويلتر. (د-ت)، ص 94.

² - ابن العبري. (2012)، التاريخ الكنسي، دهورك: دار المشرق الثقافية، ص 42-43.

³ - ملطي، تادرس يعقوب. (٢٠١٧)، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، ح الباء، الآب القديس برصوما أب الرهبان السريان، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية.

وكان الرُّهبان السوريون يتمسكون بمار برصوم وإيمانه المستقيم، ومن أجل ذلك حرض الخلقيدونيون الإمبراطور على إرسال قوة عسكرية لإلقاء القبض عليه، متهمين برصوم بجمع الأموال وتأليب الشعب للتمرد على الإمبراطور، ولما سمع برصوم بذلك قال : ثقّني بالمسيح الذي أسجد له لن يكون لمركيان سلطاناً عليّ فلا يرى وجهي ولا أرى وجهه القدر، وأنّني واثق ومتأكد أن موتي سيستأصل مركيان، وقد تم ذلك فعلاً فبعد ثلاثة سنوات من وفاة القديس ماربرصوم¹. بينما كان موقف القديس سمعان العمودي (389-458م) واضحاً من قرارات مجمع خلقيدونية وبدعة ذوي الطبيعتين، فقد شايع الجانب الخلقيدوني أنّه قبلها، ولكنّ الرسالة التي أرسلها إلى الإمبراطور توضح عكس ذلك إذ جاء فيها: (بعد أن تسلمت رسائلكم كنت أتوقع أن يحدث تعديل وتصويب لأعمال مجمع خلقيدونية المحروم الذي عمل ضد كلمة الحقّ زوراً وبهتاناً، فتعكّر صفو كنيسة الله بأضاليل الهرطقة المحرومين، إنّني أطلب إلى جلالكم أن تحافظوا على إيمان القديسين في نقيّة الذي سلموه إلى كنيسته المقدسة دون غضن أو تغيير أو تبديل)². وعلاوة على ذلك أيضاً يتجلّى رفض الرّهبان لهذه القرارات الصّادرة من مجمع خلقيدونية، عندما خيروا أسقف أورشليم جوفيناليس العائد من خلقيدونية الموافقة على موقفهم من المجمع وبين الاستقالة والعزل، فرفض جوفيناليس فأحاط به الرّهبان من كل جانب وهددوه بالقتل، واغتالوا أسقف بيسان وفرّ جوفيناليس إلى القسطنطينية، فسام بعض الأساقفة المعارضين ثيودوسيوس الراهب أسقفاً على أورشليم³، واهتم الإمبراطور مركيان للأمر وأرسل القائد دورثيوس إلى فلسطين على رأس قوة عسكرية للقضاء على المعارضة وإيصال جوفيناليس إلى كرسيه في أورشليم، فقاوم ثيودوسيوس والرّهبان فكانت معركة بالقرب من نيابوليس (نابلس) سقط فيها عدد كبير من الرّهبان وفر ثيودوسيوس الراهب إلى سيناء⁴.

¹ - ابن العبري. (2012)، ص 44-45.

² - مار ميخائيل السرياني الكبير. (1996)، ص 361.

³ - زكريا البليغ. (2013)، 3: 3.

⁴ - زكريا البليغ. (2013)، 3: 5.

ويذكر (مار فيلكسينوس المنبجي)¹ بأن جميع الرهبان في سورية ثاروا ضد هذا الاضطهاد الذي تعرضوا له وحرّموا مجمع خلقيدونية، بل أنّ كثيرين منهم كتبوا هذا الحرّم على أبواب ديارهم المقدّسة².

رابعاً- الدولة والرهبان:

1-الامتيازات:

في عهد الإمبراطور قسطنطين دعا شريكه ليكينيوس Licinius حاكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية إلى اجتماع في مدينة ميلان سنة (313م)، إذ أقرّ شريكا الحكم مبدأ حرية العقيدة بكفالة هذه الحرية لجميع مواطني الإمبراطورية على حد سواء، وبموجب مرسوم ميلان هذا سمح للأفراد باعتراف المسيحية دون خشية التعرّض لأذى وملاحقة السلطات الحاكمة³ (عندما أتينا ميلانو، وتأمّلنا كلّ ما يجلب الصالح العام ورفاهية الجميع، اعتزمنا ابتداءً أن نصدر من الأوامر ما يعود بالخير على كلّ نفس، وفي سبيل ذلك يمنح المسيحيون وسائر النّاس الحرية في اتباع ما ترضاه من الديانة نفوسهم، وأن لا يحرم أيّ إنسان من حرية الاختيار في اتباع عقيدة المسيحيين أو اعتناق الديانة التي يراها متناغمة وهواه، حتى يتفضّل علينا الربّ بجميل نعمائه)⁴.

ثم أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير (306-337م) قانوناً في سنة (319م)، أعفى بموجبه الرهبان ورجال الإكليريوس من جميع الواجبات العامة المترتبة عليهم تجاه الدولة منها الضرائب والخدمة العسكرية، وجاء في نص هذا المرسوم: (يعفى الذين يسمون بالإكليريوس والرهبان إعفاءً كلياً من كافة الواجبات، حتى لا يتسنى لأي امرئ يريد انتهاك حرمة الدين أن ينتزعهم من خدمتهم الكهنوتية المقدّسة وممارسة الفضيلة والرهبنة)⁵. وقد كانت هذه

¹ - مار فيلكسينوس المنبجي من أعلام السريان ومفاخرهم وفرسان الكلام وكبار أئمة اللغة الذين يشار إليهم بالبنان له في علم اللاهوت مصنفان أولهما في التثليث والتجسد وثانيهما أن أقنوم من الثالوث تجسد وتألّم وكتب رسائل عديدة لاهوتية وتاريخية ونسكية، ولما تولى يوستينوس Justinus الحكم نفى الأساقفة الأرثوذكسيين في خريف (518م)، نفى فيلكسينوس إلى تراقيا أولاً ثم إلى غنغرة في بغلاغونية، وحبس في بيت يرقد فيه وسدت عليه النوافذ، فاخترق من كثرة الدخان وتوفي شهيد الإيمان سنة (523م) انظر: مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 2، ص 32.

² - إيسينورس. (د-ت)، ص 562-563.

³ - عبد الحميد. (2001)، ج2، ص 106.

⁴ - يوسابيوس. (1979)، 10: 5.

⁵ - يوسابيوس. (1979)، 10: 7.

الخطوة موفقةً وبارعةً تجاه رجال الكنيسة والرهبان من أجل صرفهم عن المشاركة في شؤون الدولة، وكف أيديهم بصورة لبقة عن التدخل في أمورها، وحثهم على نحو لا يدع مجالاً للشك أن ينصرفوا إلى ممارسة شعائهم وطقوسهم، لا يعوقهم عن توقيف ربهام عائق جراء انشغالهم بتلك الواجبات العامة. ولا بدَّ أنَّ الإمبراطور قسطنطين كان يدرك مدى الأثر الكبير الذي يمكن أن يتركه الرهبان في نفوس رعيته لتعزيد الحاكم أو التمرد على سطوته، ولذا أراد أن يكسب إلى صفه رجالاً ذوي نفوذ كبير في أنفس الجموع المسيحية لما يعلمه من أهمية هذه الفئة ومدى تأثيرها في المجتمع، فقسطنطين اعتبر المسيحية مسألة حيوية بالنسبة لكيان الإمبراطورية فقهراً واضطهادها لم يجرَّ على الإمبراطورية سوى الخراب والفوضى، وربط قسطنطين بين العطف على المسيحية والأخذ بيد اتباعها للصالح العام للدولة¹، هنا يوضح قسطنطين أنَّه مبعوث السماء إلى الأرض الذي اختاره الرب ليبعد دياجير الظلام وليضرب بيد العنف على كل من يقترب الشر وتؤيده في ذلك وترعاه يد الله². فقد أعاد الأمل إلى الكنيسة وأنعم عليها بالأموال وأوعز كذلك ببناء الكنائس ضارباً المثل بنفسه، كما أمر بكتابة عدة نسخ من الإنجيل وتوزيعها على الكنائس الجديدة ومنح رجال الدين المسيحي امتيازات أخرى³.

فكيف للكنيسة برجالها من الإكليروس والرهبان أن ترفع الرأس متمردة وثائرة عليه؟

وفي عهد الإمبراطور يوليانيوس المرتد Julianus (361-363م) حُرِمَ الرهبان من هذه الامتيازات بعد ارتداده عن الديانة المسيحية وأصدر مجموعة قرارات منها:

- ألغى إعفاء رجال الدين والرهبان من الضرائب.
- حرّم المناصب الحكومية على المسيحيين.
- منع الوصايا بالمال أو الأراضي للكنائس والأديرة⁴.

¹ - عبد الحميد. (2001)، ج2، ص 106-107.

² - يوسابيوس. (1979)، 10: 9

³ - سقراطيس. (1890)، 1: 2

⁴ - سوزومين. (1890)، 5: 15.

أما الإمبراطور فالنس الآريوسي Valens (364-378م)، نتيجة تدخل الرُّهبان في قضية خلف البطريرك أثناسيوس الرسولي بطريرك الاسكندرية (328-373م) أصدر قانوناً عام (375م)، بإكراه الرُّهبان على القيام بالخدمة العسكرية، وهب عمّاله في مصر والشرق يسوقون الرُّهبان والنُّسّاك تحت ضرب السياط وسفع الحديد، فسقط نتيجة لذلك عدد كبير من الرُّهبان¹. ونتيجة لتدخل الرُّهبان في الأمور المدنية أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (379-395م) على الرّغم من تقواه وورعه - قانوناً عام (390م) منع بموجبه الرُّهبان من الإقامة في المدن، وإجبارهم على البقاء في البراري الفسيحة، مع الابقاء على امتيازاتهم السابقة باستثناء التشفّع في الأحكام أمام السلطات الحاكمة². وهكذا نجد أنّ هذه الامتيازات التي منحت للرُّهبان من قبل السلطات الحاكمة كانت مرهونة بموقف الأباطرة من الرُّهبان، وتدخلاتهم في الحياة المدنية والدينية، فتارة تبقى هذه الامتيازات، وتارة أخرى يحرم منها الرُّهبان.

2- الرهبان والصراعات السياسية الدينية:

وبهذا الصّد يقول العلّامة ابن العبري³ (أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون) (1226-1268م) : (أما الحياة الحقيقية فهي التي يرضع الكاملون لبنها من ثدي العناية الإلهية مباشرة، ليس لمعلمي الناموس ولا لكتبهم فيها سوى الاسم والصّورة)⁴، وهنا يقصد أنّ الحياة الحقيقية هي الحياة الرُّهبانية، التي نشأت خارج نطاق الكنيسة، تعتبر قوة وراء الكنيسة. ولدينا العديد من الأمثلة المميزة التي تكشف ليس فقط الإخلاص الديني كما في عهد الإمبراطور يوليانيوس المرتد (361-363م)، بل أيضاً الإخلاص العقيدي كما في عهد الإمبراطور فالنس الآريوسي (-378م) وعهد الإمبراطور الخلقيدوني ماركيان (450-457م).

¹ - ثيودوريتوس. (دنت)، 4: 18-19.

² - رستم. (1988)، ص 295.

³ - ابن العبري لاهوتي وفيلسوف وعالم سرياني ولد عام (1226م) في مدينة ملاطية ولُقّب بابن العبري لأن جده أو والده قدم من قرية عبري على نهر الفرات، بينما يذهب البعض للاعتقاد بأنه عبراني (يهودي) الأصل. وضع ابن العبري الكثير من الكتب والمؤلفات معظمها باللغة السريانية منها كتب لاهوتية (مخزن الأسرار، منارة الأقداس)، وكتب تاريخية (تاريخ السرياني، التاريخ الكنسي) وكتب أخلاقية نسكية (الايثيقون، الحمامة). للمزيد انظر: الفغالي، بولس. **أبو الفرج ابن العبري حياته وآثاره**، منشورات جامعة بيروت، ص 13، 27.

⁴ - ابن العبري. (دنت)، **الحمامة**، تر أغناطيوس زكا الأول عيواص، طرابلس: المنشورات الجامعية، ص 60.

أ-الردة الوثنية:

وفي فترة حكم الإمبراطور يوليانيوس المرتد، حاول انعاش الوثنية وإزاحة المسيحية حيث اعتبر تعاليم السيد المسيح إثمًا هي تعاليم صادرة من قروي جاهل أمي مجرد من الحق والجمال، فقد كانت تعاليم ضعيفة وغير عملية، وإذا أخذت جدياً فإنها تدمر الأمة والمجتمع والأسرة¹، وأيضاً اعتقد أنَّ المسيحيين أدخلوا بدعاً ليست أصلاً في كتبهم المقدسة كتبجيل القديسين وصارت الآلهة الجديدة للشعب الروماني، إنهم مراؤون ومناقفون لأنهم يبشرون بإنجيل المحبة، ومع ذلك يضطهدون بعضهم البعض (الآريوسيون - الأرثوذكسيين)². أصدر الإمبراطور يوليانيوس مجموعة قوانين ضد الدين المسيحي منها:

- حظر المسيحيين من دراسة الشعر والبلاغة والفلسفة، والسبب في ذلك أنهم ينتفون الريش من أجنحتنا ويشهرون من ذات كتبنا الأسلحة ضدنا.
- كما طرد المسيحيين من الجيش.
- بالإضافة إلى ذلك اتخذ اجراءات عنيفة وقاسية ضد المسيحيين³.

فعندما احترق معبد أبوللو⁴ في أنطاكية، أغلق كنيسة أنطاكية العظمى، وأفنى فعلياً مدينة قيصرية مدمراً مبانيها ومشرداً سكانها، وحرص سكان مدينة بصرى Bostra على طرد أسقفهم طيطس⁵، وصادر أموال المسيحيين وأرضيهم في مدينة أديسا (الرها)⁶، وانتهز يوليانيوس كلَّ فرصة لتدمير الكنيسة فقد جرَّدها من كلِّ ملكية ونذور وأوانٍ

¹- Jackson.F.J.F,(1909), The History Of The Christian Church, London , Pp.351-374

²- Wand.J.W.C : A History of Early church , pp.167-173.

³- ثيودورتيوس.(د-ت)، 3: 4

⁴- أبوللو واحد من أقدم آلهة اليونان، ابن زيوس وليتو وشقيق أرتميس، هو إله الشمس والنور وحامي القطيع وحارس الطرق والمسافرين والملاحين، كما لُقِبَ بموساغيت أي رئيس رباب الشعر، كما يعتبر أبوللو إله الشفاء Apotropaiaos وإله التطهير وإله النبوءة، انتشرت عبادته في سورية حيث عبد في تدمر ودورا وأوروبوس وهيرابوليس وأنطاكية. انظر: النعمات.(2017)، ص 87

⁵- كان طيطس أسقفاً على بصرى في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، وقد طرده الإمبراطور يوليانيوس من منصبه لأسباب معينة، ثم شارك في مجمع انطاكية (363م)، توفي قبل مقتل الإمبراطور فالنس سنة (378م)، أما مؤلفه ضد المانويين لم يصلنا نصه الكامل سوى في ترجمة سريانية، وبعض شذرات من تفاسيره الكتابية حول إنجيل لوقا انظر: هيرونيمس.(2010)، ص 113-114.

⁶- Chadwick.H,The Early Church, London, pp.154-159.

مقدَّسة، وحكم على الرهبان الذين دمروا المعابد في عهد الإمبراطور قسطنطين وقسطنطين الثاني بإعادة بنائها أو بتزويد نفقات إعادة تشييدها، وعذب الكثيرين من الإكليروس والكهنة والرهبان، وأعاد الكهنة الذين حكم عليهم بالنفي من قبل الإمبراطور قسطنطين الأول والثاني، من أجل إثارة النزاع فيما بينهم، ولكي تتغمس الكنائس في الكراهية المتبادلة. سببت هذه الإجراءات والأعمال تجاه الديانة المسيحية والمسيحيين مقتاً من قبل الرهبان وكراهية كبيرة له¹ ويذكر المؤرخ الكنسي ثيودوريتوس Theodoretus في تاريخه نبوءة للقديس يوليانيوس الراهب عندما سمع تهديدات الطاغية الكافر، استمر في حماس في صلواته إلى الله من أجل الجميع، سمع في نفس اليوم الذي قتل فيه يوليانيوس وهو يصلي، رغم أن ديريه يبعد مسافة كبيرة عن الجيش الروماني، وبينما كان يصلي إلى الله ويتوسل بصراخ عالٍ، حبس دموعه فجأة وساده دهش مبهج، فقال: لقد نال الخنزير البري عدو كرم الرب القصاص على الأعمال التي ارتكبها ضده ومات². بالفعل قتل يوليانيوس المرتد سنة (363م)، أثناء حملة عسكرية ضد الفرس وكان عمره آنذاك (32) سنة³، وهناك روايتان عن لحظة موته إحداهما تقول: إنَّه نثر الدم من جرحه تجاه إله الشمس قائلاً (كن راضياً)، وتقول الأخرى: إنَّه بنفس الحركة صرخ (أيها الجليلي المسيح لقد انتصرت)⁴. لقد مات يوليانيوس بضربة سهم، البعض يقول من قبل أحد الرهبان، وآخرون من قبل أحد الجنود الذين لم يتحملوا المجاعة في البرية، والبعض يقول بواسطة كائن غير مرئي ولكن سواءً كان إنساناً أم ملاكاً ذلك الذي قهر الفولاذ، فأَنَّ فاعل هذا العمل بلا شك خادمٌ لإرادة الله⁵، والأرجح أنَّ فارساً مسيحياً من فرسانه رماه بهذا السهم للقضاء عليه والتخلص منه، بموت يوليانيوس خبت الديانة الوثنية، بينما عادت المسيحية لتكون الديانة الرسمية للدولة الرومانية.

الملاحظ أنَّ المؤرخ سوزومين يعطي تفسيراً دينياً لمقتل الإمبراطور يوليانيوس، لأنَّه اضطهد المسيحيين وتخلَّى عن الديانة المسيحية وسعى لأحياء الوثنية، فنال العقاب الإلهي على هذه الأعمال بحق المسيحيين.

¹ - سوزومين. (1890)، 5: 5

² - ثيودوريتوس. (د-ت)، 3: 19

³ - سوزومين. (1890)، 6: 2.

⁴ - ابن العبري. (2012)، ص 64.

⁵ - سوزومين. (1890)، 6: 1-2

ب-انتصار المسيحية والمذهب الأورثوذكسي النيقوي:

بعد مقتل الإمبراطور جوليانوس نادى الجند بجوليانوس إمبراطوراً فحكم بضعة أشهر، ومات فخلفه أخوان هما: فالنتينيانوس الأول إمبراطوراً على القسم الغربي (364-375 م)، وفالنس إمبراطوراً على القسم الشرقي (364-378م) وقد أيد فالنتينيانوس إمبراطور الغرب المذهب الأورثوذكسي النيقوي، بينما فالنس أيد المذهب الآريوسي¹. والسبب في ذلك تأثير زوجته الآريوسية، لذلك عمّده البطريك أودكسيوس بطريك القسطنطينية أحد أقطاب الآريوسية، وحمله عند تعميده على أن يقسم أن يؤيد العقيدة الآريوسية ويضطهد العقيدة الأرثوذكسية، وأهم أعمال هذا الإمبراطور ضد العقيدة الأرثوذكسية، أصدر في سنة (465م) أمراً يقضي بإبعاد الأساقفة الأورثوذكسيين الذي كان الإمبراطور كونستانتينوس قد أقصاهم عن مراكزهم ثم أعادهم جوليانوس إليها، كما أمر أيضا بطرد الأساقفة الأورثوذكسيين الآخرين من كنائسهم وبتسليم هذه الكنائس إلى أساقفة آريوسيين. فطرد من أنطاكية ملاتيوس العظيم، ومن ساموساطا يوسابيوس النقي، وحرّم اللادقية من أسقفها بيلاجيوس فقد طرده الإمبراطور فالنس إلى الولاية العربية، وملاتيوس إلى أرمينيا، ويوسابيوس إلى تراقيا². إضافة إلى هذا فقد تعرض بعض الأورثوذكسيين النيقويين للتعذيب والقتل. وجال فالنس كلّ أنحاء سورية، وهو يرتدي رداء الحرب ويغطي رأسه بعمامة، ورسم قسوساً وشماساً، وشغل الرتب الأخرى للكنيسة ممن يتفقون معه بالعقيدة الآريوسية، يعينهم في الكنائس الشاغرة³.

ولما ضيق الإمبراطور على الأرثوذكسية في كل مكان وقتل منهم خلقاً كثيراً وأمر قائد جنوده بأن يقتل (80) رجلاً كان إكليروس القسطنطينية أرسلهم وفداً يشكون إليه مما حل بهم من الإساءة، فأنزلهم القائد في مركب ولما بعد قليلاً عن البرّ أحرّقه بهم⁴. أمام هذا الاضطهاد الذي تعرض له المسيحيون من قبل الإمبراطور فالنس من أجل الانضمام

¹ - فرح. (2009)، ص45.

² - تراقيا : هي منطقة تاريخية وجغرافية تقع في جنوب شرق البلقان، تجاور تراقيا ثلاثة بحار: البحر الأسود وبحر أيجة وبحر مرمرة.

³ - ثيودوريتوس. (د-ت)، 4: 12

⁴ - أغناطيوس افرام الأول. (1950)، ص513 .

للجانب الآريوسي، خرج الراهب أفراهاط¹ يدافع عن الإيمان القويم، فأرى الإمبراطور فالنس هذا الراهب وصاح عليه إلى أين أنت ذاهب ؟ فأجاب بسرعة لكي أصلي من أجل امبراطوريتك، فقال الإمبراطور الأفضل لك أن تصلي في بيتك، وأن تصلي وحدك كراهب، فقال الرجل النقي نعم لقد كنت أفعل ذلك دوماً طالما كان قطيع مخلصنا في سلام، ولكن لما كان الآن في خطر عظيم من الوحوش، فأنا ملزم بعدم ترك أي وسيلة للحفاظ على الرضّع. قل لي يا سيدي إذا رأيت شرارة تسقط وتحرق منزل أبي، ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟ هل ستقول لي اجلس في الداخل ولا تهتم باحترق المنزل، وانتظر إلى أن تقترب النيران، أم تأمر بأن أترك مخدعي وأركض لجلب الماء وأحاول إطفاء النيران، بالطبع ستقول الأمر الثاني، وهذا هو ما أفعله الآن يا سيدي، فقد أشعلت النيران في بيت أبينا، وها نحن نركض جاهدين لإطفائها². وأيضاً كان هناك راهب يدعى يوليانوس المشهور بالفضيلة والحكمة، ادعى الجانب الآريوسي أنه من أنصارهم، فغادر الصحراء وتوجه إلى أنطاكية يكرز بالعقائد الحقيقية، وأنّ الحزب الآريوسي أعداء الحق³. وعندما كان الإمبراطور فالنس على وشك الرحيل إلى القسطنطينية تقدم إليه الراهب اسحق السوري وهو راهب ذو فضيلة عظيمة لا يخشى الخطر من أجل الله، وخاطب الإمبراطور يطلب منه إرجاع الكنائس لأولئك الذين يؤمنون بعقائد نيقية التي حرمتهم منها، يكون لك النصر فاستاء الإمبراطور من هذه الجرأة، وأمر باعتقال اسحق ووضعه بالسجن، إلى حين عودته لتقديمه للعدالة على تهوّره، فأجاب اسحق إنّك لن تعود إنّ لم تردّ الكنائس⁴. وبالفعل لم يعد فالنس

¹ - أفراهاط شخصية غامضة المعالم، لقب بالحكيم الفارسي، حكمته تتبع من الكتب المقدسة التي حفظها، وأورد نصوصها، واستعمل آياتها كبراهين يقنع بها الآخرين. لا نعرف الكثير عن حياة أفراهاط، وموضع أقامته وتاريخ وفاته. يذكر كاتب سيرته المؤرخ ثيودورتيوس أنه ولد في بلاد فارس وانتقل إلى ممارسة الفضيلة بجوار الرها بعد اعتناق الديانة المسيحية، ثم غادر الرها إلى أنطاكية المضطربة آنذاك بموجة عارمة من الهرطقة.

كتب أفراهاط المقالات باللغة السريانية؛ وعددها ثلاث وعشرين مقالة. يعدّ أفراهاط من أهم المتسكين، وكان يدعوهم إلى الكمال، والكمال يعني التواضع أما العنصر الأساسي في هذا الكمال فهو العفة والبتولية أنهما شرطٌ للمحبة ولسكنى الروح في النفس.

للمزيد انظر: أفراهاط (2007)، المقالات، تر بولس الفغالي، بيروت: دار المشرق، ص 8، 5.

² - ثيودورتيوس. (د-ت)، 4: 23.

³ - ثيودورتيوس. (د-ت)، 4: 23.

⁴ - سوزومين. (1890) 7: 23.

لأنه سقط في معركة أدريانوبل (378م)¹ حيث قتل فالنس وخسر جيشه أمام جيش من القوط بقيادة فريتجيرن الذي كان فالنس قد سمح له بالاستقرار في الأراضي الرومانية².

وفي عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير أعيد للمذهب الأورثوذكسي النيقوي اعنباره بفضل جهود ونشاط الرهبان السوريين، بينما عدّت الآريوسية هرطقة دينية وتعرض أتباعها للملاحقة والاضطهاد حتى كادوا يندثرون. فمنذ أن تسلم ثيودوسيوس دفة الحكم ساءه جداً أن يرى تأزم الخلافات الدينية في الداخل والإمبرطورية مهددة بالخطر الخارجي من مختلف الجهات. فأراد أن يوحد بين شعوب إمبرطوريته على عقيدة واحدة فاختر العقيده الأورثوذكسية النيقوية مذهباً رسمياً وحيداً لدولته. ففي سنة (380م) أصدر ثيودوسيوس الكبير براءة جاء فيها: على جميع شعوبنا أن تجتمع حول العقيدة التي نقلها بطرس الرسول إلى الرومان أي أن يعترفوا بالثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس. أما الذين لا يقولون بهذا القول فهم هرطقة موصومون بالعار وسينتقم الله منهم ونحن أيضاً بعده³. وفي سنة (381م) دعا الإمبرطور ثيودوسيوس الكبير إلى عقد مجمع ديني في القسطنطينية لتثبيت أسس العقيدة الأورثوذكسية النيقوية فحضره مئة وخمسين أسقفاً ودعي المجمع المسكوني الثاني. وقد أقر هذا المجمع دستور الإيمان الذي قد وضع في مجمع نيقية سنة (325م) وأضاف بعض الايضاحات فأصبح على الشكل الذي لا يزال عليه حتى الآن. كذلك حدد هذا المجمع مرتبة بطريرك القسطنطينية في المرتبة الثانية بعد بابا روما. هذا وقد أدان هذا المجمع المسكوني الهرطقة الآريوسية وغيرها من الهرطقات⁴.

¹ - أدريانوبل: في عام (378م) تحالفت القبائل الجرمانية والقبائل القوط التي استقرت ضمن أراضي الرومانية ضد الرومان، وفي هذه المعركة التي اندلعت بالقرب من أدريانوبل في مقاطعة تراقيا الرومانية (أدرنة) بين القوط والجيش الروماني، وانتهت بانتصار ساحق للقوط بقيادة فريتجيرن على الرومان، وسقوط الإمبراطور فالنس مقتولاً في هذه المعركة، وسبب الخسارة كان خطأ في الاستطلاع من قبل الرومان، حيث ظن فالنس أنَّ عدد المقاتلين القوط ليس بالعدد الكبير، ولقد استمرت هذه المعركة 7 ساعات، وسقط أكثر من (20) ألف قتيل روماني فيها، أدت هذه المعركة إلى أنَّ هناك فرصة لسيطرة على الأراضي الرومانية من قبل القوط، وهذا ما حصل فقد سيطروا على روما بعد مائة سنة.

AMMIAnus Marcellinus: The Roman History-(book 30:12).

² - سوزومين. (1890)، 7: 37.

³ - فرج. (2009)، 45- 46.

⁴ - سوزومين. (1890)، 9: 7.

ج-الاخلاص العقائدي الديني:

خلف الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني على العرش الإمبراطوري القائد العسكري ماركيانوس (450-457م)، فكتب بابا روما إلى الإمبراطور الجديد بضرورة عقد مجمع مسكوني للنظر في مشكلة الطبيعة الواحدة والطبيعتين. ووافق ماركيانوس على اقتراح البابا فدعا في سنة (451م) أساقفة الكنائس إلى عقد مجمع في مدينة خلقيدونية، فاشترك في أعمال هذا المجمع قرابة (630) شخصاً من الأساقفة والقساوسة وأعيان الدولة¹. وقد تقرر في مجمع خلقيدونية المجمع المسكوني الرابع إدانة مذهب الطبيعة الواحدة (المذهب المونوفيزيتي) والمذهب النسطوري أيضاً. مع عدهما هرطقة دينية وخروجاً عن العقيدة الصحيحة. وقد وضعت في هذا المجمع أسس العقيدة الأورثوكسية التي تعرف بمذهب الطبيعتين (أو المذهب الخلقيدوني لأنها وضعت في مجمع خلقيدونية) ويقوم هذا المذهب على الاعتراف بأن المسيح إله له صفات الإله، وإنسان له صفات الإنسان، أي المسيح طبيعتان: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية بلا اختلاط ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال، وهاتان الطبيعتان تؤولان كليهما شخصاً واحداً وأقنوماً واحداً لا مقسوم ولا مجزأ إلى شخصيتين. بل هو ابن وحيد واحد هو نفسه الله الكلمة الرب يسوع المسيح².

وكان الإمبراطور ماركيانوس قد وافق على قرارات مجمع خلقيدونية، وأدى ذلك إلى انقسام الكنيسة وانشقت صفوف المؤمنين، عندما تنكر مجمع خلقيدونية للإيمان مجمع نيقية، وعلى أثر ذلك أخذ الغيارى يتهربون من الاشتراك مع الأساقفة الهرطقة حيثما وجدوا، ويرسمون بدلاً منهم أساقفة أرثوذكسيين، فرسموا ثيودورتيوس الراهب بدلاً من جوفيناليس في أورشليم وفي الإسكندرية رسموا القديس ثيمثاوس بدلاً من فروتوريوس وهذا ما فعلوه في كل مكان، حتى الكراسي البسيطة³.

ونتيجة لهذه الرفض من قبل المؤمنين في سورية لمقررات مجمع خلقيدونية ولهذه العقيدة، أثار الإمبراطور ماركيان اضطهاداً عظيماً على الرافضين واستمر هذا الاضطهاد إلى نهاية عهد الإمبراطور يوستينوس (518 - 527 م)،

¹ - فرح. (2009)، 48-49.

² - إيفاجريوس. (2019)، 2؛ 4.

³ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج1، ص 391.

الذي ثار اضطهاداً عنيفاً على الأديار الكبيرة والصغيرة، وجميع ولايات سورية، وابتز أموالهم وكبل رهبانهم، وأذاقهم صنوف العذاب جوعاً وعطشاً وطرداً، وذلك بواسطة جنود برابرة قساة عاملوهم بلا رحمة، وأنزلوا العموديين من أعمدتهم، والحبساء من محابسهم، وشردوهم هنا وهناك، كل ذلك لأنهم ضد المجمع الخلقيدوني¹، ولما بلغ القديس ساويروس الأنطاكي (465-538م) بطريرك أنطاكية خبر اضطهاد الرهبان من أجل المعتقد الأرثوذكسي وهو في مصر منفي، كتب إليهم قائلاً: (أنتم أعمدة مدينة الربّ ومساندها، فإذا كنتم أنتم الأعمدة قد تزعزعت من أماكنكم، فأى شيء آخر نتوقعه سوى الضربة من الله، والبلايا الفادحة التي لا مفرّ منها)². وهكذا يمكن القول إن هؤلاء الأتقياء (الرهبان) عرفوا كيف يكيّفون أنفسهم تبعاً لكلّ مناسبة فمتى يبقون بلا نشاط وفي راحة ؟ ومتى يتركون الصحراء إلى المدن للدفاع عن الإيمان القويم ؟ وتحملوا كلّ صنوف العذاب والتكيل والقتل والتهجير من أجل كلمة الحقّ والدفاع عنها، ونالوا بكلّ جدارة واستحقاق لقب أعمدة مدينة الربّ.

¹ - مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج2، ص 56.

² - سويريوس، اسحق سكا. (د-ت)، السريان إيمان وحضارة، ماردين: منشورات دار الرها، ص 120.

خامساً- الرهبان والمناصب الكنسية:

كانت الرهبة في أول عهدها بعيدة عن الكهنوت، فالقديس هيلاريون رائد الحركة الرهبانية في سورية لم يكن كاهناً كذلك آباء الرهبة العظام أمثال هيزيكاس وأفرايم السرياني ويوليانوس سابا . مع تزايد عدد الرهبان الذين شكلوا جماعات رهبانية كبيرة في البرية الواحدة، وحاجتهم إلى صلاة القديس الألهي وإلى التحليل في سر التوبة، بدأت رسامة بعض القسوس فكان يوحنا فم الذهب قساً يهتم برعاية الرهبان. أما الأسقفية فكانوا بعيدين عنها والسبب في ذلك لأنها تبعدهم عن حياة الوحدة والصلاة والتأمل التي كانت تتميز بها الرهبة، وتقلهم إلى حياة الخدمة والخلطة مع الناس، ولما كانت تعرف قداسة راهب ما يأتون لكي يرسموه أسقفاً كان يهرب منهم¹.

بتطور الرهبة وجدَّ الأساقفة حلفاء جدداً في حملاتهم ضد الوثنية والهرطقة، وعلى أي حال فقد تحول هؤلاء الحلفاء بسرعة إلى منافسين على السلطة الكنسية، وسعى الأساقفة إلى السيطرة على الرهبان محققين نجاحاً محدوداً، وقد حقق قادة الكنيسة عبر تحفيزهم للرهبنة نتائج بعيدة الأثر فيما يخص الكنائس التي قادوها.

مع مرور الزمن أصبح اختيار الأساقفة يتم بشكل مضطرب من بين صفوف الرهبان²، ويظهر عدد قليل نسبياً من الرهبان أصبحوا أساقفة في أواخر القرن الرابع الميلادي ومنهم: باسيليوس الكبير وإيغناطيوس وثيودوريتوس القورشي الذين وصلوا إلى منصب أسقف بسبب سمعتهم وشهرتهم في ممارسة الرهبة، وأيضاً من الرهبان من وصل إلى رئيس أساقفة منهم : يوحنا فم الذهب، نسطوريوس.

¹ - سوزومين. (1890)، 3: 16

² - ريتشارد. (2012)، ص 246-247.

1- القديس إبيفانيوس Epiphanius (315-403م) :

ينتمي إبيفانيوس إلى الآباء الذين تتقفا بالثقافة الدينيَّة المسيحيَّة والكتابيَّة المحضة، والَّذين لا يعيرون العلوم الدنيويَّة الأهميَّة الكبيرة، والَّذين نالوا سرَّ العمداء في طفولتهم ونشأوا في كنف الأديرة. ولد عام (315 م) في قرية صغيرة بالقرب من **Eleutheropolis** (بيت كوفرين) القريبة من مدينة غزة في سورية الجنوبيَّة¹، هو من عائلة يهوديَّة متواضعة لذلك يعدُّ الوحيد من الآباء الكنيسة من أصل يهودي، اعتنق المسيحيَّة في سن (16)، ويعود السبب في اعتناقه المسيحية عندما حدث مرة وهو سائر في الطريق، أنه أبصر فقيراً يطلب صدقة فلم يهتم به، بينما شاهد أحد الرُّهبان يخلع ثوبه ويعطيه للفقير، وفي هذا الوقت رأى إبيفانيوس حلة بيضاء نزلت من السماء على هذا الرُّهاب عوض عن الثوب لأنَّه لم يملك غيره ، وتعجب من ذلك وانطلق إلى الرُّهاب وسأله عن إيمانه، فاعلمه أنَّه مسيحي ، وطلب إليه أن يرشده إلى حقائق هذا الدين فأجابه إلى طلبه، وأتى به إلى أسقف المدينة التي كانوا فيها، فعلمه ووعظه ثمَّ عمَّده². يذكر القديس جيروم **Hironimus** أنَّ إبيفانيوس نال المعرفة في سن مبكرة باللغة اليونانيَّة، والعبريَّة، والسريانيَّة، والقبطيَّة، وبعض اللاتينيَّة، لذا دعاه (صاحب خمسة أسنة)³.

وفي هذا الموضع لابدَّ من الإشارة أنَّ إبيفانيوس انجذب إلى حياة الرُّهبة من خلال القديس هيلاريون **Hilarion** (293-371م) (أب الرهبان السوريين ومؤسس الرُّهبة فيها)، فتتلمذ على يده وتتبَّأ عنه أنَّه سيصبح أسقفاً. كمؤيد قوي لهذه الفلسفة المسيحية زار مصر، وقضى فيها سنوات عديدة في أديرتها، ثمَّ عاد إلى سورية ، وأسس ديراً بالقرب من **Eleuthero polis** وتولى رئاسته لمدة تقارب الثلاثين عاماً واشتهر بمحبته للعلم وحياة الفضيلة والتقوى⁴. وفي عام (367 م) انتخب إبيفانيوس أسقفاً لمدينة سيلاميس **Salamis** عاصمة قبرص في تلك الفترة . تعكس حياته وكتاباتهِ بعد تولي مهامه الكنسية حماسة وغيره ملتزمة في الدفاع عن نقاوة وسلامة العقيدة الأرثوذكسية.

¹ - انطوان ، جورج. (1992)، القديس إبيفانيوس أسقف سلاميس، الاسكندرية: دار كنيسة مار مرقس، ص 10.

² - تادرس، يعقوب ملطي. (2017)، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، القديس أبيفانيوس، القاهرة : مشروع الكنوز القبطية .

³ - Jerom,adv, 2:22.

⁴ - Jerome, Adv, Rufin, 22:2

كان إبيفانيوس يرفض وبشدة التفسير الرمزي للكتاب المقدس، وهذا يفسر معارضته الشديدة لكتابات العلامة أوريجانوس الإسكندري (185-254م) يعدُّ أوريجانوس المسؤول عن الآريوسية، وأنَّ تفاسيره الرمزية هي جذر كل الهرطقات على حدِّ تعبيره، معتبراً الأوريجانية أخطر بدعة في الكنيسة¹. سافر إلى أورشليم عام (392 م) لمواجهة هذه البدعة. لأنَّها كانت موطن الغالبية العظمى من اتباع أوريجانوس، وفي حضور يوحنا أسقف أورشليم وحضور جموع كبيرة في كنيسة القبر المقدس، ألقى موعظة قويّة ضد تعاليم أوريجانوس. ونتيجة لهذه العظة غيّر جيروم الذي كان في البداية مدافعاً ومحباً له أرائه، وحاول أن يجعل يوحنا الأورشليمي يدين أوريجانوس، وعندما رفض يوحنا ذلك قطع إبيفانيوس شركته الكنسية معه². وبعد عودته من أورشليم إلى قبرص عقد مجمعاً هناك لإدانة الأوريجانية وأرسل قراراته إلى القسطنطينية من أجل أعلام يوحنا فم الذهب فيها. فيما بعد توجيه القديس إبيفانيوس إلى القسطنطينية بالرغم من كبر سنه، إذا كان يناهز الخامسة والثمانين، ليفند الآراء الأوريجانية ويقنع الرهبان الطوال المؤيدين لها، معتبراً ذلك شرفاً عظيماً أن يتحمّل مشاق ومتاعب السفر ليقضي على هذه الهرطقة ويقاومها³. ولا بدّ من التأكيد على أن القديس أبيفانيوس ترك مؤلفات عديدة كتبها من أجل الدفاع عن الإيمان السليم ومنها: الأتيوراتوس أو الإنسان ذو المرساة الثابتة : هذا المؤلف يحوي تعاليم الكنيسة عن الثالوث المقدس وعن التجسد الإلهي⁴. والبناريون (ضد الهرطقات): الذي وضّح فيه ثمانين هرطقة، ويُعدُّ البناريون المصدر الوحيد عن الهرطقات في الديانة المسيحية. وقد كتب إبيفانيوس ضد التفسير الرمزي للكتاب المقدس، لأنَّ في الرمزية يكمن أساس الهرطقة⁵. وفي عام (403 م) توفي القديس أبيفانيوس وهو في طريق العودة من القسطنطينية⁶.

¹- Williams F,(1987), The Panarion Of Epiphanius Of Salamis, Book I, Leiden – New York, Pp. 41-43

²- انطون .(1992)، ص11.

³- سقراتيس.(1890)، 6: 10.

⁴- Quasten. Johannes, (1986), Patrology, Vol III , P. 262

⁵- Ibid, P.164

⁶- سقراتيس.(1890)، 6: 14.

2- يوحنا فم الذهب Johannes Chrysostomos (347-407م):

ولد يوحنا في أنطاكية سنة (347م)، وكان أبوه سقونديس قائداً في الجيش الروماني في سورية، وأمه أنثوزا Anthus سيدة مسيحية تقية جداً، ترمّلت وهي في سنّ العشرين، ورفضت الزواج ثانية مكرّسة حياتها لتربية طفلها، لينشأ غصناً حياً وفعالاً في كرم الرب¹، وأثّرت أنثوزا كثيراً في حياة ابنها يوحنا، ولقد لمس جميع معارفها من مسيحيين ووثنيين ما فعلته هذه الأم من أجل تربية وتعليم ابنها، حتى نالت شهادة الخطيب الوثني ليبانيوس Libanius الذي قال عنها: (لله در النساء عند المسيحيين)². ولابدّ من التأكيد أنّ حياة يوحنا فم الذهب مرت بثلاث مراحل وهي كالتالي:

أ-مرحلة الدراسة والإعداد:

ترعرع يوحنا على مبادئ التقوى وروح الحقّ على يدي أمه، والتي اجتهدت في تثقيف عقله بالعلوم والمعارف، درس المنطق والبلاغة على يد الخطيب "ليبانيوس"، والفلسفة على يد "أندروغاثيوس" Androgathius³. ولعله من المفيد أنّ نؤكد أنّ يوحنا اهتم بالمحاماة ومارسها لمدة عامين، يرفع إلى القضاء دعاوي المظلومين والفقراء ببلاغة وفصاحة، حتّى صار يوحنا محط آمال الكثيرين يتوقعون له منصباً قضائياً في وقت قصير⁴. أما هو فأثّر تأثر بصديقه باسيليوس Basileus رفيق الصبا الذي كان يسلك حياة إنجيلية تقوية، الذي روى عنه يوحنا قائلاً: (مال الميزان بيننا، فعلت كفته وهبطت كفتي تحت ثقل شهوات هذا العالم، والأهواء التي ينغمس فيها الشباب). بدأ باسيليوس يستميله نحو حبّ الله، فانجذب يوحنا واشتاق لو كرس حياته للتعبّد ودراسة الكتاب المقدّس، فترك المحاماة وتلقفه الأسقف ملاتيوس Meletius (361-383م) أسقف أنطاكية، ودرس علم اللاهوت على يديه لمدة

¹ جيورجيو، فيرجيل. (2011)، القديس يوحنا فم الذهب، تعريب جبران الرملوي، منشورات تعاونية النور الأرثوذكسية، ص 8-9

² لوريمر. (2013)، ص 327.

³ مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج1، ص 164.

⁴ جيورجيو. (2013)، ص 9.

ثلاث سنوات ثم منحه سر العماد في سنة (369م)¹، وهو في حوالي الثلاثة والعشرين من عمره، وكان العماد بداية انطلاقاً روحية جادة، إذ يقول بلاديوس **Palladius** (363-430م) : (**أَنَّهُ مِنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ، لَمْ يَحْلَفْ قَطُّ وَلَا افْتَرَى عَلَى أَحَدٍ مَا، وَلَا نَطَقَ بِكَلِمَةٍ بَاطِلَةٍ، وَلَا سَبَّ وَلَا سَمَحَ بِأَيِّ مَزَاحٍ طَرِيفٍ**)، وقد انجذب ملاتيوس إلى جمال شخصيته وبلاغته وسمح له بمرافقته على الدوام، وأقامه قارئاً في كنيسة أنطاكية عام (370م)². فيما بعد حلت النعمة الإلهية على يوحنا، فوضع ميامر ومواعظ وفسر كتباً كثيرة وهو لا يزال شماس، ولا بدَّ من الإشارة أنَّ المؤرخ ليتزمان قد سجَّل أنَّ يوحنا ألقى: (**تسعين عظة على إنجيل متى، وخمسة وعشرين عظة على أعمال الرسل، واثنين وثلاثين عظة على رومية، وسبعاً وستين عظة على سفر التكوين، وتكلم عن تفسير إنجيل يوحنا بثمان وثمانين عظة**).³

وكانت جموع المستمعين تؤخذ بقوة كلماته، حتى أنَّهم كانوا يندفعون مصفقين منتشين إعجاباً بقوة تعليمه وبناءً على ذلك نال يوحنا لقب فم الذهب لإعجاب الناس بعلمه وفصاحته وبلاغته³.

ب- المرحلة الثانية: التَّسْكُّ والتَّعْبُدُ والرَّهْبَنَةُ:

جذبت حياة الرَّهْبَنَةِ وممارسة الفضيلة يوحنا من خلال صديقه باسيليوس الذي كان يحثه على الدوام أن يترك بيتهما ويسكن معاً ويلتحقاً بالدير، ولكن توسَّلات أمِّه الأرملة ودموعها أعاقته عن الالتحاق بالدير وقالت له: (لا تجعلني أترمل مرتين ببعذك عني)⁴، وتماشياً مع ما تمَّ ذكره فإنَّ ممارسة الرَّهْبَنَةِ في مفهوم يوحنا ليست مظهرًا، إنّما في جوهرها حياة داخلية لا يستطيع أن يمارسها في العالم حتى يشاء الله له ذلك، ومن هذا المنطلق حوَّلَ يوحنا بيت أمِّه إلى شبه قلاية لا بالاسم أو الشكل، ولكن فيه انعزال عن الاهتمامات الزمنية ليمارس وحدته مع الله ودراسة الكتاب المقدَّس، وقد عاش يوحنا فم الذهب ناسكاً يحبُّ الله ويهيم في التسبيح له ويكثر الصلاة، ويقلل الطعام

¹ - خوري، إيما غريب. (1994)، الأقمار الثلاثة، دمشق: منشورات دار النور، ص 158

² - خوري. (1994)، ص 159

³ - Lietzmann. H, (1960), A History Of The Early Church, Transl. By Bertram Lee Woolf, London , p. 312.

⁴ - جورجيو. (2013)، ص 16 - 17.

ويفترش الأرض وبنام القليل، ممارساً الفضيلة في بيته ليرتفع قلبه نحو أبيه السماوي¹. وبعد وفاة أمه أنثوزا، دخل الدير واستمر هناك يدرس ويتأمل لمدة ست سنوات، وكان وجوده في الدير سبباً في تقوية علاقاته مع ثيودور Theodore (350-428م) الذي كان رئيساً لجماعة رهبانية بجوار أنطاكية، ومعلماً لمدرسة أنطاكية، فاقبّس منه يوحنا منهجه الحرفي والتاريخي في تفسير الكتاب المقدّس، والذي أصبح من أنصار هذا التفسير فيما بعد².

يمتدح يوحنا الحياة الديرية أثناء تواجده في الدير بقوله: *(بالنسبة للقديس اللجوء إلى الدير هو هروب من الأرض إلى السماء)*، ويصف يوحنا الراهب في قلايته: *(كأنما يسكن عالماً آخر، هو في السماء بعينها، لا يتحدث إلا في السماوات)*، وأيضاً يسجل يوحنا فم الذهب أثناء وجوده بالدير مقالة جميلة عن حياة الرهبنة بعنوان مقارنة بين الملك والراهب: *(الملك يتحكم في مدن وجيوش وشعوب، أما الراهب فيتحكم في شهواته، الملك يحارب البرابرة للتوسع، أما الراهب فيحارب الشياطين ويرشد النفوس، الملك حياته ملانة آلاماً ومشكلات، أما الراهب فيعيش في فرح وسلام، الملك يهدي ذهباً، أما الراهب فيقدم نعمة وتعزية، الملك يصعب عليه استعادة إمبراطوريته إن فقدت، أما الراهب يسهل أن يقوم من سقطته)*³.

بالإضافة إلى ذلك يقدّم يوحنا مقارنة أخرى بين الراهب والعلماني، هو أنّ الراهب يتقيّد نذر العفة والفقر، وفي ما سوى ذلك يجري على الراهب والعلماني أن يكونا في خدمة الجماعة المسيحية، خدمة الصلاة والمثل الصالح والخدمة الرسولية⁴، وهكذا فالمهم في حياة الراهب أن يكون رسولاً، وأن يجمع ما بين الخدمة ورسالة الكلمة الإلهية (مهما صمت، ومهما اضطجعت على الحضيض، ومهما طعمت الرماد وذرفت الدموع، فإنك لا تكون قد قمت بشيء عظيم، إذا لم تكن مفيداً للغير)⁵. ولا بدّ من الإشارة أنّ يوحنا اضطر إلى ترك الدير بحلول سنة (380 م)، بعد أن

¹- خوري.(1994)، ص 159

²- لوريمر.(2013)، ص 327-328.

³-Frederic. A , (2010), The Royal Road – Severus Of Antioch And The Churches Of The East, Ifpo Press , Beriut , Pp. 512-518 .

⁴- فاخوري.(2001)، ص 625.

⁵- العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى تيطس، 9:6.

أَمْضَى سِتِّ سِنَوَاتٍ مِنْ حَيَاةِ الْفَضِيلَةِ وَالرَّهْبَنَةِ، وَيَعُودُ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ضَعْفُ صَحَّتِهِ نَتِيجَةً لِمَآرَسَاتِهِ التَّقْشِفِيَّةِ الْعَنِيفَةِ¹. وَيَتَحَدَّثُ الْقَدِّيسُ جِيرومُ لِحِظَةِ وَصُولِ يُوْحَنَّا مِنَ الدَّيْرِ إِلَى أَنْطَاكِيَّةٍ قَائِلاً: (بَدَأَ جَسَدُهُ هَزِيلاً نَحِيلاً ، وَكَأَنَّ عَظَامَهُ تَكَادُ تَتَعَلَّقُ بِبَعْضِهَا مِنْذَرَةً بِالْإِنْفِرَاطِ)، ثُمَّ قَرَّرَ يُوْحَنَّا الْإِنْفِرَاطَ بِالْعَمَلِ الْكَنْسِيِّ حَيْثُ أَصْبَحَ قَسّاً سَنَةَ (386م) بَيْدَ الْأَسْقَفِ فَلَافِيَانُوسَ (381-404م) أَسْقَفَ أَنْطَاكِيَّةِ².

ج- المرحلة الثالثة: يُوْحَنَّا فَمِ الذَّهَبِ أَسْقَفاً عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ:

بَلَغَتْ شَهْرَةُ يُوْحَنَّا فَمِ الذَّهَبِ الْآفَاقَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ، لِذَلِكَ اسْتَدْعَاهُ الْإِمْبَرَاطُورُ أَرْكَادِيُوسَ (395-408م) بِسُرْعَةٍ لَتَنْصِيْبِهِ رَئِيساً لَأَسَاقِفَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ بِنَاءً عَلَى إِجْمَاعِ الْكَهَنَةِ وَالْعُلَمَانِيِّينَ، وَلَكِي يَجْعَلَ السِّيَامَةَ أَكْثَرَ حَزْماً وَشَرْعِيَّةً؛ طَلَبَ حُضُورَ كَثِيرِينَ مِنَ الْأَسَاقِفَةِ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ ثِيُوفِيلُسُ **Theophilus** بطريرك الإسكندريَّةِ (385-412م)، فَاخْتِيرَ يُوْحَنَّا أَسْقَفاً عَلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ عَامَ (389 م) وَكَانَ ضِدَّ رَغْبَتِهِ³. بَعْدَمَا تَسَلَّمَ يُوْحَنَّا وَظَيْفَتَهُ الْكَنْسِيَّةَ لَاحِظَ أُمُوراً دَاخِلَ وَخَارِجَ الْكَنِيسَةِ لَمْ يَرْضَ عَنْهَا وَيُمْكِنُ تَوْضِيحُهَا بِالتَّالِي:

- كَانَ الْأَسَاقِفَةُ يَكْرُمُونَ وَفَادَةَ الْكَهَنَةِ وَالرُّهْبَانَ.

- كَمَا أَنَّ الْأَغْنِيَاءَ يُولَمُونَ لَهُمُ الْوَلَائِمُ فِي بَيْتِهِمْ.

- تَرْحِيبُ رَئِيسِ الْأَسَاقِفَةِ بِنِبْلَاءِ الْبَلَاطِ الْإِمْبَرَاطُورِيِّ.

وَلَكِنْ يُوْحَنَّا فَمِ الذَّهَبِ وَضَعَ حَدّاً لِهَذَا كُلِّهِ، وَأَمَرَ أَنْ يَعُودَ الْكَهَنَةُ إِلَى كُنَائِسِهِمْ، وَالرُّهْبَانُ إِلَى أَدِيرَتِهِمْ، وَبَدَأَ فِي اسْتِخْدَامِ الْأَمْوَالِ الَّتِي تُهْدَرُ فِي الْوَلَائِمِ الْبَاذِخَةِ لِلْعَنَآيَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمَرْضَى⁴، وَفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ انْتَقَدَ يُوْحَنَّا فَمِ الذَّهَبِ مِنْ مَنَبْرِ الْكَنِيسَةِ إِسْرَافَ الْأَغْنِيَاءِ، وَعُرُوضَ وَمُبَارِيَّاتِ الْوَحُوشِ الْمَفْتَرَسَةِ فِي الْمَلَاعِبِ، وَرِذَائِلِ الْبَلَاطِ، وَيَعُدُّ صَوْتَهُ الْوَحِيدَ لَكُنْهُ الصَّوْتُ الْقَوِيُّ الَّذِي ارْتَفَعَ مَحْتَجّاً وَمَدَافِعاً عَنِ الضَّعِيفِ ضِدَّ الظَّالِمِ، وَعَنِ الْفَقِيرِ ضِدَّ الْغَنِيِّ، وَعَنِ الْفَضِيلَةِ ضِدَّ

¹- لوريمر. (2013)، ص 328.

²- جورجيو. (2013)، ص 25-29.

³- سقراطيس. (1890)، 6: 2.

⁴- لوريمر. (2013)، ص 328.

الرزيلة، كما أنّ يوحنا حتّى الأغنياء وأصحاب الأراضي أن يبنوا الكنائس في مقاطعاتهم وهداية الناس إلى الحق¹. ويلاحظ أنّ أسلوب يوحنا في الحديث عن الإصلاح داخل الكنيسة وخارجها حاداً وصريحاً، وإذا رأى خطأ لا يخفف من لهجته حتّى قال عن نفسه: (إنّ قول الحقّ لم يدع لي صديقاً)². ونتج عن سياسة يوحنا الإصلاحية تشكّل حزب معارض له يتكون من شخصيات سياسية ودينية قوية، وسبب هذا الحزب المعادي له متاعب كثيرة ومشكلات كبيرة، انتهت إلى عزل ونفي يوحنا فم الذهب. وكان على رأس هذا الحزب المعادي له الإمبراطورة إيدوكسيا Eudoxia، زوجة الإمبراطور أركادايوس، استاءت منه بسبب الملاحظات التي أبداهها منتقداً طريقة حياتها المبذرة ولتوبيخه إياها علانية على فسادها النسائي³.

ومن ضمن الشخصيات الدينية المعارضة ليوحنا بطريرك الإسكندرية ثيوفيلس الذي أراد أن يحسم اختيار رئيس أساقفة القسطنطينية لصالحه، وقد أصرّ قبل ذلك على رسامة قسيسه وصاحبه ايسودورس⁴ للكرسي القسطنطينية ولم يفلح بذلك⁵، وبدأ يتهم يوحنا بالهرطقة الأوريجانية، وهذه كانت جزءاً من عملية يقودها إبيفانيوس أسقف سلاميس في قبرص (367-404م)، منتقداً الذين اتبعوا طريقة أوريجانوس الرمزية لتفسير الكتاب المقدس⁶، لم يكن يوحنا نفسه يستخدم مثل هذه الطريقة، ولكن ارتبط بها لأنّه كان يأوي أربع رهبان من مصر أطلق عليهم الرهبان الطوال وهم: (ديوسقورس - أمونيوس - يوسيبوس - أوثميوس) مشهورين بقداسته سيرتهم وسعة اطلاعهم، فروا من ثيوفيلس لاتهامهم بالأوريجانية. في القسطنطينية طلب إبيفانيوس من يوحنا فم الذهب أن يدين الأوريجانية ويوقع

¹ - جورجيو. (2013)، ص 60، 67.

² - أغناطيوس. (1950)، ص 555.

³ - تاريخ مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج 1، ص 164.

⁴ - أيسودورس الفرعي وُلِدَ عام (370م) في مدينة الإسكندرية، ينتمي أيسودورس إلى عائلة ثرية وشريفة، كانت تربطه مع الأسقفين ثيوفيلس وكيرلس صلة قرابة، قد تربى منذ حداثته تربية حسنة فنشأ عالماً بأصول الدين وباقي العلوم ولاسيما اللغة اليونانية، حتّى أنه اعتبر أحد آباء الكنيسة الجامعة وأحد علماء عصره، مارس حياة الزهد والرّهينة في جبل صغير قريب من مدينة بيلوسوس المدعوة الآن فرموس بأقليم الوجه البحري، كان عبارة عن حصن على حدود مصر الشمالية الغربية. يعدّ من المدافعين بجرأة عن القديس يوحنا فم الذهب أمام قريبه ثيوفيلس الإسكندري، هذه المدافعة هيّجت عليه أعداء يوحنا فم الذهب، فأتهموه معه بتهمة كثيرة تحمل بسببها اضطهادات قاسية، بعد وفاة الأسقف ثيوفيلس بذل مجهوده لدى خليفته الأسقف كيرلس الإسكندري ليوضح له سمو فضل القديس يوحنا فم الذهب وحمله أن يضع اسمه بين القديسين. للمزيد انظر: يوحنا، (د-ت)، ص 248-251.

⁵ - سوزومين. (1890)، 2: 8.

⁶ - سقرايتس. (1890)، 6: 10.

على القرارات المتعلقة فيها، ولمّا طلب يوحنا أرجاء هذه الأمور من إبيفانيوس قائلاً له: إنّه لا ينبغي التعجل قبل فحص الموضوع بواسطة مجمع عام، فما كان من إبيفانيوس أن أعلن أمام الشعب حرم كتب أوريجانوس والأخوة الطوال، واتهم يوحنا بتأييدهم.

وبناءً على ذلك ساءت العلاقة بينهما، إذ أرسل يوحنا رسالة إلى إبيفانيوس يحذره من شغب بين الشعب، وتعرض أنت نفسك للخطر، والسبب في توجيه هذه الرسالة قيام إبيفانيوس بأمور كثيرة ضد القوانين الكنسية منها:

▪ السيامة في كنائس تحت رعاية أسقف القسطنطينية، والخدمة فيها.

▪ رفض إبيفانيوس الإقامة مع يوحنا عندما وجّه الدعوة إليه.

ونتيجة لهذا التحذير من قبل يوحنا، غادر إبيفانيوس القسطنطينية عائداً إلى قبرص، ويذكر المؤرخ سقراطيس : (إن إبيفانيوس قال ليوحنا أرجو ألا تموت وأنت أسقف، فأجاب يوحنا على ذلك، لا تتوقع أنك ستصل إلى بلدك، وهذا ما تمّ على حدّ تعبير المؤرخ سقراطيس *Socrates* ، لأنّ إبيفانيوس لم يصل بالفعل إلى قبرص، إذ توفّي على ظهر السفينة خلال عودته، وبعد فترة وجيزة طرد يوحنا فم الذهب من كرسيه)¹. قرر بطريرك الإسكندرية ثيوفيلس² أنّ الوقت قد حان لمواجهة يوحنا ، لذلك سافر مع (28) من أساقفته إلى خلقيدونية، ظاهرياً ليدافع عن معاملته للرهبان الأربعة، ولكن عملياً ليهاجم رئيس أساقفة القسطنطينية يوحنا³، فدعا ثيوفيلس يوحنا إلى مجمع السنديانة الذي انعقد عام(403 م)، ولما رفض يوحنا وأساقفته الحضور إلى هذا المجمع، كان من السهل على ثيوفيلس أن يحصل

¹ - سقراطيس. (1890)، 6: 14

² - أخطأ البطريرك الإسكندري في قبوله دعوى الإمبراطور لعقد مجمع عاجل لمحكمة البطريرك القسطنطيني، فما كان يليق به أن ينتقم لنفسه بهذه الصورة المحزنة. لقد تسرع في ذلك، فجمع حوله الطاقات المضادة للبطريرك يوحنا، التي لا تعمل لأجل الحق، بل تحمل كل ضغينة وكرهية لهذا القدّيس. يقول المؤرخ بالاديوس: "جاء ثيوفيلس محملاً بأطياب مصر والهند أيضاً، محاولاً أن يعطي بالعطر رائحة جسده النتنة". فقد ظهر حقاً أن المشكلة لم تكن "حول كتابات أوريجانوس، ولكنها لدوافع شخصية! انتهت مشكلة "الأخوة الطوال" وعاد الرهبان مع البابا ثيوفيلس. لكن بعد أن لطح البابا تاريخه بهذا المجمع الذي دعاه بالاديوس "مجمع المتوحشين"، إذ صار ثيوفيلس أداة لتحقيق رغبات الإمبراطورة الشريرة، تجمع حولها طاقات معادية لروح الحق.

للمزيد انظر: فوتيوس بطريرك القسطنطينية. (2008)، مختصر مجمع السنديانة الذي حكم على القديس يوحنا فم الذهب، تر الأب جوزيف كميل جبارة، بيروت: دار المشرق.

³ - لوريمر. (2013)، ص 329.

على أصوات كافية في المجمع لعزله¹. يمكن لهذا القرار أن يصبح عديم الأثر، لو لم تحاول الإمبراطورة أيودوكسيا الغاضبة على يوحنا إقناع زوجها أركاديوس التصديق على قرار مجمع قصر البلوطة، وبسبب شهرة يوحنا فم الذهب الشعبية، أمكنه البقاء في مركزه بعض الوقت وحسب قوله: (كنيسة ظلت وفية لي، فرعوننا الحديث انتهى أن يأخذها مني، كما سبق أن أخذ فرعون القديم سارة، لكن المرة بقيت سارة ظاهرة الزناة تلبلت أفكارهم)²، فيما بعد أُدين يوحنا وحكم عليه بالنفي إلى مدينة بعيدة في آسيا الصغرى، والسبب في ذلك نقمة الإمبراطورة أيودوكسيا التي قدحها يوحنا في العظة الاحتفالية بالكنيسة التي تبدأ بهذه الكلمات: (ها هي هيروديا تهذي من جديد، وترقص ثانية وهي ولجة، وتطلب رأس يوحنا في طبق)³. مما لا شك فيه أن هذه العظة القاسية تجاه الإمبراطورة كانت رداً على إقامة تمثال لها في ساحة قريبة من كنيسة القسطنطينية، فكانت أصوات الطرب حول التمثال تختلط بأصوات المرتلين في الكنيسة ولذلك ندد فم الذهب بهذا العمل تنديداً قاسياً. ويعلق المؤرخ سقراطيس **Socrates** على ذلك بالقول: كان من الممكن والملائم، أن يتقدم يوحنا بالتماس إلى السلطات يحثهم فيه على عدم الاستمرار بالاحتفالات والألعاب، فإنه لم يفعل هذا، بل استخدم لغة حادة موبخاً أولئك الذين مارسوا هذه الأعمال⁴.

نفي القديس يوحنا فم الذهب هو في شيخوخته وسقمه عام (404 م) واستمر بمنفاه حتى وفاته عام (407 م) في مدينة كوماننا على البحر الأسود ودفن فيها⁵، وفي عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني حوالي سنة (438 م) نقل جسده من كوماننا إلى القسطنطينية باحتفال عظيم⁶.

ختاماً يمكن القول: إنَّ يوحنا فم الذهب كان خطيباً مفوَّهاً، بل أمير المنابر الذي لا يُجارى، ومفسراً لآيات الله، ولاهوتياً قديراً، وراهباً عظيماً، اعتنى بنشر أنوار المسيحية محاولاً الإصلاح داخل الكنيسة وخارجها.

¹ - سقراطيس. (1890)، 6: 15

² - لوريمر. (2013)، ص 329.

³ - سوزومين. (1890)، 6: 20

⁴ - سقراطيس. (1890)، 6: 18

⁵ - أغناطيوس أفرام الأول. (1950)، ص 556.

⁶ - سقراطيس. (1890)، 7: 45.

3- نسطوريوس (386-454م):

ولد نسطوريوس في ضواحي مرعش في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي عام (386م) من أبوين سوريين، درس اليونانية ومبادئ العلوم في مرعش، ثم انتقل منها إلى أنطاكية إذ تتلمذ على يد ثيودوروس الموبسوستي الفيلسوف العظيم، وأخذ عنه العلوم الدينية . نذر نفسه للحياة الرهبانية، وألتجأ إلى دير أوروبوس Euprepus بالقرب من أنطاكية، ثم سيم شماساً، ثم قساً في كنيسة أنطاكية، وكُلِّفَ بتفسير الأسفار المقدسة لتفوقه باللغة والأسلوب ولجمال صوته¹. اشتهر نسطوريوس في أنطاكية بفصاحته وقوة عظاته، ويؤكد المؤرخ سقراطيس أنَّ نسطوريوس كان متكبراً ومعجباً بنفسه، ولكن مع ذلك فإنَّ العديد من الناس قد أحبوا هذا الغيور الشجاع الذي حاول ما كان في وسعه لإزالة جميع أشكال الهرطقة في الكنيسة. ونتيجة هذه الغيرة على الإيمان القويم، وشهرة نسطوريوس في انطاكية، تمَّ اختياره بطريكاً على القسطنطينية عام(428-431م)، من قبل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (416-450م). وبعد تولى المنصب الكنسي نطق على الفور بكلماته المشهورة أمام الإمبراطور والشعب: (أعطني يا سيدي الأرض طاهرة من الهرطقة، أعطيك السماء مكافأة، ساعد في القضاء على الهرطقة، وأنا أساعدك في التغلب على الفارسيين)². ويعلق المؤرخ سقراطيس على هذه المقولة بقوله: لم يخفَ علينا خفة فكره وعنف مزاجه، والمجد الباطل الذي جعله يندفع في مثل هذا التصريح دون أن يعطي لنفسه أقل فتره من الزمن، فأظهر نفسه مضطهداً شرساً قبل أن يذق ماء المدينة طبقاً للقول السائر.

ويمكن تحديد الإصلاحات التي قام بها نسطوريوس بالتالي:

▪ هاجم تطرف الرهبان والإكليروس.

¹ - إيسينورس. (د-ت)، ص 423، 424.

² - سقراطيس. (1890)، 29:7.

▪ استطاع إرجاع الرهبان الذين يعملون ككُتّاب في القصر الإمبراطوري إلى صوامعهم ووضع لهم شروط خاصة.

▪ قام بحملة شعواء ضد بعض العادات والتقاليد المعروفة والمقبولة في العاصمة مثل حفلات المسارح والغناء والرقص والملاهي.

▪ تجريد الإمبراطورة بولخاريا من الصلاحيات الكنسية بعد أن كانت تديرها بنفسها وكامل حريتها¹.

وعلى الرغم من كل هذه الإصلاحات والأعمال التي قام بها نسطوريوس ومحاربة كل أشكال الهرطقة، تحول سريعاً وسقط في بدعته، حتى قال عنه المؤرخ ويلتر: (نسطوريوس حارب جميع الهرطقات ليمهد السبيل لهرطقته)². عندما صرّح بأن في المسيح طبيعتين وأقنومين، ولذلك فهو مسيحيان أحدهما ابن الله، والآخر ابن الإنسان، وأن مريم لم تلد إلهاً متجسداً، بل إنساناً مخلصاً هو يسوع المسيح، ثم حلّ فيه كلمة الله، لذلك لا يجوز أن تدعى مريم والدة الله، بل أم المسيح³، ولكن هذه التعاليم التي نادى بها نسطوريوس كانت مخالفة لإيمان الآباء الذين اجتمعوا في نيقية، فتصدت الكنيسة لهذه التعاليم بزعامة مار كيرلس الإسكندري، تمّ حرمان نسطوريوس في مجمع أفسس (المجمع المسكوني الثالث) عام (431م) ثم نُفي إلى البتراء أولاً ثم إلى الواحة الكبرى في صحراء ليبيا وبقي فيها حتى وفاته عام (454م)⁴.

¹– Hefele. C. J.(1972), History Of The Councils Of The Church Trans From The German In 5 Vols., And Ed By W.R.Clark, Edinburgh, P 573

²– ويلتر.(د-ت)، ص 92

³– سقراتيس.(1890)، 7: 37.

⁴– سقراتيس.(1890)، 35:7.

سادساً - الخاتمة:

وهكذا نجد أن الرَّهْبَةَ نشأت خارج الكنيسة، وصارت قوة مع الكنيسة وداخل الكنيسة، فهي ليست صلاة وصوماً وزهداً ونقشفاً أو سهرافحسب، وإنما هي عنصر مهم في الكنيسة، فقد جمعت بين روح الزهد والصَّوفية وصار الراهب في نظر الجماعة حامل رسالة سامية في نشر الديانة المسيحية والتبشير بالإنجيل، وكان للرهبان الدور المهم في القضاء على الوثنية في تلك الفترة.

اتخذت الرَّهْبَةُ مكانتها المرموقة واللائقة بها في الكنيسة، فاعترفت بها الكنيسة ولاسيما بعد الدور الذي قامت به في الصراعات الدينية من أجل الدفاع عن الإيمان القويم والمستقيم وقت ظهور الهرطقات في الكنيسة، لذلك رأت الكنيسة أن تكون قيادتها من الرهبان فانتخبت أساقفتها منهم؛ حيث كان التقليد أن يؤخذ المطارنة من الرهبان والبطاركة من المطارنة، مطارنة وكانوا يأخذون أحياناً من الرهبان، ولقد عاش هؤلاء الرؤساء الروحيون بعد وصولهم لرئاسة الكهنوت حياة الزهد والتقشف وكأنهم ما يزالون في صوامعهم؛ والأمثلة عديدة على ذلك يوحنا فم الذهب إبيفانيوس ويعقوب النصيبيني معلم مار أفرام السرياني الذي كان زاهداً وصوماً قواماً.

وهكذا ظهر فضل الرَّهْبَةِ على الكنيسة وارتبط ازدهار الكنيسة وتقدمها الروحي بازدهار الرهبنة؛ وتم بالفعل

ما قاله القديس أنثاسيوس الرسولي عام (373م) : (ضعف الكنيسة كلها من ضعف الرهبنة والقانون)

الفصل الرابع: نشوء الأديرة وتطورها وأنظمتها ومظاهرها الحضارية في سورية

أولاً-لمحة موجزة عن نشوء الأديرة :

ثانياً: بدايات الأديرة وانتشارها في سورية وتطورها :

1-بداياتها:

أ-الأماكن المتعلقة بإعدام الشهداء

ب - أماكن الرهبان والنسّاك المشهورين

ج - الجبال

2- انتشارها:

أ-الأديرة في الشمال السوري

ب-الأديرة في المنطقة الوسطى

ج-الأديرة في الجنوب السوري

3-تطورها:

أ-محتويات الدير

ب- الأنظمة والقوانين في الأديرة :

- قوانين مار رابولا أسقف الرها (412- 435م)

- قوانين دير مار متى

- قوانين المجامع المسكونية

ثالثاً- المظاهر الحضارية للرهبنة الديرية السورية :

1-المظهر الاجتماعي:

أ- الحياة الاجتماعية ضمن الدير

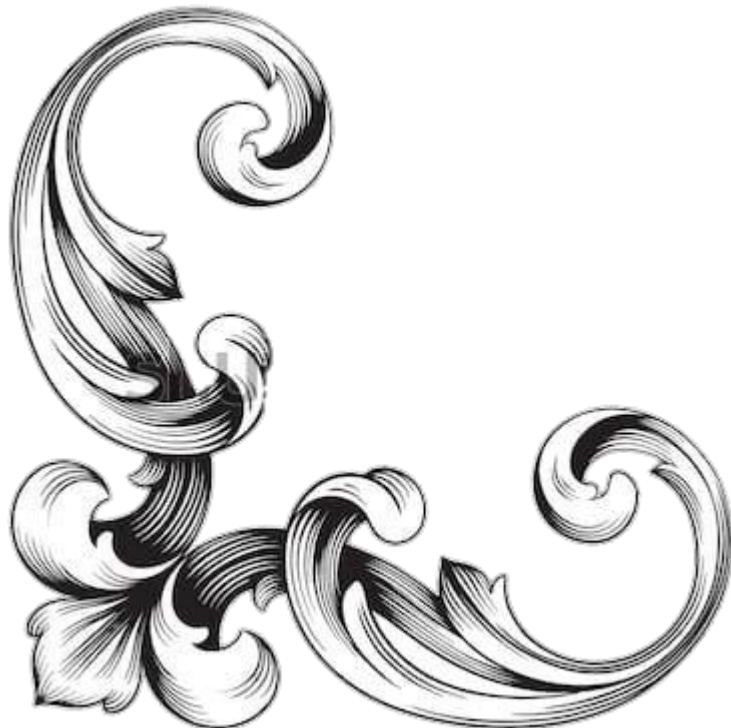
ب-أعمال اجتماعية متنوعة:

ج- حماية المدن :

د- دفن الموتى

هـ- الأسكيم الرهباني الديرية

2-المظهر الثقافي والعلمي :



أ- التعلِيم والمدارس الديرية :

ب- الأديرة مراكز ثقافية وعلمية :

ج- المكتبات وحفظ التراث :

- الكتب الدينية

- الكتب الدنيوية

- مصادر الكتب

3-المظهر الاقتصادي :

أ- العمل الزراعي :

ب- تربية الحيوانات والصيد:

ج- الصناعة:

- صناعة الخبز والغلال

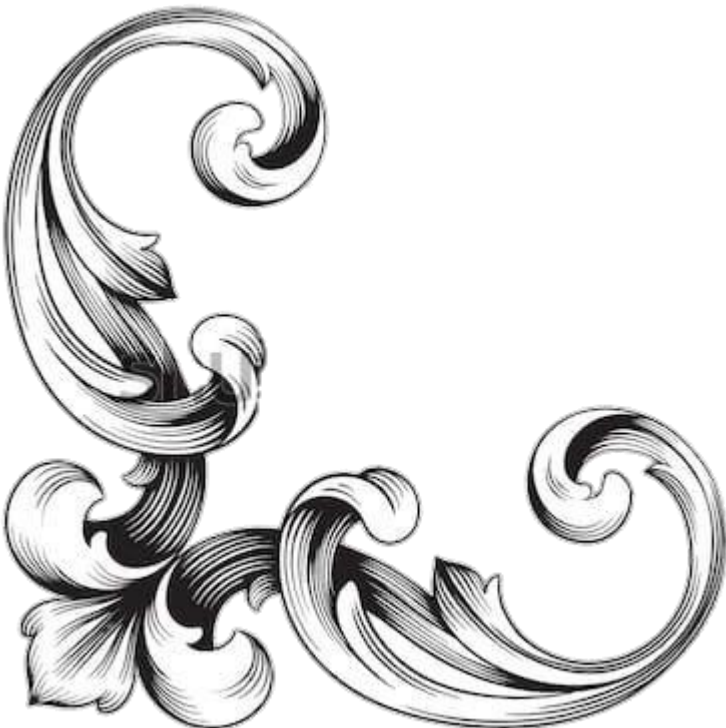
- صناعة الزيت

- صناعة النبيذ

- صناعة العقاقير العطور

- صناعات مختلفة

د- التجارة:



الفصل الرابع: نشوء الأديرة وتطورها وأنظمتها ومظاهرها الحضارية في سورية

أولاً-لمحة موجزة عن نشوء الأديرة :

تُعدّ الدّيرية ثالث الأدوار الكبرى وخاتمتها في تطور حياة الرّهْبنة في الديانة المسيحية التي اصطَلحوا على تسميتها بحياة الشركة، وللمرة الأولى في تاريخ الرّهْبنة نسمع عن أديرة منظمة ذات قوانين وضعية ونظم محبوكَة تخضع لها الجماعة كبيرها وصغيرها، وهذا الفصل الجديد في تطور التعاليم الرهبانية من أروع الفصول وأهمها في كل تاريخها السابق واللاحق سواء في مصر أم سورية أم الشرق أم الغرب بلا استثناء، وفي هذا الباب لا بدّ من التطرق إلى المؤسسين الأوائل لهذه الأديرة كمؤسسة لها قوانينها وتشريعاتها.

يجسد التقليد الباخومي أقدم شكل من أشكال الرّهْبنة الدّيرية الذي طوره الرّاهب باخوميوس (285-346م) في القرن الرابع الميلادي عام (318م)، فالقدّيس جيروم **Hironimus** ترجم القوانين الدّيرية الباخومية إلى

اللغة اللاتينية في عام (404م)، أي بعد نصف قرن من وفاة باخوميوس نفسه.

وفي هذا الموضوع يمكن تحديد أهم القوانين باخوميوس الدّيرية :

- يجب على الرّاهب معرفة القراءة والكتابة.
- التركيز على أهمية العمل اليدوي من أجل الإنفاق على الأخوية.
- إقامة قلالي يسكنها الرّهبان معاً.
- تناول الطعام في قاعة واحدة.
- لباس موحد لجميع الرّهبان يتضمن جلباباً بغير أكمان وحزام يشد أوساطهم ويجب وضع قلنسوة على الرأس¹.
- نظام صارم من حيث عدم وجود الملكية للرّهبان بغرض (الفقر الاختياري)، ومنع تنقل الرّهبان من مكان إلى الآخر.

¹- Thomas,J.(1998),**Byzantine Manstic foundation Document,Acomplet transition of the surving founders**, typika and testaments,vol,I, Harvard university, p.36-38.

▪ وفرض اختبار مدته سنة كاملة على الرهبان الجدد ليظهروا استعدادهم للعيش وفق هذه القوانين، وعدم الاستحمام وشرب النبيذ.

▪ تقسيم جماعة الرهبان إلى أربع وعشرين درجة أو مرتبة، بحسب تقدمهم في الحياة الروحية، ووضع هذه الجماعة تحت إدارة رئيس عام واحد (أرشمندريت) وكان هذا الرئيس هو باخوميوس نفسه.

في التشريعات الديرية الباخومية يمكن أن يلاحظ:

1-عدم وجود كراهية علنية للنساء.

2-انفتاح المجتمعات الديرية على الأولاد.

3-التواصل مع العالم الخارجي بشكل نسبي مع قبول السفر والزيارات كظواهر طبيعية للاتصال الاجتماعي¹.

أنشأ هذا القديس عدة أديرة حتى صار أباً لمئات من الرهبان، وقد ذكر القديس جيروم الذي كتب في عام (404م) أن عدد رهبان باخوميوس بلغوا أنذلك خمسين ألف راهب². وهو تقدير مبالغ فيه، وإن كان يدل من الناحية التاريخية على أن أتباع باخوميوس زادت أعدادهم زيادة هائلة بسرعة كبيرة.

المؤسسة الديرية الباخومية كبيرة ومعقدة من الناحية الهيكلية³، وقد قسم باخوميوس الإدارة إلى إدارة محلية لكل دير والحكومة المركزية لجميع الأديرة في كلا الحالتين كانت الطاعة المطلقة أساس الدستور، وذلك راجع بلا أدنى شك إلى تلك التعاليم التي اكتسبها باخوميوس وهو في سلك الجندية الرومانية.

كان لكل دير رئيس ولكل رئيس نائب يساعده في الإشراف على الأعمال اليومية العادية التي يطلبها الدير، يوجد في كل دير أمين يشرف على خزائن ومخازن الدير وللمكتبة خازن وكان من النساخ عادة، وهناك المعلمون والنجارون والبنائون والحدادون والمزارعون والناسخون والجمالون وغيرهم من الفئات التي تطلبها ظروف الحال في كل دير حسب المنطقة التي يكون فيها، ولكل من هذه الفئات رئيس يشرف على عملها تحت رعاية رئيس الدير أو نائبه.

¹-Thomas.(1998),p.37-39

²-Morrison.E.(1912),**Basil and His Rule** , London, Oxford University Press, P. 40.

³ -عطية.(1948)، ص 23.

وقد قرر باخوميوس أنّ الدير الذي يعتبر وحدة قائمة بذاتها لا يجب أن يكون في معزل عن الأديرة الأخرى، وهنا يبدأ نظام المركزية حيث أقيمت رئاسة واحدة لأديرة متعددة من قبل باخوميوس الذي أشرف على جميع الأديرة؛ ويكون الأشرف عن طريقين؛ الطريق الأول هو الزيارة من قبل باخوميوس للتفتيش عليها والعلم بدقائق أحوالها؛ والطريق الثاني مركزي يتلخص في عقد اجتماعين في كل سنة، ويحضر جميع الرهبان هذين الاجتماعين في الدير الرئيس في ببو pbau أو دير الرئاسة العليا إذا انتقل منه¹.

من دون أي شك فإنّ العالم المسيحي يدين بالفضل الأكبر في تأسيس الديرية على ذلك الوجه الإنساني للقديس باخوميوس، ولا شك أنّ الصلة الدائمة بين قديسي هذا العصر أسهمت في ازدهار الحركة الديرية وتطورها، ونحن نعلم أنّ القديس باسيليوس الكبير زار سورية ومصر لتفقد شؤون الرهبان والنساك فيها وعاد إلى بلاده كبادوكيا في سنة (359م)، فأنشأ هذا القديس الدير بعد الآخر حتى صار أباً لمئات من الرهبان ووضع قوانينه الكبرى والصغرى فعمت الشرق بأسره ومن خلال دراسة قوانينه يمكن تحديد أهم القواعد الديرية :

1- خضوع أفراد الدير خضوعاً تاماً لرئيسهم ومدير شؤونهم، بإصغاء هذا الرئيس إلى نصح الرهبان الشيوخ.

2- التركيز على العمل اليدوي المشترك لمصلحة الجميع.

3- الحفاظ على علاقات وثيقة مع الأديرة الأخرى.

4- إقامة علاقات مع المؤسسات الكنسية والمجتمع.

5- الاستعداد لاستقبال الأيتام من كلا الجنسين.

6- التركيز على مطالعة الكتاب المقدس والتأمل في محتوياته².

علاوة على ذلك يشرح القديس باسيليوس كل معاني ومشاكل الحياة الديرية ومن بنود هذه القوانين :

1- إنّ الرهبان يلتزمون أن يقوموا بكل الأعمال بأنفسهم فهم الذين يحرثون الأرض ويغرسون الأشجار ويحصدون القمح.

¹ - عطية. (1948)، ص 28-30.

² - Thomas. (1998), p.32.

2- يقوم الرهبان ببناء الأديرة والصوامع.

3- كل راهب يمتلك ثوباً واحداً وعباءة واحدة¹.

عند مقارنة التشريعات الباسيلية والمصرية يلاحظ تشابهاً فيما بينها، مما يدفع للاستنتاج أنَّ القديس باسيليوس كان على دراية ومعرفة جيدة بالتشريعات الدَّيرِيَّة الباخومية، ولكن نقطة الاختلاف أنَّ الدَّير الباسيلي لم يكن منعزلاً عن العالم بل هناك علاقات مع الأديرة الأخرى والكنيسة والمؤسسات المجتمعية المتنوعة وهذا الشيء لا يلاحظ وجوده في الأديرة الباخومية.

ثانياً: بدايات الأديرة وانتشارها في سورية وتطورها:

وفي سورية على وجه الخصوص ظهر الدَّير فيها في فترة سابقة للمرحلة الباخومية والباسيلية حيث كان الدَّير مكاناً مخصصاً لإقامة الرُّهبان والمتعبدين يقصده المؤمنون بهدف التبرك والصلاة وتقديم النذور. ولكن الدَّير كمؤسسة منظمة ظهرت في فترة لاحقة للتقاليد الباخومية والباسيلية، وقد اتبعت الوثائق التأسيسية للأديرة السورية العديد من الأعراف الباخومية والباسيلية ولاسيما في أمور الحياة اليومية، على الرغم من أنَّه نادراً ما يكون من الممكن تتبع النسب المباشر للنصوص الباخومية والباسيلية. فالأديرة كما يبدو من الأرجح أنَّها جزء من مرحلة لاحقة في تطور الرَّهْبَنَةِ المسيحية، لم تظهر الأديرة إلى الوجود إلا بعد عملية مدتها أطول أو أقصر يلاحظ أنَّ نمط هذا التطور يكاد يكون نمطياً. البداية كانت من خلال هيكل بناء راهب في كهفه أو زنزانته، تدريجياً جذبت شهرة هذا الزَّاهب وسعته الكبيرة محبِّي الرَّهْبَنَةِ أو الرُّهبان الآخرين، فأضافوا قلاياهم إلى هذا الهيكل، وبالتالي دفعوا التطور إلى الأمام، وتضمنت المرحلة الأخيرة الحكمة، أي يكون هذا الزَّاهب رئيساً على مجمل الرُّهبان فتم إنشاء الدَّير².

¹ -رستم، (1988)، ص 291

²- Voobus,A(1958).History of Asceticism in The syrain orient Acontribution to The Hsitory of culture in The Near EastI The Origin of Ascetism Early Monasticism in persia,Louvain.p.303.

1-بداياتها :

كانت البدايات الأولى لنشوء الأديرة في سورية عن طريق مار أوجينيوس الذي يعد رائد حياة الرّهْبَنَةُ الدّيرية في شمال سورية وبلاد الرافدين وبلاد فارس. ولد أوجينيوس بالقلزم قرب البحر الأحمر كان معاصراً للقديس أنطونيوس الكبير (251-365م)، كان عمل أوجينيوس استخراج اللآلئ الثمينة من قاع البحر، وبيعها والتصدق بأغلب أثمانها على الفقراء. استمر أوجينيوس بمهنته لمدة خمسة وعشرين سنة، وبعدها انجذب لحياة الرّهْبَنَةُ، فجاأ إلى أحد أديرة القديس باخوميوس **Pachomius** (285-346م) بالصعيد، وأقام بالدير لمدة قصيرة، ثم عاد إلى بلده بالقلزم، ومنها أنتقل إلى منطقة نصيبين **Nisibis** ومعه سبعين راهباً. سكن القديس مار أوجين في مغارة قرب نصيبين وحوله سكن تلاميذه، وتمكن من إنشاء ديراً في نفس الموضع، وأقام فيه لمدة ثلاثين عاماً، نتيجة شهرته تكاثر عدد رهبانه حتى بلغوا (350) راهباً، وكان أوجينيوس يعلمهم من الكتب المقدسة حياة الفضيلة والجهاد والعبادة.

تعرف مار أوجينيوس على القديس يعقوب النصيبيني (؟-338م) الذي صار أسقفاً على نصيبين وتربطه به علاقة صداقة ومودة، وكان يعقوب يستشيريه في تدبير أمور أبرشيته. ذاع صيت مار أوجينيوس ووهبه الله موهبة شفاء المرضى، حتى آمن كثير من الوثنيين على يديه بسبب هذه المعجزات، توفي أوجينيوس عام (363م) ودفن في ديريه على جبل الأزل المطل على نصيبين¹.

الحياة الدّيرية في سورية لم تستمد أصولها وجذورها من التقاليد المصرية التي نقلها القديس مار أوجينيوس إلى سورية فقط، بل من أصول محلية أيضاً أول دير في تاريخ سورية هو دير القديس أسيتريوس في بلدة جنداروس²، أسس هذا الدير تلميذ القديس يوليانوس سابا الذي ابتداءً يمارس الحياة الرّهْبَنَةُ عام (317م) في مغارة بجوار مدينة الرها وزار أنطاكية عام (365م)، من أجل الدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي. بينما كانت سورية الجنوبية تتأثر بالمدرسة الرّهْبانية المصرية، كانت سورية الشمالية تتبع خطأ مستقلاً ويبدو أن الخميرة أتت من الأوسروان (منطقة الرها) التي كانت

¹ -يفنوتوس السرياني. (1976)، **روحانية التسبحة**، القاهرة : مشروع الكنوز القبطية، ج5، ص 59-60.

² -تقع جنداريس على بعد ١٥ كم من بلدة عفرين وهي بلدة كبيرة من ضواحي أنطاكية وهي تقع في سهل العمق.

آنذاك مركزاً نشطاً للتنسك. وأنّ أقدم دير في إقليم أنطاكية هو دير جنداروس على الطريق المتجهة من الرها إلى أنطاكية أسسه في آخر أيام الإمبراطور قسطنطين الكبير **Constantinus** (306-337م) أسيتريوس تلميذ يوليانيوس سابا الناسك الأوسرواني الشهير¹.

فيما يتعلق بالأماكن التي اختيرت لبناء الأديرة في سورية يلاحظ ثلاثة أماكن وهي :

أ- الأماكن المتعلقة بإعدام الشهداء أو التي تحتوي على رفاتهم الأرضية:

وتعد هذه الأماكن أماكن مقدسة بشكل خاص، فقد جذبت هذه البقع انتباه المؤمنين وقد تم الاحتفال بهذه الأماكن ليس فقط من خلال الأعياد السنوية والأسواق، ولكن أيضاً من خلال الزيارات الخاصة للحجاج، والأكثر من ذلك أقيمت أديرة على هذه البقع المقدسة². ومثال على ذلك عندما قتل (مار باسوس)³ تم تأسيس دير في المكان الذي قتل فيه كانت المرحلة الأولى إنشاء مزار بدائي به رفات الشهداء، وفي المرحلة الثانية توسيع هذا المزار من خلال خطة ربط العبادة بالشهيد، حيث تمّ بناء بيت للصلاة هناك "هيكل" ووضعوا في وسطه حجراً مكتوباً عليه: (إنّ هذا هو المكان الذي توجت فيه معركة الشهداء). مثل هذا الهيكل الصغير الذي أقيم في أماكن كثيرة كان يحتاج إلى حراس وأوصياء لحماية عظام وبقايا القديسين وكذلك الآثار الثمينة، وهنا كان الرهبان هم الخدم الأكثر ملاءمة لهذا النوع من العمل، ومهمة الرهبان خدمة قبور الشهداء واستقبال أولئك الذين يتلقون الشفاء من زيارة القديسين. وأتاحت هذه الهيكله فرصاً كبيرة للتطور المستقبلي، بمجرد إضافة بعض الخلايا إلى هذه الهيكله تم إنشاء جنين للدير المستقبلي، إذ كانت العوامل مواتية فإنّ هذا الدير سيبدأ في النمو، عندما يتم إضافة مباني ضرورية لاحتياجات الرهبان من قلالي السكن

¹-Tchalenko,G.(1953),**Villages Antiques De La Syrie Du Nord**, Paris, II,p.147.

²- Voobus.(1958),p.298-299.

³ مار باسوس ومارت سوسان توأمان في الثانية عشر من العمر، يرتدي استشهادهما طابعاً أسطورياً متعدد الملامح ويتضمن أحداثاً يكتنفها الغموض، فإذا كان صحيحاً استشهادهما في عهد الملك شابور فينبغي تحديد تاريخهما قبل العام (379م). نشأ التوأمان باسوس وسوسان على دين والدهما الذي وُصف تارة أنه كاهن زردشتي وطوراً حاكم على التخوم الغربية للإمبراطورية الساسانية، تعلما المبادئ المسيحية من خلال عبد من منطقة أرزن ولكنه لم يمنحهما سر العماد إذ كان قد منح هذا السر المقدس من اختصاص الكهنة ومنحهما سر العماد الناسك لونيوني، وقد أمر والدهما أبو زرد أمير فيل وأرخ بقتلهما ؛ لأنهما لم يحتفلا معه بطوقسه الوثنية واحتفال انتصاراته على الروم. انظر: فييه.(2005)، ص 70-71

وكنيسة للصلاة ومخازن وغيرها¹. ومثال على هذا التطور أيضاً دير (مار جاورجيوس)² الذي كانت بدايته عبارة عن هيكل على سفوح مستوطنة جب نمرة البلدة الفينيقية الكبيرة التي تفصل منطقة صافيتا عن منطقة وادي النصارى، وبعد السماح بحرية الدين المسيحي انتقل هذا الهيكل إلى مكان أكثر دفئاً هو (المشتاية) سبب تسميتها هو دفء الطقس فيها وتم بناء دير صغير، ويقال إنّ القديسة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين قامت برفع الصليب المقدس خلال الاحتفال بتدشين الدير في موقعه الجديد، في عهد الإمبراطور الروماني جوستينيانوس أعاد بناء هذا الدير الذي تهدمت أقسام منه بسبب الزلازل والحروب، والدير الذي بناه جوستينيانوس أكبر من الدير القديم بكثير³.

ب- أماكن الرهبان والنسّاك المشهورين :

علاوة على الأديرة المرتبطة بعبادة الشهداء، هناك أديرة ظهرت في الأماكن التي قضى بها الزاهدون والرهبان المشهورون حياتهم، ربما كان تفضيل هذه الأماكن الأكثر شيوعاً لبناء الأديرة في سورية، أنّ التدريبات الروحية والجسدية لهؤلاء الأشخاص في هذه الأماكن جعلتها مناسبة تماماً لبناء أديرة، وقد تمّ تكريسها بواسطة نور سماوي يحيط بها وتمّ فهم ذلك على أنّه أحد أعراض وجود روح القدس⁴.

وخير دليل على ذلك دير القديس سيمان وينسب إلى الإمبراطور زينون **Flavius zenos** (474-491م) بداية العمل في بناء هذا الدير عام (476م)، أما بالنسبة إلى انتهاء بناء هذا الدير حسب رأي الباحث الاثري " تشالينكو" يعود لعام (490م)، ولا شك أنّ الأعمال كانت توجه مباشرة من قبل الإمبراطور بالذات، ليتم إنهاء هذا البناء الضخم خلال (15) عاماً، وقد تمّ إحضار عدد كبير من العمال الاختصاصيين من جميع الولايات الشرقية، بالإضافة إلى

¹- Voobus.(1958),p.301-302.

² مار جاورجيوس: وُلد في كبادوكيا، كان والده أناسطاسيوس والياً على Melitene بكبادوكيا، هو من أسرة مسيحية تقيّة، تعلم الفروسيّة وانخرط في سلك الجندية وأصبح قائداً ومديراً في الجيش الروماني ونال إعجاب الإمبراطور ديوكليتيانوس وتقديره وكان عمره عشرون عاماً، تزعم مار جاورجيوس حركة الثورة ضد اضطهاد المسيحيين في منطقة كبادوكيا، واعتقل وقدم للإمبراطور الذي طلب منه التخلي عن المسيحية والعودة للوثنية لكنه رفض رفضاً قاطعاً رغم كل الإغراءات التي قدمها له الإمبراطور، فتعرض نتيجة هذا الرفض للتعذيب الشديد فقد مات ثلاث مرات وكان الرب يقيمه ليتمجد فيه حتى استشهد في المرة الرابعة، كما كان ينعم برؤى سماوية وسط الآلام تسنده وتعينه.

للمزيد انظر: ملطي.(2017)، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض شخصيات كنسية، مادة مار جاورجيوس.

³- Monasteries Of The Antiochian Orthodox Patriarchate,Balamand University,P.122.

⁴- Voobus.(1958),p: 303

الأيدي العاملة المحلية الذين يعملون في البناء تحت إشراف الدولة الرومانية، وتعرض هذا الدير للاحتراق ودمر كلياً بعد وفاة الإمبراطورة ثيودورا زوجة الإمبراطور جوستينيانوس¹.

وهناك أيضاً آثار مثيرة للاهتمام تدل على أنَّ الرُّهْبَان هم أنفسهم حفزوا أفكار المؤمنين في هذا الاتجاه؟ من أجل إنشاء أديرة يمكن أن تستمر فيها خدمة الله وتسبحه بشكل صحيح في هذا المكان الذي كرسه الرّاهب مسبقاً لهذا الغرض، حول ذلك نذكر وصية الرّاهب مار يوليانوس التي تعبر عن ملاحظة مهمة: (**لَأَنِّي فِي هَذَا اللَّيْلِ أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِلْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ أَسْأَلُكَ إِذَا أَنَّهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي أَسْكُنُ فِيهِ يُمْكِنُكَ أَنْ تَبْنِيَ دَيْرًا وَمَنْبَحًا فِيهِ،** حيث يتم **الإشادة باسم الله باستمرار**)². في ضوء ذلك يصبح مفهوماً أنَّ الأماكن التي عاش فيها أناس ذائعي الصيت، أصبحت أكثر مناسبة لإقامة الأديرة، حيث أقيم هيكل في المكان الذي سمي على اسم الرّاهب، وتحول هذا الهيكل تدريجياً إلى دير من قبل الرُّهْبَان، وهناك أمثلة كثيرة حول ذلك في سورية .

ج- الجبال :

جذبت الجبال انتباه مؤسسي الأديرة، وتؤكد البقايا الأثرية عن مدى الاحتياجات والحسابات الحكيمة التي أخذت بعين الاعتبار من قبل مؤسسي هذه الأديرة عن الموقع، الذي يقدم أفضل أنواع الحماية واختياره ديراً³. وخير مثال حول ذلك هو إنشاء دير (القديس مار موسى الحبشي)⁴، ويعدُّ هذا الدير من أكثر الأماكن الروحية المقدسة ومن أشهر الأديرة في العالم ويقع في ريف دمشق بالقرب من مدينة النبك بريف دمشق، يقع على قمة جبل صخري ويوجد طريق

¹ مار ميخائيل الكبير. (1996)، ج2، ص131

² Voobus.(1958),p.304.

³ Voobus.(1958),p.306.

⁴ يذكر التاريخ الكنسي شخصين باسم مار موسى الحبشي، كان أحدهما رئيس عصابة لصصوص وتاب وترهب في مصر، وأما الآخر فهو من قديسي أواخر القرن السادس الميلادي، وكان من سلالة ملوك الحبشة ترك البلاط الملكي، وزهد بالدنيا وليس الأسكيم الرُّهْبَانِي، وقصد سورية وتتسك في دير سرياني أرثوذكسي شيد في أوائل القرن السادس الميلادي بجوار النبك، وسمي باسمه وذلك أنَّه نال إكليل الشهادة على يد الإمبراطور هرقل Emperor Heraclius أحد أباطرة بيزنطة (575-641م)؛ لتمسكه بالعقيدة الأرثوذكسية ورفضه مجمع خلقيدونية ومذهب الملك البيزنطي المتمثل بعقيدة الإرادة الواحدة في السيد المسيح^u أو المونوتلستية Monotheletism. وصدر مرسوم امبراطوري سنة (638م) Ecthesis يقرر هذه العقيدة، وكان ذلك بهدف كسب أصحاب الطبيعة الواحدة في سورية ومصر عشية الفتوحات العربية، ولكن هذا المشروع لقي معارضة كبيرة من الأرثوذكس وأصحاب الطبيعة الواحدة على حد سواء وأخفق في نهاية المطاف

انظر : برصوم، أفرام الأول. (1938)، **تاريخ الأبرشيات السريانية**، حلب، ص 145.

يؤدي إلى سفح الجرف حيث جثمان مار موسى الحبشي، دير مار موسى هو بناء منعزل في بيئة صحراوية في حين أنَّ معظم الأديرة السورية قريبة من القرى والمدن. من خلال نص محفور على جدران كنيسة الدير يؤرخها سنة (450م)، يمكن تحديد أنَّ هذا الدير يعود إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، الدير ذو عمارة دفاعية فالمدخل في الجدار الغربي صغير جداً ارتفاعه واحد متر، هناك مرام للسهام موزعة على نفس الجدار، يلي المدخل دهليز معتم وبعد ذلك غرف صغيرة ثم الكنيسة، الغرف موزعة على طابقين فوق سطح الجبل وثلاثة طوابق حُفرت تحت الأرض، كانت المياه تتجمع في خزانات وتتوزع حول الدير، ثم تنقل إلى الداخل للاستفادة منها طوال العام. الكنيسة بنيت عام (450م) تقع شمالي الدير شكلها مربع ضلعه (10م) وهي مقسمة إلى قسمين : القسم الاول قدس الأقداس عبارة عن المحراب مع الجدار الفاصل، والقسم الثاني مكون من ثلاثة أروقة يفصل بينها صفان من الأعمدة¹.

2 - انتشارها :

عززت الكنيسة في سورية شأن الرَّهْبَنَةِ فأُسست منذ القرن الرابع الميلادي مئات الأديرة في أصقاع مختلفة من ولاية كُرسِي أنطاكية في سواحل سورية الجنوبية وبادية الشام وبرىة قورش والجزيرة وجبل الرها والأزل المشرف على نصيبين، وقد انضوى تحته ألوف من الرجال والنساء عزفوا عن الدنيا ونفضوا غبارها من أقدامهم وروضوا أنفسهم على التقوى والفضيلة والبتولية والعفاف والتواضع والطاعة والصوم والصلاة وانشغالهم بالمعارف العلمية، فأسدوا للمجتمع البشري فضلاً عميقاً، وذلك لأنهم هذبوا أخلاقاً وهدوا أمماً للدين المسيحي، ورفعوا رايات الثقافة في أصقاع ومناطق مختلفة.

ففي منطقة الرها كان هناك ثلاثمئة دير، وبلغ عدد رهبانها تسعون ألف راهب²، وهو عدد مبالغ فيه كثيراً ويدل من الناحية التاريخية على مدى انتشار الرَّهْبَنَةِ والأديرة في هذه المنطقة، ولا سيما أنَّ من ميزات الأديرة السورية أنَّها كانت صغيرة الحجم على النمط الباسيلي من أجل أنَّ يتمكن رئيس الدير من متابعة كل رهبان ديره، وهنا إذا قلنا إنَّ متوسط

¹- cruikshan Dodd. E.(1992):**The Monastery of Mor-Musa al-Habashi** ,near Nebek Syria art Medievale periodica internazionale di critiche dell arte Medievole 2nd serie,6:1 .pp.61-132.

² يعقوب، سويريوس.(1957)، الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، من كتاب ضحى المسيحية، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت، ص 30-31.

عدد رهبان الدير يبلغ مئة راهب وإذا افترضنا أنَّ عدد الأديرة ثلاثمئة دير بالتالي يكون عدد الرهبان هنا ثلاثون ألف راهب، وفي منطقة أنطاكية هناك العديد من الأديرة التي تحيط بها، وأيضاً في سورية الجنوبية كان هناك مئات الأديرة في منطقة حوران وفلسطين وشرقي الأردن¹.

أ- الأديرة في الشمال السوري :

ومن أشهر هذه الأديرة دير مار متى الذي أسسه الرَّاهِبُ مَتَّى النَّاسِكُ السَّرياني على جبل القاف شرقي الموصل وأواخر القرن الرابع الميلادي، وقد بلغ عدد رهبانه في القرن الخامس زهاء سبعة آلاف راهب، واشتهر بمكتبته النفيسة في القرن السابع الميلادي، وهي تحتوي على ترجمة للإنجيل المقدس من السريانية إلى العربية نظن أنها الترجمة التي عملها البطريرك يوحنا أبو سدرات (631-648م) الذي ترهب في دير أوسيونا، وأتقن اللغتين اليونانية والسريانية والعلوم اللاهوتية، وتتلّمذ على يد البطريرك أنثاسيوس الجمال²، وتولى منصب الأسقفية بعد وفاته³. ودير قرتمين المشهور في طور عبيد الذي يعود تاريخه إلى سنة (397م) مؤسس هذا الدير مار صموئيل المعروف بالمشتيني وتلميذه مار شمعون القرتميني، وقد جاد الإمبراطور أركاديوس (395-408م) بمال وفير لبناء هذا الدير وأطلق عليه فيما بعد اسم رئيسه مار كبريال الذي توفي (667م)، واحتوت خزنة كتب نفيسة⁴.

ودير مار توما في قنشرين على شاطئ الفرات، وأنشأ هذا الدير عام (350م) الناسك السرياني مار يوحنا بن افتونيا وقد عصف به الدهر في القرون الوسطى، ودير مار توما الرسولي، وقد شيد على شاطئ الفرات بسورية حوالي سنة (530م) وكان عدد رهبانه ثلاثمئة راهب وتخرج منه البطريرك أنثاسيوس الجمال (631م) وظل هذا الدير عامراً حتى

¹ يعقوب، (1957)، ص 31 .

² البطريرك أنثاسيوس الجمال (595-631م) تسلم مقاليد الكنيسة وهي مجزأة واهنة من كل جهة، فجاهد وخطط وأعاد عقد الاتحاد مابين أنطاكية والإسكندرية بعد قطيعة دامت (28) سنة، وأعاد كنيسة المشرق إلى أحضان الكرسي الأنطاكي الرسولي بعد أن لبثت العلاقة مبتورة بينهما، سعى وراء اتحاد الكنائس، مشاركاً فعلاً في توحيد الصف المسيحي المسكوني. انظر : سكا، (2002)، ص 240.

³ للمزيد حول هذا الدير انظر : سكا، أسحق، (1970)، دير مار متى، الموصل .

⁴ للمزيد حول هذا الدير انظر : يولياني، يوحنا، (1959)، دير قرتمين، مطبعة الحكمة، ماردين، تركيا.

القرن الرابع عشر الميلادي، ومن أشهر العلماء الذين درسوا فيه سويرا سابوخت الفيلسوف الكبير في القرن السادس الذي كتب مؤلفات فلسفية وفلكية عديدة بديعة وعلى يديه وصلت الأرقام الهندية إلى العرب.

ودير مار برصوم قرب ملطية، ودير مار بهنام المعروف بدير الجب، ودير مار زكا بالرقّة وقد ترهب فيه يوحنا النثلي المتوفى سنة (508م)، ودير قرقفتا شيده مار شمعون بين رأس العين والحسكة على ضفاف الخابور، وذاع صيته في القرن السادس الميلادي، وعرف رهبانه بضبط حركات الكتاب المقدس¹، ودير مار حنانيا المعروف بدير الزعفران شرقي ماردين وهو دير كبير²، هذه الأديرة كانت تستخدم اللغة السريانية في طقوسها مع بعض الكلمات اليونانية، وقد عانت من الاضطهادات من قبل السلطات الرومانية لأنها رفضت الاعتراف بمجمع خلقيدونية المجمع المسكوني الرابع (451م)، وبرهنت هذه الأديار على حيوية نادرة في مختلف نواحي التقوى والنسك والتأليف والترجمة. ومعظم هذه الأديرة اندثرت.

ب- الأديرة في المنطقة الوسطى:

ومن أهم الأديرة دير مارون في الرستن بين حمص وحماة على نهر العاصي، وكان تشييده على أثر الخلاف الذي جرى بعد وفاته بين أهل القورشية وأهل الرستن وقد وضعت فيه هامة القديس مارون.

وأصبح مدرسة رهبانية زاهرة تجاوز عدد رهبانها الثمانمئة راهب، وأصبحت منارة فكرية ودينية ليس في القورشية فحسب بل كل المنطقة الممتدة من القسطنطينية وأنطاكية شمالاً وصولاً إلى الجليل وأورشليم جنوباً.

وذكر هذا الدير المؤرخ المسعودي (896-956م) حيث يقول: (كان لمارون دير عظيم شرقي حماة وشيزر ذو بانيان عظيم حوله أكثر من ثلاثمئة من الصوامع يسكنها الرهبان، وكان فيه من آلات الذهب والفضة والجوهر الشيء العظيم، وتعرض هذا الدير للخراب والدمار لتواتر الفتن من الأعراب وغيرهم وحيف السلطان وهو بقرب نهر

¹ أغناطيوس (1996)، ص 508-511.

² الأب برصوم افرام (1917)، دير الزعفران، مطبعة دير الزعفران، تركيا، ص 6.

أُرِيَطُ "العاص" ¹، وكان رهبان هذا الدّير يشكّلون قيادة الجماعة الدّينية المؤمّنة بعقيدة مجمع خلقيدونية (451م) بأنّ في المسيح طبيعتين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ²، وكان هذا الدّير متراًساً على جميع الأديرة في سورية الثانية، وإذ ورد توقيع نواب هذا الدّير في مجمع خلقيدونية باسم بولس الشّماس ويوحنا الكاهن نواب دير مارون أول أديار سورية الثانية، وهناك رسالة تحمل توقيع (210) راهب، على رأسهم أسكندر قسيس رئيس دير مارون احتجاجاً على مقتل (350) راهباً من دير مارون الكبير، واحتراق معظم الأديار الأخرى نتيجة النزعات مع النساطرة والأوطيخيين. ومن المعروف أنّ دير مارون في الرستن كان يحمل لقب اكسرخوس أي رئيس أديرة مجموعها (25) ديراً باعتباره المقدم على أديرة سورية الثانية ولا سيما السريانية منها ³، قد دمره الإمبراطور أنستاسيوس الأول (491-518م) بتحريض من اليعاقبة، لما حاول رهبانه المقاومة قتل منهم (350) راهباً بشهادة المؤرخ بروكوبيوس ⁴، وهنا يعلّق بطرس ضو بقوله بنى الإمبراطور مركيان دير مارون عام (452م) وقام الإمبراطور الروماني جوستينيانوس الكبير (528-565م) بترميم أسواره في منطقة أفامية وبين الحداث مئة سنة ⁵.

علاوة على دير مارون في الرستن هناك أديرة عديدة تحمل اسم مارون؛ ومنها دير مارون بدمشق اعتبره المؤرخ الدويهي ديراً عظيماً كما تدل آثاره ويعود للقرن السادس الميلادي، ودير مارون عند منابع نهر العاص في لبنان شمال بعلبك، ويعرف بدير مغارة الراهب ينسب إلى الزّاهب مارون الذي قام فيه فترة طويلة قبل انتقاله إلى القورشية، وأيضاً دير مارون العاقورة، وقد بني على نمط دير مارون عند منابع العاص على شكل تجويف في الصخر، هذا الأسلوب النقر في الصخر حيث يصعب الوصول إلى هذه المقرات المقدسة يشير بكل وضوح إلى مدى المعاناة

¹ المسعودي. (1996)، التنبيه والإسراف، دار صعب، بيروت، ص 131-132.

² الهاشم، ألياس خليفة. (د-ت)، الموارنة، المسيحية عبر تاريخها، مجلس كنائس الشرق الأوسط للدراسات والابحاث، بيروت، ص 273.

³ للمزيد انظر: ضو. (1970)، م 1، ص 162-184.

⁴ بروكوبيوس القيصري (500-563م): يعدّ من أهم مؤرخي القرن السادس الميلادي على الإطلاق ، ولد في مدينة قيسارية بفلسطين عام (500م) تلقى تعليمه في مدرسة بيروت القانونية، ثم هجر إلى القسطنطينية لاستكمال دراسته، اشتغل بالمحاماة، وكان ملماً باللغة الإغريقية واللاتينية، كنب بروكوبيوس العديد من الأعمال التاريخية منها: تاريخ الحروب، كتاب المبانى، والتاريخ السري. للمزيد انظر: زايد. (2015)، ص 35-38.

⁵ ضو. (1970)، م 1، ص 194.

والاضطهاد الذي لقيه هؤلاء الرُّهبان من اليعاقبة والنساطرة في تلك الفترة¹. ودير مار باسوس في حمص وبلغ عدد رهبانه في القرن السادس الميلادي ستة الاف وثلاثمئة،

ج- الأديرة في الجنوب السوري:

من أهم الأديرة دير لافرا **Lavar** الذي تأسس عام(330م) يقع قرب أريحا ويعج بالنساك وترهب فيه شاريطون **Chariton** الذي ولد في مدينة إيكونيوم **Iconium** في منطقة الأناضول، وبعد فترة وجيزة من هذا التاريخ أسس شاريطون ديرين واحد في كوكا **Kouka** في صحراء أريحا والثاني في سوكا **Souka** الواقعة قرب بيت لحم، وقد عاش رهبانه حياة ديرية قاسية تركز على الصلاة والتأمل والعمل اليدوي ونوع من الصوم إذ كانوا لا يأكلون سوى وجبة واحدة باليوم مكونة من الخبز اليابس المبلول بالملح، وانتشرت أديرتهم فيما بعد في أنحاء فلسطين²، تميزت الحياة الديرية التي أسسها شاريطون باستقلاليتها عن الحياة الديرية المصرية، إذ لا شيء يدل على أي علاقة مباشرة كما كان الحال مع رهبان منطقة غزة.

من الأديار أيضا دير أفثيموس **Euthymius** في لافرا **Lavra** عام (411م) وقام بتأسيسه مع صديقه ثيوكتيستس وقد حمل معه بعض العادات الرهبانية الكبادوكية؛ أهمها السماح بالخروج من الدير خلال فترة الصوم الكبير؛ من أجل العزلة التامة في الفقر مكتفياً بالزاد القليل والتفرغ للصلاة والتأمل وإلى سائر حياة التوبة الزهدية، ثم العودة للدير في أحد الشعبين لمشاركة الرُّهبان في احتفال أسبوع الآلام والقيامة. وقد أسس أفثيموس ديراً آخر في منطقة جبرون بين عامي(422-426م) وقد توفي أفثيموس عام(470م) وقد تابع تلاميذه تأسيس الأديرة في سورية الجنوبية³.

من الأديار المهمة دير القديس ثيودوسيوس شرقي بيت ساحور تم تأسيس هذا الدير عام (465م)، بلغ هذا الدير أوج ازدهاره في القرن الخامس والسادس الميلاديين، احتوى الدير على أربع كنائس وكان يعيش بداخله سبعمئة راهب، بينما الذين يعيشون في المناسك حول الدير يبلغ عددهم ألفان وخمسمئة راهب وراهبة يتسمون بالمحبة والطاعة

¹ عبدالله.(2002)، ص 107 - 108.

² أبو زيد.(د-ت)، ص 401-402.

³ أبو زيد.(د-ت)، ص 402-403.

والنّسك والجهاد الروحي، كان هناك مدرسة ضمن الدير للآهوت، ومشغل ومرافق وأنشطة لم تدم طويلاً بسبب هجمات الفرس عام (614م) وقتل (5000) راهب¹.

أيضاً من الأديرة المهمة دير القديس سابا في جبل المنطار شرقي بيت لحم أسس عام (482م) أصبح هذا الدير من أهم الأديرة. ونتيجة ازدياد عدد الرهبان قام سابا بتأسيس ستة أديار أخرى، نجح سابا في إقامة علاقات قوية ومتينة مع السلطة الكنسية في أورشليم، وكان له الفضل الكبير بجعل رهبانه يقبلون مجمع خلقيدونية، هذا الأمر جعل السلطة الحاكمة تزيد من إعجابها فيه واحترامها له، وأهم ظاهرة في هذا الدير البرج الذي بناه الإمبراطور جوستينيانوس الكبير في القرن السادس الميلادي يبلغ علوه (18م)، ويتميز هذا الدير بكنيسته التي احتوت رفاة الشهداء بعد الغزو الفارسي عام (614م)، وصومعة القديس يوحنا الدمشقي² الذي عاش فيها في القرن الثامن الميلادي. وهناك مغارات النّسك مقابل الدير ويبلغ عددها (110) مغارة. توفي سابا سنة (532م)، أما رهبانه استمروا في تأسيس الأديرة ليس في فلسطين وحدها بل في مناطق من سورية³، ومن الأديرة المهمة دير مار مرقص الإنجيلي ويعرف أيضاً بدير السيدة بالقدس يعود تأريخه إلى القرن السادس الميلادي⁴

تعد وثيقة رؤساء الأديرة العرب العائدة للكنيسة السريانية واحدة من أهم الوثائق التي تتحدث عن الأديرة العربية⁵ لسورية الجنوبية قبل الفتوحات الإسلامية، فهذه الوثيقة التي تعود للعام (570م) تذكر أسماء (137) ديراً في منطقة

¹- Hirschfeld, Y. (1990), List Of The Byzantine Monasteries In The Judean Desert. In G. Bottini, L. Disegni, And E Allia, Eds. Christian Archaeology In The Holy Land: New Discoveries. (Pp. 1-89) Jerusalem: Franciscan Printing Press.

² يوحنا الدمشقي أو منصور بن سرجون ولد في دمشق أواخر القرن السابع الميلادي، من أسرة دمشقية ثرية، كان جده موظف في الإدارة المالية البيزنطية في دمشق تولى أمر مفاوضات تسليم المدينة للمسلمين سنة (635م) وظل محتقلاً بوظيفته التي توارثها أحفاده بعد ذلك، وكان منهم يوحنا الذي كان موظفاً في الإدارة المالية زمن الدولة الأموية، ثم انسحب بعد ذلك إلى دير مار سابا، وأصبح واحداً من أكبر لاهوتي الكنيسة اليونانية ومؤلفي تراثها وله العديد من المؤلفات. للمزيد انظر: أليكسي جوراسكي. (2000)، الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، تر خلف محمد الجراد، تقديم محمود حمدي زقزوق، دمشق .

³- Patrict.j.(1995), leader Of Palestinian Monasticism ,A comparative Study in Eastern Monasticism Fourth Of seventh Centuries , Washington ,p.86- 89.

⁴ ساكا، أسحق.(د-ت)، السريان، المسيحية في المشرق عبر تاريخها، مجلس الكنائس في الشرق الأوسط للدراسات والابحاث، بيروت ، ص 250.

⁵ العربية في عرف رجال الكنيسة هي الولاية الرومانية العربية التي أنشئت عام (106م) حول مدينة بصرى فشملت كل ما بين وادي الحسا في الجنوب واللجا في الشمال وبين البحر الميت والأردن من الغرب حتى أطراف البادية في الشرق، تمكنت المسيحية من نشر تعاليمها بين العرب، ومن الطبيعي أن يكون انتشار المسيحية واضحاً وظاهراً بين عرب سورية في أكثر من أي مكان، بسبب الصلة والاتصال الثقافي بين عرب سورية مع سكانها الآخرين الذين اعتنقوا الديانة المسيحية، بعد اعتناقهم الديانة وانتشارها في أوساطهم وجد فيهم من يميل إلى الرهبنة ويبتني الأديرة.

للمزيد انظر: رستم.(1988)، ص 390-399.

دمشق وحوارن تتبع للكنيسة السريانية، بالتحديد لأسقفية كانت تسمى أسقفية العرب تتكون الرسالة¹ من نص ديني يمثل جوهر الإيمان الأرثوذكسي (المونوفيسي) المتعلق بطبيعة السيد المسيح، ورفض بدعة التثليث التي شقت الكنيسة على يد البطريرك أوجين، يلاحظ ذكر أسماء أساقفة وبطاركة معروفين مثل يعقوب البرادعي، ورفيقه ثيودور أسقف العرب، يوجد فيها أكثر من يوحنا من المؤكد أن بينهم يوحنا الآسيوي ولونجين وبولس الذي أصبح بطريركاً لأنطاكية بعد أن كان رئيس دير في القسطنطينية، والذي اختلف مع يعقوب البرادعي وشق الكنيسة الأرثوذكسية المونوفيسية، فنشأ مصطلح اليعاقبة ويخص الذين اتبعوا يعقوب وهم الغالبية، والبولسيون الذين اتبعوا بولس هم الأقلية، أما العرب فرغم ميلهم لناحية بولس إلا أنهم لم يقطعوا العلاقة مع يعقوب وظلوا يكونون احتراماً للطرفين على الدوام. (نعترف أنه من طبيعتين أي أقنومين إلهي وبشري اللذين هما في النهاية الكلمة ذاتها، طبيعة واحدة لأقنوم كلمة الله المتجسد، إله واحد وطبيعة واحدة أي جوهر واحد، بثلاث أقانيم واهبة الحياة الثالوث المقدسة، المسبحة من الكل كما علم ملائكة الكنيسة الجامعة تلك التي تدل على الطبيعة الإلهية، وهذه الخواص الثالوث، وليس ثلاث آلهة ولا ثلاث ألوهات، ولا ثلاث مزاييا للألوهات ولا لثلاثة طبائع ولا لثلاثة جواهر ولا لمزاييا جوهرية، ولا أبداً لتعددية الآلهة أو الألوهات أو الطبائع أو الجواهر).

وقد بلغ عدد الذين وقعوا على هذه الرسالة (137) رجل دين معظمهم حاصلين على لقب رئيس دير (أرشمندريت)، وقلة قليلة من الشمامسة، وبعض كهنة الكنائس والبيع² من رتبة رئيس دير، وقد وقع نحو (18) قساً باليونانية، وهناك (34) وقعوا بالسريانية بشكل شخصي وثمة واحد لا يجيد الكتابة، وأكثر من خمسين وقعوا بالنيابة، والتوقيع بالنيابة لا يعني عدم الحضور، بل عدم امتلاك ختم إمضاء أو عدم معرفة الكتابة باللغة العربية.

ومن خلال هذه الوثيقة نستنتج ما يلي فيما يتعلق بالأديرة :

¹ تمت ترجمة نص الرسالة من اللغة السريانية مباشرة من قبل الأب نثنائيل من دير أفرام السرياني في معرة صيدنايا قرب دمشق، بالتشاور مع الباحث تيسر خلف.
² مفردتها بيعة وهي كنائس المسيحيين، وذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

- جميع رهبان هذه الأديرة كانوا من المسيحيين التابعين للكنيسة السريانية الغربية، والذين عرفوا أنفسهم كعرب¹. وكانوا شديدي الولاء للكنيسة السريانية كما تدل رسالتهم.
- مدينة دمشق وحدها كانت خارج هذا النفوذ لأنها كانت تتبع للكنيسة الملكية (الأرثوذكسية البيزنطية).
- إنّ الأبرشيات العربية التابعة لأسقفية بلاد العرب الغساسنة كانت في أغلبها تتكون من الأديرة مع عدد قليل من الكنائس المقامة وسط البلدات.
- وجود أديرة وكنائس كثيرة تحمل اسم سرجيس أو سرجيوس، مثل دير مار سرجيس في جابيتا، وبيت الشهيد مار سرجيس في علما ودير مار سرجيس في بوسع. نظراً لأنّ القديس سرجيس هو شفيع الغساسنة وسيرته الحربية وقصة اعتقاله وتعذيبه تعد مثلاً أعلى لهم بوصفهم نخبة من المقاتلين في سبيل المسيحية.
- وجود أكثر من دير عامودي مثل دير العمود في حاجون، ودير العمود في كفر ناسج ودير العمود في بيتيما
- وجود كثافة من الأديرة في منطقة داريا بريف دمشق وجاسم بشكل خاص وغوطة دمشق².

¹ ومن خلال هذه الوثيقة السريانية نستنتج أنّ هذه الأديرة كانت تركيبتها السكانية يغلب عليها العرب عشية الفتوحات الإسلامية، وإذا تساءلنا عن هؤلاء العرب من أين أتوا ومتى؟ فيمكن الاستنتاج من خلال المعطيات التاريخية المتوفرة ما يلي:

من الايطوريين وهم العرب الذين بدأ ظهورهم في هذه المنطقة في الحقبة الهلنستية، وسكنوا لبنان ولبنان الشرقي إلى الجنوب حول الحوض الأعلى من نهر الأردن حصل أميرهم سنة (115ق.م) على اعتراف من السلوقيين، كان لأمرائهم سلطات دينية وعسكرية لهم عاصمتان دينية هليوبوليس Heliopolis بعلبك وكالسيس Chalcis عنجر شملت مناطقهم لبنان الشرقي وحران والجولان، ومن الأنباط الذين هم قبائل عربية سكنت جنوب سورية في القرن الرابع ق.م، كانت البتراء عاصمتهم وصدوا هجمات انتيغونوس (الأعور) وابنه دمتریوس عام (312ق.م)، وتحولوا من أقوام بدوية إلى مجتمعات تجارية وزراعية مستقرة. وكانوا ذوي انتشار واسع في البادية الشامية، وظهروا في بعض مناطق دمشق وأهم مراكزهم قرية ضمير وعمار ودوما شمال الغوطة قضى عليهم الإمبراطور الروماني تراجان عام (106م). ومن التدمريين الذين أتوا بعد كارثة تدمر في العام (273م) فقد أشارت كتب التاريخ أنّهم هربوا إلى فينيقيا اللبنانية أي دمشق وريفها، من الغساسنة الذين أسسوا دولة تعرف بمملكة الغساسنة، وسمي ملوكها ملوك غسان أو أبناء آل جفنة أو آل ثعلبة الذين سكنوا في سورية الجنوبية منطقة حوران.

² - للمزيد انظر: خلف، تيسير. (2008)، كنيسة العرب المنسية، دمشق: دار التكوين، ص 66-217.

3- تطورها:

أصبحت الأديرة مدناً مصغرة قائمة بذاتها، توفر كل ما يحتاجه المجتمع الرهباني للقيام بالأنشطة اليومية، تورد (هستوريا موناخورم) معلومات ملفتة للنظر على احتواء الأديرة على سور له واجهة صارمة، وفي داخل السور يوجد بئر وحدائق وكل ما هو ضروري لاحتياجات الرهبان، وكان البواب شيخاً لم يسمح قط لأحد أن يخرج أو يدخل ما لم يكن راعياً بالبقاء¹. وأصبح هناك قوانين وتنظيمات ضمن الأديرة لتنظم الحياة الديرية فيها.

أ- أقسام الدير:

يمكن تحديد المباني التي يحتوي عليها الدير بالاتي:

- الكنيسة:

تعدُّ قلب الدير (كنيسة الدير)، ففي سورية في فترة لاحقة زاد الاهتمام بالكنيسة ضمن الدير، وأصبحت تبنى وفق مخطط تربيعي مع مثنى أضلاع داخلي وكان لابد من تزويدها بقبة. كان هذا النموذج من البناء ذي المخطط المركزي على ما يبدو رائجاً في معظم الأديرة السورية في القرن الخامس الميلادي، وهنا نعطي مثلاً على ذلك كنيسة دير أقامية وأيضاً كنيسة دير زورافا (إزرع) المعروفة باسم كنيسة القديس جرجس وهي لا تزال قائمة حتى الآن. وفي عام (459م) حصل تطور في بناء كنيسة الدير حيث بنيت الكنيسة ضمن الدير وفق مخطط بازيليكى وزينت بزخرفة من الفسيفسائيات مثال على ذلك كنيسة دير (القديس سمعان)².

- مبنى الاجتماعات : احتوت بعض الأديرة على بناء كبير يتسع لجميع الرهبان بقاعة طعام مشتركة، وكان

يعقد فيها الاجتماعات العامة للرهبان مع رئيس الدير³.

- الحصن : نتيجة تعرض الرهبان في بعض الأحيان للويلات والمصاعب، إذ كثيراً ما يتعرضون لهجمات

من البدو واللصوص والأعداء الذين ينكرون بهم، ويهدمون قلاياهم، ومساكنهم، وينهبون أمتعتهم حتى بعد

¹ - البراموسى، بولا. (د.ت)، هستوريا موناخورم، أبناء الأنبا موسى الاسود، حلقة للباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، ص 35.

² - سارتر، موريس. (2008)، سورية في العصور الكلاسيكية، تر محمد الدنيا، دمشق: الهيئة العامة للكتاب، ص 134-135.

³ - البراموسى. (د.ت)، ص 35.

أن أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الرئيسية للإمبراطورية الرومانية، ولذلك اجتمع الرهبان فيما بينهم، وانتدب وفد منهم للإمبراطور وشكوا حالهم وطلبوا منه أن يبني لهم حصناً يلم شملهم، ويحميهم، فاستجاب الإمبراطور لهم¹. وهكذا أنشئت الحصون ضمن الأديرة كإجراء دفاعي، يلجأ إليه الرهبان عندما يقتحم البدو والأعداء الدّير، وهو عبارة عن مبنى ضخم مرتفع يتخيل للناظر أنّه عديم النوافذ والأبواب ولكن له باب في الدور الأعلى أمامه كوبرى يتحرك طرفه عند الحصن أو يمكن تثبيت طرفه الآخر على بناء عالٍ في مواجهته، وعلى ذلك الكوبرى يمكن للرهبان أن يدخلوا الحصن ولكنّه إذا ما رفع سد الباب سداً محكماً، ويتعذر على أي شخص دخوله، لذلك يمكن من بداخله أن يبقوا في أمان لفترة طويلة دون الحاجة إلى الخروج، ويخزنون بداخله عادةً ما يحتاجون من المأكّل، وفيه بئر ماء وفي أعلاه كنيسة يجتمعون فيها للصلاة، ويظلون عادة فيها حتي يزول الخطر من قبل الأعراب والمهاجمين واللصوص².

- القلاية (cell):

من أقسام الدّير وجمعها القلايات أو القلاي ومفردتها القلاية³ أصل الكلمة يوناني Kettiyon و معناها راهب⁴، ويبدو أن بعض الأديرة تحتوي على العشرات من القلايات، وقد يتجاوز عددها أكثر من ذلك بكثير، وكان لرئيس الدّير قلاية خاصة به، وقد يتعاقب رؤساء الدّير على سكن القلاية نفسها كونها جزءاً من الدّير⁵.

إنّ عملية بناء القلاية تكون مختلفة من موضع إلى آخر، قد كانت تبنى بناء إذا كان الدّير قائماً في السهل، أو تنقر في قلب الصخر إذا كان الدّير في الجبل، وهذه القلاي يمكن بناؤها في يوم وهي تبنى من الطوب والملاط، إذ يتساعد الرهبان في ذلك أحدهم يتناول الملاط، وآخر الطوب، وثالث يجلب الماء، والرابع يقطع الأخشاب، وتتم هذه الأعمال بإشراف رئيس الدّير. ويبدو أنّ القلاي تتكون من غرفتين غرفة خارجية، وأخرى داخلية للنوم في بعض

1 - حبيب. (1978)، ص 141-142

2 - حبيب. (1978)، ص 45

3 الشابيستي، علي الحسين. (1951)، *الديارات*، ت كوركيس عواد، بغداد: مطبعة المعارف، ص 415.

4 - اليسوعي، رفائيل. (1986)، *غرائب اللغة العربية*، بيروت: دار المشرق، ص 265.

5 -المرجي، توما. (1966)، *الرؤساء*، تر البير أبونا، الموصل: مطبعة العصرية، ص 23.

الأحيان¹، وتعد القلاية النمط الأكثر اعتياداً للرهبان من أجل السكن حتي يتسنى للرَّاهِب الاختلاء مع نفسه لأداء المناسك والعبادة².

- بيت الضيافة :

مكان بسيط يشبه القلايات، وفيه يجد الزائر ما يحتاجه من أماكن للراحة، ولوازمها إلى حد كبير.

- المكتبة :

مكانها ضمن الحصن وفيها من الكنوز العلمية والفنية والأثرية ما يفوق الوصف، وتزخر بمخطوطات لا حصر لها من جميع اللغات والأشكال والعصور، ليست خاصة فقط بعلم اللاهوت، بل من جميع فروع العلم والمعرفة، كما تمتاز بمجموعة نادرة من الوثائق واللفائف التي كان الرُّهبان يعتزون باقتنائها، ويتخذون لها مكاناً آمناً ضمن الدَّير³.

- المخازن :

احتوت الأديرة على مخازن للغلال وتحفظ فيها الحبوب اللازمة لسكان الدَّير طوال العام، ويوجد مكان من أجل طحن الحبوب، وهناك مكان مخصص لخبز الدقيق، ويوجد مخزن لمواد التدفئة والوقود حيث كان يخرجون الرُّهبان بجمالهم إلى مناطق بعيدة لجمع النباتات الجافة، والأشجار اليابسة اللازمة لهم طوال أيام السنة. وهناك مكان يسمى (لجو) وهو مخزن ضخيم ويستخدم لخبز ما يحتاجه الرُّهبان من الزيوت والشموع والمواد الغذائية المختلفة كالحبوب والبقول والعدس وغيرها، وهذه المخازن المتنوعة ضمن الدَّير كان عليها مشرف هو المشرف الاقتصادي، وكانت معظم الأديرة تحتوي على حدائق توجد داخل الدَّير نفسه وعيون الماء⁴.

- الناموس (الناؤوس) : وهي كلمة يونانية معناها المقبرة، وهذه مقبرة تضم بين جوانبها رفاة معظم رهبان

الدَّير، وهي عادة تقع في الجانب الغربي من الأديرة.

¹ - البراموسي .(د-ت)، ص 34.

² - الشابستي.(1951)، ص 50.

³ - أبونا، البير .(2006)، بيارات العراق، بغداد، ص 41

⁴ - حبيب.(1987)، ص 45-46.

هذه المباني التي شاهدها الرحالة من أبسط نوع، فقد كان الرُّهبان يبنونها من الطوب المصنوع من الطين المجفف في الشمس، وكل ما هو ضروري للمعيشة هو الذي يحدد كل شيء في العمل، وهذا التقيد بالضروريات هو جوهر حياة الرُّهبان في سورية، وليس هناك سر في هذه المباني البسيطة العادية، لكنَّها ضرورة الفقر التي أملتْها المواد والوقت المتاح¹. هكذا نجد أنَّ الأديرة تطورت في سورية وصلت إلى مرحلة مهمة من التطور العمراني، واحتوت هذه الأديرة على مبانٍ متنوعة من أجل تأمين مستلزمات الرُّهبان كافة ضمن الدَّير، ولكن الشيء الذي يدعو للدهشة هو وجود الأسوار والحصون التي ظهرت في فترة مبكرة من تأسيس الأديرة في سورية، وكان الهدف منها تأمين الحماية للرُّهبان.

ب- الأنظمة والقوانين الديرية السورية :

وتباينت الأديرة في سورية بشكل أكثر ولا يمكن تعريفها بوضوح على أنها تقاليد باخومية مصرية أو باسيلية كبادوكيا، ليس هناك نظام دير يميز ديراً على آخر في سورية². حيث كان لكل دير نظام حياتي خاص يرعاه رهبان هذا الدير وإدارات ومسؤوليات خاصة تتناسب ظروف الدير ذاته، فإذا تحدثنا عن دير مار يعقوب في نصيبين فإنَّما نتحدث عن نظام الدَّير وحده بمعزل عن الأديرة الأخرى .

لم تنشأ في سورية رئاسة واحدة لأديرة متعددة كما في مصر، ولكن هذه الأديرة كانت تحت الرئاسة العليا للكنيسة، وفي كل الحالات يبقى مصير الرُّهبان مرتبطاً برئاسة ديرهم، وبالتالي بشخص قداسة البطريرك الذي هو رئيس الرُّهبان مباشرة وصاحب جميع الأديرة، فصلة الرُّهبان وأديرتهم وكل شؤونهم مرتبطة بالبطريركية³. وكان على الرُّهبان في كل دير أن ينتخبوا رئيساً لهم هيغومينوسا (Hegoumenoss) أو (أرشمندريت) يدير أمورهم ويمثل رهبنتهم ما دام حياً قادراً على العمل، وكان الهيغومينوس مطلق

¹ - البراموسي.(د.ت)، ص35.

² - voobus,(1988).pp.286-489.

³ - صليبا.(2013)، ص17-18.

الصلاحيَّة لا يستشير رهبانه إلَّا في بعض الأمور الهامة كنقل الملكية واحتباسها بطريقة الحكر، ولكنَّه كان مقيداً بالتبكيكون الذي حفظ قانون الرهبانية وأشياء أخرى.

وفي سورية ظهر نظام الاكسرخوس الذي كان سائداً في بعض الأبرشيات أي أن يعين كل متروبوليت اكسرخوساً لزيارة الأديرة في الأبرشية والتثبت من انتظامها، كان في استطاعة هذا الاكسرخوس أن يندب زائرين Stationoril لهذه الغاية نفسها¹.

❖ قوانين مار رابولا أسقف الرها (412-435م) :

أقدم مثال على التشريعات الأبرية السورية تنسب إلى رابولا أسقف الرها وهي تعود إلى السنوات الأولى من القرن الخامس الميلادي وهي كالتالي:

- يمنع قبول انتقال أي راهب من دير إلى آخر إلَّا بأمر رئيسه، أي اشتراط حصول هذا الراهب على إذن رئيسه قبل الانتقال إلى دير آخر.
- يحظر على الرهبان أن يقتنوا لأنفسهم أشياء خاصة، وكان هناك قيود مفروضة على الملكية ولو كانت بسيطة، وذلك لأنَّ كل ما في الدير ملك للجميع وتحت سلطات رئيس الدير.
- استبعاد المعالجات الأكثر منهجية لممارسات التقشف، لذلك كان الرهبان السوريون متطرفين في تعذيب الجسد وتطهير الروح .
- الاحتفالات الليتورجيا وتنظيم الاعياد السنوية.
- المسائل الإدارية.

¹ رستم.(1988)، ص 410-411.

- العقبات الموضوعة على طريق الرهبان الراغبين في تبني الحياة الانفرادية، وذلك لأن رهبنة العزلة تؤدي إلى آثار نفسية وجسدية.
- تظهر هذه التشريعات نفوراً أكبر تجاه النساء مما كان عليه في التقليد الباخومي المبكر.
- وتخشى القواعد الرهبانية من عواقب السماح للرهبان بالاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع أفراد عائلاتهم.
- ظلت محور الأمية والتعليم والعمل اليدوي من سمات التقليد الديرية السوري كما كانت في الديرية الباخومية والباسيلية.
- تظهر شرائع ربولا ابتعاد الأديرة عن الاكتفاء الذاتي واعتمادها على الدعم الخارجي¹.

❖ قوانين دير مار متى :

- يعود تاريخها لعام (508م)، وتعد مثالا آخر على نوع الشرائع الديرية في سورية التي تساعد في سد الفجوة بين التقاليد الديرية السابقة ووثائق تأسيس الأديرة البيزنطية اللاحقة، وهي تتضمن (24) قانوناً، حيث كان الدير الذي كتب لأجله هذه الشرائع مؤسسة دينية خاصة.
- يلاحظ في هذه الشرائع وجود الملكية الشخصية، وكان هذا معارضاً لكل من التقاليد الباخومية والباسيلية.
 - هناك نظام الغرامات للمعاقبة على الجرائم من قبل الرهبان في هذه الشرائع، لأن الرهبان احتفظوا بمواردهم الخاصة بعد دخولهم الدير.
 - المشاركة الفعلية في عائدات الدير.
 - وجود ممتلكات مشتركة كما هو الحال في المؤسسات الدينية التقليدية.
 - توزع ممتلكات الرهبان المتوفين عند الموت.
 - تعلن هذه الشرائع أنه لا يمكن عزل رئيس الدير من قبل راهب أو علماني.

¹ - Thamas,J.(1998),p.39-41.

- تحذير من مناشدة الغرباء لتسوية النزاعات الداخلية، وهذا يعطي إشارة إلى أنَّ المؤسسة الأيررية في هذا الدير كانت ضعيفة¹

❖ قوانين المجامع المسكونية :

قد ورد في قوانين المجامع المسكونية إشارات إلى تنظيم الحياة الأيررية في سورية ومنها:

- مجمع نيقية (325م) : الذين تركوا العالم مرة ثم عادوا إليه، فيسمح لهم بعد توبة عشر سنوات تحت التجربة أن يعودوا إلى حياة الرهبنة.
- مجمع خلقيدونية (451م) : يخضع جميع الرهبان للأسقف في أبرشيته، ويمنعون مغادرة أديرتهم والاشتراك في أمور العالم، الأديار هي بيوت الرهبان وليست للعلمانيين².

¹- Thomas.(1998),p.40.

²-صليبا.(2013)، ص 29-30.

خامساً: المظاهر الحضارية للرَّهْبَنَةُ الذَّيرِيَّةُ السُّورِيَّةُ :

1-المظهر الاجتماعي:

إنَّ المجتمع الذَّيرِيَّ يتكوَّن من مجموعة كبيرة من الرُّهبان يعيشون في منطقة أو بيئة محدودة النطاق والمعالم تسمى (الذَّير)، كاجتماع أهل القرية أو القبيلة أو أحياء المدينة، ويجب أن تتوفر شروط أساسية في تكوين هذه المؤسسة الاجتماعية أهمها :

- المكان المحدد النطاق والمعالم وهذا النطاق يتسع إلى حدٍّ ما كلما زاد عدد الرُّهبان.
- خضوع جميع أفراد هذا المجتمع لنظام معين، ولمجموعة من القواعد التي تنظم حياتهم الاجتماعية.
- الاشتراك الفعلي في جميع وجوه النشاط الجمعي، لذلك تمتاز هذه المؤسسة بتعاون أفرادها واعتماد بعضهم على بعضهم الآخر.
- وظهور مبدأ تقسيم العمل وتتنوع الوظائف وتوزع القوى والجهود، وعدم وجود الفوارق الطبقيَّة ضمن هذه المؤسسة. ويجب أن يكون هناك تكوين مميز لهذه المؤسسة الاجتماعية: يتمثل في قواعد منظمة لسلوك أفرادها، والعلاقات المتبادلة فيما بينهم¹.

أ- الحياة اليومية في الأديرة :

وهنا في هذا الموضع سوف نتعرض لبعض ملامح الحياة اليومية في الذَّير من خلال كتابات القديس يوحنا فم الذهب **Johannes Chrysostomos** ، حيث يقدم معلومات عن معالم الحياة الديرية ويقول: (منذ نصف الليل وعند صباح الديك يهب رئيس الجماعة الذَّيرية، ويطوف على غرف الأخوة فيمس كل منهم برجله ناطقاً بعض كلمات مقدسة ليوقظهم ويدعوهم إلى الصلاة، فيقومون بصمت وتهيب ويرفعون قلوبهم وأصواتهم إلى الله ويتلون مناوية صلاة السحر والتسابيح، ثم يعودون ساكنين إلى مخادعهم فيتبحرون متأملين في الأسفار المقدسة أو ينصبون على التأليف ثم يجتمعون في الكنيسة خمس مرات في النهار لتلاوة الساعات الأولى والثانية والثالثة

¹- Lundberg.(1939).**Foundations of Sociology**, N.york, P.494.

والسادسة والتاسعة والغروب. أما ساعات الفراغ في النهار فإتّهم يقضونها بالأعمال اليدوية كحراثة الأرض والحصاد وحياسة السلال والسرّج وخياطة ثياب الفقراء، وجمع الحطب ونقله إلى الدّير، وحمل ما يحتاج إليه من القوت وإصلاح الأطعمة، وكان بابهم مفتوحاً يرحبون بكل ضيوفهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء أو مرضى أو قطاع طرق، أبراراً أو خطاة، أصدقاء أو أعداء، وعندما كان الغريب يطأ عتبة الدّير كانوا يحيونه بألفاظ مقدسة، ثم يأتي أحد الأخوة وينفض عن ثيابه الغبار ثم يغسل رجليه ويقبلها، ثم يجلسه إلى مائدة الضيوف ويقف أمامه باحترام لخدمته. وعند المساء بعد زوال النهار كانوا يجتمعون كلهم لتناول غذائهم الوحيد وهو الخبز والملح لا غير ولا يأكلون الزيت إلا قليلاً، أما إذ توقعك أحدهم أو أضناه المرض فكانوا يؤذنون له بأكل بعض الأعشاب والخضار المسلوقة، وبعد صلاة النوم يتوغلون في التأمل ثم ينطلقون لينالوا نصيباً من الراحة، وكان فراشهم حصيرة ممدودة على الأرض فكانت لهم في النهار مجلساً وفي الليل سريراً، وكانوا يمشون حفاة، وليس على أبدانهم إلا أنسجة غليظة من شعر الماعز أو وبر الإبل أو بعض الجلود الجافة، كانوا كلهم في المأكل والملبس سواء مهما كان شرف أصلهم وغنى أسرهم¹.

من خلال كتابات يوحنا فم الذهب يمكن أن نستقي بعض من جوانب الحياة اليومية والنظام اليومي للرهبان الذي يتلخص في الصلاة والعمل، وإن كان السهر هو الغالب، ويعد العمل جزءاً مهماً من فلسفة الرّهينة السورية وكانت الأعمال تشمل : العمل في الحصاد، وصناعة السلال؛ التي تعتمد على قطع الأفرع ونقعها بالماء ثم قطعها بسكين وجعلها مثل الحبل، وبعدها تستخدم في عمل السلال والحصر. ونسخ الكتب والتأليف.

بالإضافة إلى العمل كان لابدّ من التأمل وقراءة الإنجيل بمعنى آخر حفظ الكتاب المقدس فنعرف أنّ (دانيال العمودي)² كان يحفظ عشرة آلاف آية من الكتاب المقدس، أما البعض الآخر فكان يكتفي بترديد آيات معينة وهي

¹ -البديوي، خليل.(1991)، نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب، طرابلس: مكتبة السائح، ص 11-13.

² -وُلِدَ القديس دانيال العمودي في سميّاط سنة (409م)، تهرب في سن الثانية عشرة، أمضى خمس وعشرين عاماً في الحياة الديرية، تنقل خمس عشرة سنة بين أبرز النساك في زمانه، في سن الثانية والأربعين استقر في مدينة القسطنطينية، وأقام حبساً في هيكلي سابق للأوثان تسع سنوات وفي سن الحادية والخمسين صعد على عامود، وعاش عامودياً بقية حياته، ورد في سن الاربعة والثمانين سنه (493م). للمزيد انظر:

المزمور الخمسون، والبعض يصلي صلوات قصيرة مثل (يا رب ارحمني، يا رب اغفر لي)، بالإضافة إلى الصلاة والعمل كان هناك أيضاً القراءة وهنا يفترض درجة من الثقافة¹.

يتابع الرهبان حياتهم الطبيعية العادية بكل أفراحها وبساطتها مع بعضهم داخل الدير، ولكن ما يتغير في حياتهم هي الروح والتعليل الداخلي لكل حركة وكلمة، فكل شيء ينبغي أن يتم في روح جديدة، وفي وحي آخر جديد لما يجري في حياتهم، ولما يجري لهم في علاقتهم مع الآخرين، ويجب أن يعيش الراهب حياته تجاه نفسه وتجاه الآخرين في شعور الاحترام والرقّة والورع ذاته الذي لحركات الكاهن في الليتورجيا، وهكذا فحياة الراهب الاجتماعية داخل الدير، تأتي إلى اكتشاف أدب خاص هو أدب الدير أو أدب الروح².

تقوم الحياة الاجتماعية تحديداً على علاقة الأخوة، فعلى الراهب أن يتعمق في فهم هذه الأخوة، وهي أخوة لا تحمل سوى واجبات فقط، ولكن هذه الواجبات تترتب بالضبط على جميع الرهبان على السواء، ولهذا فهم يؤلفون عائلة واحدة، وانتماء الراهب لهذه العائلة حقيقة في قيامه بواجبه تجاه الأخوة، وفي إتمام عمله واعياً لواجب خدمة الأخوة³، بهذا المعنى قال السيد المسيح: (كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ)⁴ علاوة على ذلك أيضاً قامت الحياة الاجتماعية ضمن الدير المسيحي على المحبة وهي فكرة غريبة بالنسبة للمفكرين الوثنيين الذين كانوا قد توصلوا إلى فكرة الاستقامة كأساس النشاط البشري اجتماعياً وسياسياً⁵.

كان المفكرون المسيحيون من الرهبان وخصوصاً "باسيليوس القيصري" يتأملون طبيعة حياة المجتمع الديري، الذي كان ينتسب إليه المسيحي الذي يود تحرير نفسه من الشهوات ومكبلات الدنيا، ليسعى إلى اكتشاف حقيقة طبيعة الله، ويجعل نفسه على اتصال مع الحقيقة النهائية بشكل أفضل لما يتسنى له لو بقي في هذا العالم⁶.

¹ - يوسف، رستم. (2017)، *الحياة الرهبانية من خلال كتابات الرهبان*، مجلة مدرسة الاسكندرية، العدد 23، ص 128-129.

² لفظة أدب (Politesse) مشتقة من كلمة (Polis) باليونانية فهناك مدينة الدير أيضاً.

³ -سكريما. (1959)، ص 92.

⁴ - داوئي. (1968)، ص 210.

⁵ - إنجيل متى، 28:20.

⁶ -المخلصي، الأب إلياس كويتز. (1989)، *القدّيس باسيليوس الكبير*، بيروت: المكتبة البولسية، ص 81.

إنّ النجاح العملي للرهبان كقنات اجتماعية يعتمد على الانسجام والفضيلة، وبذلك يكون العنصر الأساسي في تكوين المجتمع الدير هو المحبة، ويبدو أنّ الحياة الاجتماعية داخل الدير ربّما بدت لبعض المسيحيين من حيث كونها الشكل المثالي للحياة البشرية. وقد تحدث أسقف حمص "نيميسوس" في رسالته الضليعة "طبيعة الإنسان" عن أهمية المدينة للمجتمع الدير (بسبب الآداب والفنون والعلوم، وبسبب ما تؤدي إليه من نفع نحن بحاجة متبادلة أحداً إلى الآخر، ولأننا بحاجة إلى بعضنا البعض فإننا نجتمع في مكان واحد هو الدير وبأعداد كبيرة وفي تعامل مشترك وقد سمينا هذا التجمع وهذه المشاركة البشرية مدينة الدير، فيها نستفيد من قربنا من بعضنا البعض ومن عدم حاجتنا إلى السفر، فالإنسان خلق للمواطنة وليس ثمة شخص واحد يكفي نفسه بنفسه، ولهذا من الواضح مدينة الدير تقام لأجل المعاشرة)¹.

ب- أعمال اجتماعية متنوعة:

الخدمة الاجتماعية لها أهمية كبيرة في الرهبنة المسيحية. تعتبر الخدمة الاجتماعية واجباً دينياً يجب على الرهبان القيام به لخدمة الآخرين وتلبية احتياجاتهم. تعتبر الخدمة الاجتماعية جزءاً أساسياً من مسار الرهبنة المسيحية وتعزز قيم الرحمة والعدالة والخدمة في حياة الراهب. من خلال الخدمة الاجتماعية، يسعى الرهبان إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساهمة في تحسين الحياة للفقراء والمحرومين والمظلومين. يتضمن ذلك تقديم المساعدة العاجلة للمحتاجين وتوفير المأوى والغذاء والرعاية الصحية والتعليم وتعزيز حقوق الإنسان والعمل على إصلاح النظام الاجتماعي.

يمكن للرهبان أن يعلموا الآخرين قيم الخدمة ويشجعوهم على المشاركة في العمل التطوعي وتحقيق العدالة الاجتماعية. بشكل عام، تعتبر الخدمة الاجتماعية جزءاً أساسياً من مسار الرهبنة المسيحية وتعزز القيم المسيحية في الحياة اليومية. تهدف الخدمة الاجتماعية إلى تحقيق العدالة والرحمة والمساهمة في بناء مجتمع أفضل وتحقيق ملكوت الله على الأرض. حيث شاركت الأديرة مشاركة إيجابية في عمل الإحسان إلى جانب الكنائس ولاسيما الكنيسة

¹ - داووني.(1968)، ص 210.

الرئيسية في كل مدينة، من أيام الإمبراطورية الرومانية لم تكن للدولة وسلطاتها المدنية سواءً كانت المحلية أم الإمبراطورية أية مسؤولية تجاه تخفيف الفقر والبطالة بشكل منظم، أو تجاه العناية الصحية بالمرضى من الفقراء والمحتاجين والغرباء¹. وقد ساهمت الأديرة ببعض الخدمات الاجتماعية سواءً كان ذلك عينياً أم مادياً من توفير بعض المشغولات اليدوية من ملابس وغيرها، وبعض الأموال الخاصة من عائد بيع بعضها للإنفاق على الفقراء أو تفقد المرضى ورعاية المسجونين والاعتناء بالمعوزين وزيارة العائلات الفقيرة لرعايتهم وتخفيف آلامهم، وخدمة الناس وإدخال الطمأنينة على نفوسهم².

وفي حال وقوع نكبات عامة خطيرة في ولاية سورية رومانية كالهزات الأرضية أو المجاعات كانت السلطات الرومانية تقدم بعض المساعدات للسكان، ولكن النظام الاقتصادي تسبب في خلق طبقة كبيرة من الناس تميزت بالفقر والبطالة لم يُقدم لها أية مؤونة لإعالجتهم، وفرضت عليهم ضرائب تتم جبايتها بصورة صارمة وشديدة³. مما هو جدير بالذكر في هذا المضمار أنَّه لما حدثت مجاعة في الرها في شتاء سنة (372-373م) ومات عدد غير يسير من أهلها جوعاً، ترك (مار أفرام) دير من أجل مساعدة الفقراء والمحتاجين، وراح يطوف دور الأغنياء في الرها، ويجمع منهم الصدقات ويوزعها على الفقراء، وأسس دوراً جُمع فيها ألفاً وثلاثمئة سرير صارت ملجأ للعجزة، وكان يشرف بنفسه على الاعتناء بهم، وعندما انتشر وباء الطاعون انبرى (مار أفرام) في تطيب المرضى ومواساتهم حتى أُصيب بدوره بداء الطاعون، واحتمل آلامه المبرحة صابراً وفاضت روحه الطاهرة نتيجة لذلك في سنة (373م)⁴.

هذه النكبات من مجاعات وهزات أرضية وأمراض وأوبئة كانت النتيجة الحتمية لها إنَّ كثرت الأراذل من شبابت ومتقدمات في السن وكثر الأيتام في القرى والمدن الكبرى مثل أنطاكية وغيرها.

¹ -دواني.(1968)، ص 193.

² -بلادبوس.(1999)، بيستان الرهبان، تر ميخائيل اسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة، ص 406.

³ - Nephtali.L.(1985), Roman Civilization, source book 2,(The Empire). Newyork, p.462-463.

⁴ - سوزومين.(1890)، 3: 16.

وكانت رعاية الأرامل واليتامى إحدى مسؤوليات الكنيسة والأديرة التابعة لها فقد كان من المستحيل تقريباً في تلك الأيام أن يجدوا عملاً، أو يفلتوا من الاستغلال والغواية، وكان من الضروري الحصول على المال لتأمين الطعام واللباس لعدد كبير من الناس، وقد كانت الكنيسة والأديرة القريبة من المدن العائل الوحيد لهؤلاء، وتم إقامة المطابخ وتوزيع الطعام على المحتاجين، ودور الرهبان هنا مراقبة المصطفين ليخرجوا من بينهم من هم غير مؤهلين لاستلام المؤونة، أو من كانوا قد استلموا مؤونتهم في ذلك اليوم، وكل هذه الواجبات والمساعدات والتقديمات للفقراء والمحتاجين يحتاج مالاً وفيراً قد واجه الرهبان صعوبة في إقناع الأثرياء بأن يقدموا العطايا حتى البسيطة منها، وكم كان محزناً أن يضطر الرهبان إلى التسول من أجل هذه الغاية في مدينة من أغنى مدن العالم¹.

شعرت الأديرة بواجب رعاية الغرباء والمسافرين فقد كان النزول في الخانات يكلف كثيراً فضلاً عن خطر الإقامة فيها بالنسبة للكثيرين، وكان النزلاء عرضة للسلب وكثيراً ما كانت الخادومات من العاهرات.

ولما كانت الكنيسة تشعر بوجوب عدم تعرض المسافرين المسيحيين لمثل هذه الخانات، فقد أقامت مرافق لنوم الغرباء والمسافرين تسمى "بيت الضيافة" وألحقته بالأديرة القريبة على المدن²، لذلك فرعاية المسافرين خدمة عامة أخرى تُقدمها الأديرة المنتشرة في سورية، ومقابل هذه الرعاية عمل المسافرون على إيداع تبرعات مالية لهذه الأديرة وأصبحت من موارد الدير المالية من أجل مساعدة الفقراء³.

لذلك عُدت الضيافة والزيارة في الأديرة من التقاليد المهمة التي يعهد بها رئيس الدير إلى المشرف الاقتصادي لاستقبال الغرباء والراغبين في الشفاء وإيوائهم في بيت الضيافة الواقع بجوار الدير، ويمتاز بيت الضيافة بتجهيزه بكل وسائل الراحة للمرضى والزائرين، وفيه فئة من الرهبان خصصها رئيس الدير لخدمة المرضى والزائرين، ويحق للزائر أن يقيم في بيت الضيافة مدة لا تتعدى ثلاث سنوات ومن العرف والتقاليد بين الرهبان أن يقضي الزائر المقيم في بيت الضيافة الأسبوع الأول دون عمل وبعدها يُعهد إليه بالعمل في الحديقة أو الفرن أو في المطبخ .

¹ -دواني.(1968)، ص 193-194.

² - Bedjan.(1903), Homiliae S Isaaci syri Antiocheni, paris, p. 832.

³ -اعتبر الرهبان أن الفقير الواقف على الباب هو الله بالذات، انظر: عظات يعقوب السروجي ، عظة رقم 2.

ومن الشروط المهمة التي فرضت على الزائر حتى في الأسبوع الأول، هو ألا يتحدث مع واحد من الرهبان من الصباح حتى وقت الظهيرة، وذلك حتى لا يشغل الرهبان عن التفرغ لصلاتهم وعبادتهم، والضيافة عملياً لم تضع لزائريها كل تلك الشروط، لأن أكثر الغرباء لم يفضلوا الإقامة بها مدة طويلة¹.

عندها يؤدي الراهب كل ما تطلبه الحياة الديرية من شروط بالكامل، ويمارس أعمال العبادة بانتظام ونشاط، ويمارس الفضائل من عمل الخير والمساعدة والإحسان للفقراء والمحتاجين والمرضى، حينئذ يشرفه الله بصنع الكرامات والأشفية على يديه، فيقصدهم المبتلون بالأمراض وينالون الشفاء على يديه، وكان الرهبان يستقبلون الناس لإسداء النصح لهم وإسماعهم كلمة الوعظ بسيرتهم الصالحة وبالأقوال الإنجيلية².

قد اتسعت القلاية ضمن الأديرة حتى كانت كافية لاستقبال عدد من الزائرين، وأصبح التقليد الرهباني إذ دخل الزائر قلاية الراهب يقوم الراهب بغسل قدميه ويقدم له الطعام في الساعة التاسعة، وإذا جاء الزائر من مناطق بعيدة فإن الراهب يضع له المائدة في الحال، علاوة على ذلك يجب على الراهب الاحتفاظ بجزء من طعامه في قلايته لأي زائر قد يطرق بابه، وقد كانت وصية القديس (موسى الأسود)³ لرهبانه على ضرورة احتفاظ الراهب بنصف الخبز الذي يصرف إليه إلى ما بعد العصر خشية حضور أحد الزائرين، كما أوصى بأن يجهز الراهب للزائر طعاماً بسيطاً من الخضار والملح والحساء⁴. وأمام هؤلاء الزوار أقام الرهبان بالعديد من المعجزات الاستبصار أو وحدة الإدراك ومعجزات الشفاء ومعجزات الأحلام والرؤى ومعجزات طبيعية، ومن المحال التأكد من درجة الإعجاز أو ما هو فوق طبيعي في مثل هذه القصص، ولكن لا جدال في أن هؤلاء الذين سجلوها كانوا يعتقدون أن الله قد تدخل في الأمر على نحو ما، وليس من السهل دائماً الكلام عن كيف وإلى أي مدى⁵.

1 - حبيب. (1978)، ص 91.

2 - يوسف، نسيم. (2017)، الحياة الرهبانية من خلال كتابات الرهبان، مدرسة الإسكندرية، العدد 23، ص 121-136.

3 - يوجد دير على اسمه في مدينة النبك بريف دمشق.

4 - حبيب. (1978)، ص 91.

5 - هستورياموناخورم. (د.ت)، تر بولا اليراموسي، أبناء موسى الأسود، طبعة خاصة بالباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية، ص 45-58.

يمكن القول: إِنَّ هَذِهِ الْمَعْجَزَات لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِصِفَةِ أَوْلِيَةٍ عَلَى أَنَّهَا أَشْيَاءٌ عَجِيبَةٌ لَغَرَابَتِهَا لَكُونِهَا ضِدَّ مَجْرَى الطَّبِيعَةِ، بَلْ هِيَ آيَاتٌ وَآيَاتٌ عَلَى قُوَّةِ اللَّهِ وَأَنَّهَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ تَوْضَحُ لَنَا فُضَائِلُ الرُّهْبَانِ الَّذِينَ هُمْ: (أَيُّقُونَةُ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ الْمَرْئِيَّة).

ج- حماية المدن :

وفي سنة (387م) تم إعلان رفع الضرائب في مدينة أنطاكية، نتيجة لذلك حدثت ردة فعل قوية من قبل سكان المدينة حيث تجمعت الجموع وقاموا بتحطيم الصور وتمثال الإمبراطور (ثيودوسيوس وزوجته والأمير أركاديوس)، المصنوعة من البرونز والقائمة في ميدان المدينة، ولقد عُدَّ هذا العمل بمثابة إهانة للإمبراطور؛ لأنَّ قُوَّةَ الإمبراطور تكمن في صورته، وما صُنِعَ بحق التماثيل بمثابة اعتداء على مكانة الإمبراطور نفسه، وفي هذه اللحظة بعثت السلطات برسلها إلى القسطنطينية وهي تحمل الأخبار عن الثورة في أنطاكية¹. وتمكنت القوات العسكرية الموجودة في أنطاكية من السيطرة على الوضع، وبدأ الأمن والنظام يعودان إلى المدينة، وحالما سيطرت السلطات على الموقف تصرفت بأقصى درجات الوحشية؛ فقد أجريت محاكمة سريعة وعوقب كلُّ شخص بحسب جريمته فقطعت رؤوس البعض، وحرقت البعض وهم أحياء، بينما احتجز آخرون انتظاراً لتقديمهم فريسة حيَّة للوحوش الضارية في المدرج الروماني، ولم يستثن الأطفال أنفسهم فاحرق البعض أحياءً كذلك².

وخشية أن تتعرض المدينة للإبادة قرر الأسقف فلافيانوس (381-404م) التوجه إلى القسطنطينية في الحال ليتوسط لدى الإمبراطور، ونزل الرُّهْبَانُ مِنْ أَدِيرَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِمُ الرَّاهِبُ مَقْدُونِيُوسُ³، والتقى بالمندوبيين في

¹ -سوزومين.(1890)، التاريخ الكنسي، 7: 23.

² -دواني.(1968)، ص 200-202.

³ -المعلومات حول مقدونيوس قليلة ومستمدة من كاتب سيرته المؤرخ (ثيودوريتوس) في كتابه التاريخ الرهباني، لا يذكر ثيودوريتوس سنة وفاته ولا مكان ولادته. لُقِّبَ مقدونيوس (بأكل الشعير) والسبب في ذلك؛ لأنه طعامه الوحيد هو الشعير المطحون المبلل بالماء. كان ميدان نشاط مقدونيوس ومقره رؤوس الجبال ولم يكن يستقر في مكان محدد، بل ينتقل من مكان إلى آخر؛ لأنه يسأم العيش في محل واحد، وقد مارس حياة الفضيلة والرهبة لمدة خمساً وأربعين سنة بدون خيمة أو صومعة بل كان يلجأ إلى كهف عميق، وأصبح معروفاً "بالحباب" وهي كلمة سريانية تعني ساكن الجب، اشتهر مقدونيوس بموهبة النبوءة وصنع العجايب. نتيجة شهرته بحياة النسك والرهبة أصبح معروفاً في فينيقيا وسورية وكيليكيا، بل معروفاً حتى في البلاد المجاورة، وكان يهرب من الجموع التي تنهافت من كل صوبٍ للالتقاء به. توفي مقدونيوس في أنطاكية، وشاركت جموعاً كثيرة في جنازته، وحمل الموكب الجنائزي على أكتاف كبار موظفي الدولة، ودفن في أنطاكية.

انظر: ثيودوريتوس.(1987)، الفصل الثالث عشر.

الساحة العامة، وطلب "مقدونيوس" منهم أن يبلغوا الملك بأنّه هو أيضاً إنسان ومن طبيعة الذين أهانوا، وأنّ عليه أن يجعل غضبه متناسباً مع طبيعته، وألاً يتجاوز في انتقامه حدود طبيعته، فيقضي بإبادة صور الله بدل صورته هو، ويحكم بالموت على أجساد حية بدل تماثيل نحاسية ثم أضاف قائلاً: (*أجل إننا نستطيع نحن بسهولة وارتياح أن نعمل من جديد على صب النحاس، ولكنك أنت ولو كنت ملكاً لست بقادر أن تعيد الحياة إلى الأجساد التي أبدتها، أجل إنني أقول الأجساد، لكنني أضيف أنك لا تستطيع أن تعيد إليها شعرة واحدة*). بينما كان "مقدونيوس" يقول هذا بالسريرية، كان المترجم ينقل كلامه إلى اليونانية، والمندوبون يسمعون ذلك ثم وعدوه بأن يبلغوا الملك كلامه¹.

فيما بعد وصلت الأخبار من القسطنطينية بأنّ الإمبراطور بناءً على واسطة الأسقف، وعلى أساس تقرير المندوبين الذي أثر فيهم الرهبان كثيراً والذي حملته الرسل السريعة إلى العاصمة، تفضل الإمبراطور ثيودوسيوس الأول بالصفح عن المدينة، ورفع عنها جميع العقوبات التي كانت قد أنزلت بها، وكان الفرح عظيماً في مدينة أنطاكية وتزامن ذلك مع قداس عيد الفصح الاحتفالي الذي ترأسه الأسقف فلافيانوس، وأضيئت البيوت، وأقيمت المآدب في الشوارع، وقد تأثر الكثير من الوثنيين بتصرف الرهبان الذين حموا المدينة إلى درجة أنهم اعتنقوا المسيحية². وفي هذا الباب نورد شهادة القديس يوحنا فم الذهب **Johannes Chrysostomos** عن جهود النّسّاك والرهبان في الأديرة المحيطة بأنطاكية، وفي هذا الحادث الجلل الذي تعرضت له المدينة، و بموقف كبار الوثنيين فقال في إحدى مواضعه ما معناه: (*أين هم الآن أولئك الرجال أصحاب الطيالس الطويلة واللقى العريضة الذين كانوا يتمشون شامخي الأنواف في الأندية العمومية وفي يدهم عصا؟ أين هم في ساعة الأحزان والذعر؟ لقد هجروا المدينة عند حلول الخطر، وفروا إلى المغاور والأودية إخفاءً لعار ضخم، ولم يأت لإغاثة الشعب في ضيقه إلاّ محبو الحكمة الحقيقية حكمة الصليب هؤلاء النّسّاك مستودع وكنز تعليم الرسل وورثة غيرتهم وشجاعتهم، وكفى بالحوادث صوتاً يفهم كل خصم*)³. ففي هذه الموعظة يرسم القديس يوحنا فم الذهب صورة للرهبان على أنهم يتدخلون لحماية المواطنين

¹ -ثيودوريتوس.(1987)، ص 125

² -رستم.(1988)، ص 267

³ -البدوي، خليل.(1991)، *نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب*، طرابلس : مكتبة السائح، ص 29.

من عسف مفوضي السلطة الرومانية، ومن أجل حماية المدن، فقد أصبح الرُّهبان في نظر يوحنا أشخاصاً يجسدون الخطاب الشجاع للرسول. حيث يقول عنهم: (إنَّ الرُّهبان هم كمصابيح تضيء الأرض كلها ويحمون بصلواتهم أسوار المدينة).

د- دفن الموتى :

وفي هذا الصدد تورد المصادر معلومات تقول بأنَّه حين يموت أحد الرُّهبان يتم تحضير الجثة في الدَّير الذي حدثت فيه الوفاة من قبل متطوعين من الرُّهبان، وكان على أحد الرُّهبان العارفين بطقوس الدفن أن يقوم بتلك المهمة¹. ويتم تحضير الجسد من أجل الدفن من خلال عملية تعرف بالتطهير والتتقية وأثناء التطهير يصب الماء على الجسد بشكل متدفق من أجل أن يشمل كلَّ أجزاء الجسم، وبعدها يعلن أنَّ الجسد قد نُقي من الآثام التي قد أثقلت كاهله وهو على قيد الحياة، وأنَّ الروح أصبحت حرةً وغير مرتبطة وأصبح بإمكانها أن تدخل العلم الإلهي، ثم يُوضع الجسد النقي بكفن يصنع من قماش أبيض من مادة الكتان، وليس له جيوب بحيث يذكر هذا الكفن أنَّه لن يأخذ معه شيئاً إلى العالم الآخر²، وبعدها يوضع الميت في تابوت ظهره إلى الأرض ووجهه للأعلى ويغطي التابوت بلوح ويحمل إلى الكنيسة³، وفي هذا الوقت يقف بعض من الرُّهبان في حجرة الاجتماعات يرنمون المزامير بنفس حزينة، حتى يتم إعداد المدفن.

ويحمل النعش في جنازة تكون هادئة وبسيطة تتضمن رثاء ومدائح، والمدائح عبارة عن صلاة لله مملوءة بالدعاء والشفقة للميت، وعلى جميع الرُّهبان أن يتبعوا النعش الذي يتقدمه رئيس الدَّير إلى المقبرة، وحالما يوضع التابوت في القبر، فإنَّ رئيس الدَّير يعلن بأنَّ الشخص الميت قد ذهب إلى مكانه أو مكانها في مملكة السلام، وبعد ذلك يصلون جميعاً من أجل هذا الرَّاهب، ثم يرجعون إلى الدَّير وهم حزينون على فراقه⁴.

¹ -ميخائيل، أشعيا. (1986)، حياة الشركة الباخومية، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ص41.

² -النعيمات. (2017)، ص 133-134.

³ - Apopovsky.y.(2007), Jewish Ritual, Dake Institute caralina, p.30-32.

⁴ -بلاديبوس. (1999)، بستان الرهبان، تر ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة، ص 4

هـ- الأسكيم الرهباني الديري :

لقد هذب الرهبان الدّيرين أنفسهم فيما يتعلق بملابسهم التي كانت موضوع تهذيب نسكي بالمقارنة مع النّسك الأوائل الذين يجولون في أسمال أو ثياب بسيطة للغاية، وقد قيل إن الناسك يعقوب النصيبيني (؟-338م) قد نسج لنفسه ثوباً من وبر الماعز¹، وأنّ الراهب يعقوب البرادعي (543-578م) كان يرتدي أسمالاً مرقعة برقع كثيرة لهذا سُمي بالبرادعي². لقد رأى الرحالة كيف كان الرهبان يرتدون ملابسهم؟ ووصفوا ذلك أكثر من مرة، لقد كانت عادة ارتداء ثياب مميزة راسخة وقد وصفت تفاصيلها، وجرت العادة أنّ يسلم الراهب طقم من الملابس (ثوب من كتان وغطاء رأس) وفي الكنيسة يرتدون ملابس بيضاء³.

يتألف الأسكيم الدّيري من ثوب فضفاض من الصوف الخشن أو شعر الماعز يسمونه **Kolobion** هو أصل اللفظ العربي جلابية، هذا الثوب قصير الأكمام يشير أنّهم قطعوا كل أعمال وأشغال هذا العالم، ويرتدي فوق الجلابية جبة دعوها المنذية **Mandya** أو الملوطة (مافورت) مصنوعة من جلد الغنم، وتستعمل في أغراض متعددة وأهمها استخدامها كعباءة عند الخروج، والقلنسوة تدعى باللاتينية كوكولا **cuculla** أو كوكوليون وهي غطاء الرأس عبارة عن قبعة عالية تعرف بالكملفكيون **Kameiankion** وشد وسط الثوب بالحزام **Succinctoria** أو أشرطة **redimicula** وهي تنزل إلى أسفل من فوق الرقبة، وتتفرع على جانبي العنق، وتلف الرداء عند الإبطين وتحزمها في الجانبين، وقد زين الأسكيم بكامله بطرшил تدعى أنالافوسا **Analabos**، وكان الراهب يلبس صندلاً ويمسك عصا ويعنى مسك العصا روحياً أنه ينبغي ألا يسيروا أبداً غير مسلحين في وسط كلاب الرذيلة التي تعوي، والوحوش غير المرئية للأرواح الشريرة عندما تغير عليهم ينبغي أن يضربوها بعلامة الصليب ويطردوها بعيداً⁴.

¹ -ثيودوريتوس. (1987)، ص23.

² -يوحنا. (د-ت)، ص272.

³ -البراموسي. (د-ت)، ص39.

⁴ -كاسيان، يوحنا. (2015)، الانظمة، تر بولا سايروس، القاهرة: مراكز باناريون للتراث الأبائي، ص13-24.

2-المظهر الثقافي والعلمي :

بالإضافة إلى كون الأديرة مراكز للفضيلة والقداسة والأخلاق العالية فإنها كانت أيضاً مراكز للعلم والمعرفة، ويكاد يكون التعلم منحصراً عليها حتى القرن السابع الميلادي، بحيث تجد في كل دير مدرسة تربي فيها الأجيال العديدة من الرهبان.

أ- التعليم والمدارس الديرية :

يبدأ الزاهد منذ دخوله الدير على تعلم أصول القراءة والكتابة السريانية وأيضاً يتعلم الرهبان فيها اللغة اليونانية، ولقد أكد رؤساء الأديرة على أهمية التعليم والقراءة وحثوا دائماً من لا يستطيع القراءة من الكتب عليه التعلم ليتمكن من ذلك، وكانت القراءة في البداية من الكتاب المقدس، وأعمال آباء الكنيسة التي وضعت باللغة السريانية، لذلك توجب على الزاهد أن يتقنها ويستعملها لشتى المعارف العلمية. كان يتم وضع هذه الكتب والمخطوطات في صناديق خاصة ضمن أسوار الدير¹.

ويبدو أن الكتاب هو الصديق الوفي للرهبان في الحياة الديرية، وذلك لدعهم ومساندتهم في عزلتهم، ولإشباع نهمهم وشغفهم الروحي العميق وإمدادهم بالنصوص اللازمة للصلاة وأداء الطقوس الدينية، وقد تمّ التأكيد على أهمية القراءة داخل الدير وضرورة أن تكون لأكثر من مرتين يومياً، واعتبارها عبادة مساوية للصلاة (الصلاة والقراءة كالعينين)، فهي الغذاء الروحي للرهبان التي تتعش روحهم، وتساعدهم على التأمل، وتظهر لهم حقيقة الأشياء التي حولهم، وتقوي عزائمهم، وتجعلهم قادرين على التغلب على الصعاب، ومحاربة كل الشرور وفقاً لأوامر الرب ونواهيهِ وعدم الاكتراث بكل ما هو دنيوي².

¹– Herman,A,p.(2010), **The Genesis of Monastic Libraries**, L&CR vol.45.No.3, p.328.

² -أبراهيم، محمد نعيمة.(2018)، **مكتبات الدير في ضوء التبيكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الدير)**، القاهرة ، ص 52،53.

وحتّ المؤسسون الدّيريون بصفة خاصة على قراءة سير القديسين والقديسات لأنّها تشجّع الرّهبان أن يسلكوا طريقهم القويم في الحياة ويتبعوا خطاهم، وأيضاً دراسة الكتاب المقدس وشرحه وتأويله بغية تسهيل الآراء العقائدية وترسيمها¹. تبدأ القراءة عادةً عندما يقوم الخازن (حافظ الكتب) بقرع السندان الخشبي عندئذ يحتشد الرّهبان في مواقع الكتب، ويأخذ كلّ واحدٍ منهم كتاباً ويظلّ معه حتّى الغروب، وألزم الرّهبان وقت القراءة في صوامعهم بضرورة الالتزام بالهدوء والسكينة والتدبر والتمعن في معاني ما يقومون بقراءته من نصوص، وعندما يقوم الخازن مرة أخرى بالقرع يأتي جميع الرّهبان ويعيدون الكتب التي كانت لديهم منذ الصباح². فضلاً عن ذلك فقد عين مؤسسو الأديرة شخصاً يدعى (الموقظ) كانت مهمته تنبيه الرّهبان أثناء القراءة ومراقبتهم، فكان يسير بهدوء وسط الجماعة الدّيرية وفي وقت القراءة المصاحبة للطقوس اليومية، ويقوم بإيقاظ من غلبه النعاس، وحثه على اليقظة والانتباه³.

أما فيما يتعلق بنظام القراءة في غرفة الطعام تبدأ عادةً بعد جلوس الرّهبان بانتظام على منضدة الطعام، يقوم بالقراءة أحد الرّهبان يتم اختياره بواسطة رئيس الدّير أو المسؤول عن غرفة الطعام، وهناك شروط لمن يقوم بهذه المهمة القراءة الصحيحة، وضبط الألفاظ دون أخطاء نحوية، بالإضافة إلى الصوت القوي الواضح، ويجب على الرّهبان ضرورة الاستماع والتفكير والتدبر فيما يقرأ عليهم ومراعاة الالتزام بالهدوء، ولا يسمح لأحدٍ بالحديث إلّا لرئيس الدّير ويكون الحديث عند الحاجة الملحة فقط، وإذا سأله أحد الرّهبان عن شيءٍ فإنّه يجيب بجمال قصيرة ومقتضبة للغاية⁴.

وقد استعمل رؤساء الأديرة من أجل تعليم الرّهبان وسائل تعليمية وطرق متنوعة نقسمها إلى قسمين:

1- وسائل عامة : (الوعظ، الحوار، التوبيخ، النصيح والإرشاد).

2- وسائل خاصة لحفظ الأفكار : (المثل، المجاز والرمزية، الأقوال)⁵.

¹- Cameron,A.(2006), The Byzantines, London, P.153.

²- Wilson,N,G.(1965), The Libraries of The Byzantines word, Combridgs, P.63.

³-أبراهيم.(2018)، ص57.

⁴- Machairas.(2004),Rule of Neilos Bishop of Tamasia For The Monastery of Mother of cod of machairas in Gyprus, Trans,Bandy , Anastaslus, Washington, P.142.

⁵ -جورج، أنثاسيوس.(2015)، التربية عند آباء البرية، القاهرة: منشورات دار إكثوس، ص 73- 74.

أصبحت هذه الأديرة مراكز علمية تدرس مبادئ النحو والإنشاء والأعمال الأدبية وأعمال الخطباء اليونانية، وطريقة التعليم عن طريق السؤال والجواب، أما علم اللاهوت فكان يدرس من الكتاب المقدس نفسه بشرح وتفسيرات آباء الكنيسة¹، ففي دير مار أوسيسونا بقرب قرية تلعدا في أنطاكية اهتمت مدرسة هذا الدير التي أسسها أميانوس حوالي (٣٤٠م) بتعليم الفلسفة وأعمال الخطباء اليونانيين، وفي هذا الدير ترهب مار سمعان العمودي².

بدأت هذه المدارس بالظهور عندما سمح القديس باسيليوس الكبير للأطفال بدخول الأديرة وضع لهم نظاماً تعليمياً، كما سمح للأطفال الذين لم يكونوا يريدون أن يتربّوا أن يحضروا دروساً يعطيها لهم الرهبان إذا رغب أهلهم أن يرسلوهم، وحدد في قانونه أن تبنى مباني خاصة كمدرسة³، وكذلك يوحنا فم الذهب **Johannes Chrysostomos** كان مؤيداً لفكرة المدارس الديرية، ويبدو أنه في نهاية القرن الرابع الميلادي كانت بعض المدارس الديرية قائمة بالفعل، وقد تعلم "يوحنا فم الذهب" في مدرسة كهذه في أنطاكية⁴، والقديس جيروم **Hironimus** كان عنده مدرسة للأولاد في ديريه في بيت لحم، حيث كان يدرس لهم النحو والشعر والتاريخ⁵.

المصادر الرهبانية لا توفر معلومات وافية حول المنهج، وطرق التدريس في هذه المدارس، يمكن أن نستقي بعض المعلومات عنها من قانون "باسيليوس" ومن كتابات أخرى، يبدأ الطفل دراسته في سن السابعة، ويتعلم الأبجدية والقراءة، وتعد الأسفار المقدسة، وبالأخص سفر المزامير نصوص القراءة. وهذه المدارس تدرس التاريخ والأحياء والموسيقى والفنون العملية من زراعة وبناء وحياكة والشغل بالجلد ومهارات أخرى. وينصح باسيليوس المدرسين أن يكونوا واضحين وموجزين، وأن يستخدموا لغة بسيطة ويتبعوا عن المعاني المجردة والشرح المجازي للموضوعات⁶.

¹ - إسحق، رفائيل بابو. (2006)، مدارس العراق قبل الإسلام، لندن: دار الوراق للنشر، ص 56.

² - اغناطيوس افرام الأول برصوم. (1996)، ص 508.

³ - Basil.Reg.fus,xv,P.G.31.953.

⁴ - داووني. (1968)، ص 176

⁵ - Rufinus,Apology,11,8,P.N,F,111, p. 456-464.

⁶ - باسيليوس. (1954)، القانون الصغير، 15-36.

وأخيراً لابدَّ أنْ نذكر أنَّ لهذه المدارس تأثير محدود بسبب ضآلة عددها، ولأنَّها كانت لأجل تعليم هؤلاء الذين يندرون أنفسهم ليتربَّهوا أكثر منها لتعليم الأطفال الذين لن يترهبوا، وهكذا كان القصد من هذه المدارس هو تعليم الأشخاص الذين داخل إطار الرَّهْبَةِ.

ب- الأديرة مراكز ثقافية وعلمية :

تعد الأديرة السورية مراكز ثقافية وإشعاعية وحضارية فتحت أبوابها أمام رجال الدين والمنقّفين على طول الإمبراطورية الرومانية للتزود بالمعرفة والثقافة والاعتماد على ما بها من كتب ومخطوطات مهمة، وكان التعليم يتركز على الجانب الديني اللاهوتي، إلا أنَّها لم تهمل التعليم العام ودراسة الآداب والفلسفة وغيرها من العلوم¹. ولقد غدت هذه الأديرة قبلة لطلاب العلم وعاشقي الفضيلة ومحبي التضحية والعطاء يقصدونها من كلِّ فجٍ عميقٍ، ويستلذُّ السكنى فيها كلُّ من ينادي بخشية الله وحب المعرفة².

نبغ من هذه الأديرة جهابذة وكانوا المجلّين في حلبة العلم، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الذهبي الفم أمير المنابر الذي لا يجارى الذي درس العلوم الدينية واللاهوتية وتعمق فيها في دير (ثيودوروس) بالقرب من أنطاكية ولقد اشتهر الذهبي بالخطابة والوعظ³.

كما ذاع صيت مار يعقوب السروجي الذي تقبل موهبة الملفنة من روح القدس، وليس عن دراسة بشرية، لذلك يلقب ب (منارة الروح القدس وإكليل الملافة) ولد في مدينة سروج عام(451 م)، درس في مدرسة الرها وأتقن من علومها اللغوية واللاهوتية والفلسفة السهم الأوفى، وقال المؤرخ ابن العبري عنه: **(شاعر خصب الإنتاج من الميامر المفعمّة بالحق والحياة، وأنَّ سبعين ناسخاً كانوا يكتبون قصائده التي جمعت فبلغت سبعمئة وستين، أولها مركبة حزقيال**

¹ – Wilson.(1965).p.69.

² -صليبا.(2013)، ص11.

³ -سوزومين.(1890)، 2:8.

وَأَخْرَجَهَا الْجُلُجَّةَ، وَحَالَتْ الْمَنِيَّةَ دُونَ إِنْجَازِهَا، وَكَلَّمَهَا عَلَى الْبَحْرِ الْإِثْنِي عَشْرِي، وَعَرَفَتْ بِالسُّرُوجِي نَسَبَةً إِلَيْهِ، وَهَذِهِ الْمِيَامِرُ تَتَنَاوَلُ أَحْدَاثَ الْعَهْدَيْنِ الْعَتِيقِ وَالْجَدِيدِ وَالْبَحْثُ فِي الْإِيمَانِ وَالْفَضَائِلِ وَالتَّوْبَةِ وَالْبَعْثِ¹.

وَمَارُ فِيلُوكْسِينُوسُ الْمَنْبِجِي الَّذِي تَوَفَّى عَامَ (523م)، اشتهر بالتعليم السليم والقُدَّاسَةِ، رَسَمَ أَسْقَفًا لِمَنْبِجٍ عَلَى يَدِ بَطْرُسِ الْأَنْطَاكِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْقَصَارِ (480-485م) فَسَانَدَ الْأَرْتُوذُكْسِيَّةَ بِجَبْرُوتٍ، وَعَلَّمَ وَكَتَبَ التَّعَالِيمَ الْقَوِيْمَةَ، وَفَضَحَ زَيْفَ نَسْطُورِيُوسٍ فِيمَا يَخْصُ الطَّبِيعَتَيْنِ، دَرَسَ مَارُ فِيلُوكْسِينُوسُ الْأَدَابَ السَّرْيَانِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ وَعَلَّمَ الدِّينَ فِي دِيرٍ قَرْتَمِينَ، ثُمَّ تَابَعَ دِرَاسَتَهُ فِي مَدْرَسَةِ الرَّهْبَانِ وَأَتَمَّ دِرَاسَتَهُ لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَاللَّاهُوتِيَّةِ، أَنْجَزَ فَقَهَ اللُّغَةَ السَّرْيَانِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ فِي دِيرٍ تَلْعَدَا فِي أَنْطَاكِيَّةٍ، وَمِنْ أَقْوَالِهِ (أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِ الْقَوِي الَّذِي لَا يَدْرِكُ وَاللَّطِيفُ الَّذِي تَحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ) ، وَاشْتَهَرَ بِرِسَالَتِهِ الْجَلِيَّةِ الَّتِي اِحْتَوَتْ فَوَائِدَ لَاهُوتِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ وَنَسْكِةٍ².

مَارُ يُوْحَنَّا التَّلِّي (483-538م) مِنْ ثَقَاتِ عِلْمِ الْفَقْهِ وَلَدَ فِي مَدِينَةِ الرِّقَّةِ وَدَرَسَ فِي دِيرٍ (مَارُ زَكَّى) بِظَاهِرِ الرِّقَّةِ الْعُلُومَ اللَّاهُوتِيَّةَ وَالْفَقْهِيَّةَ، أَلَفَ مَارُ يُوْحَنَّا التَّلِّي ثَمَانِيَّةً وَأَرْبَعُونَ قَانُونًا سَنَهَا لِرَهْبَانِ دِيرِهِ، وَأَدْخَلَ بَعْضَهَا فِي كِتَابِ الشَّرْعِ الْكَنْسِيِّ³.

أَمَّا الْقَدِيسُ سُوِيرِيُوسُ الْأَنْطَاكِيِّ (465-538م) بِطَرِيرِكِ أَنْطَاكِيَّةٍ فَكَانَ شَخْصِيَّةً بَارِزَةً مُتَضَلِّعًا مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ⁴ وَرَاهِبًا حَازِقًا اخْتَارَ طَرِيقَ الزَّهْدِ فَتَرَهَّبَ فِي دِيرٍ (مَارُ رُومَانَسُ فِي بَلَدَةِ مَائُومَا بِفَلَسْطِينَ) مَتْرُوضًا فِي فَضَائِلِ النَّسْكِ مَنَكِبًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَدِرَاسَةِ كِتَابِ اللَّهِ، وَدَرَسَ تَأْلِيفَ اللَّاهُوتِيِّينَ وَانْشَغَلَ بِالتَّصْنِيفِ، وَلَهُ الْعَدِيدُ مِنَ الرِّسَالَتِ وَالْخُطْبِ الَّتِي هِيَ فِي غَايَةِ التَّحْوِيرِ وَذُرُوءِ الْإِعْتِبَارِ وَكُلُّهَا بِاللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ، وَقَدْ نَقَلَهَا رَهْبَانُ دِيرِهِ إِلَى السَّرْيَانِيَّةِ⁵. أَمَّا يُوْحَنَّا ابْنُ اِفْتُونِيَا الَّذِي تَوَفَّى عَامَ (538م) أَحَدَ فَضَلَاءِ الرُّهْبَانِ الرَّهَائِيِيِّينَ وَرُؤَسَائِهِمْ وَبَلْغَائِهِمْ، التَّحَقَّ بِدِيرِ مَارُ تُومَا فِي سُلُوقِيَّةِ

¹ -ابن العبري.(2012)، ص 48

² -مار ميخائيل الكبير.(1996)، ج 2، ص32.

³ -اغناطيوس أفرام.(1996)، ص 237، 238.

⁴ - مار ميخائيل الكبير.(1996)، ج2، ص 45

⁵ - ابن العبري.(2013)، ص47

السُّورِيَّة فِتْرُوض فِي السِّيرَةِ الرَّهْبَانِيَّة وَتَخْرُج بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّة وَالْمُنَظَّقِيَّة، أُنْشَأَ فِي سَنَةِ (530م) دِيرًا بِقَنْسَرِينَ (دِيرِ ابْنِ افْتُونِيَا) وَلَهُ شُهْرَةٌ كَبِيرَةٌ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَالْفَلَسَفَةِ وَاللَّاهُوتِ مِنْهُ تَخْرُجُ أَشْهُرُ عُلَمَاءِ السُّرْيَانِ¹.

مَارَ يَعْقُوبُ الْبِرَادَعِي (578م) الْمَجَاهِدَ الرَّسُولِي الَّذِي دَرَسَ فِي دِيرِ فُسَيْلَتَا الْقَرِيبِ مِنْ بَلَدَةِ "تَلْ مَوْزَل"، أَتَقَنَّ السُّرْيَانِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ وَتَعَمَّقَ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْعِلْمِ اللَّاهُوتِيِّ، وَأَمَعَنَ فِي أَعْمَالِ النَّسْكِ وَالْفَضِيلَةِ وَتَحَلَّى بِأَجْمَلِ الْفَضَائِلِ².

يُوحَنَّا الْأَفْسَيْسِي (586م) الْمُؤَرِّخُ الشَّهِيرُ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمُتَمَتِّعَةِ فِي التَّارِيخِ، دَرَسَ فِي دِيرِ (مَارِ يُوْحَنَّا الْأَوْرُطِي) فِي شِمَالِي أَمْدِ الَّذِي أُنْشَأَ أَوَّلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِي، فِتْرُوضُ فِي دِرَاسَةِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ وَالسِّيرَةِ الرَّوْحِيَّةِ، فِيمَا بَعْدَ طَافَ يُوْحَنَّا الدِّيَارَاتِ وَالصَّوَامِعَ يَحَادِثُ أَفْضَلَ النَّسَاكِ يَقْتَبِسُ مِنْهُمْ وَيَنْقُلُ عَنْهُمْ وَيَدُونُ أَخْبَارَهُمْ، وَصُنِّفَ يُوْحَنَّا تَارِيخًا كَنْسِيًّا فِي ثَلَاثَةِ مَجْلَدَاتٍ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْ عَهْدِ يُولْيُوسِ قَيْصَرٍ حَتَّى سَنَةِ (571م) وَالثَّلَاثُ ضَمَّنَ أَخْبَارَ الْكَنِيسَةِ وَالْعَالَمِ مِنْ سَنَةِ (571-585 م)، وَصَلَ مِنْ تَارِيخِهِ بَضْعَةُ فُصُولٍ³.

سَاوِيرَا سَابُوحَت (575-667م) أَسْقَفُ قَنْسَرِينَ اِشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَدْنِيَّةِ⁴، وَتَصَدَّرَ لِلتَّعْلِيمِ فِي دِيرِ قَنْسَرِينَ بَرِيفَ حَلْبَ، وَقَضَى حَيَاتِهِ فِي تَدْرِيسِ الْفَلَسَفَةِ وَالْعُلُومِ اللَّاهُوتِيَّةِ وَالرِّيَاضِيَّةِ وَالتَّصْنِيفِ، وَكَانَ أَمَثَلُ عُلَمَاءِ السُّرْيَانِ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ بَرَهَنَ عَلَى تَفُوقِهِ فِيهِ عَلَى الْيُونَانِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ، وَتَرَكَ مَصْنُفَاتٍ لَاهُوتِيَّةَ وَفَلَسَفِيَّةَ وَرِّيَاضِيَّةَ لَمْ يَصِلْ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ. وَيَعِدُ سَاوِيرَا أَوَّلُ سُورِيٍّ نَاقِلُ الْأَرْقَامِ الْهِنْدِيَّةِ، وَضَعُ مَخْطُطًا لِلْأَرْقَامِ مُرْتَكِّزًا عَلَى أَسَاسِ الزَّوَايَا⁵.

وَفَضْلًا عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ لَعِبَتِ الْأَدِيرَةُ السُّورِيَّةُ دَوْرًا مُهِمًّا فِي التَّكْوِينِ الثَّقَافِيِّ وَالْفِكْرِيِّ لِلْعَدِيدِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي أَقَامَتْ فِي الدَّيْرِ أَوْ زَارَتْهُ، نَظَرًا إِلَى مَا احْتَوَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَدِيرَةُ مِنْ كُتُبٍ وَمَخْطُوطَاتٍ فِي شَتَّى أَنْوَاعِ الْمَعْرِفَةِ نَهَلَ مِنْهَا هَؤُلَاءُ وَسَاعَدَتْهُمْ فِي كِتَابَةِ مُؤَلَّفَاتِهِمُ الَّتِي أَضَحَتْ عِلَامَاتٍ مُضِيئَةً فِي تَارِيخِ الْحَضَارَةِ الرَّوْمَانِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ⁶.

¹ -اغناطيوس أفرام.(1996)، ص 250،251.

² -يوحنا.(د.ت)، ص.273

³ -اغناطيوس أفرام الأول.(1996)، ص 256-566.

⁴ - مار ميخائيل الكبير.(1996)، ج 2، ص328.

⁵ -اغناطيوس أفرام الأول.(1996)، ص 284.

⁶ - Wilson.(1965), p.69.

ففي القرن السادس الميلادي زار القديس يوحنا موسخوس¹ **John Moschos** (550-615م) مؤلف كتاب المروج الروحانية وهو أحد الكتب النُسكية المهمة لما يحتوي عليه من القصص التهذيبية "دير مار سابا" و أقام فيه فترة من الوقت ينهل من معينه الثقافي وخرج بهذا الكتاب، وفي هذا الموضع نذكر راهب يدعى أنطوخوس **Antiochus** قد عاش بدير مار سابا في القرن السادس الميلادي وكتب كتاباً بعنوان (القاموس الشامل للكتاب المقدس) له قيمة كبيرة، بسبب ما احتوى عليه من بيانات ومعلومات، وكذلك التوثيق المفصل لأحداث الكتاب المقدس. أيضاً وفرت هذه الأديرة مكاناً ملائماً وملاًزماً آمناً لبعض الشخصيات لكتابة مؤلفاتهم في مكتباتها، والتي اتخذت مذهباً مخالفاً للمذهب الرسمي للدولة، ففي أثناء النزاع الأيقوني الذي ألقى بظلاله على الكتب، حيث شهدت موجة من الحرق والتدمير، إذ أحضرت للقصر الإمبراطوري، وتم فحصها، وحرق ما احتوت عليه من صور أو تمزيق هذه الصفحات وإخفاء الكتب في أماكن من الصعب الوصول إليها.

وقد فر العديد من الرهبان إلى بعض الأديرة، واتخذوها ملجأ، وكتبوا هناك الكثير من أعمالهم التي عارضوا بها سياسة الدولة الرسمية في ذلك الوقت².

¹ سيعدُّ الراهب يوحنا موسخوس أول من كتب حواراً مع أحد الأشخاص المجهولين عن الأيقونات (الصور المقدسة) ويعدُّ هذا الحوار هو المحاولة الأولى بالتاريخ المسيحي عن الصور المقدسة، والأسباب وراء تبجيلها من قبل رجال الدين وجمهور المسيحيين إذ يمثل بتبجيل واحترام الشهداء والقديسين الطاهرين المرسومين في تلك الصور السبب الأول والرئيسي وراء تبجيل المسيحيين لتلك الأيقونات، فالمسيحي يبجل النموذج الذي أخذت عنه الصورة ولا يبجل الخشب أو الجسم المرسوم عليه الصورة . لأن الأيقونة كان لها مكانة كبيرة في الحياة اليومية لدى المسيحيين، وأصبح تقديس الأيقونات يمثل جانباً مهماً من الحياة الدينية والمعتقدات الشعبية لدى المسيحي حتى أن الكثير من المسيحيين اتخذوا من الأيقونة وسيلة للاستشفاء من الأمراض. خاف الكثير من الأباطرة ورجال الدولة الرومانية من فتنة قد تصيب المسيحيين كافة فقاموا بمنع المسيحيين من تبجيل وتقديس تلك الصور .

للمزيد انظر : Alexakis.A.(1998),**The Dialogue of The monk and Recluse Moschos Concerning The Holy Icons**,An Early Iconophile Text,DOP,52, p.190-206.

² – Staikos.K.(2007),**The History of The Library in western civilization form Constantine The Greal to Bessarion** Imperial, Monastic school and private Libraries in the Byzantine Word Kotinos, p.122.

ج- المكتبات وحفظ التراث :

كان للأديرة عادة مكتباتها التي تعد كنزها وذخائرها، في سيرة الأنبا دانيال العمودي (409-494م) نقراً: (توضع عادةً في الأديرة كتب كثيرة متنوعة أمام الهيكل، وإذا أراد أي أخ كتاباً فإنه يأخذه ويقراه)¹. ولم تتضمن مكتبات الأديرة كتباً دينية فقط، بل العديد من الكتب المختلفة:

■ الكتب الدينية:

- كتب صلوات وطقوس (كتب خدمية): وهي الإنجيل المقدسة وتفسيرها وكتاب الفصول الذي يحتوي على عدة فصول من التوراة تستخدم في الصلاة.

- السنسكار **synaxarion**: وهي تقويم سنوي لأيام أعياد القديسين، والخدمات التي تؤدي في كل عيد على حدة.

- كتاب أعمال الرسل، وكتب المذائح، والخطب الدينية، والأدعية، والترنيمات التي لم يخل منها أي دير، وذلك لاعتماد الرهبان عليها في تأدية طقوسهم اليومية في الأيام العادية، وأيام الصوم، والأعياد، وذكرى القديسين.

- كتب القصص الدينية التي تناولت سيرة حياة القديسين فقد وجدت في معظم خزائن الأديرة.

- الكتب العقائدية واللاهوتية التي تناولت جوانب العقيدة المسيحية والتصدي للهرطقات².

■ الكتب الدنيوية :

وهنا يتضح مدى اهتمام مؤسسي الأديرة ليس فقط بتزويد مكتباتهم بالكتب الدينية بأنواعها المختلفة، بل اهتموا أيضاً بتزويدها بكتب ذات طابع دنيوي وكلاسيكي في اللغة والطب والتاريخ والفلك، بالإضافة إلى مقولات أرسطو³.

■ مصادر الكتب:

مصادر هذه الكتب كانت في البداية مؤسسو الدير فعندما يقوم شخص ببناء دير فإنه يعمل على توفير

الكتب اللازمة لحاجة الرهبان، وعادة ما تكون مكتبته الخاصة التي أحضرها معه عند انسحابه للدير.

¹ - Dawes, E. (1948), **Life of St. Daniel, ed Three Byzantine Saints**, London, p.17.

² - إبراهيم، (2018)، ص. 70-74.

³ - Staikos, (2007), p.309.

ويتم تزويد المكتبة أيضاً من خلال شراء الكتب، إذ يخصص جزء من دخل ممتلكات الدّير من أجل تزويد المكتبة بالكتب والإنفاق عليها، وهنا نورد عن الراهب يوحنا ابن افثونيا (؟ - 538م) عندما أسس دير قنسرين أنّه قال: (معظم الكتب ضمن هذا الدّير اشتريتها بمجهودي وعلى نفقتي الخاصة)¹، فضلاً عن ذلك فقد لعبت الهبات والمنح التي يقدمها الأفراد للدّير دوراً مهماً في تزويد المكتبة ببعض الكتب، سواء أكان هؤلاء الأفراد أباطرة أم أمراء أم رجال دين أم حتى أفراد عاديين، كذلك كان تبادل الكتب والاستعارة بين رؤساء الأديرة عاملاً مهماً في تزويد المكتبة الديرية بالكتب. علاوة على ذلك يعدّ نسخ الكتب في الدّير مصدراً مهماً وأساسياً لإمداد المكتبة بالكتب اللازمة لسد احتياجات الرهبان من الكتب اللازمة للقراءة وأداء الطقوس الدينية، حيث وجد في كل دير مكان للنسخ خاص بها²، إذ بحسب التقليد الرهباني الدّيري كان يُنظر إلى نسخ المخطوطات والكتب كواجب مقدّس يشترك فيه الرهبان ورؤساء الأديرة. وتقدم السجلات الرهبانية معلومات عن عمل نسخ المخطوطات، فمثلاً في وصف " بلاديوس " نقراً :

(أعمالهم كانت على النحو التالي واحد يعمل في الأرض، وآخر يعمل في المصبغة وآخر في النسخ)³.

والمؤرخ ابن العبري يذكر العديد من النساخين الذين نسخوا الأعمال الدينية والأدبية وغيرها، إنّ نسخ المخطوطات كان عملاً شائعاً بين الرهبان، وإنّ محبتهم للتعليم والدراسة هي التي حركت أقلامهم، هذه المحبة حفظت ما تبقى من الأدب السرياني واليوناني، ولو كان الحال غير ذلك لاختفى ولم يصل منه شيئاً⁴.

كان هذا العمل شاقاً ومعقداً، فبعض الرهبان ينسخون الكتب، وبعضهم الآخر يجلّده وآخرون يزينونه وأخيراً هناك راهب يراجع ويصحح أخطاءه، وهذه الأعمال تتم في حجرة خاصة تسمى المنسخ **Scriptorium**، وقد قاموا بدور مهم في نسخ وشرح وترجمة أعمال الفلاسفة والشعراء والجغرافيين القدامى وتركوا بعضها في المكتبات الديرية⁵.

¹ - Padover.(1967), P.323.

² -أبراهيم.(2018)، ص. 70

³ - Palladius.(1967), **Historia Lausiaca**, P.G.34 11

⁴ -ابن العبري.(2012)، ص 48

⁵ - Fr.Eby .(1958), **History and Philisophy of Education** , Engle Wood cliffs,p.638.

حيث عُدت الأديرة ومكتباتها مسؤولة عن حفظ التراث من الاندثار، والجهل المدمر الذي بدأ يدق ناقوس الخطر في القرن الخامس الميلادي، فقدم الرهبان خزانة آمنة لسجلات التاريخ الماضي، وذلك بالحفاظ على المخطوطات والوثائق، ومن المنير للدهشة أن نعرف أنه تمّ وضع قوانين لحماية هذه المخطوطات والوثائق والكتب والمكتبات من قبل رؤساء الأديرة، فنقرأ: (*إذا أخذ أحد كتاباً ولم يهتم به بل ازدرى به يضع خمسين ميطانية*)¹.

وعلاوة على ذلك ساهمت الأديرة بالحفاظ على الكتب، وحمايتها من خطر الغزو والنهب التي تعرضت له المدن السورية خلال تلك الفترة، وذلك من خلال ما بذله رؤساء هذه الأديرة من دور للحفاظ على مقتنيات مكتباتهم. ويرجع لهذه الأديرة ومكتباتها الفضل في حفظ التراث الكلاسيكي اليوناني والروماني، بل والمسيحي من الضياع وتقديمه بعد ذلك ليكون أساساً للحضارة العربية الإسلامية. حيث أصبحت هذه الأديرة مراكز للترجمة من اليونانية والسريانية والفارسية إلى اللغة العربية في الفترة العباسية، فإنّه بدون العمل الدؤوب من جانب الناسخين في حجرة النسخ الملحقة بالأديرة ربما فقدنا الكثير من الكتابات الكلاسيكية والمسيحية وتناقص التراث الثقافي في تلك الفترة، فهؤلاء الرهبان الدّيريون هم الذين حفظوا هذا التراث من الضياع وصارت الأديرة خزائن لحفظ الكتب والمخطوطات النادرة².

3-المظهر الاقتصادي :

أ- العمل الزراعي :

كانت الأديرة تمتلك حقولاً وأراضي زراعية تقع خارج الأسوار، وقد عمل الرهبان في هذه الحقول، و تمّ بالفعل العثور على آثار الحقول والحدائق بالقرب من الأديرة، مع ذلك يمكن القول: إنّها قد استخدمت من قبل المستوطنات المجاورة أيضاً، في خربة الدّير³ يبدو واضحاً الارتباط الواضح بين المساحات المزروعة والدّير، وذلك لأنّ المكان منعزل إلى حد ما عن المستوطنات الأخرى، ويقترح المؤرخ "هيرشفيلد" أنّ الرهبان قاموا بزراعة (3000) متر مربع

¹ -جورج.(2015)، ص.114.

² - Padover.(1967), P.311.

Hirschfeld .(1999),p.59

³ - قرية فلسطينية تقع إلى الجنوب من بيت لحم على بعد عشرة كم^٢. للمزيد انظر: .

من الحقول الزراعية، هذا يدل على أنَّ الحجم والجدران المحددة تشير إلى صلة بمجتمع رهباني منظم، وقد تمَّ تقدير موارد المياه لتكون كافية للزراعة، وعلاوة على ذلك يمكن أن تعزز المناجل الموجودة داخل الدَّير فرضية حول الأنشطة الزراعية¹. وفي دير " قلعة سمعان" لا تزال المدرجات الزراعية ظاهرة على المنحدرات المحيطة بالدَّير، وقد تم نقل المياه إلى قطع الأراضي من صهاريج داخل الدَّير ومن خزانات خارجية، وبالتالي لا تزال الأنشطة الزراعية ظاهرة، ولكن من الصعب تقدير حجم المساحة المزروعة².

كانت قطع الأراضي الزراعية تقع عادةً داخل الأديرة أو بالقرب منها، ويروي (سيريل) من مدينة **Scythopplis** أن دير **Theoctistus** في الصحراء الفلسطينية يمتلك حقولاً تقدر بمساحة (5 كم²) بالقرب من الدير، ويمكن تحديد مثال على ذلك أيضاً في أديرة حوران حيث استخدم الرُّهبان نظاماً واسعاً لزراعة الوادي الذي يقع على مقربة من الأديرة الموجود هناك³، وكذلك بالنسبة للأديرة المارونية في وادي العاص ومنها دير مارون "مغارة الراهب" ودير مارون العاقورة ودير مار سمعان في الرستن حيث عمل الرُّهبان على استغلال الأراضي الزراعية المجاورة لهذه الأديرة في النشاط الزراعي⁴. كانت المحاصيل الرئيسية في الأديرة هي النباتات المزروعة في الحقول والحدائق وهي : (الحبوب " القمح -الشعير " والبقول والخضراوات والكروم والزيتون ونخيل التمر).

كانت زراعة الحبوب مثبتة بشكل آمن فقط في حوران، حيث قام معظم السكان بزراعة القمح والشعير، وكذلك في أديرتها، وحتى الآن لم تتم الإشارة إلى استخدام الجواردار والشوفان في الأديرة على الرغم من إمكانية زراعة كلا النوعين في هذه المناطق⁵، ولكن في أديرة فلسطين اضطر الرُّهبان إلى شراء القمح من أماكن أخرى، لأنَّ الظروف البيئية لم تكن مناسبة لزراعة القمح، ويتمُّ حصاد محاصيل الحبوب اعتماداً على الظروف المحلية، ففي دير جبل

¹- Hirschfeld, Y. (1999), The Early Byzantine Monastery At Khirbet Ed-Deir In The Judean Desert, The Excavations In 1981 – 1987. QEDM 38, Hirschfeld,

²- Bouchier, E. (1926), Syria as Roman province, Oxford, p.163-167.

³- Lavento M. and Huotari, M. (2002), A Water Management System around Jabal Harûn, Petra – Its Design and Significance, In. C. Ohlig, Y. Peleg and T. Tsuk (Eds), Cura Aquarum in Israel, Proceedings of the 11th International Conference on the History of Water Management and Hydraulic Engineering in the Mediterranean Region, Israel 7- 12 May 2001, (Pp. 93-106), Schriften der Deutschen Wasserhistorischen Gesellschaft, Band 1.

⁴ - عبدالله. (1997)، ص 106-107.

⁵- Zohary.M.(1982), Plants of The Bible, Cambridge: cambridge university press, p. 41.

هارون¹ يقترح المنقبون أنَّ الرُّهبان استبدلوا بالقمح الشعير بسبب التربة المحلية والظروف المناخية التي تتناسب الشعير بشكل أفضل²، وفي دير (عين عباطة)³، وجد المنقبون أدلة تشير إلى زراعة الشعير والقمح في المناطق المجاورة، وقد تأثرت حياة الرُّهبان في دير "Euthmius" مرتين على الأقل في القرن الخامس الميلادي بسبب الجفاف الشديد، وتسبب الجفاف الذي دام أربع سنوات (517-520م) في سورية الجنوبية بمجاعة لنذرة المياه في هذه المنطقة، لذلك قامت الإمبراطورة أودكيا Eudocia في عام (459م) ببناء كنيسة وخزان مياه للمسافرين في الصحراء بين القدس وأريحا، حيث كان هناك دير Euthmius وقد ساعد رهبان هذا الدير الرحالة والمسافرين والزوار⁴.

بالإضافة للحبوب كانت البقوليات والخضراوات جزءاً مهماً من النشاط الزراعي في الأديرة، ويمكن تحديد البقوليات المميزة مثل (البازلاء والفاصولياء والعدس والحمص والترمس) التي كانت تزرع في الحقول أو في الحدائق. بينما كانت الخضراوات عادةً تزرع في حدائق الأديرة في الظروف المواتية، بسبب حاجة الخضراوات للري الدائم بينما النباتات الحقلية كانت تستزرع على أوقات الجفاف⁵.

أما فيما يتعلق بالأشجار المثمرة، نشطت زراعة الزيتون لأنها مصدراً مهماً للتغذية والوقود، وزرعوا الكرمة وساعدوا بعضهم بعضاً خلال موسم الحصاد، وفي الأديرة التي تتواجد في سورية الجنوبية تم العثور على أنواع من أشجار

¹ - يقع هذا الدير على قمة جبل هارون غربي مدينة البتراء وهو مطل على الضفة الغربية. للمزيد انظر:

Fiema and Holmgren.(2002), p.101

²- Tenhunen.(2001), p.386-387.

³ - يقع بالقرب من بلدة الصافي بمنطقة الأغوار الجنوبية وسمي بذلك الاسم لوجود عين ماء تسمى بعين عباطة يتكون هذا الدير من كهف وكنيسة وبركة ماء ضخمة ومدافن وحقول زراعية .

⁴-Hirschfeld, Y. (1990), List Of The Byzantine Monasteries In The Judean Desert, In G. Bottini, L. Disegni, And E Allia, Eds, Christian Archaeology In The Holy Land: New Discoveries, (Pp. 1-89) Jerusalem: Franciscan Printing Press, p. 89.

⁵- Zohary, M. (1973), Geobotanical foundations to the Middle East, Vols 1 and 2. Stuttgart and Amsterdam: G. Fischer & Swets and Zeintlinger, p.629-630.

التين في الأودية القريبة من الأديرة، بالإضافة إلى ذلك النخيل "تمر" قد يكون له أهمية خاصة في جنوب سورية لأنَّ أشكاله البرية لها موطن طبيعي يتراوح من المنحدرات الجافة إلى المياه المالحة، وينمو في الصحاري الساخنة أيضاً¹. وقد اعتمدت هذه المساحات من الأراضي الزراعية سواءً الحقول أم الحداثق على المياه التي كان يتم توفيرها من خلال الصهاريج أو الخزانات، وقد تم العثور على الصهاريج داخل الأديرة أو بالقرب منها، وقد تم تحديد تقنية البناء الخاصة بها على أنَّها رومانية، ولكن غالباً ما تكون قيد الاستخدام منذ قرون سابقة، ويختلف حجم هذه الصهاريج وخزانات المياه من عدة آلاف من الأمطار المكعبة إلى إنشاءات أصغر بكثير، وقد تصل إلى تجاويف طبيعية في الصخر، وإنَّ ارتباطها بالزراعة أمر معقول عندما يكون موقعها بالقرب من الحقول، وتُمن نقل مياه الشرب والتنظيف منها إلى الأديرة. تحتاج الصهاريج إلى تخزين كمية الاستهلاك اللازمة على الأقل من المياه المنزلية والزراعية، وكان هناك حاجة أيضاً إلى الماء للتنظيف، وتعتمد كمية المياه اللازمة للاستهلاك على مساحة الأراضي المزروعة، وعدد الماشية الموجودة ضمن الأديرة، والاستهلاك البشري، وعلى هذا النحو من الصعب تقدير حجم الاستهلاك الكلي للمياه في الأديرة².

بالإضافة إلى النباتات المزروعة قام الرُّهبان بجمع النباتات البرية الصالحة للأكل، حيث جمع رهبان دير (ثيودوسيوس)³ في القرن السادس الميلادي هذه النباتات، وتمَّ تسجيل رهبان أديرة choziba⁴ و Elthymios في نفس المهمة، وكذلك في الأديرة التي تقع في الشمال السوري، هذه النباتات البرية تجمع مرة واحدة في السنة كمؤونة لسد احتياجات العام بأكمله، وأنَّ جميع الرُّهبان شاركوا في العمل، وتم تخزين الشجيرات في مكان دافئ وجاف.

¹- Zohary.(1973), P.630-632.

²- Hirschfeld, Y. (1993), **Euthymius And His Monastery In The Judean Desert**, Liber Annuus 43. (Pp. 339-371).

³ - يعود تاريخ هذا الدير لعام (465م)، بنى هذا الدير ثيودوسيوس ودمر في عام (614م) من قبل الغزو الفارسي . انظر :

Hirschfeld .(1992),p.49

⁴ - يُعرف بدير القديس يوحنا وجورج شوزيبا أو دير القديس جورج أو مار جرجس يقع بوادي قليب بالضفة الغربية بفلسطين، دمر من قبل الغزو

الفارسي لسورية عام (614م). انظر :

Hirschfeld .(1992),p.49.

ومن أهم النباتات البرية نبتة القصر، ويخمن المؤرخ "هيرشفيلد" أنَّ "القصر" ربَّما عبارة عن عشبة الشوك المعروفة باسم العكوب باللغة العربية، ومن النباتات أيضاً الخرشوف براعم الزهور، ويمكن أكل البراعم الصغيرة التي تشبه الأرضي شوكي طازجة أو مطبوخة، ويمكن حفظها وتخزينها في مكان بارد متاح، ويعتبر الشوك طعاماً شهياً موسمياً، ويمكن استخدام هذه النباتات كعلف للحيوانات المتواجدة عند الرُّهبان في الأديرة.

كما يدعي المؤرخ "هيرشفيلد" أنَّ عشبة الشوك قد استخدمت كوقود من أجل التدفئة، وقد تكون مصدر نقدي موسمي محتمل للأديرة¹، وكذلك قد جمع الرُّهبان شجيرة الملح المقاومة للجفاف التي يصل ارتفاعها من (2-1 م) يمكن استخدامها كعلف للماشية، وقد استخدمت أيضاً كوقود للتدفئة، وجمع الرُّهبان نبات القبار ونبات المن، وقد صنعوا من المن مسكرات يتم وضعها في قوارير يشرب منها الرُّهبان، ولا يعرف شيء آخر عن نبات المن².

وفي نهاية الحديث عن مجمل النشاط الزراعي الديري يمكن الاعتقاد بأنَّ هذه الأديرة تذكر بمؤسسات الفيلا الرومانية المتأخرة التي كانت عادة مراكز إنتاج زراعي واسعة النطاق.

ب- تربية الحيوانات والصيد :

إنَّ المصادر التاريخية ليست وفيرة بالمعلومات حول وجود الحيوانات في الأديرة، يبدو أنَّ الحمير والبغال هي أكثر الحيوانات شيوعاً وقد تم استخدامها للنقل، وحيث تمَّ تكليف الرُّهبان بالعمل كرافين. وقد تم العثور على إسطبلات في الأديرة السورية كما في دير "أبامارتيريوس" معالية أدومين³ وخربة الدير وخدمت هذه الإسطبلات بشكل أساسي حيوانات الرُّهبان، ولكنها كانت تخدم حيوانات الزوار والحجاج أيضاً⁴، وفي دير الشعير وأم عويني في منطقة حوران تظهر حظائر للحيوانات داخل الأديرة. مما جعل المؤرخ (فيلنوف) يقترح أنَّ الرهبان يربون الحيوانات الأليفة، وقد

¹ - Hirschfeld, Y. (1992), The Judean Desert Monasteries In The Byzantine Period, New Haven And London: Yale, P.88.

² - Dahari, U. (2000), Monastic Settlements In South Sinai In The Byzantine Period, The Archaeological Remains, Israeli Antiquities Authorities Reports, No. 9.

³ - يعرف هذا الدير بدير أبامارتيريوس الذي يقع في معالية أدومين في الصحراء الفلسطينية بين القدس وأريحا. انظر:

Magen. (1990), p 107

⁴ - Magen Y. (1993), The Monastery Of Martyrius At Ma'ale Adummim, In Y. Tsafir (Ed.), Ancient Churches Revealed, Jerusalem: Israel Exploration Society, P.44

تمكن من تحديد غرف للماشية ومربيها داخل الدَّير في معالية أدومين ودير الشعير وأم عويني¹. وفي القرن السادس الميلادي قام رهبان دير ثيودوسيوس برعاية الخنازير والأغنام والماعز والغزلان والطيور الداجنة والحجل والسمان، ومع ذلك في جميع الحالات لا يزال من غير الواضح ما إذا كانت الحيوانات لاستهلاك الرُّهبان أو الغرباء والزوار، حيث تم العثور على بقايا عظام هذه الحيوانات في المطابخ داخل الأديرة².

ولكن لا يمكن الجزم أنَّ هذه البقايا كانت غذاء الرُّهبان، من المحتمل أنَّ تكون غذاء للزوار والحجاج الذين يزورون هذه الأديرة أو التجار لأنَّ هذه الأديرة كانت محطات على الطرق التجارية. بالنسبة للأسماك ربما كان لها أهمية في النشاط الاقتصادي الدَّيري في سورية، ففي بلدة بيسان الصحراوية كان رئيس الدَّير يدير شؤون الأعمال التي تضمنت نقل الأسماك، وتروي رسالة محفوظة من القرن السادس الميلادي، قصة شحنة سمك مخلل أرسلها رئيس الدَّير إلى شماس الكنيسة في بيسان، ربما وفر البحر للرُّهبان لقمة العيش في المناطق الساحلية، ويقع دير (كورسي جرجسة) على ضفاف بحيرة طبريا التي اشتهرت بصناعة صيد الأسماك في العصر الروماني، بذلك يقترح المؤرخ (تسافيريس) أنَّ الصيد وفر بعض الدخل للرُّهبان السوريين بعد الغزو الفارسي لسورية عام (614م)، مما قلل عدد الحجاج إلى سورية، نظراً للمواقع الجيدة والملائمة للصيد التي كانت الأديرة على مقربة منها (البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحيرة طبرية ونهر العاص وغيرها)³. ولقد تم العثور على بقايا عظام الأسماك داخل المطابخ الموجودة في الأديرة، ومن خلال الفحص الاثري تمكن المؤرخون من تحديد أنواع مختلفة من الاسماك، مما يشير إلى الاستغلال المتنوع للأسماك التي كان لها أهمية كبيرة في النظام الغذائي بالنسبة للرُّهبان داخل الأديرة⁴.

¹– Villeneuve, J. (1985), L'économie Rurale Et La Vie Des Campagnes Dans Le Hauran Antique (Ier Siècle Avant J.C.-Vième Siècle Après J.C.): Une Approche, In J.-M. Dentzer (Ed.), Hauran I. Recherches Archéologiques Sur La Syrie Du Sud A L'époque Hellénistique Et Romaine (P.63-136). Bibliothèque Archéologique Et Historique. Tome, p.124.

²– Mogen.(1993), p.173

³– Safrai,z.(1994), The Economy of Roman palestine, London and New york Routledge, p.163-164

⁴– Hirschfeld.(1992), p.88.

ج- الصناعة :

على الرغم من قلة الوثائق المتعلقة بالصناعة الدَّيرِيَّة وأصحاب المهن في الأديرة إلا أنَّها تعطي صورة مقبولة عن ممارسة بعض المهن داخل الأديرة من هذه الصناعات (الخبز - الزيت - النبيذ - السلال - الأدوات المنزلية).

■ صناعة الخبز والغلال :

على العموم فإنَّ الاختراع الهلنستي للطاحونة قد جعل مهنة طحن الحبوب مهنة محترفة، وسهل على الرُّهبان طحن الحبوب المتوفرة لديهم مقابل أجر معلوم¹، وازدهرت صناعة طحن الغلال في الأديرة نتيجة لتوفير الحبوب مثل القمح والشعير التي كان يزرعها الرُّهبان في الحقول المجاورة لأديرتهم.

في القرن السادس الميلادي تم العثور على فرن في **coenbium** ، وكانت أرغفة الخبز تخبز بمهارة كبيرة من قبل رهبان خبازين محترفين، وبحسب ما ذكر أن هؤلاء الخبازين لا يتحملون أعباء جلب المواد من دقيق ووقود للخبز، وقعت هذه المهمة على عاتق رهبان آخرين حملوا الطحين والحطب لخبزه من أجل سد احتياجات الرُّهبان داخل الدَّير².

■ صناعة الزيت :

راجت صناعة زيت الزيتون ضمن الأديرة نظراً لوفرة أشجار الزيتون على المنحدرات الجبلية والساحلية القريبة من الأديرة ولا سيما في أنطاكية واللاذقية وحمص، ولأنَّه يعدّ غذاء يومياً للرُّهبان³. كانت الأديرة في منطقة بيت لحم متخصصة بإنتاج زيت الزيتون، فقد تم اكتشاف بقايا معاصر في أديرة خربة أم ركة وخربة بريكيث وخربة أم ريش

¹- Heichelheim,F.(1959), **Roman Syria Teny Frank An Economic Survey of Ancient Rome**,vol.1V.Newjersry,p.197.

²- Doharia.(2000), P.162.

³ -حتى.(1982)، ص323.

المجاورة¹، بالإضافة إلى ذلك تم العثور على معاصر في منطقة قلعة سعمان في المنطقة الشمالية من سورية، واشتهرت الأديرة السورية بإنتاج الزيت وجودته، نظراً لأسلوب وإتقان الحرفة من قبل الرهبان الدُيريون². ونظراً لتعدد أنواع الزيت فقد استخدمت في مجالات عدة، فكان أفخر الأنواع يصنع منه الزيت المطيب ذو الروائح العطرة، وهذا النوع يتم تصديره إلى الخارج، ولاسيما العاصمة القسطنطينية، وهذا النوع من الزيوت ذو تكلفة عالية إلا أنَّ الطلب عليه كان في تزايد من قبل الفئات الثرية³. يمكن القول في هذا الموضع: إنَّ صناعة زيت الزيتون وفرت بعض الدخل للرهبان في الأديرة من أجل تأمين احتياجاتهم المختلفة، ومساعدة الفقراء والمحتاجين.

■ صناعة النبيذ :

نشطت صناعة النبيذ ضمن الأديرة لتوفر مادتها الأساسية "الكرمة" التي تزرع في المناطق الجبلية القريبة من الأديرة، إذ يعدُّ دير "الأندرين" الذي يقع جنوب حلب من أهم الأديرة السورية بإنتاج النبيذ والخمر، ويتميز بجودته مما جعله الأكثر طلباً داخل سورية وخارجها.

ونستشهد حول ذلك بقول الشاعر عمرو بن كلثوم⁴ الذي يقول في مطلع معلقته الشعرية :

ألاَّ هبي بصحنك فأصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

هذه الخمر كانت تصدر إلى دمشق وبعليك كما يوضح هذا الشاعر :

وكأس قد شربت ببعليك وأخرى في دمشق وقاصرينا

مما يدل على جودة النبيذ الذي ينتجه هذا الدير¹. وتم العثور على بقايا معاصر للعنب في هذا الدير، وكذلك اكتشفت معاصر للعنب في أديرة خربة أم ركة وخربة أبو ريش في حوران، وعصر العنب في دير "بيت لويّا

¹ - Hirschfeld. (1990), p.47.

² - الدبس. (1983)، ج4، ص141.

³ - Bouchier. (1926), p.155.

⁴ - عمرو بن كلثوم: هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن تغلب نشأ على الفروسية والكبرياء هو أحد فرسان العرب وفتاكها، به يُضرب المثل في الفتك فيقال : أفتك من عمرو بن كلثوم لفتكه بعمرو بن هند ملك الحيرة (569م)، اتسم شعره بالفخر والحماسة توفي عام (584م). لمزيد ينظر حسني ، محمد علي. (2012)، معلقة عمرو بن كلثوم، أبو ظبي: دار الكتاب الوطنية، ص 19-21.

كاليفورنيا" التي تبعد (30) كم جنوب غربي القدس²، هذه المعاصر تنوعت أحجامها وأشكالها؛ فمنها ما يكون كبير الحجم؛ وآخر صغير الحجم، وبشكل عام وجدت المعاصر ذات الشكل المجوف التي يحميها سقف من الخشب يستند على أعمدة، ومعاصر ضمن حفرة صخرية بالقرب منها حوض مستطيل ذو حجارة مدببة تستخدم لعصر العنب³. وبعد النبيذ ضرورياً في الخدمة الإفخارستيا⁴ وفي أيام الآحاد وفي الأيام المقدسة الأخرى من السنة، على الرغم من الإرشادات إلى استهلاك النبيذ من قبل الرهبان، إنَّ النبيذ كمادة غذائية كان مثيراً للجدل وقد حظر الأب "ثيودور" بشدة استهلاكه في القرن السادس الميلادي، بالمقابل شرب "سابا" ورهبانه الخمر في دار الضيافة الرهبانية في أريحا كذلك رهبان دير "أبامارتيوريوس" "معالية أدومين" في الصحراء الفلسطينية كانوا يشربون الخمر مع وجباتهم، وأحياناً أكثر من ذلك، وهنا يفترض المؤرخ "هيرشفيلد" أنَّ النبيذ في مناطق مختلفة من سورية كان متاحاً للرهبان على الرغم من أنَّ أعظم الزاهدين امتنعوا عن شربه⁵.

■ صناعة العقاقير والعطور :

استخدم الرهبان زيت الزيتون لعلاج الأسنان وكمادة مسكنة للآلام، لمعالجة الصداع استعملوا زيت الغار، وزيت الجوز لطرد السموم من المعدة، وعُد زيت اللوز مفيداً لمعالجة الآم العينين، ونصحوا بتناول عصير الشعير في معالجة أمراض الكلى، ووصفوا التفاح والرمان كدواء لعلاج أمراض المعدة، وأيضاً قاموا بتركيب مراهم وعقاقير من البلسم التي تفيد في علاج لدغة الثعابين. فيما يتعلق بالعطور فقد انتشرت بشكل واسع وخاصة بالكنايس، وكان هناك نوعان من العطور:

- العطور العادية : تصنع من الورود والعنبر وزهرة العسل والقصب وغيرها من النباتات التي

¹ -حسني.(2012)، ص 19-21.

² - Hirschfeld.(1999), p.172.

³ -اسماعيل، أحمد علي.(1998)، تاريخ بلاد الشام، ج1، جامعة دمشق، ص 244.

⁴ -الإفخارستيا: تعني سر الشكر، ويسمى سر الشركة المقدسة Holy communion وكلمة الشكر تعني إفخارستيا، وهي تنقسم إلى مقطعين أف تعني جيد وحلو، والمقطع الثاني خريس تعني نعمة، ويصبح المعنى عطية ونعمة مقبولة من يدك يا رب بالفرح والشكر والعرفان. للمزيد انظر: أنطونيوس، فكري.(2017)، أسرار الكنيسة السبعة، القاهرة: مشروع كنوز القبطية.

⁵ - Hirschfld.(1992), P.88.

زرعها الرُّهبان في حدائق الأديرة .

- العطور الفاخرة : صنعت من زيت الزيتون وزيت الكرمة البرية والقرفة والقصب¹.

▪ صناعات متنوعة :

قد وفرت الأشجار المتنوعة التي زرعها الرُّهبان مواداً للحرف اليدوية ومنها السلال التي صنعت في العديد من الأديرة، وقد ذكر لرهبان **choziba** كان لديهم أربعة أشجار نخيل منحتهم الفاكهة والقصب، وفي النهاية يمكن قطع الأخشاب بشكل عام، واستخدامها في صنع الأثاث ضمن الأديرة، علاوة على ذلك استخدم الرُّهبان النباتات في صنع الأواني المنزلية والحصائر، كما صنع الرُّهبان الصابون والصمغ ومصائد الحيوانات².

د- التجارة :

شكلت الأديرة مراكز ومحطات تجارية مهمة في سورية، لكن قلة الوثائق تمنع من إعطاء صورة عامة وتقريبية عن حجم المبادلة التجارية بين هذه الأديرة والتجار القادمين من المقاطعات السورية الرومانية وحتى البعيدة منها، ولقد أثرت الأديرة تأثيراً مهماً في تعريف التجار بالديانة المسيحية، إذ وجد التجار القادمون إلى سورية في أكثر هذه الأديرة محطات تجارية يرتاحون فيها، وأماكن يتجهزون منها بالماء، كما وجدوا فيها أماكن للراحة يأمنون بخضرة مزارعها وأشجارها المتنوعة وحدائق أزهارها التي أنشأها الرُّهبان، وبقيت شهرة تلك الأديرة قائمة حتى الفتح الإسلامي لسورية³. ومنها دير الرمان الذي يقع بين الرقة والخابور وله أهمية للقوافل التجارية بين العراق وسورية⁴ ودير قلعة سعمان ودير مارون على العاصي ودير بصرى⁵ في (حوران)، وهذه الأديرة كانت محطات تجارية على الطريق التجاري من الشمال إلى الجنوب السوري، وقد حصل الرُّهبان من هؤلاء التجار على المواد التي تحتاج لها هذه

¹- Hirschfeld.(1990), p.70 .

²- Zohary.(1982),P.41-42.

³ -جواد، علي .(1976)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار القلم للملايين، ج6، ص587.

⁴ -الحموي، ياقوت.(د.ت)، معجم البلدان، بيروت: دار الفكر، ج2، ص504.

⁵ -بهذا الدير كان بحيرا الراهب الذي بشر بنبوّة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد تميز رهبان هذا الدير بالفصاحة وهم عرب منتصرة من بني الصادر . الحموي.(د-ت)، ج2، ص500.

الأديرة من أخشاب لصناعة الاثاث والمواد المتنوعة التي تدخل في صناعة الأدوية، والحبوب في مواسم الجفاف التي تتعرض لها بعض المناطق في سورية أحياناً¹.

وعن طريق هذه الأديرة والمعاملة الجيدة من قبل الرّهبان لهؤلاء التجار عرف هؤلاء شيئاً عن الديانة المسيحية، كما دخل العديد من التجار العرب بالديانة المسيحية باتصالهم بالرّهبان المسيحيين، ومجالستهم لهم في هذه الاديرة، وتأثروا بهم ثم نقلوا التعاليم المسيحية إلى بلادهم الأصلية².

¹– Hirschfeld.(1990),p.89-90.

²–جواد.(1976)، ج6، ص 508

الخاتمة والنتائج :

تتاولت هذه الدراسة عدة محاور أولها نسك أم رهبة ما قبل ظهور الرّهبة المسيحية، وثانيها نشأة الرّهبة وانتشارها في سورية، أما ثالثها فهو أثر الرّهبة في الكنيسة والمجتمع ورابعها نشأة الأُيُورِيَّة وتطورها وأنظمتها وأثرها الحضاري في سورية .

وهكذا نجد أنّ الرّهبة لم تكن نوعاً جديداً من المسيحية بل نبعت من حياة الكنيسة وهي جانب من تعاليم المسيح ودعوته إلى ترك العالم المادي والتحرر منه، إذاً هي حياة إنجيلية ونظام ديني المقصود به الابتعاد عن ملذات الحياة واعتزال الناس والتقيّد بنذور معينة هي : البتولية، والفقر الاختياري (النقشف)، والعزلة والطاعة، وهذه المبادئ مستوحاة من الإنجيل المقدس، إذا أردنا أن نفكر كيف نشأت الرّهبة في المسيحية، نجد أنّ المثل الأعلى للبشرية جميعاً رجالاً ونساءً هو السيد المسيح، والمثل الأعلى للنساء والرجال أيضاً بعد السيد المسيح هي السيدة العذراء، فهل هذا لا يجعل الإنسان يفكر جدياً أن يتمثل بهما؟!

ومن خلال البحث والتدقيق في دراسة ظاهرة الرّهبة المسيحية وأثرها في الكنيسة والمجتمع من المؤسف تبني بعض الباحثين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث حنين عبد المسيح لأفكار بخصوص الرّهبة وبوصفها من أكبر وأخطر البدع في الكنيسة ولم تعرفها الكنيسة من قبل القرن الرابع الميلادي، ويتبنون أيضاً أنّ مبادئها وتعاليمها هدامة ومضللة وأنّها أضرت بالكنيسة وأنّ هناك تناقضاً بين الفكر الرّهباني والفكر المسيحي، وهي تناقض تعاليم الكتاب المقدس، وأنّ تعاليمها متطرفة وسير آباء الرّهبة منحرفة، ولكن الحقيقة تبينت غير ذلك وعكس ذلك.

حيث ظهر فضل الرّهبة على الكنيسة وارتبط ازدهار الكنيسة وتقدمها بازدهار الرّهبة، وتم بالفعل ما قاله القديس أنثاسيوس الرسولي (373م): (ضعفت الكنيسة كلها عندما ضعفت الرّهبة والقانون).

-النتائج:

1. من خلال استعراض الممارسات النَّسْكِية والزَّهْدِيَّة لدى اليهود والحركات والجماعات المسيحية في القرن الثاني والثالث الميلاديين نجد أنَّ الرّهْبَنَة هي التطور النهائي لحياة الزهد في الديانة المسيحية.
2. يمكن القول بوضوح إنَّ الرّهْبَنَة الحقيقيَّة من إبداع المسيحيين وابتكارهم ، كما يؤكد لنا النص القرآني المقدس: (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون) الحديد: (27) ومعنى قوله تعالى: (ورهبانية ابتدعوها) أي ابتدعوا رهبانية(ابتدعوها). ومعنى قوله: (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها عليهم ولا أمرناهم بها. وهذه الرّهْبَنَة التي ابتكرتها المسيحية أصبحت تعرف بفلسفة الديانة المسيحية.
3. الرّهْبَنَة في الشريعة المسيحية هي حالة الانسحاب الطوعي من العالم والتفرغ للعبادة والصلاة والخدمة الروحية. وتعتبر الرّهْبَنَة جزءًا من التقاليد الدينية في الكنيسة المسيحية الغربية والشرقية. يتمثل الهدف الأساسي للرّهْبَنَة في السعي وراء الاتحاد مع الله والتخلص من العوائق الروحية والمادية التي تعوق العلاقة بين الإنسان والله. ويعتبر الرهبان مثالًا للتفاني والتضحية والطاعة والاستسلام لإرادة الله، ويعتبرون جزءًا من روحانية الكنيسة المسيحية.
4. الرّهْبَنَة هي حالة الانخراط الكامل في الحياة الروحية والدينية في الدين المسيحي. يتطلب الأمر من الراهب أن يتخلى عن الحياة العادية في العالم وأن يكرس حياته بالكامل للخدمة الروحية والعبادة. يعيش الراهب عادة في دير أو أديرة مع مجموعة من الرهبان الآخرين، ويتبع قواعد صارمة ومنهجية للصلاة والعبادة والخدمة. يعتبر الرّهْبَنَة رمزًا للتضحية والانفصال عن العالم المادي للسعي نحو القرب من الله والتصالح مع الذات.

5. تُعتبر المسيحية الرهبنة والديرية جزءًا من الحركة الأساسية للحياة الدينية في المسيحية. فالرهبان يعتبرون مثالًا حيًا للحياة التفانية والتأملية والتضحية بالذات. يرتدون ثيابًا خاصة تشير إلى التخصص الديني واعتنائهم بخدمة الله. يتم تكريس حياتهم للتأمل والصلاة والعبادة والخدمة الدينية والعمل الاجتماعي والخيري. ويجد في الرهبنة المسيحية طريقة للتفاف على العالم الصاخب والخطير والذي يمكن أن يؤدي إلى الإيذاء الروحي. وعززت المسيحية هذا الأسلوب من الحياة باعتباره مسارًا إلى الشغف والإلهام والهدوء الداخلي والتخفيف من أحزان العالم.

6. نشأت الرهبنة وظهرت في مصر وانتقلت إلى سورية حيث أصبح هناك مدرستان للرهبنة؛ المدرسة الأولى وهي الأقدم وصنفت من حيث تاريخ تأسيسها، وهي مدرسة القديس أنطونيوس من أبرز أقطابها باخوميوس مؤسس الحياة الرهبانية الديرية في مصر؛ والمدرسة الثانية: هي المدرسة السورية وهي الأكثر شهرة في تلك الفترة، وتفوقت على مدرسة مصر، إنَّ الرهبان في سورية فاقوا رهبان مصر في ممارسة الزهد والتسك والتزهد، والمقصود هنا فئة النخبة التي اشتهرت بالتطرف بأعمال الزهد والتقشف، إذ ركز التقليد الرهباني السوري على جهد زهدي متطرف، ويستبعد الجهد اليدوي بسبب الصلاة المستمرة والإماتات.

7. يعد القديس هيلاريون (293-374م) رائد حياة الرهبنة ومنظمها في سورية، وهو أول راهب في سورية عمل على نشرها في سورية الجنوبية على النمط المصري الرهباني، وأصبح أب الرهبان السوريين حيث عرف العالم المسيحي كوكبين في مجال الرهبنة أنطونيوس في مصر وهيلاريون في سورية.

8. مرت الرهبنة السورية بمراحل وتطورت من الشكل البدائي العزلة الفردية إلى مرحلة تشكيل جماعات رهبانية وكانت الديرية هي الشكل النهائي للرهبنة السورية، وخضعت الرهبنة الديرية للمؤثرات المصرية والباسيلية الكبادوكية مع ذلك فإنَّ النظام الرهباني السوري لم يبق محافظاً على قواعد ثابتة، ولم يبق جامداً، وهذا دليل على حيوية النظام الرهباني الديرية الذي وضع من أجل خدمة الكنيسة والمجتمع.

9. تميّزت الرَّهْبَنَةُ السُّورِيَّةُ بِالْإِبْدَاعِ وَالتَّجْدِيدِ وَتَقْدِيمِ أَنْمَاطٍ جَدِيدَةٍ كَالرَّهْبَنَةِ الْعُمُودِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ إِبْدَاعاً سُورِيّاً بِامْتِيَازٍ مِنْ خِلَالِ الْقَدِّيسِ سَمْعَانَ الْعُمُودِيِّ، هَذِهِ الرَّهْبَنَةُ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِالدِّينَانِ السُّورِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ الطُّقُوسُ الْعُمُودِيَّةُ جُزْءاً مِنْهَا، فِي مَعْبَدِ الْإِلَهِةِ السُّورِيَّةِ هَيْرَا (أَتَارْجَاتِيْس) فِي مَنْبَحِ كَانَ الْكَاهِنُ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى الْعُمُودِ، وَيَبْقَى هُنَاكَ عِدَّةَ أَسَابِيْعٍ أَوْ شُهُورٍ يَبْتَهِلُ مُتَقَرِّباً إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ.

10. مِنْ خِلَالِ دَرَاْسَةِ سِيرِ الرُّهْبَانِ وَالْقَدِّيسِيْنَ يُمْكِنُ مَلَاْحَظَةُ أَنَّ الرَّهْبَنَةَ السُّورِيَّةَ كَانَتْ وَسِيْلَةً لَتَحْقِيقِ الْقَدَاسَةِ، وَهَدَفَهَا فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ إِعْلَاءُ شَأْنِ الْفَرْدِ عَلَى الْآخَرِيْنَ، وَكَانَتْ الرَّهْبَنَةُ مَنْحَى يَسْلُكُهُ الرَّاْهَبُ مِنْ خِلَالِ التَّزَامِهِ بِمُبَادِئِ الرَّهْبَنَةِ لَتَحْقِيقِ هَذِهِ الْقَدَاسَةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَصُبُّ فِي انْتِشَارِ ظَاهِرَةِ الرَّهْبَنَةِ سِوَا مِنْ الْقَدِّيسِيْنَ الَّذِيْنَ يَرْغَبُ النَّاسُ بِالتَّشْبِيهِ بِهِمْ أَمْ مُحَاوَلَةِ بَعْضِهِمْ لِلْوُصُولِ إِلَى هَذِهِ الْمَكَانَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْمَقْدَّسَةِ.

11. ظَهَرَتِ الرَّهْبَنَةُ بِقُوَّةٍ وَبِصُورَةٍ مَنْظُمَةٍ خَارِجَ الْكَنِيسَةِ، وَتَعَدَّ الرَّهْبَنَةُ قُوَّةً وَرَاءَ الْكَنِيسَةِ، كَانَ لَهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، وَقَدْ تَمَّ تَوْظِيْفُ الرُّهْبَانِ السُّورِيِّيْنَ فِي الْهَجُومِ عَلَى الْوُثْنِيَّةِ وَمُعَابِدِهَا سِوَا لَتَدْمِيرِهَا أَوْ تَحْوِيلِهَا إِلَى كُنَائْسٍ، وَكَانَ لِلرُّهْبَانِ دَوْرًا كَبِيرًا فِي نَشْرِ الْمَسِيْحِيَّةِ فِي سُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرُّهْبَانِ لَا يَعِيشُونَ لَتَنْفِيْذِ رِسَالَتِهِمُ الَّتِي هِيَ الْإِهْتِمَامُ بِخِلَاصِ نَفُوسِهِمْ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا اِهْتَمَوْا بِخِلَاصِ الْآخَرِيْنَ فَهَمُّ يَرْفَعُونَ صَلَاتِهِمْ لَيْلًا وَنَهَارًا لِأَجْلِ الْكَنِيسَةِ وَالْعَالَمِ لَتَسْتُضِيءَ الْبَشَرِيَّةُ بِنُورِ الْإِيْمَانِ، وَكَانُوا مُصَدِّرًا لِلْمُسَاعَدَةِ فِي الصَّرَاعَاتِ الْعَقَائِدِيَّةِ فِي الْقَرْنِيْنِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ الْمِيلَادِيَّيْنِ، وَتَعَرَّضُوا نَتِيْجَةً لَذَلِكَ لِالضُّطْهَادِ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ الرُّومَانِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا بِعَقِيْدَةِ الْكَنِيسَةِ الْأَرْثُوْدُكْسِيَّةِ، وَرَفَضُوا الْمَوَافَقَةَ عَلَى عَقِيْدَةِ مَجْمَعِ خَلْقِيْدُونِيَّةِ الْمَسْكُونِي، وَتَمَسَّكُوا بِالِدِّفَاعِ عَنْ إِيْمَانِ الْكَنِيسَةِ الْجَامِعَةِ، وَقَدْ نَالُوا لَقَبَ: (أَعْمَدَةُ مَدِيْنَةِ الرَّبِّ وَمَسَانِدُهَا).

12. نَتِيْجَةً لَشُهْرَةِ الرُّهْبَانِ السُّورِيِّيْنَ أَصْبَحَ اخْتِيَارُ الْأَسَاقِفَةِ مِنْ بَيْنِ صُفُوفِ الرُّهْبَانِ، وَوَصَلُوا إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتَبِ الْكَنِسِيَّةِ (مِتْرُوبُولِيْتِ)، وَمِنْهُمْ يُوْحَنَّا فَمُ الذَّهَبِ وَابِيْفَانِيُوسُ وَنِسْطُورِيُوسُ وَيَعْقُوبُ الْبَرَادَعِي الَّذِيْنَ لَمْ يَقْدَمُوا

المساعدة العملية والروحية فحسب، بل أصبح هؤلاء الرُّهبان أمثلة على الالتزام بالإنجيل والحياة المسيحية الحقة هذا بدوره شكل تطوراً لحياة التقوى لدى العامة.

13. مارس الرُّهبان في الأديرة السورية مختلف أوجه النشاط الاقتصادي من الزراعة والصناعة والتجارة، وكان الهدف ليس مادياً، بل من أجل تلبية متطلبات الحياة ضمن الدَّير، وتحقيق الاكتفاء الذاتي، ولكي لا يكونوا عالة على المجتمع من الناحية الاقتصادية بل حققوا التميز من الناحية الدينية والدنيوية.

14. بالإضافة إلى كون الأديرة مراكز للفضيلة والقداسة والأخلاق العالية، فإنَّها كانت أيضاً مراكز للعلم والمعرفة، ويكاد يكون التعلم منحصراً عليها حتى القرن السابع الميلادي، بحيث تجد في كلِّ ديرٍ مدرسة، و أصبحت هذه الأديرة مراكز علمية تدرس مبادئ النحو والإنشاء والأعمال الأدبية وأعمال الخطباء اليونانية، تربي فيها الأجيال العديدة من الرُّهبان، ونبع من هذه الأديرة جهاذة وكانوا المجلين في حلبة العلم، ومنهم يوحنا فم الذهب ويعقوب البرادعي ونسطوريوس وغيرهم الكثير.

15. أصبحت الأديرة السورية مراكز ثقافية وإشعاعية وحضارية، فتحت أبوابها أمام رجال الدين والمتقنين على طول الإمبراطورية الرومانية للتزود بالمعرفة والثقافة والاعتماد على ما بها من كتب ومخطوطات مهمة، وكان التعليم يركز على الجانب الديني اللاهوتي، إلا أنَّها لم تهمل التعليم العام ودراسة الآداب والفلسفة وغيرها من العلوم، هذه الأديرة أصبحت مدارس للترجمة لنقل التراث الكلاسيكي من اللغات اليونانية والسريانية إلى اللغة العربية.

16. واثبت البحث أصالة الرَّهْبَنَةِ الدَّيْرَةِ في سورية التي استطاعت أن تهضم وتكيف الكثير من المؤثرات الرَّهْبَانِيَّةِ المصريَّةِ والباسيليَّةِ الكبادوكية، والمكانة الهامة التي وصلت لها الرَّهْبَنَةُ السَّورِيَّةُ بين الرَّهْبَنَاتِ المسيحية.

توصيات البحث:

السياحة الدينية المسيحية السورية :

سورية بلد المسيحية الأصل، وهي مهد القديسين التاريخيين، ولأن المسيحية كانت دينا سرياً اول ثلاثة قرون ميلاديه، فقد احتضنت الكثير من أماكن العبادة السرية من كنائس وكهف ومغر، إضافة لوجود الكثير من المنتجات الفنية الدينية الرائعة من أيقونات وتمائيل ومزخرفات..الخ.

لذلك اتمنى من دارسي التاريخ الأثاريين.. ومرشدي السياحه التركيز على الثقافة المسيحية السورية للأسباب :

1- القيمة الحضارية للمسيحية من حيث الخلاص الإنساني الأبدي والفداء والتسامح والمحبة، وبالتالي تأصيل هذه القيم في الوقت الراهن، خاصة وان مجتمعنا السوري يمر بمرحلة إنعدام ثقل حضاري وقيمي.

2- السياحة الدينية بحد ذاتها رسالة حضارية لآخر وفائدة ثقافية ونقدية للبلد، وبالتالي التركيز على السياحه الدينية المسيحية حاجة ملحه ويجب ان تكون مقرونة بمعلومات دينية وتاريخية صحيحة؛ وهذا يحتاج لمتخصصين فعلا.

3- استدراك إشكالي :

بما أنَّ المسيحية هي الأصل الفلسفي لكثير من الفرق الغنوصية والهرمسية والإسلامية السورية، فإنَّ التركيز على البعد الثقافي الفلسفي للمسيحية يساهم في فهم التنوع المذهبي الغني في سورية، وهذا واجب على دارسي ومرشدي السياحة المتتورين، واللذين لايتعاملون مع السياحة كعلاقات عامة ومرشدي امكنة فقط، بل يجب أن يأخذوا على عاتقهم المعنى الروحي لمهمتهم في إزالة الغبار عن ماخفي من تراثنا المادي، والروحي والذي انتت العولمة لتطمسه وتلغية. إن ثقافة سورية المسيحية هي ثقافة أرواح، ثقافة روحية، ونحن غرقنا في اليوميات لدرجة أننا نسينا هويتنا الروحية، وصرنا مثل كائنات الطبيعة، نأكل نشرب نتزاوج، ننام، نموت. دونما أثر يذكر. توجيه الباحثين وطلاب الدراسات العليا في الجامعات الحكومية السورية للاهتمام بدراسة الديانة المسيحية وتاريخ الكنيسة.

رَابِعاً - قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الْمَعْتَمَدَةِ بِالْبَحْثِ:

-المصادر العربية والمعرّبة:

-القرآن الكريم .

-الكتاب المقدس.

-أثناسيوس.(2012)، سيرة القديس انطونيوس أب الرهبان، تر بولين تدري أسعد، القاهرة: مطبعة امبريال، ع ص:

174

-أفراهات.(2007)، المقالات، تر بولس الفغالي، ط2، بيروت: دار المشرق، ع ص: 413-أنطونيوس،(1979). الرسائل ، تر الأب متى المسكين، القاهرة: دار مرقص، الرسالة الأولى. --أيسيدورس.(د-ت)، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، تعريب: القمص عطا الله ارسانيوس المحرقى أحد رهبان

دير العذراء بالمرق ع النسخة الأصلية، ع ص: 592

-أوريغانوس.(2002)، المبادئ، تر الأب جورج خوام البولسي، بيروت: المكتبة البولسية.-أيفاجريوس.(2019)، التاريخ الكنسي، تعريب بولا سايروس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ع ص: 421-باسيليوس.(2000)، كلمة في الرهينة، القاهرة: مكتبة النسر، ع ص: 216-البراموسى، بولا.(د.ت)، هستوريا موناخورم، أبناء الأنبا موسى الأسود، حلقة للباحثين والمهتمين بالدراسات

التاريخية، ع ص: 192

-بلادبوس.(2014)، بستان الرهبان، اعداد نيافة الأنبا إبيفانيوس، ط2، القاهرة: دار مجلة مرقص، ع ص: 454-البليخ، زكريا.(2013)، التاريخ الكنسي، تعريب بولا سايروس، القاهرة : مشروع الكنوز القبطية، ع ص: 590-ثيودوريتوس.(1987)، تاريخ أصفياء الله، تر عن الأصل اليوناني: الأرشمندريت أدريانوس شكور، لبنان: جوبة،

ع ص: 250

-ثيودوريتوس.(د.ت)، التاريخ الكنسي، تعر بولا ساويرس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ع ص: 469

- الحموي، ياقوت.(د.ت.)، معجم البلدان، ج2، دمشق: دار الفكر، ع ص: 549
- سترايون.(2006)، الجغرافية، تر محمد المبروك الدويب، ج16، بنغازي: منشورات جامعة فارينونوس.
- سعيد بن البطريق.(1909)، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ع ص:
- 533
- سقراطيس.(د-ت)، التاريخ الكنسي، تعريب بولا سايروس، القاهرة: مشروع الكنوز القبطية، ع ص: 859
- سوزومين.(1890)، التاريخ الكنسي، تر: تشسنرها ترانفت، تعريب، بولا ساويرس، القاهرة: مشروع كنوز القبطية،
- ع ص: 918
- الشهرستاني.(2008)، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، ج1، بيروت: دار المعرفة.
- ابن العبري.(2012)، التاريخ الكنسي، دهوك: دار المشرق الثقافية، ع ص: 477
- كاسيان، يوحنا.(2015)، الانظمة، تر بولا سايروس، القاهرة: مراكز باناريون للتراث الأبائي، ع ص: 377
- مار ميخائيل السرياني الكبير.(1996)، تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج1، عربه عن السريانية مارغريغوريوس صليباً شمعون، متروبوليته حلب.
- المسعودي.(1996)، التنبيه والاشراف، بيروت: دار صعب.
- المقريزي.(د،ت)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، القاهرة، ع ص: 850
- ابن المقفع سايروس.(1999)، تاريخ البطارقة، ج1، القاهرة: دار النعام للطباعة، ع ص: 378
- ابن منظور.(2005)، لسان العرب، المجلد ٥، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ط4، مادة(رهب)، ص: 428
- هيرونيمس.(2010)، مشاهير الرجال، تر جوزيف كميل جبارة، بيروت: دار المشرق.
- اليقوبي.(1964)، تاريخ اليقوبي، النجف: المكتبة الحيدرية.
- يوسابيوس.(1979)، تاريخ الكنيسة، تر القمص مرقص داود، ط٢، القاهرة، ع ص: 522

-المراجع المعربة :

- إميل، بريهييه.(1982). الفلسفة الهلنستية، تر جورج طرابيشي، بيروت: دار الطليعة،
- إميل، بريهييه.(1954)، الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري، تر عبد الحليم النجار، القاهرة.
- بينتون، رولاند.(1988)، مواقف من تاريخ الكنسية، تر عبدالنور ميخائيل، ط2، بيروت: دار الثقافة المسيحية، ع
- ص:190

- جنير، شارل.(د-ت)، المسيحية نشأتها وتطورها، تر عبد الحليم محمود، بيروت: مكتبة العصرية.
- جيبون، ادوار.(1997)، اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، تر محمد علي أبو درة، مر: أحمد نجيب هاشم، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، ع ص: 1380
- جونز.(1987)، مدن بلاد الشام حيث كانت ولاية رومانية، تر إحسان عباس، عمان ع ص: 200
- دواني، جلانفيل.(1068)، أنطاكية في عهد ثيودوسيوس الكبير، تر ألبرت بطرس، بيروت: مكتبة لبنان.
- ديورانت، ول.(1973)، قصة الحضارة، تر محمد بدران، مج 3، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- رسترفنزف، ميخائيل.(1957)، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، تر زكي علي ومحمد سليم، ج1، القاهرة، ع ص: 676
- ريتشارد، فين.(2012)، الزهد في العالم الإغريقي -الروماني، تر علي اللو ونجاح شاهين، أبوظبي: هيئة الثقافة والتراث والترجمة والنشر، ع ص: 250
- سارتر، موريس.(2008)، سورية في العصور الكلاسيكية، تر محمد الدنيا، الهيئة العامة للكتاب: دمشق.
- سارتون، جورج.(1978)، تاريخ العلم، تر مؤسسة فرانكن، القاهرة: دار المعارف.
- سكرىما، اندريه.(1992)، أصول الحياة الروحية، تر رهبة دير مار جرجس، ط2، منشورات دار النور.
- الشابستي، علي الحسين.(1951)، الديارات، تر كوركيس عواد، بغداد: مطبعة المعارف، ع ص: 572
- شابيرو، ماكس، هندريكس.(1999)، معجم الأساطير، تر حنا عبود، دمشق، ع ص: 288

- شوفالبيه، جان جاك.(2006)، تاريخ الفكر السياسي، تر محمد عرب صاصيلا، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- شيفمان، أ. ب.(1987)، المجتمع السوري في عصر البرنسيبات، تر احسان اسحق، دمشق، ع ص: 272
- فيليب، حتى.(1982)، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، تر جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت: دار الثقافة، ع ص : 905
- كرافتشوك، ألكسندر.(د-ت)، الوثنية والمسيحية، تر كبرو لحدو، دار الحصاد، ع ص: 192
- كنز، أرييل.(1954)، المسيحية عبر العصور، تر عاطف برنابا، بيروت.
- لنتون، رالف.(1961)، شجرة الحضارة، تر أحمد فخري، ج3، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ع ص: 470
- المرجي ، توما.(1966)، الرؤساء، تر البير أبونا، الموصل: مطبعة العصرية، ع ص: 358
- ورنس، فان موسهيم. (1815) ،تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة، تر هنري هرس، بيروت، ع ص: 870
- ولز.(د-ت)، معالم تاريخ الإنسانية، تر عبدالعزيز جاويد، ط3، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- يل، جوناثان.(2002) ، تاريخ الفكر المسيحي، تر سليم أسكندر، القاهرة: مكتبة دار الكلمة للنشر والتوزيع.
- **المراجع العربية :**
- أبونا، البير.(2006)، ديارات العراق، بغداد، ع ص: 196
- اثناسيو، متري هاجي.(1997)، موسوعة بطريركية انطاكية، سورية الشمالية ، مج1. دمشق، ع ص: 336
- أرملة، اسحق.(1953)، مار افرام السرياني، بيروت: نشيد الفردوس.
- إسحق، رفائيل بابو.(2006)، مدارس العراق قبل الاسلام، لندن: دار الوراق للنشر، ع ص: 208
- اسماعيل، أحمد علي.(1998)، تاريخ بلاد الشام، ج1، جامعة دمشق، ع ص: 479
- أغناطيوس أفرام الأول برصوم.(1950)، الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، حمص: مطبعة السلامة.

- اغناطيوس أفرام الأول برصوم. (1996)، اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، حلب: دار ماردين
- اغناطيوس أفرام الأول برصوم. (١٩٣٨)، تاريخ الأبرشيات السريانية، حلب .
- أفرام كريكوس، واسبيرو خبرو. (1994)، القديس أفرام مختارات نسكية وزهدية، دمشق: دار العلم.
- أمام، عبدالفتاح إمام. (1995)، معجم الأساطير، القاهرة: مكتبة مدبولي، ع ص: 1556
- أمين، حكيم. (1963)، دراسات في تاريخ الرهبانية والديرة المصرية، القاهرة.
- أنطون، فهمي جورج. (1994)، القديس هيلاريون، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس (الأوفست).
- أنطونيوس، فكري. (2018)، الأسرار الكنيسة السبعة، القاهرة : مشروع الكنوز القبطية .
- البدوي، خليل. (1991)، نخبة النخب في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين.
- البستاني، بطرس. (1876)، كتاب دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، م3، بيروت: الناشر دار المعارف، ع ص: 796
- البطريرك الدويهي. (د-ت)، تاريخ الموارنة، طبعة الشرتوني، نقلاً عن الآباء اليونان، طبعة ماين، مج 102، عمود 630، ع ص: 512
- البني، عدنان. (2002)، تدمير والتدميرين، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ع ص: 315
- توما، سويريوس يعقوب. (1953)، تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية، دمشق، ع ص: 342
- جواد، علي. (1967)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت: دار القلم للملايين.
- جورج، أثناسيوس. (2015)، التربية عند آباء البرية، آباء الكنيسة كمرين: منشورات دار إكثوس.
- الخوري، حنا توماجيان. (1957)، الكنيسة الكاثوليكية من ضحى المسيحية، مكتبة المشعل الإنجيلية، بيروت.
- حبيب، يوسف. (2019)، القديس مكاريوس الكبير وديره، القاهرة: منشورات الكنوز القبطية، ع ص: 61
- حمادة، حسين عمر. (1982)، مخطوطات البحر الميت، عمان: دار منارات للنشر، ع ص: 161
- خلف، تيسير. (2002)، كنيسة العرب المنسية، دار التكوين: دمشق، ع ص: 272

- الدبس، يوسف.(1994)، تاريخ سورية الدنيوي والديني، مج4، دمشق: دار عبود، ع ص: 550
- الزيدي، مفيد.(2010)، موسوعة تاريخ أوروبا، ج3، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ع ص: 658
- سارة، خليل.(2008)، تاريخ الوطن العربي في العصور الكلاسيكية، جامعة دمشق.
- سكا، اسحق.(1970)، دير مار متى، الموصل.
- سكا، اسحق.(د.ت)، السريان: المسيحية في المشرق عبر تاريخها، بيروت: مجلس الكنائس في الشرق الأوسط للدراسات و الأبحاث.
- سويريوس، اسحق سكا.(د-ت)، السريان ايمان وحضارة، ماردين: منشورات دار الرها، ع ص: 226
- شلبي، أحمد.(1978)، اليهودية، القاهرة: مكتبة دار النهضة المصرية، ع ص: 39
- شيخو، لويس.(1912)، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، بيروت: مطبعة الالباء المرسلين، ع ص: 546
- صليبا، ثاوفيلس جورج.(2013)، الرهبنة السريانية، بيروت، ع ص: 31
- الطويل، يوسف العاص.(2017)، الأصولية المسيحية والصحة الإسلامية، بيروت: مكتبة حسن العصرية، ع ص: 386
- ظاظا، حسين.(1971)، الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه، الاسكندرية: قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ع ص: 370
- عبدالله، محمد زايد.(2014)، مصادر التاريخ البيزنطي، القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، ع ص: 318
- عبدالحميد، رأفت.(2001)، الدولة والكنيسة: قيصر والمسيح، ج 3، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ع ص: 1229
- عبد القادر، حامد.(1957)، بوذا الأكبر حياته وفلسفته، القاهرة: مكتبة نهضة مصر .
- عطية، عزيز سوريال.(1948)، نشأة الرهبنة المسيحية في مصر وقوانين القديس باخوميوس، الإسكندرية : مطبعة رمسيس، ع ص: 37

- العقاد، عباس.(2012)، حياة المسيح، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ع ص: 184
- عيواض، زكا.(1974). مار افرام السرياني، بغداد، ع ص: 58
- الغش، محمد أبو فرج هـ الجندي، عدنان، زهدي، بشير . (1969)، المتحف الوطني بدمشق.
- الفاخوري، حنا.(2001)، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، بيروت: مكتبة البوليسية، ع ص: 796
- فرح، نعيم.(200)، الخضارة البيزنطية، دمشق: منشورات جامعة دمشق. ع ص: 796
- لوريمر، جون.(2013)، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، القاهرة: دار الثقافة، ع ص: 377
- محمد.(1970)، الهند القديمة حضارتها وديانتها، القاهرة: دار الشعب.
- المخلصي الأب إلياس كويتز.(1989)، القديس باسيليوس الكبير، بيروت: المكتبة البولسية، ع ص: 383
- مرعي، عيد.(2006)، موجز تاريخ الشرق الأدنى في العصرين الهلنستي والروماني، بيشة: مكتبة الخبتي الثقافية.
- المسكين، متى.(د-ت)، القديس اثناسيوس الرسولي(296-373م)، القاهرة: مطبعة دير القديس أنبا مقار، ع ص: 164
- معوض، صموئيل قزمان.(2013)، إطلالات على تراث الأدب القبطي، ج2، الاسكندرية، ع ص: 312
- ملطي، تادرس يعقوب.(2013)، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، ح الباء، الأب القديس برصوما أب الرهبان السريان.
- مخائيل، أشعيا.(1986)، حياة الشركة الباخومية، القاهرة: مطبعة الأنبا رويس، ع ص: 502
- الندوي، محمد.(1970)، الهند القديمة وحضارتها وديانتها، القاهرة: مكتبة الحياة، ع ص: 312
- الهاشم، إلياس خليفة.(د.ت)، الموارنة المسيحية عبر تاريخها، مجلس كنائس الشرق الأوسط للدراسات والأبحاث، بيروت، ع ص: 909

-اليسوعي، رفائيل.(1986)، غرائب اللغة العربية، بيروت: دار المشرق، ع ص: 137

-اليسوعي، سامي حلاق.(1998)، مجتمع يسوع تقاليده وعاداته، دار الشرق، ع ص: 191

-يعقوب، سويريوس.(1957)، الكنسية السريانية الأرثوذكسية، من كتاب ضحى المسيحية، مكتبة المشعل الإنجيلية

، بيروت، ع ص: 158

- يوحنا، منسي.(د-ت)، تاريخ الكنيسة القبطية، القاهرة: مكتبة المحبة، ع ص: 566

-بوليانى، يوحنا (1959). دير قرتمين، ماردين، تركيا : مطبعة الحكمة، ع ص: 114

-الرسائل الجامعية :

-عبدالحميد، محمد سعاد (1995)التنظيمات الديرية في بيزنطة من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الثاني عشر

الميلادي ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة طنطا.

- النعمات، رمزي.(2017)، الطقوس الجنائزية الوثنية في سورية خلال الحكم الروماني(64ق.م -395م) ، إشراف د.

محمد الزين، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة دمشق.

-المقالات العربية :

-أبراهيم ، محمد نعيمة.(2018)، مكتبات الديرية في ضوء التبييكا البيزنطية (وثائق تنظيمات الديرية)، القاهرة .

- أبو زيد، شفيق.(د-ت)، الحركة النسكية في المشرق نشأتها وتطورها وانتشارها، في المسيحية عبر تاريخها في

المشرق، ط2، (ص ص: 413-378)، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت.

- الأنبا بيشوي.(2002): بلورة الفكر المسيحي: مجمعا أفسس خلقيونية السجلات الكريستولوجية في القرنين

الرابع والخامس، المسيحية عبر تاريخها في المشرق، بيروت.

-حلو، كليمانص.(د-ت)، دور المرأة في الرهبانيات خلال القرون الأولى للميلاد في المسيحية عبر تاريخها في

المشرق، ط2، (ص ص 413-425)، بيروت: مجلس الكنائس الشرق الأوسط .

- يوسف ، رستم.(2017)، الحياة الرهبانية من خلال كتابات الرهبان، مجلة مدرسة الاسكندرية، العدد23.

-المصادر الأجنبية:

- Ammianus Marcellinus, **The Roman History** ,Book Xiv,Ch X111:8-13:
- Athanasius ,**Contra Arian** , I,8, Epiphane Haeres,Lxlx, 3.
- Jerome, Illustrious Men (1849), **Nicene And Past – Nicene Fathers** Ed . Schaff, Newyork, Ii, P365.
- Jerom: (1903),**Vila Hilarionis**, Xxv, Nicene And Past Nicene Father ,Ed. New York,
- Jerome, Adv, **Rufin**.
- Josephus. **The Jewish War**. 11: 119-155
- Livy: Histories Xxxix: R. Turcan, **The Gods Of Ancient Roma: Religion In Everyday Life From Archaic To Imperial Times**. Tr. A. Nevill (Edinburgh University Press)
- Libanius, (1977), **Secteded Orations**, Ii: Orations Editted And Transated By A.F Norman, Classical Library Cambridg M.A: H Arvard University Press.
- Pling. **Natural History**. V, (Tr. Rackham). London
- Philo: **Hypothetica**. 11: 3-4

-المراجع الأجنبية:

- Alexakis.A.(1998),The Dialogue of The monk and Recluse Moschos Conceming .The Holy Icons,An Early Iconophile Text,DOP52.
- Apopovsky.Y(2007).**Jewish Ritual**. Dake Institute Caralina
- Bedjan,(1903):**Homiliae S ,Isaaci .Syri Antiocheni**,Paris.
- Bouchier,E,(1926).**Syria As Roman Province**,Oxford.
- Burkett. W. (1985). **Greek Religion: Archaic And Classical**. Oxford: Blackwell
- Bouyer. L.(1960). **La Spiritualite Du Nouveau Testament Et Des Peres**, P335
- Brown: (1988),**The Body And Society**, London

- Beckwith. R. (1985).**The Old Testament Canon Of The New Testament Church.**
- Chadwick.H,(1976),**The Early Church**, London.
- Chadwick,O (1968): **John Cassian**, Cambridge University Press.
- Chepey. S. (2005). **Nazirites In The Second Temple Judaism**. Leiden: Brill
- Cameron,A,(2006).**The Byzantines**, London.
- Cruikshank Dodd,E(1992).**The Monastery Of Mor-Musa Al-Habashi** ,Near Nebek
Syria Art Medievale Periodica Internazionale Di Critica Dell Arte Medievale 2nd Serie,
- Chepey.S, (2005). **The Old Testament Nazirites In The Second Temple Judaism** ,Brill.
- Davies,Stephen:(2004), **The Early Coptic Papacy: The Egyptian Church And
Its Patriarchs From St Mark To Pope Shenoud III**, Vol, New York ,
- Dawes,E,(1948),**The Life Of St Daniel, And Three Byzantine Saints**, London .
- Danielou. J And Marrou. H. (2009) .**The Christian Centuries**. Vol.I. The
Hundred Years. London
- Dembinska.M.(1985).**A Comparison Of Food Consumption Between Some
Eastern And Western Monasteries In The 4th-12th centuries, Byzantium**.P441.
- Desprez.V.(1990). **Jewish Ascetical Groups At The Time Of Christ**: Qumran
And Therapists. American Benedictine Review. Pp 291-311
- Dahari,U(2000).**Monastic Settlements In South Sinai In The Byzantine Period
The Archaeological Remains**, Israeli Antiquities Authorities Reports.No ,9.
- Douglas. M. (1999). **Leviticus As Literature**. Oxford University Press
- Dudley. D: **History Of The First Council Of Nice** : A Word Christian
Convention ,A.D, 325, Boston
- Elizebeth. Theokritoff: (1991),**The Life Of Our Holy Father Alexander
Aram**,London.
- Frederic. A ,(2010), **The Royal Road – Severus Of Antioch And The Churches
Of The East**, Ifpo Press, Beirut,P 512.
- Fr.Eby,(1958),**History And Philosophy Of Education** ,Engle Wood Cliffs.
- Frend.W.H.C:(1982),**The Early Church**, The University Of Glasgow,
Scotland,P263.

- Gaatzer. N.N. (1982). **The Judaic Tradition**. London.
- Hay. D. M. (1991). **Things Philo Said And Did About The Thera Peutae**, Sblsp 31
- Herman,A,P(2010).**The Genesis Of Monastic Libraries**,L&Cr Vol.45.No.3,P328.
- Heichelheim,F(1959),**Roman Syria Teny Frank An Economic Survey Of Ancient Rome**,Vol. !V.Newjersry.
- Hefele.Ch.J, (1972), **A History Of The Council The Church** Vol. 2(A.D 326 . To A.D 429) . Edinburg, P 340.
- Hannay .J (1976):**The Spirit And The Origin Of Christian Monasticism**.
- Hirschfeld, Y. (1990). **List Of The Byzantine Monasteries In The Judaeen Desert**. In G. Bottini, L. Disegni, And E Alliata, Eds., Christian Archaeology In The Holy Land: New Discoveries. (Pp. 1-89) Jerusalem: Franciscan Printing Press.
- Hirschfeld, Y. 1992. **The Judean Desert Monasteries In The Byzantine Period**. New Haven And London: Yyale.- Hirschfeld, Y. 1993. Euthymius And His Monastery In The Judean Desert. Liber Annuus 43. (Pp. 339-371).
- Hirschfeld, Y.(1997). **Farms And Villages In Byzantine Palestine**. In - Dumbarton Oaks Papers, 51. (Pp. 33-71)
- Hirschfeld, Y. (1999). **The Early Byzantine Monastery At Khirbet Ed-Deir In The Judean Desert**: The Excavations In1981–1987.Qedem
- Hirschfeld, Y.(2002),**Deir Qal'a And The Monasteries Of Western Samaria**. Journal Of Roman
- Hannay .J (1976):**The Spirit And The Origin Of Christian Monasticism**, London.
- Jackson.F.J.F,(1909), **The History Of The Christian Church**, London.
- Jonas H.(1974), “Origen’s Metaphysics of Free Will, Fall, and Salvation: A ‘Divine Comedy’ of the Universe,” in Philosophical Essays: From Ancient Creed to Technological Man (Englewood Cliffs, NJ: PrenticeHall.
- Lundberg,(1939).**Foundations Of Sociology**. N.York.

- Lavento,Mond Huotari,M(2002),A **Water Monagmement Syatem Around Jable Harun,Petra,Its Desiygn And Significance**,Proceedings Of The 11 .International Conference On History .
- Lietzmann. H, (1960), **A History Of The Early Church**, Transl. By Bertram Lee Woolf, London , P312
- Mason, Steve, ed. (2000). Flavius Josephus: Translation and Commentary (10 vols. in 12 ed.). Leiden: BRILL
- Machairas,(2004),**Rule Of Neilos Bishop Of Tamasia For The Monastery Of Mother Of Cod Of In Gyprus**. Trans,Bandy,Anastaslus,Washington.
- Magen Y.(1993). **The Monastery Of Martyrius At Ma'ale Adummim**. In Y.
- Tsafrir (Ed.), **Ancient Churches Revealed**. Jerusalem: Israel ExploratioRevealed.
- Millar.F.(1994). **The Roman Near East. 31 B. C 337** Ad 2d Ed Harvard.
- Mcenerey. John, (1987),**The Fathers Of The Church.S. Cyril Of Alexandria**, Letters 1-50, Vol 76, The Catholic University Of America Prees, Washigington D.C ,Pp144-146
- Mcguckin.J:(2001), **Saint Gregory Of Nazianzus: An Intellect Al Biography**, Grest Wowood.
- Mcguckin.J,(1994), **Cyril Of Alexandria**, Leyde-Brill.
- Peeters. P:(1938), **Symeon De Seleucie- Ctesiphon**, La Date Du Martyre De Saint Symeon Archeveque. Seleucie- Ctesiphon, In Analecta Bollandiana. 56.
- Parker. A. (1956). **From Alexander To Constantine**. Oxford- Clarendon Press. P. 356
- Quasten. Johannes, (1986),**Patrology**, Vol III, London.
- Safrai,Z,(1994).**The Economy Of Roman Palestine**,London And New York ▪ Routledge.
- Staikos.K,(2007).**The History Of The Library In Western Civilization Form Constantine The Greal To Bessarion Imperial**.

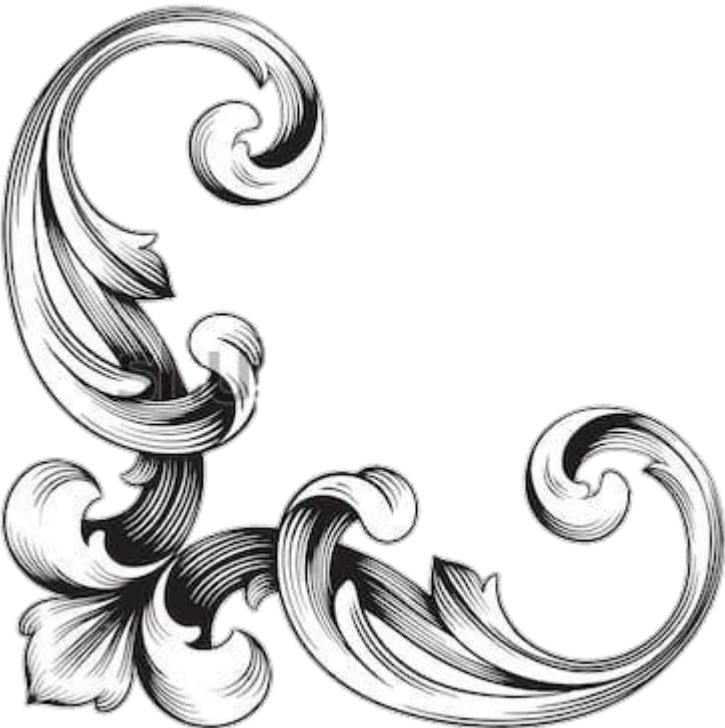
- Samuel.V.C:(1977), **The Council Of Chalcedon Re-Examined, Senate Of Serampore Colleage**, Madras, India
- Shaye. J. D. Cohen. (1987). **From The Maccabees To The Mishnah.** (Philadelphia: Westminster Press).
- Tchalenko,G.(1953), Villages Antiques De La Syrie Du Nord, Paris, II.
- Thompson. A. (1980). **The Book Of Jeremiah. Grand Rapids:** Eerdmans. P623
- Thamas,J(1998),**Byzantine Monastic Foundation Documents Acomplete Transition Of The Surviving Founders Typika And Testaments**, Vol.1, Harvard University.
- Turcan. R. (1996). **The Cults Of The Roman Empire** (Tr. A. Nevill). Oxford: Black Well.
- Villeneuve,J.(1985). **L'économie Rurale Et La Vie Des Campagnes Dans Le Hauran Antique** (Ier Siècle Avant J.C.-Vième Siècle Après J.C.): Une Approche. In J.-M. Dentzer (Ed.). Hauran I.Recherches Archéologiques Sur La Syrie Du Sud A L'époque Hellénistique Et Romaine (P.63-136)Bibliothèque Archaéologique Et Historique.Tome 124
- Voobus.A: (1960), **History Of Asceticism In The Syrian Orient**,II, Early Monasticism In Mesopotamia And Syrio, Cs, 197, Louvain.
- Walker,Williston,(1918),**A History of The Christian Church**,London.
- Willston:(1970) **A history Of The Christian Church.** Scribners, N,P111.
- Wilson,N,G,(1965).**The Libraries Of The Byzanhines Word**,Combridgs.
- Williston. W. (1959). **A History Of Church**, Darton. Long Man.
- Wand.J.W.C : **A History Of Early Church**, Oxford Press.
- Williams F,(1987), **The Panarion Of Epiphanius Of Salamis Book I**, Leiden – New York, P 41-43

الملاحق

الملحق الأول: جدول بأهم المصطلحات الكنسيَّة والرَّهبانيَّة

الملحق الثاني: جدول بأسماء المدن السوريَّة بالعصر الروماني

الملحق الثالث: فهارس الأشكال المعتمدة بالبحث



الملحق الأول: بأهم المصطلحات الكنسية والرهبانية

الاسم بالعربي	إنجليزي	فرنسي
كنيسة	the church	l'église
الكنيسة الأسقفية	cathedral	cathédrale
ابرشية	diocese	diocèse
الاساقفة	bishops	évêques
أسقف (المطران)	bishop	évêque
البطريك	Patriarch	Patriarche
كاهن	a priest	un prêtre
شماس	Deacon	Diacon
الرهبة	monasticism	monachisme
الديرية	the monastery	the monastery
الدير	monastery	monastère
أرشمندريت	Archimandrite	Archimandrite
راهب	monk	moine
الأسكيم	Askim	Askim
الصومعة	silo	silo
قلاية الراهب	Monastic cell	Cellule monastique

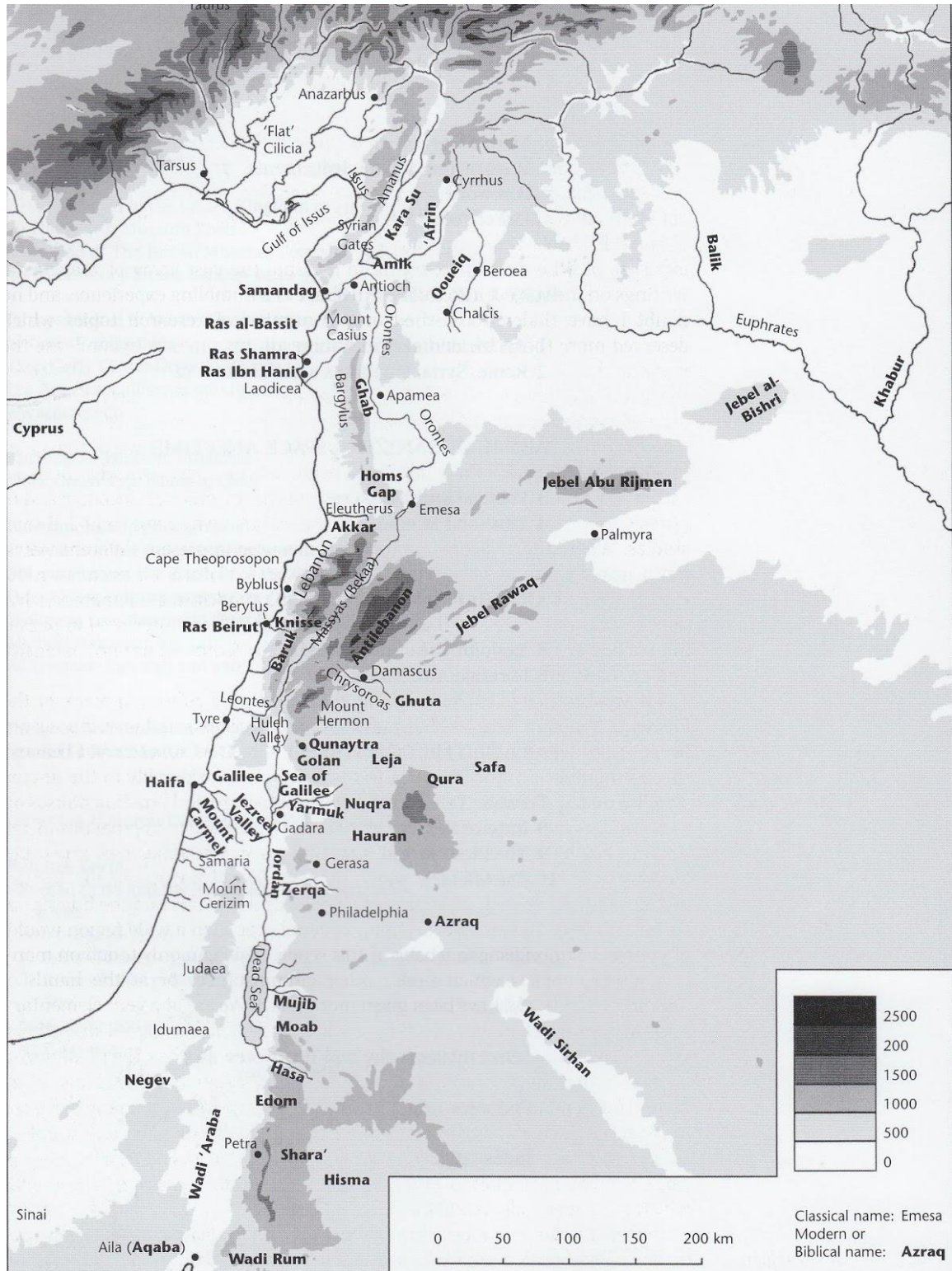
الملحق الثاني: جدول بأسماء المدن السورية بالعصر الروماني

الاسم بالعربية	الاسم باليوناني
أنطاكية	Antiochea
أفامية	Apamea
اللاذقية	Laudicea
بصرى	Bostra
تدمر	Palmyra
حمص	Emesa
حماة	Epiphania
دمشق	Damascus
دورا أوروبوس	Europus Dura
صور	Tyros
طرسوس	Tarsus
كوماجينة	Commagene
الضمير	Thelsea
هيرا بوليس (منبج)	Hierapolis
الرستن	Arethusa
القورشية	Crryhus
شهباء	Philipopolis
قنوات	Canatha
بيروت	Berytus
قيصرية	Caesarea
نابلس	Neapolis
عسقلان	Ascalon
جرش	Gerasa
فيلادلفيا - عمان	Philadelphia
غزة	Gaza

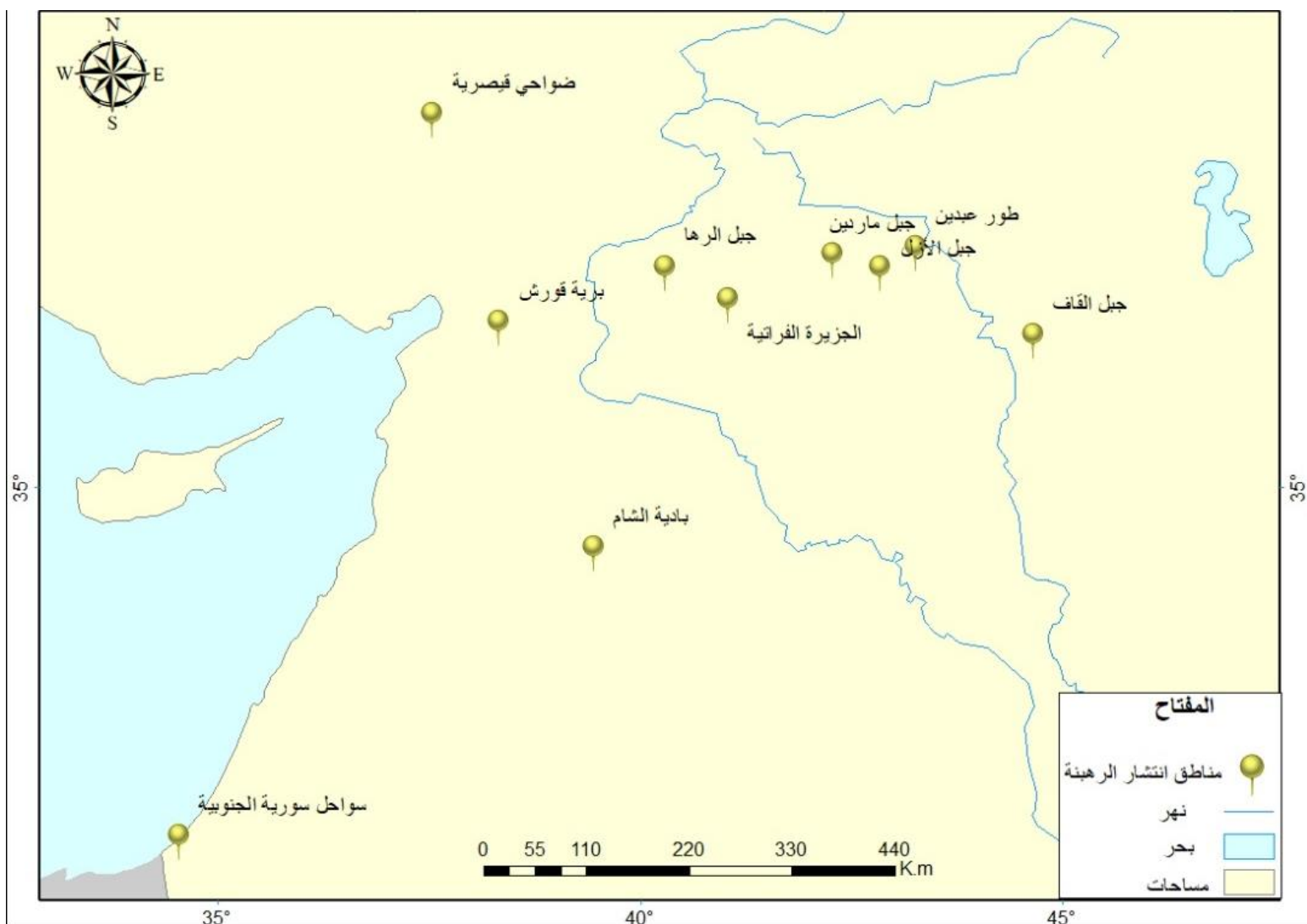
الملحق الثالث: فهارس الأشكال المعتمدة بالبحث:

- 1- الشكل رقم 1: خريطة سورية خلال الحكم الروماني (Ross Burns, Formation de la province romaine de syrie)
- خريطة سورية الرومانية (Bouchier, E, (1926). **Syria As Roman Province**, Oxford.)
- 3- الشكل رقم 3: خريطة توضح مناطق انتشار الرهبنة في سورية (إعداد الباحث)
- 4- الشكل رقم 4: خريطة توضح توزع الأديرة في سورية (Carie des convents antiques)
- 5- الشكل رقم 5: خريطة بأهم الأديرة السريانية في سورية (إعداد الباحث)
- 6- الشكل رقم 6: خريطة بأهم الأديرة المارونية في سورية (إعداد الباحث)
- 7- الشكل رقم 7: خريطة بأهم الأديرة اليونانية في سورية (إعداد الباحث).
- 8- الصورة رقم 1: القديس سمعان العمودي (سارتر، 2008، ص: 138)
- 9- الصورة رقم 2: قاعدة عمود القديس سمعان (سارتر، 2008، ص: 137)
- 10- الصورة رقم 3: دير القديس جرجس الحميراء (المشتاية).
- 11- الصورة رقم 4: أطلال دير القديس سمعان العمودي (سارتر، 2008، ص: 136)
- 12- الصورة رقم 5: دير القديس مار موسى الحبشي.
- 11- الصورة رقم 6: دير القديس مارون (مغارة الراهب) عند منابع نهر العاص.
- 11- الصورة رقم 7: دير القديس سابا
- 11- الصورة رقم 8: أيقونة داخل الكنيسة القديس سابا





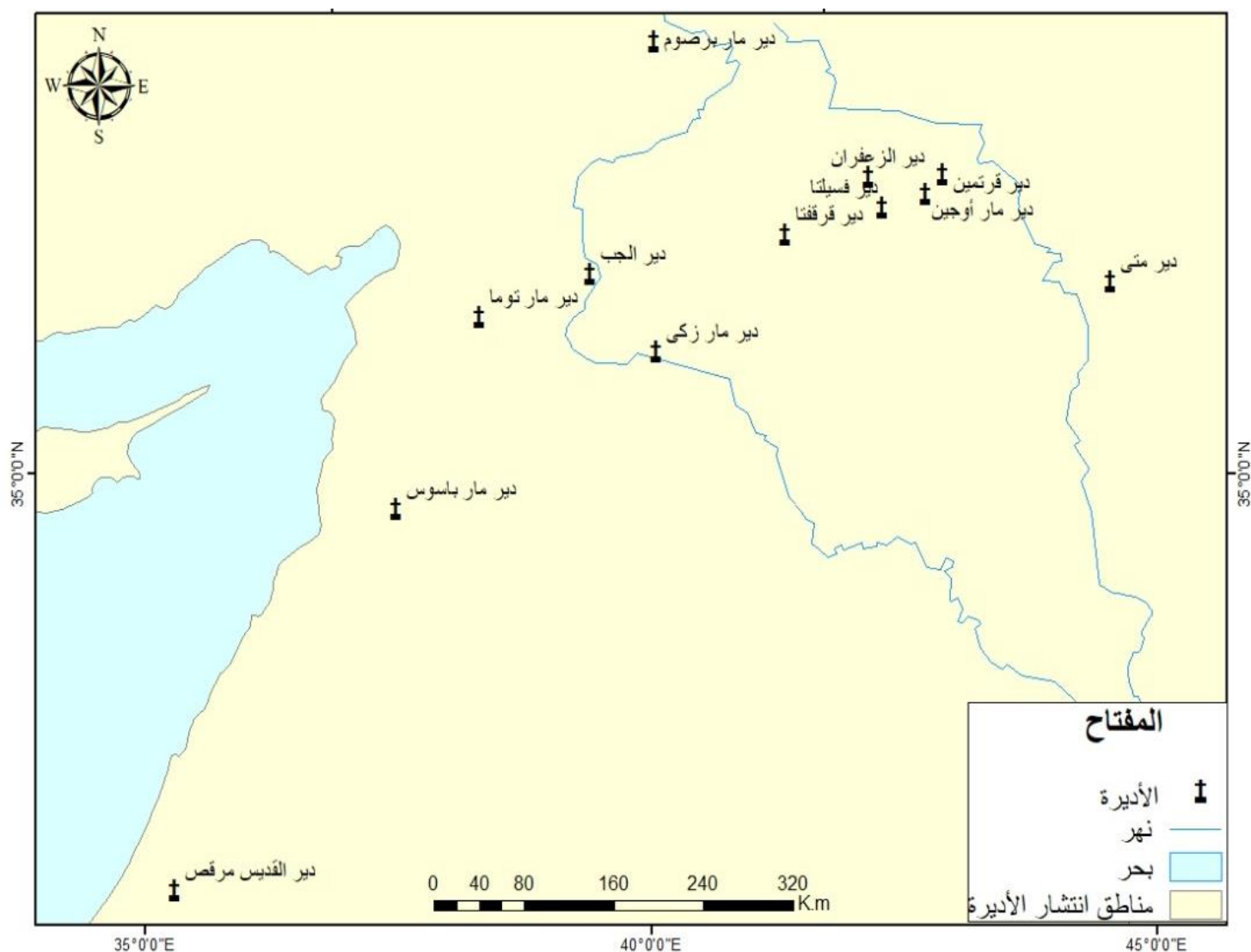
الشكل رقم 2 خريطة سورية الرومانية (Bouchier,E,(1926). Syria As Roman Province,Oxford.)



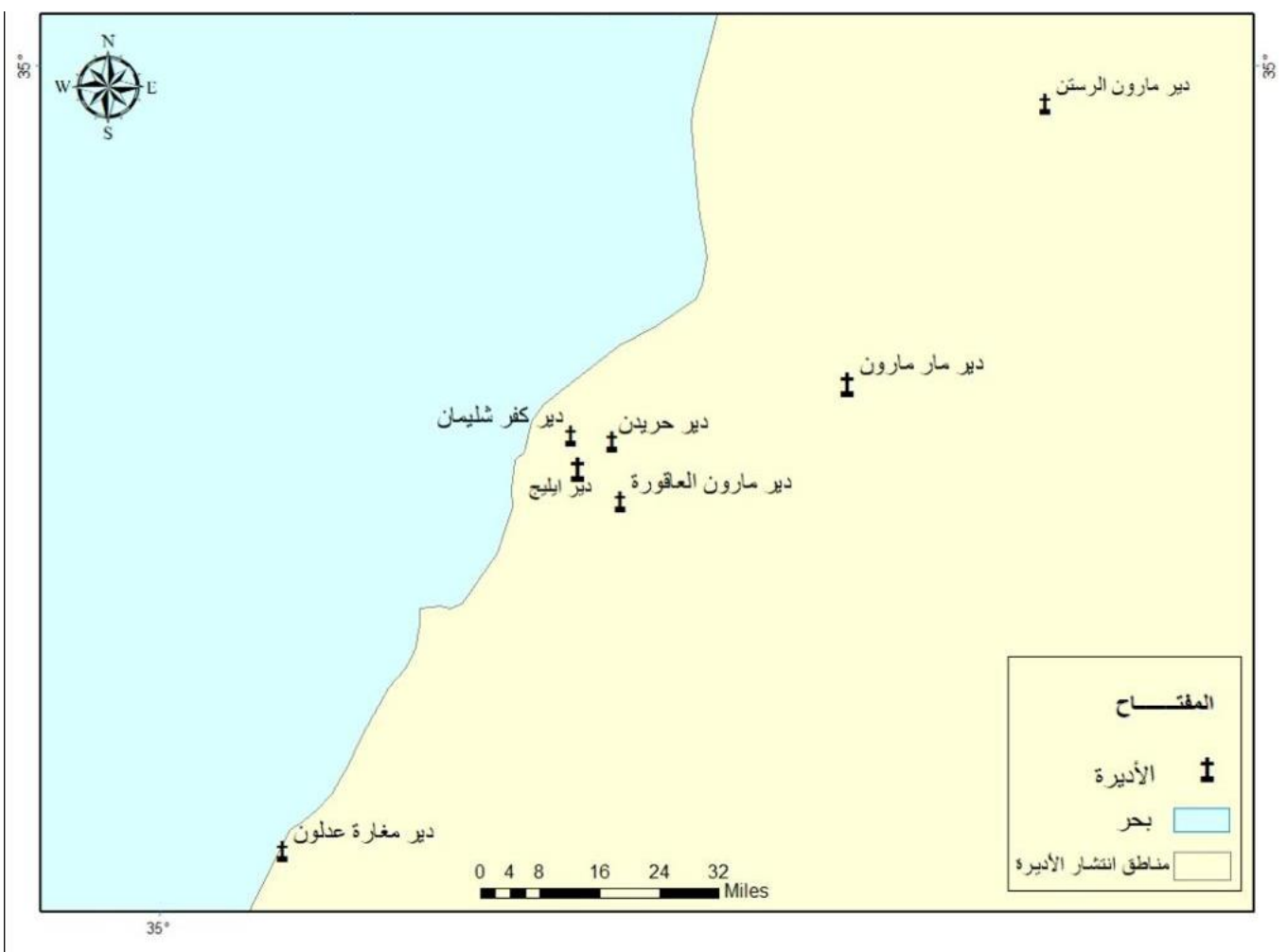
الشكل رقم 3: خريطة توضح مناطق انتشار الرهبنة في سورية (إعداد الباحث)



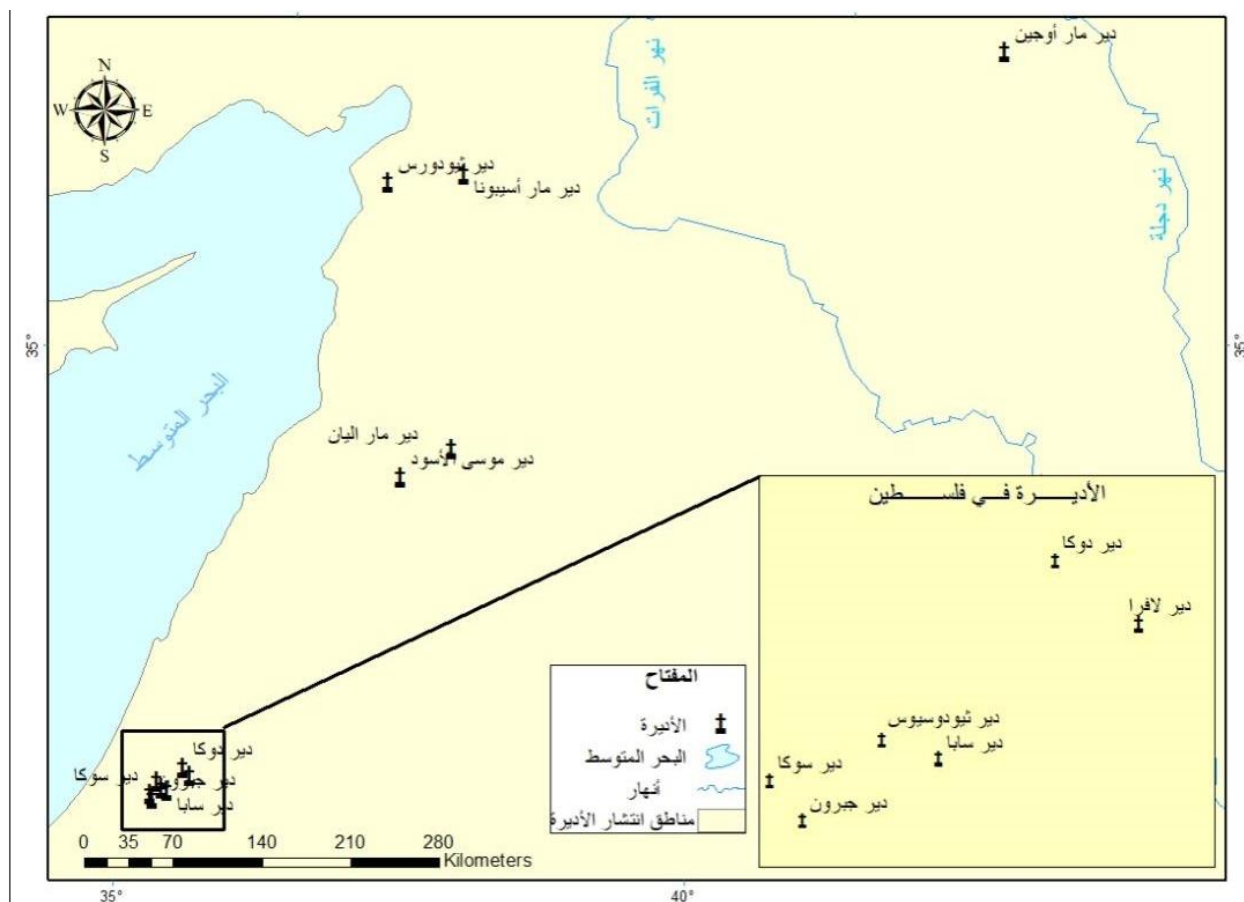
Carte des couvents antiques.
خارطة الأديرة القديمة



الشكل رقم 5: خريطة بأهم الأديرة السريانية في سورية (إعداد الباحث)



الشكل رقم 6: خريطة بأهم الأديرة المارونية في سورية (إعداد الباحث)



الشكل رقم 7 : خريطة بأهم الأديرة اليونانية في سورية (إعداد الباحث)



الصورة رقم 1: القديس سمعان العمودي (سارتر، 2008، ص: 138)



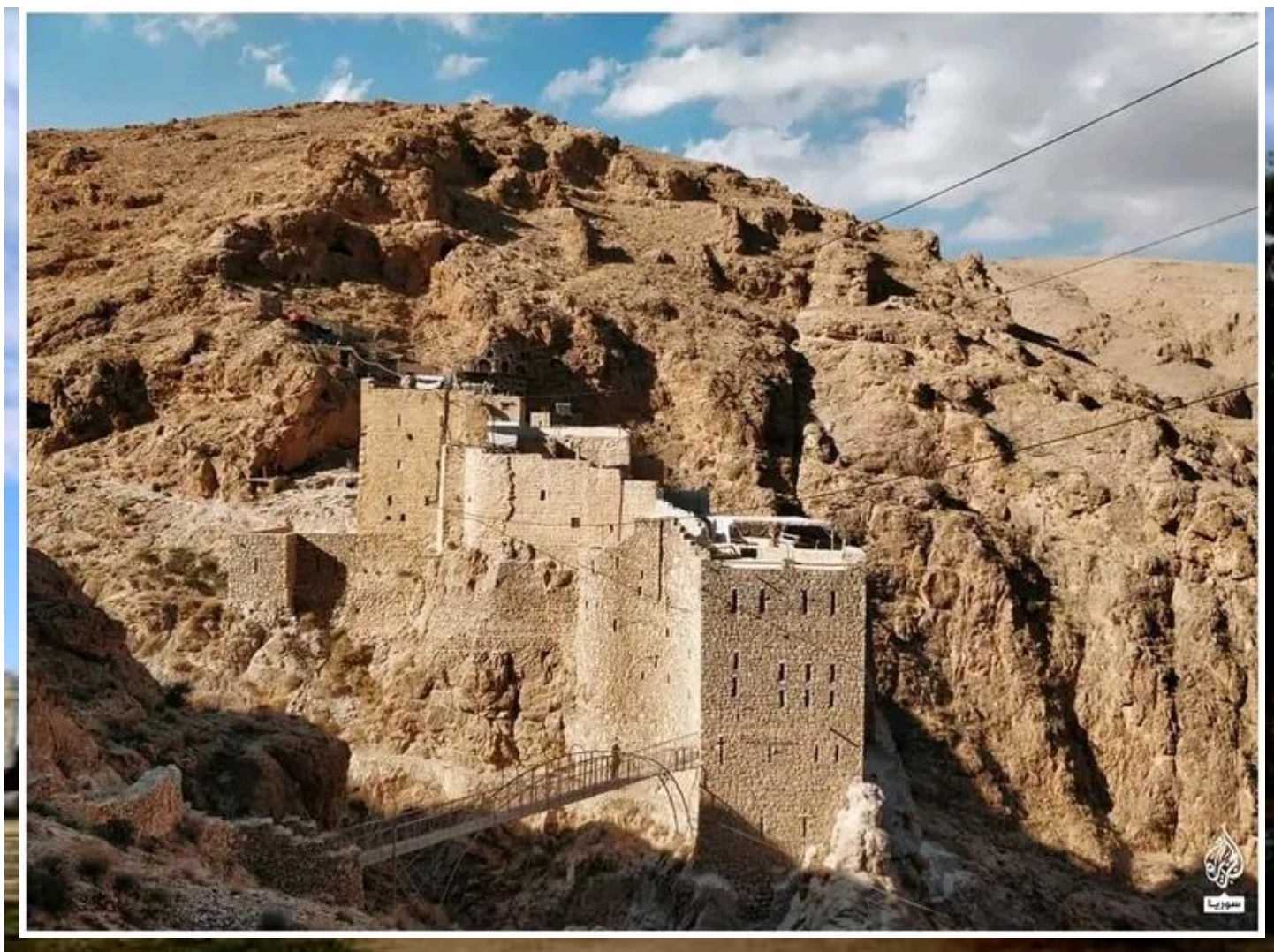
الصورة رقم 2: قاعدة عمود القديس سمعان (سارتر، 2008، ص: 137)



الصورة رقم 3: دير القديس جرجس الحميراء (المشتاية).



الصورة رقم 4: أطلال دير القديس سمعان العمودي (سارتر، 2008، ص: 136)



الصورة رقم 5: دير القديس مار موسى الحبشي.



الصورة رقم 6: دير القديس مارون (مغارة الراهب) عند منابع نهر العاص.



دير القديس سابا

الصورة : ج. باتريك، بإذن من ديمارتون أوكس، جامعة هارفرد.

christianlib.com

الصورة رقم 7: دير القديس سابا (باتريك. بإذن من ديمارتون أوكس، جامعة هارفرد)

Extract:

The research seeks to provide a detailed picture of monasticism in Syria, which spread significantly in the fourth and fifth centuries AD in all regions of Syria, where Saint Hilarion (293-371 AD) is considered a pioneer of monastic life in Syria, as Syria did not know a monk before him, as Saint Jerome says. He had a decisive role in spreading the monastic system in Syria. Which spread in the beginning as a monastic movement that has nothing to do with the priestly institution that was confined to the church. Important monastic currents emerged in it, namely the Syriac Maronite Monastic Order, and the Vertical Monastic Order, which constituted a renewed pattern and distinctive creativity of Christian monasticism, and its decisive role in confronting paganism, its ideas and beliefs. Thus, the Syrian monks played an important role in defending the faith of the Universal Church, who were famous for their virtue, holiness, and good conduct. As a result, the Syrian monks reached the highest ecclesiastical ranks, Metropolitan (Archbishop). The monastic monasticism in Syria was influenced by the Egyptian and Basilian Cappadocian influences, which in turn led to vital changes in Syrian monasticism, its renewal and development, as this monasticism contributed greatly to the service of the church and society, and to highlighting its civilizing role, which was embodied in the monastery as a final stage in the development of Christian monasticism. For this reason, we wanted to research monasticism and monasticism in Syria and to know the position that distinguished Syrian monasticism, and to highlight its civilized role.

Keywords: monasticism - monastery - monks - church - metropolitan - appearance - Syria

University Of Damascus

Faculty Of Arts And Humanities

Department Of History

History Of The Ancient East



Monasticism And Monasticism In Syria From The Fourth Century AD To The Sixth Century AD

**Thesis For A Doctorate Degree In The History Of The
Ancient East**

Student Preparation

Ramzi Al Naamat

Supervised By

Professor Dr. Muhammad Al-Zein

Professor of Roman History at Damascus University

Academic year 1444 AH / 2023 AD